

ص: ١

[الجزء التاسع]

[بقيّة شعراء الغدير فى القرن التاسع]

[بقيّة البحث عن المغالاة فى الفضائل]

[بقيّة البحث فى فضائل عثمان بن عفان]

الغدير

فى الكتاب و السنة و الأدب

٩

ص: ٣

الغدير

فى الكتاب و السنة و الأدب

العلامة الشيخ عبد الحسين الأمينى

الجزء التاسع

ص: ٤

هوية الكتاب

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٧

الجزء التاسع يتضمّن تراجم جمع من أعظم الصحابة رجال الدعوة الصالحة. و البحث عمّا لفتته يد الافتعال من التاريخ المزور. و ما ألفته سماسة الجهل و الدجل من الكتب. و الإعراب عن صحيح ما فى قصّة قتيل الصحابة عثمان، و إخفاق ما هنالك من جلبة و لغط، أو مكاء و تصدية. و الله ولىّ التوفيق.

ص: ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ، فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ، حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُبِينٍ، وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ، كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا، اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ، وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، وَ لَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَ لَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رُسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ، وَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، إِنَّمَا وَبَّيْكُمْ اللَّهُ وَ رُسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. الْأَمِينِ

ص: ١١

٤٢- الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

أخرج البلاذرى فى الأنساب «١» (٥/ ٣٦) قال: حدّثنى عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبى مخنف و عوانة فى إسنادهما: أنّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: من غير غير الله ما به، و من بدل أسخط الله عليه، و ما أرى صاحبكم إلّا و قد غير و بدل، أيعزل مثل سعد بن أبى وقاص و يولى الوليد؟ و كان يتكلّم بكلام لا يدعه و هو:

إنّ أصدق القول كتاب الله، و أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و شرّ الأمور محدثاتها، و كلّ محدث بدعة، و كلّ بدعة ضلالة، و كلّ ضلالة فى النار «٢».

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك و قال: إنّه يعيبك و يطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، فاجتمع الناس فقالوا: أقم و نحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه، فقال: إنّ له علىّ حقّ الطاعة و لا أحبّ أن أكون أوّل من فتح باب الفتن. و فى لفظ أبى عمر: إنّه ستكون أمور و فتن لا أحبّ أن أكون أوّل من فتحها. فردّ الناس و خرج إليه «٣».

قال البلاذرى: و شيعه أهل الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله و لزوم القرآن، فقالوا له: جُزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا، و ثبت عالمنا، و أقرأتنا القرآن، و فقّهتنا فى الدين، فنعم أخو الإسلام أنت و نعم الخليل. ثمّ ودّعوه و انصرفوا.

(١). أنساب الأشراف: ١٤٦ / ٦.

(٢). هذه جملة من كلمة ابن مسعود، وقد أخرجها برمتها أبو نعيم في حلية الأولياء: ١ / ١٣٨ [رقم ٢١] و هي كلمة قيّمة فيها فوائد جمّة. (المؤلف)

(٣). الاستيعاب: ١ / ٣٧٣ [القسم الثالث / ٩٩٣ رقم ١٦٥٩]. (المؤلف)

ص: ١٢

و قدم ابن مسعود المدينة و عثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فلما رآه قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دُويبة سوء، من يمشى على طعامه يقيء و يسلمح، فقال ابن مسعود: لست كذلك و لكنني صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم بدر و يوم بيعة الرضوان. و نادى عائشة: أى عثمان أ تقول هذا لصاحب رسول الله؟ ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، و ضرب به عبد الله بن زمعة «١» الأرض، و يقال: بل احتمله - يحموم - غلام عثمان و رجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقّ ضلعه، فقال عليّ: «يا عثمان - أ تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بقول الوليد ابن عقبة؟» فقال: ما بقول الوليد فعلت هذا و لكن وجهت زبيد بن الصلت الكندى إلى الكوفة فقال له ابن مسعود فقال عليّ: «أحلت عن زبيد عليّ: إن دم عثمان حلال، غير ثقة».

و فى لفظ الواقدي: إن ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة، فلما علم عثمان بدخوله قال: يا أيها الناس إنه قد طرقتكم الليلة دويبة؛ من يمشى على طعامه يقيء و يسلمح، فقال ابن مسعود: لست كذلك و لكنني صاحب رسول الله يوم بدر، و صاحبه يوم بيعة الرضوان، و صاحبه يوم الخندق، و صاحبه يوم حنين. قال: و صاحت عائشة: يا عثمان أ تقول هذا لصاحب رسول الله؟ فقال عثمان: اسكتي.. ثم قال لعبد الله بن زمعة: أخرجته إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان.

قال البلاذرى «٢»: و قام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان فى الخروج منها إلى ناحية من النواحي، و أراد حين

(١). هو عبد الله بن زمعة بن الأسود القرشى الأسدى، قُتل مع عثمان يوم الدار.

(٢). أنساب الأشراف: ١٤٧ / ٦.

ص: ١٣

برئ الغزو، فمنعه من ذلك و قال له مروان: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق، أفتريد أن يُفسد عليك الشام؟ فلم يبرح المدينة حتى توفى قبل مقتل عثمان بسنتين، و كان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين.

و قال قوم: إنه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص، و لمّا مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّى. قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضى. قال: أ فلا أمر لك بعطائك «١»؟ قال: منعنيّه و أنا محتاج إليه، و تعطينيّه و أنا مستغن عنه؟ قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله. قال: استغفر لى يا أبا عبد الرحمن، قال: أسأل الله أن يأخذ لى منك بحقّى، و أوصى أن لا يصلّى عليه عثمان. فدفن بالبقيع و عثمان لا يعلم. فلما علم غضب و قال: سبقتونى به؟ فقال له عمّار بن ياسر: إنه أوصى أن لا تصلّى عليه. فقال ابن الزبير «٢»:

لأعرفنك بعد الموت تندبنى      و فى حياتى ما زودتني زادى

و فى لفظ ابن كثير فى تاريخه «٣» (١٦٣ / ٧): جاءه عثمان فى مرضه عائداً فقال له: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّى. قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضى. قال: ألا أمر لك بعطائك؟ - و كان قد تركه سنين - فقال: لا حاجة لى. فقال: يكون لبناتك من بعدك، فقال: أ تخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

(١). قال ابن كثير فى تاريخه: ١٦٣ / ٧ [١٨٣ / ٧] حوادث سنة ٣٢ هـ: كان قد تركه سنين. (المؤلف)

(٢). كذا، و الصحيح كما فى شرح ابن أبى الحديد: ٢٣٦ / ١ [٣ / ٤٢ خطبة ٤٣]: فتمثل الزبير. (المؤلف) [و سيأتى فى صفحة ٢٠١ أن البيت لعبيد بن الأبرص].

(٣). البداية و النهاية: ١٨٣ / ٧ حوادث سنة ٣٢ هـ.

ص: ١٤

و قال البلاذرى «١»: كان الزبير وصى ابن مسعود فى ماله و ولده، و هو كَلَّم عثمان فى عطائه بعد وفاته حتى أخرج لولده، و أوصى ابن مسعود أن يصلّى عليه عمّار بن ياسر، و قوم يزعمون أن عمّاراً كان وصيّه، و وصية الزبير أثبت.

و أخرج البلاذرى «٢» من طريق أبى موسى القروى بإسناده: أنه دخل عثمان على ابن مسعود فى مرضه فاستغفر كل واحد منهما لصاحبه، فلما انصرف عثمان قال بعض من حضر: إن دمه لحلال. فقال ابن مسعود: ما يسرنى أننى سدّدت إليه سهماً يخطئه و أن لى مثل أحد ذهباً.

و قال الحاكم و أبو عمر و ابن كثير: أوصى ابن مسعود إلى الزبير بن العوام، فيقال: إنه هو الذي صَلَّى عليه و دفنه بالبيع ليلاً بإيصاله بذلك إليه و لم يعلم عثمان بدفنه، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك، و قيل: بل صَلَّى عليه عثمان، و قيل: عمّار «٣».

و فى رواية توجد فى شرح ابن أبى الحديد «٤» (١/ ٢٣٦): لَمَّا حضره الموت قال: من يتقبَّل منى وصية أوصيه بها على ما فيها؟ فسكت القوم و عرفوا الذى يريد. فأعادها، فقال عمّار: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: أن لا يصلّى على عثمان. قال: ذلك لك. فيقال: إنه لَمَّا دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إن عمّاراً ولى الأمر. فقال لعمّار: ما حملك على أن لم تؤذنى؟ فقال: عهد إلىّ أن لا أؤذنك... إلخ. و ذكر كل ما روينا عن البلاذرى مع زيادة، فراجع.

و فى لفظ اليعقوبى: اعتلّ ابن مسعود، فأتاه عثمان يعوده، فقال له: ما كلام

---

(١). أنساب الأشراف: ١٤٨ / ٦.

(٢). أنساب الأشراف: ١٤٨ / ٦.

(٣). المستدرک: ٣ / ٣١٣ [٣ / ٣٥٣ ح ٥٣٦٣]، الاستيعاب: ١ / ٣٧٣ [القسم الثالث / ٩٩٤ رقم ١٦٥٩] تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٦٣ [٧ / ١٨٣ حوادث سنة ٣٢ هـ]. (المؤلف)

(٤). شرح نهج البلاغة: ٣ / ٤٢ خطبة ٤٣.

ص: ١٥

بلغنى عنك؟ قال: ذكرت الذى فعلته بى، إنك أمرت بى فوطئى جوفى فلم أعقل صلاة الظهر و لا العصر و منعتنى عطائى. قال: فإنى أقيدك من نفسى فافعل بى مثل الذى فعل بك. قال: ما كنت بالذى أفتح القصاص على الخلفاء. قال: فهذا عطاؤك فخذ، قال: منعتنيه و أنا محتاج إليه، و تعطينيه و أنا غنى عنه، لا حاجة لى به، فانصرف. فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفى. تاريخ اليعقوبى «١» (٢ / ١٤٧).

و أخرج محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى: إن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً فى دفنه أبا ذر. شرح ابن أبى الحديد «٢» (١ / ٢٣٧).

و فى تاريخ الخميس (٢ / ٢٦٨): حبس - عثمان - عن عبد الله بن مسعود و أبى ذر عطاءهما، و أخرج أبا ذر إلى الربرة و كان بها إلى أن مات. و أوصى - عبد الله - إلى الزبير و أوصاه أن يصلّى عليه و لا يستأذن عثمان لئلا يصلّى عليه، فلمّا دفن وصل عثمان و رثته بعطاء أبيهم خمس سنين. و أجاب بأن عثمان كان مجتهداً و لم يكن من قصده حرمانه، إمّا التأخير إلى غاية أدباً، و إمّا مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به و رثته و لعلّه كان أنفع له.

و فى السيرة الحلبية «٣» (٢ / ٨٧): من جملة ما انتقم به على عثمان أنه حبس عبد الله بن مسعود و هجره، و حبس عطاء أبى بن كعب، و أشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية، و ضرب عمّار بن ياسر و كعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً و نفاه إلى بعض الجبال، و قال لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق... إلخ.

قال الأمينى: لعلك لا تستكنه هذه الجرأة و لا تبلغ مداها حتى تعلم أن ابن مسعود من هو، فهناك تؤمن بأن ما فعل به حوب كبير لا يبرر فعل مرتكبه أى

---

(١). تاريخ البعقوبى: ١٧٠ / ٢.

(٢). شرح نهج البلاغة: ٣ / ٤٤ خطبة ٤٣.

(٣). السيرة الحلبية: ٧٨ / ٢.

ص: ١٦

عذر معقول فضلاً عن التافهات.

١- أخرج «١» مسلم و ابن ماجة من طريق سعد بن أبى وقاص، قال: نزل قوله تعالى: (و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء و ما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) «٢».

فى ستة نفر منهم عبد الله بن مسعود.

راجع «٣»: تفسير الطبرى (٧ / ١٢٨)، المستدرک للحاكم (٣ / ٣١٩)، تاريخ ابن عساکر (٦ / ١٠٠)، تفسير القرطبى (١٦ / ٤٣٢، ٤٣٣)، تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٥)، تفسير ابن جزی (٢ / ١٠)، تفسير الدر المنثور (٣ / ١٣)، تفسير الخازن (٢ / ١٨)، تفسير الشريبنى (١ / ٤٠٤)، تفسير الشوكانى (٢ / ١١٥).

٢- أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى «٤» (٣ / ١٠٨) طبع ليدن، من طريق عبد الله بن مسعود نزول قوله تعالى: (الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم) «٥». فى ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم.

و ذكر ابن كثير و الخازن فى تفسيرهما «٦»: أن ابن مسعود ممن نزلت فيهم الآية.

---

(١). صحيح مسلم: ٥ / ٣١ ح ٤٥ كتاب فضائل الصحابة، سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٨٣ ح ٤١٢٨.

(٢). الأنعام: ٥٢.

(٣). جامع البيان: مج ٥ / ج ٧ / ٢٠٢، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٦٠ ح ٥٣٩٣، تاریخ مدینة دمشق: ٢٠ / ٣٣٠ رقم ٢٤٢٦ و ٣٣ / ٧٤ رقم ٣٥٧٣، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٢٧٨، الدرّ المنثور: ٣ / ٢٧٤، فتح القدير: ٢ / ١٢١.

(٤). الطبقات الكبرى: ٣ / ١٥٢ - ١٥٣.

(٥). آل عمران: ١٧٢.

(٦). تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣٠، تفسير الخازن: ١ / ٣٠٥.

ص: ١٧

٣- ذكر الشرييني و الخازن «١» نزول قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) «٢» في ابن مسعود و عمّار و سلمان. يأتي تفصيله بعيد هذا في ترجمة عمّار.

-٤

عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: «عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد».

و في لفظ: «و الذي نفسى بيده لهما - يعنى ساقى ابن مسعود - أثقل في الميزان من أحد».

و في لفظ: «و الذي نفسى بيده لساقا عبد الله يوم القيامة أشدّ و أعظم من أحد و حراء».

راجع «٣»: مستدرک الحاكم (٣ / ٣١٧)، حلية الأولياء (١ / ١٢٧)، الاستيعاب (١ / ٣٧١) صفة الصفوة (١ / ١٥٧)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٦٣)، الإصابة (٢ / ٣٧٠)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩ / ٢٨٩)، و قال: أخرجه أحمد و أبو يعلى و الطبرانى و رجالهم رجال الصحيح غير أم موسى و هى ثقة، و رواه من طريق البزار و الطبرانى، فقال «٤»: رجالهما رجال الصحيح، كنز العمال (٦ / ١٨٠، ١٨١ و ٥٥ / ٧) نقلًا عن الطبرانى و الضياء و ابن خزيمة و صحّحه.

-٥

عن علقمة و عمر في حديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من سرّه أن يقرأ

---

(١). تفسير الخازن: ٤ / ٥٠.

(٢). الزمر: ٩.

(٣). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٥٨ ح ٥٣٨٥، الاستیعاب: القسم الثالث / ٩٨٩ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ١ / ٣٩٩ رقم ١٧، البداية و النهاية: ٧ / ١٨٣ حوادث سنة ٣٢ هـ، مسند أحمد: ١ / ٦٩٣ ح ٣٩٨١، مسند أبي يعلى: ٩ / ٢٠٩ ح ٥٣١٠، المعجم الكبير: ٩ / ٧٨ ح ٨٤٥٢ - ٨٤٥٤، كنز العمال: ١١ / ٧٠٩ ح ٣٣٤٥٦ و ٣٣٤٥٧ و ١٣ / ٤٦٦ ح ٣٧٢١٢.

(٤). أي: الهيئتي في مجمع الزوائد.

ص: ١٨

القرآن غصاً أو رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد.

أخرجه «٥»: أبو عبيد في فضائله، أحمد، الترمذی، النسائی، البخاری في تاريخه، ابن أبي خزيمة، ابن أبي داود، ابن الأنباری، عبد الرزاق، ابن حبان، الدارقطني، ابن عساکر، أبو نعیم، الضياء المقدسی، البزار، الطبرانی، أبو يعلى، وغيرهم.

راجع «٦»: سنن ابن ماجة (١ / ٦٣)، حلية الأولياء (١ / ١٢٤)، مستدرک الحاكم (٣ / ٣١٨)، الاستیعاب (١ / ٣٧١)، صفة الصفوة (١ / ١٥٦)، طرح التثريب (١ / ٨٥)، الإصابة (٢ / ٣٦٩)، مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧)، كنز العمال (٦ / ١٨١)

-٦-

عن أبي الدرداء مرفوعاً في حديث: «رضيت لأمتي ما رضى الله لها و ابن أمّ عبد، و سخطت لأمتي ما سخط الله لها و ابن أمّ عبد».

أخرجه «٧»: البزار و الطبرانی، و رجال البزار ثقات كما قاله الهيئتي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٠)، و رواه الحاكم في المستدرک (٣ / ٣١٧، ٣١٨)، و أبو عمر في الاستیعاب (١ / ٣٧١) و يوجد في كنز العمال (٦ / ١٨١ و ٧ / ٥٦).

(٥). مسند أحمد: ١ / ٤٤ ح ١٧٦، السنن الكبرى: ٥ / ٧١ ح ٨٢٥٥، التاريخ الكبير: مج ٧ / ١٩٩ رقم ٨٧٥، صحيح ابن خزيمة: ٢ / ١٨٦ ح ١١٥٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ١٥ / ٥٤٢ ح ٧٠٦٦، تاريخ مدينة دمشق: ٣٣ / ٦٢ رقم ٣٥٧٣، مسند البزار (البحر الزخار): ٤ / ٢٣٩، المعجم الكبير: ٩ / ٦٧ ح ٨٤١٥، مسند أبي يعلى: ١ / ١٧٢ ح ١٩٣، ١٩٤.

(٦). سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩ ح ١٣٨، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٥٩ ح ٥٣٩٠، الاستیعاب: القسم الثالث / ٩٩٠ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ١ / ٣٩٩ رقم ١٩، طرح التثريب: ١ / ٧٥، كنز العمال: ١١ / ٧١٠ ح ٣٣٤٦١ - ٣٣٤٦٣ و ١٣ / ٤٦٠ ح ٣٧١٩٧.

(٧). مسند البزار (البحر الزخار): ٥ / ٣٥٤، المعجم الكبير: ٩ / ٨٠ ح ٨٤٥٨، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٥٩ و ٣٦٠ ح ٥٣٨٧ و ٥٣٩٤، الاستیعاب: القسم الثالث / ٩٨٩ رقم ١٦٥٩، كنز العمال: ١١ / ٧١٠ ح ٣٣٤٦٠ و ١٣ / ٤٦٦ ح ٣٧٢١٣.



ص: ١٩

-٧

عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أذنك على «١» أن ترفع الحجاب و تسمع سيوادی «٢» حتى أنهاك». قال ابن حجر: أخرجه أصحاب الصحاح.

مسند أحمد (١/ ٣٨٨)، سنن ابن ماجة (١/ ٦٣)، حلية الأولياء (٢/ ١٢٦)، الاستيعاب (١/ ٣٧١)، تاريخ ابن كثير (٧/ ١٦٢)، الإصابة (٣/ ٣٦٩) «٣».

-٨

أخرج الترمذى «٤» من طريق عبد الله فى حديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تمسكوا بعهد ابن أمّ عبد».

و فى لفظ أحمد: «تمسكوا بعهد عمّار، و ما حدّثكم ابن مسعود فصدّقوه».

راجع «٥»: مسند أحمد (٥/ ٣٨٥)، حلية الأولياء (١/ ١٢٨)، تاريخ ابن كثير (٢/ ١٦٢)، الإصابة (٢/ ٣٦٩)، كنز العمال (٧/ ٥٥٥).

٩- سُئل على أمير المؤمنين عن ابن مسعود، قال: «علم القرآن و علم السنّة ثمّ انتهى و كفى به علماً».

راجع «٦»: حلية الأولياء لأبى نعيم (١/ ١٢٩)، المستدرک للحاكم (٣/ ٣١٨)،

---

(١). كذا فى الحلية، و فى غيرها: إذنك علىّ.

(٢). كذا فى جميع المصادر، و السواد بالكسر: السرار. يقال: ساودت الرجل أى ساررتة. و حسبه ناشر حلية الأولياء غلطاً فجعله فى المتن: سرارى. و قال فى التعليق: فى الأصلين: سوادى. (المؤلف)

(٣). مسند أحمد: ١/ ٦٤٢ ح ٣٦٧٥، سنن ابن ماجة: ١/ ٤٩ ح ١٣٩، الاستيعاب: القسم الثالث/ ٩٨٨ رقم ١٦٥٩، البداية و النهاية: ٧/ ١٨٢ حوادث سنة ٣٢ هـ.

(٤). سنن الترمذى: ٥/ ٦٣٠ ح ٣٨٠٥.

(٥). مسند أحمد: ٦/ ٥٣٣ ح ٢٢٧٦٥، البداية و النهاية: ٧/ ١٨٣ حوادث سنة ٣٢ هـ، كنز العمال: ١٣/ ٤٦٥ ح ٣٧٢١١.

(٤). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٦٠ ح ٥٣٩٢، الاستیعاب: القسم الثالث / ٩٩٣ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ١ / ٤٠١ رقم ١٩.

ص: ٢٠

الاستیعاب (١ / ٣٧٣)، صفة الصفوة (١ / ١٥٧).

-١٠

أخرج الحاكم في المستدرک «١» (٣ / ٣١٥) من طریق حبة العرنى قال: إن ناساً أتوا علياً فأتوا على عبد الله بن مسعود، فقال: «أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل: من قرأ القرآن وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة».

١١- أخرج الترمذی «٢» بإسناد رجاله ثقات من طریق حذيفة بن اليمان: أن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله.

و في لفظ البخارى: ما أعرف أحداً أقرب سمناً وهدياً ودلاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ابن أمّ عبد، و زاد الترمذی: و لقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ابن أمّ عبد أقربهم إلى الله زلفى. و في لفظ أبى نعيم: إنه من أقربهم وسيلة يوم القيامة. و في لفظ أبى عمر: سمع حذيفة يحلف بالله: ما أعلم أحداً أشبه دلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبد الله بن مسعود، و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

و في لفظ علقمة: كان يشبه بالنبيّ في هديه و دله و سمته.

راجع «٣»: صحيح البخارى كتاب المناقب، مسند أحمد (٥ / ٣٨٩)، المستدرک (٣ / ٣١٥، ٣٢٠)، حلية الأولياء (١ / ١٢٦، ١٢٧)، الاستیعاب (١ / ٣٧٢)، مصابيح السنة (٢ / ٢٨٣)، صفة الصفوة (١ / ١٥٦، ١٥٨)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٦٢)، تيسير الوصول (٣ / ٢٩٧) الإصابة (٢ / ٣٦٩)، كنز العمال (٧ / ٥٥).

(١). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٥٧ ح ٥٣٨٠.

(٢). سنن الترمذی: ٥ / ٦٣١ ح ٣٨٠٧.

(٣). صحيح البخارى: ٣ / ١٣٧٣ ح ٣٥٥١، مسند أحمد: ٦ / ٥٣٨ ح ٢٢٧٩٧، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٣٥٦ و ٣٦١ ح ٥٣٧٦ و ٥٣٩٦، الاستیعاب: القسم الثالث / ٩٩١ رقم ١٦٥٩، مصابيح السنة: ٤ / ٢٠٤ ح ٤٨٥٥، صفة الصفوة: ١ / ٣٩٨ و ٤٠٢ رقم ١٩، البداية و النهاية: ٧ / ١٨٣ حوادث سنة ٣٢ هـ، تيسير الوصول: ٣ / ٣٢٤ ح ١، كنز العمال: ١٣ / ٤٦٥ رقم ٣٧٢١٠.

١٢- أخرج «١» الشيخان و الترمذى عن أبى موسى قال: قدمت أنا و أخى من اليمن و ما نرى ابن مسعود إلا أنه رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم لما نرى من دخوله و دخول أمه على النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

راجع «٢»: المستدرک للحاکم (٣/ ٣١٤)، مصابيح السنّة (٢/ ٢٨٤)، تيسير الوصول (٣/ ٢٧٩) نقلًا عن الشيخين و الترمذى، تاريخ ابن كثير (٧/ ١٦٢)، مرآة الجنان لليافعى (١/ ٨٧)، الإصابة (٢/ ٣٦٩) قال: عند البخارى فى التاريخ بسند صحيح «٣».

١٣- أخرج أحمد فى مسنده «٤» (٤/ ٢٠٣) من طريق عمرو بن العاصى قال: مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يحبّ عبد الله بن مسعود و عمّار بن ياسر.

و ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٠) بلفظ: مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو راض عنهما. حكاه عن أحمد و الطبرانى فقال: رجال أحمد رجال الصحيح. و أخرجه ابن عساکر «٥» من طريق عثمان بن أبى العاص الثقفى كما فى كنز العمّال «٦» (٧/ ٥٦).

(١). صحيح البخارى: ٣/ ١٣٧٣ ح ٣٥٥٢، صحيح مسلم: ٥/ ٦٣ ح ١١٠ كتاب فضائل الصحابة، سنن الترمذى: ٥/ ٦٣١ ح ٣٨٠٦.

(٢). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ٣٥٥ ح ٥٣٧٥، مصابيح السنّة: ٤/ ٢٠٤ ح ٤٨٥٦، تيسير الوصول: ٣/ ٣٢٤، البداية و النهاية: ٧/ ١٨٣ حوادث سنة ٣٢ هـ.

(٣). قال ابن حجر فى الإصابة: و عند البخارى فى التاريخ [الصغير: ١/ ٦٠] بسند صحيح عن حريث ابن ظهير: جاء نعى عبد الله بن مسعود إلى أبى الدرداء فقال: ما ترك بعده مثله. انتهى. فما ورد فى المتن من نسبة العبارة المذكورة إلى ابن حجر و إلحاقها بما أخرجه الشيخان و الترمذى عن أبى موسى، سهو من قلمه الشريف منشؤه مجيء العبارة فى الإصابة عقيب ما اخرج عن أبى موسى مباشرة و بلا فصل.

(٤). مسند أحمد: ٥/ ٢٣٠ ح ١٧٣٥١.

(٥). مختصر تاريخ دمشق: ١٨/ ٢١٣.

(٦). كنز العمّال: ١٣/ ٤٦٨ ح ٣٧٢١٨.

١٤- أخرج البخارى «١» من طريق عبد الله بن مسعود، قال: أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان. و فى لفظ: أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت و له ذؤابة يلعب مع الغلمان. و فى لفظ: ما ينازعى فيها أحد «٢».

حلية الأولياء (١/ ١٢٥)، الاستيعاب (١/ ٣٧٣)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٨) و صححه، كنز العمال (٧/ ٥٦) نقلًا عن ابن ابي داود.

١٥- أخرج البغوى من طريق تميم بن حرام «٣»، قال: جالست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما رأيت أحداً أزهى فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أحبّ إلىّ أن أكون فى صلاحه من ابن مسعود، الإصابة لابن حجر (٢/ ٣٧٠).

و أخرجه البخارى فى تاريخه (١/ قسم ٢/ ص ١٥٢) و لفظه: أدركت أبا بكر و عمر و أصحاب محمد عليهم السلام فما رأيت أحداً... إلى آخره.

١٦- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان عبد الله صاحب سواد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعنى سره. و عن أبى الدرداء: أ لم يكن فيكم صاحب السواد عبد الله؟ و عن عبد الله بن شداد: إن عبد الله كان صاحب السواد و الوساد و السواك و النعلين «٤».

راجع «٥»: طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٨)، حلية الأولياء (١/ ١٢٦)، الاستيعاب (١/ ٣٧١)، صفة الصفوة (١/ ١٥٦)، طرح التثريب (١/ ٧٥).

---

(١). التاريخ الكبير: مج ٣/ ٢٢٧ رقم ٧٦٢.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث/ ٩٩٣ رقم ١٦٥٩، تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٥، كنز العمال: ١٣/ ٤٦٨ ح ٣٧٢١٧.

(٣). فى تاريخ البخارى: حذف. (المؤلف)

(٤). كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يحمل نعليه. قاله ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٨ [٦/ ٢٥]. (المؤلف)

(٥). الطبقات الكبرى: ٣/ ١٥٣، الاستيعاب: القسم الثالث/ ٩٨٨ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ١/ ٣٩٧ رقم ١٩.

ص: ٢٣

١٧- عن أبى وائل، قال ابن مسعود: إنى لأعلمهم بكتاب الله و ما أنا بخيرهم و ما فى كتاب الله سورة و لا آية إلا و أنا أعلم فيم أنزلت و متى نزلت. قال أبو وائل: فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه.

أخرجه «١» الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول (٣/ ٢٧٩)، و أبو عمر في الاستيعاب (١/ ٣٧٢)، و ذكره الياقعي في مرآته (١/ ٨٧).

هذا ابن مسعود:

و هذا علمه و هديه و سمته و صلاحه و زلفته إلى نبيّ العظمة صلى الله عليه و آله و سلم، أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام و هو سادس ستة، و هجرته إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة، و شهوده بدراناً و مشاهد النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم كلّها، و هو أحد العشرة المبشّرة بالجنة كما في رواية أبي عمر في الاستيعاب، و لعلك لا تشكّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة و التاريخ في أنّه لم يكن له دأب إلّا على نشر علم القرآن و سنّة الرسول و تعليم الجاهل، و تنبيه الغافل، و تثبيت القلوب، و شدّ أزر الدين، في كلّ ذلك هو شبيهه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في هديه و سمته و دلّه، فلا تجد فيه مغزاً لغامز، و لا محلّاً للمز لا مز، و قد بعته عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، و بعث عمّاراً أميراً و كتب إليهم: إنهما من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر، فاقتدوا بهما و اسمعوا من قولهما، و قد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي «٢». و قد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم: جُزيت خيراً، فلقد علّمت جاهلنا و ثبّت عالمنا، و أقرأتنا القرآن، و فقّهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت و نعم الخليل.

(١). صحيح البخارى: ٤/ ١٩١٢ ح ٤٧١٦، صحيح مسلم: ٥/ ٦٥ ح ١١٥ كتاب فضائل الصحابة: السنن الكبرى: ٥/ ٧٢ ح ٨٢٦٠، تيسير الوصول: ٣/ ٣٢٤ ح ٢، الاستيعاب: القسم الثالث/ ٩٩١ رقم ١٦٥٩.

(٢). الاستيعاب: ١/ ٣٧٣ و ٢/ ٤٣٦ [القسم الثالث/ ٩٨٨ رقم ١٦٥٩ و ١١٤٠ رقم ١٨٦٣]، الإصابة: ٢/ ٣٦٩ [رقم ٤٩٥٤].  
(المؤلف)

ص: ٢٤

كان ابن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بمكة، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقالوا: و الله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ، فمن رجلٌ يسمعه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إننا نخشاهم عليك، إنّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإنّ الله سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، و قريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثمّ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم - رافعاً بها صوته - الرحمن علّم القرآن. قال: ثمّ استقبلها يقرؤها، قال: و تأملوه، فجعلوا يقولون: ما ذا قال ابن أمّ عبد؟ قال: ثمّ قالوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم فقاموا إليه، فجعلوا يضربون فى وجهه، و جعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثمّ انصرف إلى أصحابه و قد أثروا فى وجهه، فقالوا له: هذا الذى خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن، و لئن شئتم لأغاديئهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون «١».

و قد هذبته تلکم الأحوال و كهربته، فلم يُسَق لمغضبة على باطل، و لم يحده طيش إلى غاية، فهو إن قال فعن هدى، و إن حدت فعن الصادع الكريم صدقاً، و إن جال ففي مستوى الحق، و إن صال فعلى الضلالة، و عرفه بذلك من عرفه من أول يومه، و كان معظماً مبيحاً لدى الصحابة و كانوا يحذرون خلافه و الردّ عليه و يعدونه حوباً. قال أبو وائل: إن ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال: ارفع إزارك. فقال: و أنت يا ابن مسعود فارفع إزارك. فقال: إنى لست مثلك إن بساقي حموشة و أنا آدم «٢» الناس. فبلغ ذلك عمر، فضرب الرجل و يقول «٣»: أ تردّ على ابن مسعود «٤»؟

(١). سيرة ابن هشام: ١ / ٣٣٧ [١ / ٣٣٦]. (المؤلف)

(٢). كذا في الإصابة، و في كنز العمال: أوم.

(٣). كذا في الإصابة، و في تاريخ دمشق: ٣٣ / رقم ٣٥٧٣، و سير أعلام النبلاء: ١ / ٤٩١ - ٤٩٢ رقم ٨٧، و كنز العمال: فجعل يضرب الرجل و يقول.

(٤). الإصابة: ٢ / ٣٧٠ [رقم ٤٩٥٤]، كنز العمال: ٧ / ٥٥ [١٣ / ٤٦٤ رقم ٣٧٢٠٦]. (المؤلف)

ص: ٢٥

و أخرج أبو عمر في الاستيعاب «١» (١ / ٣٧٢) بالإسناد عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر و هو بعرفات فقال: جئتك من الكوفة و تركت بها رجلاً يحكى المصحف عن ظهر قلبه، فغضب عمر غضباً شديداً و قال: ويحك و من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود. قال: فذهب عنه ذلك الغضب و سكن و عاد إلى حاله، و قال: و الله ما أعلم من الناس أحداً هو أحقّ بذلك منه.

فلما ذا يحرم هذا البدرى العظيم عطاءه سنين؟ ثمّ يأتيه من سامه سوء العذاب و قد خالجه الندم و لات حين مندّم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها ابن مسعود و هو في منصرم عمره، و يسأل ربّه أن يأخذ له منه بحقه، ثمّ يتوجّه إلى النعيم الخالد معرضاً عن الحطام الزائل، موصياً بأن لا يصلّى عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع.

لما ذا فعل به هذا؟ و لما ذا شتم على رءوس الأشهاد؟ و لما ذا أخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مهاناً عنفاً، و لما ذا ضرب به الأرض فدقّت أضالعه؟ و لما ذا بطشوا به بطش الجبارين؟

كلّ ذلك لأنّه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أمر به، فألقى مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب و السنّة و هو العليم بهما مساعياً لهايتك الإباحة و لا لأثرة الأمر بها، و علم أنّها سوف تتبعا من الأعطيات التى لا يقرّها كتاب و لا سنّة، فتسلّل عن عمله و تنصّل، و ما راقه أن يبوء بذلك الإثم، فلهج بما علم، و أبدى معاذيره فى إلقاء المفاتيح، فغاظ تلکم الأحوال داعية الشهوات، و شاخص الهوى الوليد بن عقبة، فكتب فى حقه و نمّ و سعى، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت، و لم تمنع عن ذلك سوابقه فى الإسلام و فضائله و فواضله و علمه و هديه و ورعه و معاذيره و حججه، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كلّ، فأوجب نقمة الصحابة على من نال ذلك منه،

و إنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و صيحة أم المؤمنين في خدرها، و لم تزل البغضاء محتدمة على هذه و أمثالها حتى كان في مغبة الأمر ما لم يحمده خليفة الوقت و زبانيته الذين جروا إليه الويلات.

و لو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الانتقام، أو أعار لنصح صلحاء الأمة أذناً واعية، أو لم يستبدل جرائيم الفتن بمحنكى الرجال، أو لم ينبذ كتاب الله و سنّة نبيّه وراء ظهره، لما استقبله ما جرى عليه و على من اكتنفه من الواد و الهوان. لكنّه لم يفعل ففعلوا، و لمحكمة العدل الإلهيّ غداً حكمها الباتّ.

و لابن مسعود عند القوم مظلمة أخرى و هي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر، لما ذا كان ذلك؟ لأنّه دفن أبا ذر لما حضر موته في حجّته. وجد بالربذة في ذلك الوادى القفر الوعر ميتاً كان في الغارب و السنام من العلم و الإيمان.

وجد صحابياً عظيماً كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقربّه و يدنيه قد فارق الدنيا.

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة.

وجد مثلاً للقداسة و التقوى، فتمثّل أمام عينيه تلك الصورة المكبّرة التي كان يشاهدها على العهد النبويّ.

وجد شبيهه عيسى بن مريم في الأمة المرحومة هدياً و سمتاً و نسكاً و زهداً و خلقاً، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام.

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله و رسوله و على المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً.

وجد في قارعة الطريق جثمان طيّب طاهر غريب و حيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس، و تسقى عليه الرياح، و ذكر

قول رسول الله: «رحم الله أبا ذر يمشى وحده، و يموت وحده، و يُحشر وحده».

فلم يدع العلم و الدين ابن مسعود و من معه من المؤمنين أن يمرّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كلّ مسلم، فضلاً عن أبي ذر الذى بشرّ بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقرّه الأخير و العيون عبرى، و القلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجل، فلما هبطوا يشرب تقم على ابن مسعود من تقم على أبي ذر، فحسب ذلك الواجب الذى ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً، حتى صدر الأمر

بجلده أربعين سوطاً، و ذلك أمر لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمَ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبى ذر من العظمة و العلم و التقوى و الزلفة، فكيف بمثل أبى ذر وعاء العلم، و موئل التقوى، و منبثق الإيمان، و للعداء مفعول قد يبلغ أكثر من هذا.

أى خليفة هذا لم يُراعِ حرمة و لا كرامة لصلحاء الأمة و عظماء الصحابة من البدرين الذين نزل فيهم القرآن، و أثنى عليهم النبى العظيم؟

و قد جاء فى مجرم بدرى «١» قوله صلى الله عليه و آله و سلم لما قال عمر: إئذن لى يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: مهلاً يا ابن الخطاب إنّه قد شهد بدرأ، و ما يدريك لعلّ الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فأنى غافر لكم «٢».

و اختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان فى زمرة لفضلهم المتسالم عليه عند الأمة جمعاء، كأنّ الرجل آلى على نفسه أن يُطلّ على الأمة الداعية إلى الخير، الآمرة بالمعروف و الناهية عن المنكر، بالذلّ و الهوان، و يُسرّ بذلك سمسرة الأهواء من بنى أبيه، فطفق بمراده، و الله من ورائهم حسيب.

و المدافع إن أعوزته المعاذير تشبّت بالطحلب فقال «٣»: حداه إلى ذلك الاجتهاد! ذلك العذر العام المصحح للأباطيل، و المبرر للشنائع، و الوسيلة المتخذة لإغراء بسطاء

---

(١). هو حاطب بن بلتعة حين كتب إلى كفار قريش كتاباً يتنصّح لهم فيه.

(٢). أحكام القرآن: ٣ / ٥٣٥ [٣ / ٤٣٥]. (المؤلف)

(٣). راجع: التمهيد للباقلانى: ٢٢١ [ص ٢٣١] الرياض النضرة: ٢ / ١٤٥ [٣ / ٨٢]، الصواعق: ص ٤٨ [ص ١١٣]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٤٨. (المؤلف)

ص: ٢٨

الأمة، و ذلك قولهم بأفواههم: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) «١» (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ\* وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ) «٢».

٤٣- مواقف الخليفة مع عمّار

- ١

أخرج البلاذرى فى الأنساب «٣» (٤٨ / ٥) بالإسناد من طريق أبى مخنف قال: كان فى بيت المال بالمدينة سفت فيه حلّى و جوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك و كلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لناخذن حاجتنا من هذا الفىء و إن رغمت أنوف أقوام. فقال له على: إذا تمنع من ذلك و يُحال بينك و بينه. و



قال عمّار بن ياسر: أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك. فقال عثمان: أعلّى يا ابن المتكأ «٤» تجتري؟ خذوه، فأخذ و دخل عثمان و دعا به فضربه حتى غشى عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم يصلّ الظهر و العصر و المغرب، فلما أفاق توضأ و صلّى و قال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فيه في الله.

و قام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان عمّار حليفاً لبنى مخزوم، فقال: يا عثمان أمّا على فاتّيته و بنى أبيه، و أمّا نحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف. أما و الله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بنى أمية عظيم السرة، فقال عثمان: و إنك لها هنا يا ابن القسرية؟ قال: فإنهما قسريتان - و كانت أمّه و جدّته قسريتين من بجيلة - فستمه عثمان و أمر به فأخرج، فأتى أم سلمة فإذا هي قد غضبت لعمّار، و بلغ عائشة ما صنع بعمّار، فغضبت و أخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ثوباً من ثيابه و نعلًا من نعاله ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة

(١). النمل: ٧٤.

(٢). القيامة: ١٤ - ١٥.

(٣). أنساب الأشراف: ١٦١ / ٦.

(٤). المتكأ: البظراء، المفضاة التي لا تمسك البول، العظيمة البطن. (المؤلف)

ص: ٢٩

نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتجّ المسجد «١» و قال الناس: سبحان الله، سبحان الله، و كان عمرو بن العاص و اجداً على عثمان لعزله إياه عن مصر و توليته إياها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فجعل يُكثر التعجب و التسبيح.

و بلغ عثمان مصير هشام بن الوليد و من مشى معه من بنى مخزوم إلى أم سلمة و غضبها لعمّار فأرسل إليها: ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه: دع ذا عنك يا عثمان، و لا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون. و استقبح الناس فعله بعمّار و شاع فيهم فاشتدّ إنكارهم له.

و في لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري «٢» (ص ٨٨): كان في الخزائن سفت فيه حلّى، و أخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله، فأظهروا عند ذلك الطعن عليه و بلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت و أمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم، فقال عمّار: أنا و الله أول من رغم أنفه من ذلك. فقال عثمان: لقد اجترأت علىّ يا ابن سمية! و ضربه حتى غشى عليه، فقال عمّار: ما هذا بأول ما أوديت في الله. و أطلعت عائشة شعراً من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نعله و ثياباً من ثيابه - فيما يحسب وهب - ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم! و قال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيكم و هذه ثيابه و هذا شعره لم يبيل فيكم و قد بدلتهم و غيرتم. فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول.

٢- قال البلاذرى فى الأنساب «٣» (٥ / ٤٩): إن المقداد بن عمرو و عمّار بن ياسر و طلحة و الزبير فى عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان، و خوّفوه ربّه، و أعلموه أنّهم موثبوه إن لم يُقلع، فأخذ عمّار الكتاب و أتاه به

---

(١). التّجّت الأصوات: ارتفعت فاختلفت.

(٢). أنساب الأشراف: ٢٠٩ / ٦.

(٣). أنساب الأشراف: ١٦٢ / ٦.

ص: ٣٠

فقراً صدرأ منه، فقال له عثمان: أ علىّ تقدم من بينهم؟ فقال عمّار: لأنّى أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سمية. فقال: أنا و الله ابن سمية و ابن ياسر. فأمر غلमानه فمدّوا بيديه و رجله ثمّ ضربه عثمان برجله و هى فى الخفين على مذاكيره، فأصابه الفتق، و كان ضعيفاً كبيراً فعشى عليه.

و ذكره ابن أبى الحديد فى الشرح «١» (١ / ٢٣٩) نقلأ عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه.

و قال أبو عمر فى الاستيعاب «٢» (٢ / ٤٢٢): و للحلف و الولاء اللذين بين بنى مخزوم و بين عمّار و أبيه ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له فتق فى بطنه، و رجموا و كسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم و قالوا: و الله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان.

صورة مفصّلة:

قال ابن قتيبة: ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كتبوا كتاباً ذكروا فيه:

١- ما خالف فيه عثمان من سنّة رسول الله و سنّة صاحبيه.

٢- و ما كان من هبته خمس إفريقية لمروان و فيه حقّ الله و رسوله، و منهم ذوو القربى و اليتامى و المساكين.

٣- و ما كان من تطاوله فى البنيان، حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لثائلة و داراً لعائشة و غيرهما من أهله و بناته.

---

(١). شرح نهج البلاغة: ٣ / ٥٠ خطبة ٤٣.

- ٤- و بنيان مروان القصور بذي خشب، و عمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله و لرسوله.
- ٥- و ما كان من إفشائه العمل و الولايات في أهله و بنى عمه من بنى أمية من أحداث و غلطة لا صحبة لهم من الرسول و لا تجربة لهم بالأمر.
- ٦- و ما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح و هو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة «١» زدكم.
- ٧- و تعطيله إقامة الحدّ عليه و تأخيره ذلك عنه.
- ٨- و تركه المهاجرين و الأنصار لا يستعملهم على شيء و لا يستشيرهم و استغنى برأيه عن رأيهم.
- ٩- و ما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة.
- ١٠- و ما كان من إدراره القطائع و الأرزاق و الأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبيّ - عليه الصلاة و السلام - ثم لا يغزون و لا يذبّون.
- ١١- و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، و أنّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس، و إنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة و الخيزران.
- ثم تعاهد القوم ليدفعنّ الكتاب في يد عثمان، و كان ممّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر و المقداد بن الأسود و كانوا عشرة، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان و الكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ، فدخل عليه و عنده مروان بن الحكم و أهله من بنى أمية، فدفع إليه الكتاب فقراه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال:

نعم. قال: و من كان معك؟ قال: معي نفر تفرّقوا فرقاً منك. قال: و من هم؟ قال: [لا] «١» أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت على من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا العبد الأسود - يعني عمّاراً - قد جرّأ عليك الناس، و إنّك إن قتلته نكّلت

به من وراءه. قال عثمان: اضربوه. فضربوه و ضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشى عليه، فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام فأدخل منزلها و غضب فيه بنو المغيرة و كان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر؛ عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما و الله لئن مات عمّار من ضربه هذا لأقتلنّ به رجلاً عظيماً من بنى أميّة، فقال عثمان: لست هناك. قال: ثمّ خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعليّ و هو شاكٍ معصوب الرأس، فقال له عثمان: و الله يا أبا الحسن ما أدري أشتهدى موتك أم أشتهدى حياتك؟! فو الله لئن متّ ما أحبّ أن أبقى بعدك لغيرك، لأنّي لا أجد منك خلفاً، و لئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سلماً و عضداً و يعدّك كهفاً و ملجأ، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك و مكانك منه، فأنا منك كالابن العاقّ من أبيه، إن مات فجعه و إن عاش عقّه، فإمّا سلم فنسالم و إمّا حرب فنحارب، فلا تجعلني بين السماء و الأرض، فإنّك و الله إن قتلتنى لا تجد مني خلفاً، و لئن قتلتنك لا أجد منك خلفاً، و لن يلي أمر هذه الأمة بادئ فتنة.

فقال عليّ: إنّ في ما تكلمت به لجواباً، و لكنّي عن جوابك مشغول بوجعي، فأنا أقول كما قال العبد الصالح (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ) «٢»

قال مروان: إنّنا و الله إذا لنكسرن رماحنا و لنقطعن سيوفنا و لا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا، فقال له عثمان: اسكت، ما أنت و هذا؟ الإمامة و السياسة «٣» (١ / ٢٩).

---

(١). من المصدر.

(٢). يوسف: ١٨.

(٣). الإمامة و السياسة: ٣٥ / ١.

ص: ٣٣

و ذكره مختصراً ابن عبد ربّه في العقد الفريد «١» (٣ / ٢٧٢) نقلًا عن أبي بكر بن أبي شيبة من طريق الأعمش، قال: كتب أصحاب عثمان عبيه و ما ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ قال عمّار: أنا. فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: و بأنف أبي بكر و عمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه. ثمّ ندم عثمان، و بعث إليه طلحة و الزبير يقولان له: اختر إحدى ثلاث: إمّا أن تعفو، و إمّا أن تأخذ الأرش، و إمّا أن تقتصّ، فقال: و الله لا قبلت واحدةً منها حتى ألقى الله.

—٣—

قال البلاذري في الانساب «٢» (٥ / ٥٤): و قد روى أيضاً: أنّه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا. فقال عثمان: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟ و أمر فدفن في قفاه و قال:

الحق بمكانه، فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه، فقال له عليّ: «يا عثمان اتق الله، فإنك سيرت رجلاً «٣» صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفى نظيره» و جرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفى منه. فقال عليّ: «رُم ذلك إن شئت» واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ. فكف عن عمّار.

و في لفظ اليعقوبي: لما بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال: رحم الله أبا ذر. قال عمّار: نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا. فغلظ ذلك على عثمان، و بلغ عثمان عن عمّار كلام، فأراد أن يسيره أيضاً، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و سألوه إعانتهم، فقال عليّ: لا ندع عثمان و رأيه. فجلس عمّار في بيته، و بلغ عثمان ما تكلمت

(١). العقد الفريد: ١١٩ / ٤.

(٢). أنساب الأشراف: ١٦٩ / ٤.

(٣). يعني سيدنا أبا ذر الغفاري. (المؤلف)

ص: ٣٤

بنو مخزوم فأمسك عنه. تاريخ اليعقوبي «١» (٢ / ١٥٠).

٤- قال البلاذري في الأنساب «٢» (٥ / ٤٩): إن عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل: قبر عبد الله بن مسعود، فغضب عليّ عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه و القيام بشأنه فعندها وطئ عمّاراً حتى أصابه الفتق.

و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه «٣» (١ / ٢٣٩) نقلًا عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه.

و في لفظ اليعقوبي: توفي - ابن مسعود - و صلى عليه عمّار بن ياسر، و كان عثمان غائباً فستر أمره، فلما انصرف رأى عثمان القبر فقال: قبر من هذا؟ فقيل: قبر عبد الله ابن مسعود، قال: فكيف دُفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمره عمّار بن ياسر، و ذكر أنه أوصى أن لا يُخبر به، و لم يلبث إلّا يسيراً حتى مات المقداد «٤»، فصلى عليه عمّار و كان أوصى إليه و لم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمّار و قال: ويلى على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليماً. تاريخ اليعقوبي «٥» (٢ / ١٤٧).

و في طبقات ابن سعد «٤» (٣ / ١٨٥) طبع ليدن: إن عقبه بن عامر هو الذى قتل عمّاراً، و هو الذى كان ضربه حين أمره عثمان بن عفّان.

قال الأميني: هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته بالإيمان و الرضا بقنوته آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة، في رجل هو أول مسلم

(١). تاريخ يعقوبى: ١٧٣ / ٢.

(٢). أنساب الأشراف: ١٦٣ / ٤.

(٣). شرح نهج البلاغة: ٥٠ / ٣ خطبة ٤٣.

(٤). اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث و ثلاثين، و توفي ابن مسعود قبله بسنة أو أقل أو أكثر. (المؤلف)

(٥). تاريخ يعقوبى: ١٧٠ / ٢.

(٦). الطبقات الكبرى: ٢٥٩ / ٣.

ص: ٣٥

أخذ مسجداً فى بيته يتعبد فيه «١»، فى رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشفوعاً بالنهى المؤكّد عن بغضه و معاداته و سبّه و تحقيره و انتقاصه بألفاظ ستقف عليها إن شاء الله تعالى. و قد أكبرته الصحابة الأولون و نقت على من آذاه و أغضبه و أبغضه و فعل به كلّ تلکم المناهى، و لم يؤثر عن عمّار إلّا الرضا بما يرضى الله و رسوله و الغضب لهما و الهتاف بالحقّ و التجهّم أمام الباطل رضى الناس أم غضبوا، و لم يزل على ذلك كلّ منذ بدء أمره الذى أودى فيه هو و أبواه، فكان مرضياً عند الله إيمانهم و خضوعهم و بعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم و رداً لنبىّ الإسلام فلم يزل يلهج بهم و يدعو لهم و

يقول:

«اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة». من طريق عثمان بن عفّان «٢».

و يقول: «ابشروا آل ياسر موعدكم الجنة». من طريق جابر «٣».

و يقول: «اللهم اغفر لآل ياسر و قد فعلت». رواه عثمان أيضاً «٤».

---

(١). طبقات ابن سعد: ١٧٨ / ٣ طبع ليدن [٢٥٠ / ٣]، و ذكره ابن كثير فى تاريخه: ٣١١ / ٧ [٣٤٥ / ٧] حوادث سنة ٣٧ هـ، و الحاكم فى المستدرک: ٣ / ٤٣٤ ح ٥٦٥٥، ٥٦٥٦، و الذهبى فى تاريخ الإسلام: ص ٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين، و ابن أبى شيبّة فى المصنّف: ٧ / ٥٢٤]. (المؤلف)

(٢). أخرجه الطبراني [في المعجم الكبير: ٢٤ / ٣٠٣ ح ٧٦٩] كما في مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٣ فقال: رجاله ثقات، وأخرجه الطبراني عن عمّار، و البغوي، و ابن مندة، و الخطيب [في تاريخ بغداد: ١١ / ٣٤٣ رقم ٦١٨٢]، و أحمد، و ابن عساکر [مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢٠٥] عن عثمان كما في كنز العمال: ٦ / ١٨٥ [١١ / ٧٢٨ ح ٣٣٥٦٨]، و الحاكم في المستدرک ٣ / ٤٣٢ رقم ٥٦٤٤]. (المؤلف)

(٣). مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٣ نقلًا عن الطبراني [في المعجم الأوسط: ٢ / ٣٠٥ ح ١٥٣١] فقال: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم و هو ثقة [و أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٢ / ٢٨٢]، و الحاكم في المستدرک: ٣ / ٤٣٨ ح ٥٦٦٦، و الذهبي في تاريخ الإسلام: ص ٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين]. (المؤلف)

(٤). مسند أحمد: ١ / ٦٢ [١ / ١٠٠ ح ٤٤١]، مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٣ فقال: رجاله رجال الصحيح، و أخرجه البيهقي، و البغوي، و العجلي، و الحاكم في الكنى، و ابن الجوزي [في صفة الصفوة: ١ / ٤٤٣ رقم ٢٧]، و ابن عساکر [انظر: مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢٠٨] كما في كنز العمال: ٧ / ٧٢ [١٣ / ٥٢٨ ح ٣٧٣٦٥]، و أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام: ص ٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين]. (المؤلف)

ص: ٣٦

و كانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار و بأبيه و أمّه - و كانوا أهل بيت إسلام - إذا حَمِيَت الظهيرة يعدّونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، صبراً آل ياسر فإنّ مصيركم إلى الجنة» «١» . نعم؛ كان عمّار هكذا عند مفتتح حياته الدينيّة إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه الفئة الباغية.

و قد أخبر به النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بقوله:

«ويحك يا ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية».

و في لفظ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية، و قاتله في النار».

و في لفظ: «ويح عمّار أو ويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية».

و في لفظ معاوية: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية».

و في لفظ عثمان: «تقتلك الفئة الباغية، قاتل عمّار في النار».

و في لفظ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية عن الطريق، و إنّ آخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن».

و في لفظ عمّار: أخبرني حبيبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّه تقتلني الفئة الباغية، و أنّ آخر زادي مذقة من لبن.

و فى لفظ حذيفة: «إنك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحق، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن».

و فى لفظ: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة و يدعوهم إلى النار».

(١). سيرة ابن هشام: ١ / ٣٤٢، حلية الأولياء: ١ / ١٤٠ [رقم ٢٢]، طرح التثريب: ١ / ٨٧، و أخرجه الحارث، و الضياء، و الحاكم [فى المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤٣٢ ح ٥٦٤٦]، و الطيالسى، و البغوى، و ابن مندة، و ابن عساكر [أنظر مختصر تاريخ دمشق: ٨ / ٢٠٨] كما فى كنز العمال: ٧ / ٧٢ [١٣ / ٥٢٨ ح ٣٧٣٦٦]. (المؤلف)

ص: ٣٧

و فى لفظ أنس: «ابن سمية تقتله الفئة الباغية قاتله و سالبه فى النار».

و فى لفظ عائشة: «اللهم بارك فى عمّار، ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية، و آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن».

و فى لفظ: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية».

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدّ التواتر منها طريق: عثمان بن عفّان، عمرو بن العاص، معاوية بن أبى سفيان، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن عمر، خزيمة بن ثابت، كعب بن مالك، جابر بن عبد الله، ابن عباس، أنس بن مالك، أبى هريرة الدوسى، عبد الله بن مسعود، أبى سعد، أبى أمامة، أبى رافع، أبى قتادة، زيد ابن أبى أوفى، عمّار بن ياسر، عبد الله بن أبى هذيل، أبى اليسر، زياد بن الفرد، جابر ابن سمرة، عبد الله بن عمرو بن العاص، أمّ سلمة، عائشة.

راجع «١»: طبقات ابن سعد (٣ / ١٨٠)، سيرة ابن هشام (٢ / ١١٤)، مستدرک الحاكم (٣ / ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١)، الاستيعاب (٢ / ٤٣٦) و قال: تواترت الآثار عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»

، و هذا من إخباره بالغيب و أعلام نبوّته صلى الله عليه و آله و سلم و هو من أصحّ الأحاديث. طرح التثريب (١ / ٨٨) و صحّحه، تيسير الوصول (٣ / ٢٧٨)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٢٧٤)، تاريخ ابن كثير (٧ / ٢٦٧، ٢٧٠)، مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٦) و صحّحه من عدّة طرق، تهذيب التهذيب (٧ / ٤٠٩) و ذكر تواتره، الإصابة (٢ / ٥١٢) و قال: تواترت الأحاديث [عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم

(١). الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٥١، السيرة النبوية: ٢ / ١٤٢، المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤٣٥ ح ٥٦٥٧ و ٤٣٦ ح ٥٦٥٩ و ٤٤٢ ح ٥٦٧٦، الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٤٠ رقم ١٨٦٣، تيسير الوصول: ٣ / ٣٢٣ ح ٢، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٤ خطبة ١٢٤، البداية و النهاية: ٧ / ٢٩٦ و ٢٩٨ حوادث سنة ٣٧ هـ، تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٥٨، كنز العمال: ١١ / ٧٢٦ ح ٣٣٥٥٥ و ١٣ / ٥٢٩ ح ٣٧٣٧٠ و ٥٣٦ ح ٣٧٤٠٠، الخصائص الكبرى: ٢ / ٢٣٩.



أنَّ عَمَّاراً تقتله الفئة الباغية]، كنز العمال (٦ / ١٨٤ و ٧ / ٧٣، ٧٤)، و نصّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرّ في الجزء الثالث (٢٥٠).

و أخرج «١»: البخاري، و مسلم، و أحمد، و البزار، و عبد الرزاق، و الطبراني، و الدارقطني، و أبو يعلى، و أبو عوانة، و الإسماعيلي، و الضياء المقدسي، و أبو نعيم، و تمام، و ابن قانع، و ابن مندة، و البارودي، و البرقاني، و ابن عساكر، و الخطيب.

عمّار في الذكر الحكيم:

هذا عمّار بين البدء و الختام المحمودين و هو بينهما كما أتى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا يُحْذِرُ الْآخِرَةَ) «٢».

أخرج «٣» ابن سعد في الطبقات (٣ / ١٧٨) - طبع ليدن - و ابن مردويه و ابن عساكر عن ابن عباس: أنها نزلت في عمّار بن ياسر.

و ذكر الزمخشري في تفسيره «٤» (٣ / ٢٢): أنها نزلت في عمّار و أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

و ذكر القرطبي في تفسيره «٥» (١٥ / ٢٣٩) عن مقاتل: أن من هو قانت: عمّار بن ياسر.

---

(١). صحيح البخاري: ١ / ١٧٢ ح ٤٣٦، صحيح مسلم: ٥ / ٤٣١ ح ٧٣ كتاب الفتن، مسند أحمد: ٦ / ٢٨١ ح ٢١٣٦٦، مسند البزار (البحر الزخار): ٤ / ٢٥٦ ح ١٤٢٨، المصنّف: ١١ / ٢٤٠ ح ٢٠٤٢٦ و ٢٠٤٢٧، المعجم الكبير: ٥ / ٢٦٦ ح ٥٢٩٦، مسند أبي يعلى: ١١ / ٤٠٣ ح ٦٥٢٤، حلية الأولياء: ٤ / ١٧٢، ٧ / ١٩٧ - ١٩٨، تاريخ مدينة دمشق: ١٣ / ٩ رقم ١٢٧٩، تاريخ بغداد: ٧ / ٤١٤ رقم ٣٩٦٥.

(٢). الزمر: ٩.

(٣). الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٥٠، مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢١٠.

(٤). الكشاف: ٤ / ١١٧.

(٥). الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ١٥٦.

و ذكر الخازن في تفسيره «١» (٥٣ / ٣): أنّها نزلت في ابن مسعود و عمّار و سلمان. و ذكره الخطيب الشربيني في تفسيره «٢» (٤١٠ / ٣). و ذكر الشوكاني في تفسيره «٣» (٤٤٢ / ٤) حديث ابن سعد و ابن مردويه و ابن عساكر. و زاد الآلوسي عليه في تفسيره (٢٤٧ / ٢٣) قوله: و أخرج جويبر عن ابن عباس أنّها نزلت في عمّار و ابن مسعود و سالم مولى أبي حذيفة. و عن عكرمة: الاقتصار على عمّار. و عن مقاتل: المراد بمن هو قانت: عمّار و صهيب و ابن مسعود و أبو ذر. و جلّ ما ذكره الآلوسي مأخوذ من الدرّ المنتور «٤» (٣٢٣ / ٥).

آية ثانية: أخرج ابن ماجه «٥» في قوله تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ الْآيَةَ (الأُنعام: ٥٢) أنّها نزلت في عمّار و صهيب و بلال و خباب.

راجع «٤»: تفسير الطبرى (٧ / ١٢٧، ١٢٨)، تفسير القرطبي (١٦ / ٤٣٢)، تفسير البيضاوى (١ / ٣٨٠)، تفسير الزمخشري (١ / ٤٥٣)، تفسير الرازى (٤ / ٥٠)، تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٤)، تفسير ابن جزى (٢ / ١٠)، الدرّ المنتور (٣ / ١٤)، تفسير الخازن (٢ / ١٨)، تفسير الشربيني (١ / ٤٠٤)، تفسير الشوكاني (٢ / ١١٥).

آية ثالثة: أخرج جمع من الحفاظ نزول قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكَرِهَ وَقَلْبُهُ

---

(١). تفسير الخازن: ٤ / ٥٠.

(٢). السراج المنير: ٣ / ٤٣٦.

(٣). فتح القدير: ٤ / ٤٥٤.

(٤). الدرّ المنتور: ٧ / ٢١٤.

(٥). سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٨٣ ح ٤١٢٨.

(٦). جامع البيان: مج ٥ / ج ٧ / ٢٠٠ - ٢٠١، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٢٧٨، أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ١ / ٣٠٢، الكشف: ٢ / ٢٧، التفسير الكبير: ١٢ / ٢٣٤، الدرّ المنتور: ٣ / ٢٧٣، فتح القدير: ٢ / ١٢٠.

ص: ٤٠

مُطْمَئِنُّ بِالْإِيمَانِ) «١» في عمّار. و قال أبو عمر في الاستيعاب: هذا ممّا اجتمع أهل التفسير عليه. و قال القرطبي: نزلت في عمّار في قول أهل التفسير. و قال ابن حجر في الإصابة: اتفقوا على أنّه نزل في عمّار.

قال ابن عباس - في لفظ الواحدى -: نزلت في عمّار بن ياسر؛ و ذلك أنّ المشركين أخذوه و أباه ياسراً و أمه سمية و صهيباً و بلالاً و خباباً و سالمًا، فأما سمية فإنّها رُبِطت بين بعيرين و وُجئ قبلها بحربة، و قيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت،

و قتل زوجها ياسر، و هما أول قتيلين قُتلا في الإسلام، و أمّا عمّار فإنّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بأنّ عمّاراً كفر. فقال: «كلّا إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه» فأتى عمّار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يبكي، فجعل رسول الله - عليه الصلاة و السلام - يمسح عينيه و قال: «إن عادوا لك فعدّ لهم بما قلت». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخرج حديث نزولها في عمّار: ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و الطبري عن ابن عباس، و عبد الرزاق، و ابن سعد، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و الحاكم و صحّحه، و ابن مردويه، و البيهقي، و ابن عساکر «٢» من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمّار عن أبيه، و ابن أبي شيبة «٣»، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن عساکر عن أبي مالك.

راجع «٤»: طبقات ابن سعد (٣/ ١٧٨)، تفسير الطبري (١٤/ ١٢٢)، أسباب

(١). النحل: ١٠٦.

(٢). مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢٠٩.

(٣). مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٥٢٤.

(٤). الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٤٩، جامع البيان: مج ٨ / ج ١٤ / ١٨١، أسباب النزول: ص ١٩٠، المستدرک على الصحيحين: ٢ / ٣٨٩ ح ٣٣٦٢، الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٣٦ رقم ١٨٦٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ١١٨، الكشاف: ٢ / ٦٣٦، تفسير البيضاوي: ١ / ٥٥٨، التفسير الكبير: ٢٠ / ١٢١، غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ٤ / ٣٠٩، الدر المنثور: ٥ / ١٦٩ - ١٧٠، تفسير الخازن: ٣ / ١٣٦، فتح القدير: ٣ / ١٩٨.

ص: ٤١

النزول للواحدى (ص ٢١٢)، مستدرک الحاكم (٢ / ٣٥٧)، الاستيعاب (٢ / ٤٣٥)، تفسير القرطبي (١٠ / ١٨٠)، تفسير الزمخشري (٢ / ١٧٦)، تفسير البيضاوي (١ / ٦٨٣)، تفسير الرازي (٥ / ٣٦٥)، تفسير ابن جزى (٢ / ١٦٢)، تفسير النيسابوري هامش الطبري (١٤ / ١٢٢)، بهجة المحافل (١ / ٩٤)، تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٧)، الدر المنثور (٤ / ١٣٢)، تفسير الخازن (٣ / ١٤٣)، الإصابة (٢ / ٥١٢)، تفسير الشوكاني (٣ / ١٩١)، تفسير الآلوسی (١٤ / ٢٣٧).

آية رابعة: ذكر الواحدى من طريق السدى أنّ قوله تعالى: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) «١»: نزل في عمّار و الوليد بن المغيرة.

راجع «٢»: أسباب النزول للواحدى (ص ٢٥٥)، تفسير القرطبي (١٣ / ٣٠٣)، تفسير الزمخشري (٢ / ٢٨٦)، تفسير الخازن (٣ / ٤٣)، تفسير الشريبي (٣ / ١٠٥).

آية خامسة: أخرج أبو عمر من طريق ابن عباس في قوله تعالى: (أَ وَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) «٣»؛ أنه عمّار بن ياسر.

و أخرج نزولها في عمّار: ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ.

راجع «٤»: الاستيعاب (٢/ ٤٣٥)، تفسير ابن جزّي (٢/ ٢٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢)، تفسير البيضاوي (١/ ٤٠٠)، تفسير السيوطي (٣/ ٤٣)، تفسير الشرييني

---

(١). القصص: ٤١.

(٢). أسباب النزول: ص ٢٢٩، الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٢٠٠، الكشاف: ٣ / ٤٢٥، تفسير الخازن: ٣ / ٤٠٩ السراج المنير: ٣ / ١١٢.

(٣). الأنعام: ١٢٢.

(٤). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٣٧ رقم ١٨٤٣، تفسير البيضاوي: ١ / ٣١٩، الدر المنثور: ٣ / ٣٥٢، تفسير الخازن: ٢ / ٥٠، فتح القدير: ٢ / ١٦٠.

ص: ٤٢

(١ / ٤٢٩)، تفسير الخازن (٢ / ٣٢)، تفسير الشوكاني (٢ / ١٥٢).

الثناء الجميل على عمّار:

أما الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدّث عنها و لا حرج، و إليك نزرًا منها:

-١

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حديث: «إِنَّ عَمَّارًا مَلَأَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَ اخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَ دَمِهِ».

راجع «١»: حلية الأولياء (١ / ١٣٩)، تفسير الزمخشري (٢ / ١٧٦)، تفسير البيضاوي (١ / ٤٨٣)، بهجة المحافل (١ / ٩٤)، تفسير الرازي (٥ / ٣٦٥)، تفسير الخازن (٣ / ١٤٣)، كنز العمال (٦ / ١٨٤ و ٧ / ٧٥)، تفسير الآلوسي (١٤ / ٢٣٧).

-٢

أخرج ابن عساكر «٢» من طريق عليّ: «عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، و خلط الإيمان بلحمه و دمه، يزول مع الحقّ حيث زال، و ليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً». كنز العمّال «٣» (١٨٣ / ٦).

-٣-

أخرج البزار من طريق عائشة، قالت: ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلّا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «مُلئُ إيماناً إلى مُشاشه» «٤». و فى لفظ أبي عمر: «مُلئُ عمّار إيماناً إلى أخص قدميه». و فى لفظ له: «إنّ عمّار بن ياسر حُشِيَ ما بين أخص قدميه إلى شحمة أذنيه إيماناً».

(١). الكشّاف: ٢ / ٦٣٦، تفسير البيضاوى: ١ / ٥٥٨، التفسير الكبير: ٢٠ / ١٢١، تفسير الخازن: ٣ / ١٣٦، كنز العمّال: ١١ / ٧٢٤ ح ٣٣٥٤١.

(٢). مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢١٣.

(٣). كنز العمّال: ١١ / ٧٢٠ ح ٣٣٥٢٠.

(٤). المُشاش: رءوس العظام كالمرفقين و الكفين و الركبتين.

ص: ٤٣

ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٥) و قال: رجاله رجال الصحيح، و أخرجه ابن ماجه «١» من طريق عليّ كما فى طرح التثريب (١ / ٨٧)، و أخرجه ابن ديزيل و النسائى «٢» من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما فى تيسير الوصول «٣» (٣ / ٢٧٩)، و البداية و النهاية «٤» (٧ / ٣١١) و لفظه: «لقد مُلئُ عمّار إيماناً من قدمه إلى مُشاشه». و رواه عبد الرزاق و الطبرانى و ابن جرير «٥» و ابن عساكر «٦» كما فى كنز العمّال «٧» (٦ / ١٨٤). و أخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة فى الاستيعاب «٨» (٢ / ٤٣٥).

-٤-

أخرج ابن ماجه و أبو نعيم من طريق هانى بن هانى، قال: كُنّا عند عليّ فدخل عليه عمّار فقال: «مرحباً بالطيّب المطيّب، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: عمّار مُلئُ إيماناً إلى مُشاشه».

سنن ابن ماجه «٩» (١ / ٦٥)، حلية الأولياء (١ / ١٣٩)، الإصابة (٢ / ٥١٢).

٥- أخرج ابن سعد فى الطبقات «١٠» (٣ / ١٨٧) - طبع ليدن - مرفوعاً: «إنّ عمّاراً مع الحقّ و الحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار، و قاتل عمّار فى النار».

- 
- (١). سنن ابن ماجة: ١ / ٥٢ ح ١٤٧.
- (٢). السنن الكبرى: ٥ / ٧٤ ح ٨٢٧٣.
- (٣). تيسير الوصول: ٣ / ٣٢٣.
- (٤). البداية و النهاية: ٧ / ٣٤٥ حوادث سنة ٣٧ هـ.
- (٥). تهذيب الآثار: ص ١٥٧ ح ٣٣٤٥٠ مسند علي بن أبي طالب.
- (٦). مختصر تاريخ دمشق: ١٨ / ٢١٣.
- (٧). كنز العمال: ١١ / ٧٢٤ ح ٣٣٥٤٠.
- (٨). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٣٧ رقم ١٨٦٣.
- (٩). سنن ابن ماجة: ١ / ٥٢ ح ١٤٧.
- (١٠). الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٦٢.

ص: ٤٤

و أخرج الطبراني «١» و البيهقي «٢» و الحاكم «٣» من طريق ابن مسعود مرفوعاً: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق».

ذكره ابن كثير في تاريخه «٤» (٧ / ٢٧٠)، و السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه «٥» (٦ / ١٨٤)، و في لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي -: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: أ رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله. قال: أ رأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق»

. و أخرج أبو عمر في الاستيعاب «٦» (٢ / ٤٣٦) من طريق حذيفة: «عليكم بابن سمية، فإنه لن يفارق الحق حتى يموت»، أو قال: «فإنه يدور مع الحق حيث دار».

أخرج ابن ماجة «٧» من طريق عطاء بن يسار عن عائشة، مرفوعاً: «عمّار ما عُرض عليه أمران إلّا اختار الأرشد منهما». و في لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً: «ابن سمية ما عُرض عليه أمران قطّ إلّا أخذ بالأرشد منهما». و في لفظ آخر له من طريق عائشة: «لا يخيّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما». و في لفظ الترمذى: «ما خيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما».

(١). المعجم الكبير: ١٠ / ٩٥ ح ١٠٠٧١.

(٢). دلائل النبوة: ٦ / ٤٢٢.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤٤٢ ح ٥٦٧٦.

(٤). البداية و النهاية: ٧ / ٣٠٠ حوادث سنة ٣٧ هـ.

(٥). كنز العمال: ١١ / ٧٢١ ح ٣٣٥٢٥.

(٦). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٣٩ رقم ١٨٦٣.

(٧). سنن ابن ماجة: ١ / ٥٢ ح ١٤٨.

ص: ٤٥

راجع «١»: مسند أحمد (١ / ٣٨٩ و ٦ / ١١٣)، سنن ابن ماجة (١ / ٦٦)، مصابيح البغوى (٢ / ٢٨٨)، تفسير القرطبي (١٠ / ١٨١)، تيسير الوصول (٣ / ٢٧٩)، شرح ابن أبي الحديد (٢ / ٢٧٤)، كنز العمال (٦ / ١٨٤)، الإصابة (٢ / ٥١٢).

-٧-

أخرج الترمذى «٢» من طريق على، قال: استأذن عمّار على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إئذنوا له، مرحباً بالطيّب المطيّب»، فقال: حسن صحيح.

و أخرجه «٣»: الطبرانى «٤»، و ابن أبى شيبة، و أحمد فى المسند (١ / ١٠٠، ١٢٦، ١٣٨)، و البخارى فى تاريخه (٤ / ٢٢٩) من القسم الثانى، و ابن جرير و صحّحه، و الحاكم و الشاشى، و سعيد بن منصور، و أبو نعيم فى حلية الأولياء (١ / ١٤٠)، و البغوى فى المصابيح (٢ / ٢٨٨)، و أبو عمر فى الاستيعاب (٢ / ٤٣٥)، و ابن ماجة فى السنن (١ / ٦٥)، و ابن كثير فى البداية (٧ / ٣١١)، و ابن الديبع فى التيسير (٣ / ٢٧٨).

(١). مسند أحمد: ١ / ٦٤٣ ح ٣٦٨٥ و ٧ / ١٦٣ ح ٢٤٢٩٩، سنن ابن ماجه: ١ / ٥٢ ح ١٤٨، مصابيح السنّة: ٤ / ٢٢٠ ح ٤٨٩٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ١١٩، تيسير الوصول: ٣ / ٣٢٣ ح ٣، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٦ خطبة ١٢٤، كنز العمال: ١١ / ٧٢١ ح ٣٣٥٢٨، سنن الترمذى: ٥ / ٦٢٧ ح ٣٧٩٩.

(٢). سنن الترمذى: ٥ / ٦٢٦ ح ٣٧٩٨.

(٣). المصنّف: ١٢ / ١١٨ ح ١٢٢٩٣، مسند أحمد: ١ / ١٦٠ ح ٧٨١ و ٢٠٢ ح ١٠٣٦ و ٢٢٢ ح ١١٦٤، تهذيب الآثار: ص ١٥٥ ح ١٤ - ١٧ مسند علي بن أبي طالب، المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤٣٧ ح ٥٦٦٢، مصابيح السنّة: ٤ / ٢٢٠ ح ٤٨٩٤، الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٣٨ رقم ١٨٦٣، سنن ابن ماجه: ١ / ٥٢ ح ١٤٦، البداية و النهاية: ٧ / ٣٤٥ حوادث سنة ٣٧ هـ، تيسير الوصول: ٣ / ٣٢٣ ح ١، جامع الأحاديث: ٢١ / ٥٣ ح ١٨٣١٤.

(٤). الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند: ص ١٨ ح ١١٧، و الذي رمز له المتقى الهندي في كنز العمال: ١٣ / ٥٢٦ ح ٣٧٣٦٢ بالحرف (ط) و حسبه المؤلف ١ رمزاً للطبراني، كما حسب (طس) رمزاً للطيالسي و الحال أنه رمز للطبراني في الأوسط، و قد أشرنا إلى ذلك في هامش: ٨ / ٢١٨.

ص: ٤٦

و العراقي في طرح التثريب (١ / ٨٧)، و السيوطي في الجامع الكبير (٧ / ٧١).

-٨-

عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إنّ الجنّة تشتاقي إلى أربعة: عليّ بن أبي طالب، و عمّار بن ياسر؛ و سلمان الفارسي، و المقداد».

و في لفظ الترمذى و الحاكم و ابن عساکر: «اشتأقت الجنّة إلى ثلاثة: عليّ و عمّار و سلمان».

و في لفظ لابن عساکر: «اشتأقت الجنّة إلى ثلاثة: إلى عليّ و عمّار و بلال».

أخرجه «١» أبو نعيم في الحلية (١ / ١٤٢)، و الحاكم في المستدرک (٣ / ١٣٧)، و صحّحه هو و الذهبي، و الترمذى و الطبراني كما في تفسير القرطبي (١٠ / ١٨١)، و تاريخ ابن كثير (٧ / ٣١١)، و مجمع الزوائد للهيثمى (٩ / ٣٠٧)، و أخرجه ابن عساکر في تاريخه (٣ / ٣٠٦ و ٦ / ١٩٨، ١٩٩)، و أبو عمر في الاستيعاب (٢ / ٤٣٥).

-٩-

أخرج البزار من طريق عليّ مرفوعاً: «دم عمّار و لحمه حرام على النار أن تطعمه». و في لفظ ابن عساکر «٢»: «دم عمّار و لحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسه».



مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٥)، كنز العمال «٣» (٦/ ١٨٤ و ٧/ ٧٥).

-١٠-

أخرج ابن هشام مرفوعاً: «مالهم و لعمّار؟ يدعوهم إلى الجنّة و يدعوهم

(١). المستدرک علی الصحیحین: ٣/ ١٤٨ ح ٤٦٦٦، و کذا فی تلخیصہ، سنن الترمذی: ٥/ ٦٢٦ ح ٣٧٩٧، المعجم الكبير: ٦/ ٢١٥ ح ٦٠٤٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١١٩، البداية و النهاية: ٧/ ٣٥٤ حوادث سنة ٣٧ هـ. تاريخ مدينة دمشق: ١٠/ ٤٥١ رقم ٩٧٤، ٢١/ ٤١٠ - ٤١١ رقم ٢٥٩٩ و فی مختصر تاريخ دمشق: ٥/ ٢٥٩، ١٠/ ٤٠، ١٨/ ٢١٢، الاستيعاب: القسم الثالث/ ١١٣٨ رقم ١٨٦٣.

(٢). و فی مختصر تاريخ دمشق: ١٨/ ٢١٥.

(٣). كنز العمال: ١١/ ٧٢١ ح ٣٣٥٢١ و ١٣/ ٥٣٩ ح ٣٧٤١٢.

ص: ٤٧

إلى النار، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني و أنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه».

سيرة ابن هشام (٢/ ١١٥)، العقد الفريد (٢/ ٢٨٩)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٢٧٤) و لفظه: «ما لقريش و لعمّار يدعوهم إلى الجنّة و يدعوهم إلى النار، قاتله و سالبه في النار» «٤». و بهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه «٥» (٧/ ٢٦٨).

-١١-

أخرج «٦» الطبراني و ابن عساکر من طريق عائشة مرفوعاً: «كم من ذی طمرین لا ثوب له لو أقسم علی الله لأبره، منهم: عمّار بن یاسر». مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٤)، كنز العمال «٧» (٦/ ١٨٤).

-١٢-

أخرج أحمد «٨» من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً: «من عادى عمّاراً عاداه الله، و من أبغض عمّاراً أبغضه الله». صحّحه الحاكم و الذهبي بطريقتين «٩»، و صحّحه الهيتمي «١٠».

و فی لفظ: «من يسبّ عمّاراً يسبّه الله، و من يبغض عمّاراً يبغضه الله، و من يسفّه عمّاراً يسفّه الله». صحّحه الحاكم و الذهبي «١١».

و فى لفظ: «من يسبّ عماراً، يسبّه الله و من يُعادِ عماراً يُعادِه الله». صحّحه

(٤). السيرة النبوية: ٢/ ١٤٣، العقد الفريد: ٤/ ١٤٣، شرح نهج البلاغة: ٨/ ٢٥ خطبة ١٢٤.

(٥). البداية و النهاية: ٧/ ٢٩٨ حوادث سنة ٣٧ هـ.

(٦). المعجم الأوسط: ٦/ ٣٢١ ح ٥٦٨٢، مختصر تاريخ دمشق: ١٨/ ٢١٦.

(٧). كنز العمال: ١١/ ٧٢١ ح ٣٣٥٢٣.

(٨). مسند أحمد: ٥/ ٥٠ ح ١٦٣٧٣.

(٩). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ٤٤١ ح ٥٦٧٤، و كذا فى تليخه.

(١٠). مجمع الزوائد: ٩/ ٢٩٣.

(١١). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ٤٣٩ ح ٥٦٦٧، و كذا فى تليخه.

ص: ٤٨

الحاكم و الذهبى «١».

و فى لفظ لأحمد «٢»: «من يعادِ عماراً يعادِه الله عزّ و جلّ، و من يبغضه يبغضه الله عزّ و جلّ، و من يسبّه الله عزّ و جلّ». و فى لفظ لأحمد «٢»: «من يعادِ عماراً يعادِه الله عزّ و جلّ، و من يبغضه يبغضه الله عزّ و جلّ، و من يسبّه الله عزّ و جلّ».

و فى لفظ الحاكم «٣»: «من يحقرّ عماراً يحقرّه الله، و من يسبّ عماراً يسبّه الله، و من يبغض عماراً يبغضه الله».

و فى لفظ ابن النجار: «من سبّ عماراً سبّه الله، و من حقّر عماراً حقّره الله، و من سفّه عماراً سفّه الله».

و فى لفظ ابن عساکر «٤»: «من يبغض عماراً يبغضه الله، و من يلعن عماراً يلعنه الله».

و فى لفظ الطبرانى «٥»: «من يُعادى عماراً يعاديه الله، و من يبغض عماراً يبغضه الله، و من يسبّ عماراً يسبّه الله، و من يسفّه عماراً يسفّه الله، و من يحقرّ عماراً يحقرّه الله».

و فى لفظ الطبرانى «٦» أيضاً: «من يحقرّ عماراً يحقرّه الله، و من يسبّ عماراً يسبّه الله، و من ينتقص عماراً ينتقصه الله، و من يعاد عماراً يعادِه الله»

. قال الهيثمي «٧»: رجاله ثقات.

(١). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٤٣٩ ح ٥٦٧٠، وكذا فی تلخیصہ.

(٢). مسند أحمد: ٥ / ٥٢ ح ١٦٣٨٠.

(٣). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٤٤٠ ح ٥٦٧٣.

(٤). مختصر تاریخ دمشق: ١٨ / ٢١٤.

(٥). المعجم الكبير: ٤ / ١١٢ ح ٣٨٣١.

(٦). المعجم الكبير: ٤ / ١١٣ ح ٣٢٣٢.

(٧). مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٤.

ص: ٤٩

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الفن، راجع «١»: مسند أحمد (٤ / ٨٩)، مستدرک الحاكم (٣ / ٣٩٠، ٣٩١)، تاريخ الخطيب (١ / ١٥٢)، الاستيعاب (٢ / ٤٣٥)، أسد الغابة (٤ / ٤٥)، طرح الشريب (١ / ٨٨)، تاريخ ابن كثير (٧ / ٣١١)، الإصابة (٢ / ٥١٢)، كنز العمال (٦ / ١٨٥ و ٧ / ٧١ - ٧٥).

١٣- عن حذيفة أنه قيل له: إن عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عمّاراً. قيل: إن عمّاراً لا يفارق علياً، قال: إن الحسد هو أهلک للجسد، و إنما ينفركم من عمّار قربه من عليّ، فو الله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب و السحاب، و إن عمّاراً من الأخيار. أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال «٢» (٧ / ٧٣).

١٤- عن عبد الله بن جعفر قال: ما رأيت مثل عمّار بن ياسر و محمد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن يعصيا الله طرفة عين، و لا يخالفان الحقّ قيد شعرة.

أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٢).

ذكر الأبشيهي في المستطرف «٣» (١/ ١٦٦) في حديث: هبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد - و كان يسأل عن أصحابه - إلى أن قال: من هذا الذي بين يديك يتقى عنك؟ قال: «عمّار بن ياسر». قال: بشّره بالجنة حرمت النار على عمّار.

هذا عمّار:

إذا درست هذه كلّها، فهل تجد من الحقّ أن يُعمل معه تلكم الفظاظات مرّة بعد

(١). مسند أحمد: ٥/ ٥٠ ح ١٦٣٧٣، المستدرک على الصحيحين: ٣/ ٤٤٠ ح ٥٦٧٠ و ٤٤١ ح ٥٦٧٣، الاستيعاب: القسم الثالث/ ١١٣٨ رقم ١٨٦٣، أسد الغابة: ٤/ ١٣٢ رقم ٣٧٩٨، البداية و النهاية: ٧/ ٣٤٥ حوادث سنة ٣٧ هـ، كنز العمال: ١١/ ٧٢٢ ح ٣٣٥٣٤ و ١٣/ ٥٣٢ ح ٣٧٣٨٧.

(٢). كنز العمال: ١٣/ ٥٣٢ ح ٣٧٣٨٥.

(٣). المستطرف: ١/ ١٣٧.

ص: ٥٠

أخرى؟ و هل تجد مبرراً لشيء منها؟ فإن زعمت أنّها تأديب من خليفة الوقت فإنّ التأديب لا يسوغ إلّا على إساءة في الأدب، و زور من القول، و مناقضة للحقّ، و مضادة للشريعة، و يجلّ عمّار عن كلّ ذلك، فلم يصدر منه غير دعاء إلى الحقّ، و أذان بالحقيقة، و تضجّر لمظلوم، و عمل بالوصيّة واجب، و رسالة عن أناس مؤمنين يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر، فهل حظر الإسلام شيئاً من هذه فأراد الخليفة أن يعيد عمّاراً إلى نصاب الحقّ؟ أو أنّ الخليفة مَفُوض في النفوس كما يرى أنّه مفوض في الأموال، فيراغم فيها عامّة المسلمين بإرضاء من يجب إرغامهم من أناس لا خلاق لهم؟ و كذلك يفعل بالنفوس فعل المستبدّين و لوازم الدكتاتوريّة و مقتضيات الملك العضوض.

و لو كان الخليفة ناصباً نفسه للتأديب فهل أدّب أمثال عبيد الله بن عمر، و الحكم بن أبي العاص، و مروان بن الحكم، و الوليد بن عقبة، و سعيد بن العاص، و نظراءهم من رجال العيث و الفساد المستحقّين للتأديب حيناً بعد حين؟ و هو كان يرنو إلى أعمالهم من كتب، لكنّه لم يصدر منه إلّا إرضائهم و توفير العطاء لهم و الدفاع عنهم، و تسليطهم على النفوس و الأموال حتى أوردوه مورد الهلكة، و لقد ادّخر تأديبه كلّه لصالح الأُمّة مثل عمّار و أبي ذر و ابن مسعود و من حذا حذوهم، فيلّي الله المشتكى.

و إنّك لو أمعنت النظرة في أعماله و أفعاله لتجدنه لا يقيم وزناً لأيّ صالح من الأُمّة، و لقد ترقى ذلك أو تسافل حتى إنّ جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة بقوارص كلماته، و ممّا قال له ممّا مرّ في صفحة (١٨ - ١٩) قوله: أنت أحقّ بالنفى

منه. و قوله: لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً و عضداً و كهفاً و ملجأ، يريد بالطاغى أبا ذر و عمّار و أمثالهما، و يجعل الإمام عليه السلام سلماً و عضداً و كهفاً و ملجأ لمن سّماهم الطغاة.

ص: ٥١

(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) «١».

كأنَّ الرجل لم يصاحب النبيَّ الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، أو لم يَبع ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوّل يومه آناء الليل و أطراف النهار فى حلّه و مرتحلته، فى ظلّعه و إقامته، عند أفراد من أصحابه أو فى محتشد منهم، و لدى الحوادث و الوقائع، و عند كلّ مناسبة، و فى حروبه و مغازيه.

و كأنّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام فى مآزق الإسلام الحرجة، و لم يشهد كراته و قد فرّ أصحابه، و تفانيه فى سبيل الدعوة عند خذلان غيره، و اقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة، و تقهقر بهم الفرق، و ثبّطهم الخول «٢».

يزعم القوم أنّ الخليفة كان حافظاً للقرآن و أنّه كان يتلوّه فى ركعة فى لياليه. و لو صحّ ما يقولون فهلّ كان يمرّ بآية التطهير و مولانا الإمام عليه السلام أحد الخمسة الذين أريدوا بها، و بآية المباهلة و هو نفس النبيّ فيها. إلى آيات أخرى نازلة فيه بالغة إلى ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأمة عبد الله بن العباس «٣» أو أنّه كان يمرّ بها على حين غفلة من مفادها؟ أو يمرّ بها و قد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا يلتفت إليها؟ أو أنّه كان يرتلها ملتفتاً إلى مغازيها؟ و لكن ....

أنا لا أدري بما ذا يُعلّل قوارص الخليفة عليّاً عليه السلام ابنا حجر و كثير و أمثالهما المعلّون أقوال الخليفة و أفعاله فى مثل أبى ذر و ابن مسعود و مالك الأشتر، بأنّ مصلحة بقائهم فى الأوساط الإسلاميّة مع الحرية فى المقال لا تكافئ المفسدة المترتّبة عليه من سقوط أُبّهة الخلافة؟ على أنّه ما كان عند القوم إلّا الأمر بالمعروف و النهى

---

(١). الكهف: ٥.

(٢). لعله بمعنى التفرّق، من: ذهب القوم أخول أخول، إذا تفرّقوا شتّى.

(٣). راجع ما مرّ فى الجزء الأوّل: ص ٣٣٤. (المؤلف)

ص: ٥٢

عن المنكر فهلّ يجرّهم الحبّ المعمى و المصمّ إلى أن يقولوا بمثل ذلك فى حقّ عظيمّ الدنيا و الدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فهل كانت مفسدة هنالك مترتّبة على مقام الإمام فى المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى؟ و هل هو إلّا الصلاح كلّّه؟ و هل المصالح النوعيّة و الفرديّة تُستقى من غيره؟ و لعمر الحقّ إنّ أُبّهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام و فضله و

نزاهته و علمه و إصلاحه لِحريّة بالسقوط، و ايم الله لو وسع أولئك المدافعين عن تلکم العظائم لدنسوا ساحة قدس الإمام بالفرية الشائنة، و اتهموه بمثل ما اتهموا به غيره من صلحاء الأمة و أعلام الصحابة و الخيرة الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، و لكن ....

و لو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام عليه السلام أذناً واعية لصانه عن المهالك، و لم تزل الأئمة مصونة له، و العزّ و النجاح ذخراً له و لأهل الإسلام، و كان خيراً له من ركوبه النهاير التي جرّعت الغصص و أودت به و جرّت الولايات على الأمة حتى اليوم، و لكنّه ....

(لا جرمَ أن الله يعلم ما يسرونَ و ما يعلنونَ) «١»

(إنّ هؤلاء يُجَبُّونَ العاجلةَ و يَدْرُونَ و راءَهُمْ يوماً تقيلاً) «٢»

٤٤- تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام

روى البلاذري عن عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولها سعيد بن العاص و أمره بمدارة أهلها، فكان يجالس قراءها و وجوه أهلها و يسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن

(١). النحل: ٢٣.

(٢). الإنسان: ٢٧.

ص: ٥٣

الحارث الأشتر النخعي، و زيد و صعصعة ابنا صوحان العبدیان، و حرقوص بن زهير السعدى، و جندب بن زهير الأزدى، و شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العيسى، و كعب بن عبدة النهدي، و كان يقال لعبدة بن سعد: ابن ذى الحبكة - و كان كعب ناسكاً و هو الذى قتله بسر بن أرطاة بتثليث «١» - و عدى بن حاتم الجواد الطائى و يكتى أبا طريف، و كدام بن حضرى بن عامر، و مالك بن حبيب بن خراش، و قيس ابن عطارذ بن حاجب، و زياد بن خصفة بن تقف، و يزيد بن قيس الأرحبى، و غيرهم، فإنهم لعنده و قد صلّوا العصر إذ تذكروا السواد و الجبل فضلّوا السواد، و قالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل و له هذا النخل، و كان حسّان بن محدوج الذهلى الذى ابتدأ الكلام فى ذلك، فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدى صاحب شرطته: لوددت أنّه للأمير و أنّ لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تمنّ للأمير أفضل منه و لا تمنّ له أموالنا. فقال عبد الرحمن: ما يضرّك من تمنّى حتى تزوى ما بين عينيك فو الله لو شاء كان له. فقال الأشتر: و الله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد و قال: إنّما السواد بستان لقريش. فقال الأشتر: أ تجعل مراكز رماحنا و ما أفاء الله علينا بستاناً لك و لقومك؟ و الله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصاصاً «٢» منه. و وثب بابن خنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان و قال: إنني لا أملك من الكوفة مع الأشتر و أصحابه الذين يُدعون القرّاء و هم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام. و كتب إلى الأشتر: إنني لأراكَ تضر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك، و ما أظنك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك و إنك لا تألوهم خبالاً. فسير سعيد الأشتر و من كان وثب مع

---

(١). تثلث: موضع بالحجاز قرب مكة: معجم البلدان: ١٥ / ٢.

(٢). تصاصاً من الرجل إذا فرّق منه و خاف.

ص: ٥٤

الأشتر و هم: زيد و صعصعة ابنا صوحان، و عائذ بن حملة الطهوي من بني تميم، و كميل بن زياد النخعي، و جندب بن زهير الأزدي، و الحارث بن عبد الله الأعرور الهمداني، و يزيد بن المكفّف النخعي، و ثابت بن قيس بن المنقح النخعي، و أصغر «١» بن قيس بن الحارث الحارثي.

فخرج المسيرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق، نزلوا مع عمرو بن زرارة فبرّهم معاوية و أكرمهم، ثمّ إنّه جرى بينه و بين الأشتر قول حتى تغالطا فحبسه معاوية، فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية، ثمّ سكتوا فقال معاوية: ما لكم لا تكلمون؟ فقال زيد بن صوحان: و ما نضع بالكلام؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، و إن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة أنت رجل صدق. و أذن له في اللحاق بالكوفة، و كتب إلى سعيد بن العاص: أمّا بعد: فإنني قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله و قصده و حسن هديه، فأحسن جواره و كفّ الأذى عنه و أقبل إليه بوجهك و ودك، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً. فشكر زيد معاوية و سأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل.

و بلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر و أصحابه فكتب إلى عثمان: إنك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم و أغلوه، و لا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي و يعلموهم ما لا يُحسنونه حتى تعود سلامتهم غائلة، و استقامتهم اعوجاجاً.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل و كان واليها عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد بن المغيرة، و يقال: إن عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم

---

(١). كذا في أنساب الأشراف بالعين المهملة، و في الإصابة: بالمعجمة. (المؤلف)

سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل. الأنساب «١» (٥/ ٣٩ - ٤٣).

صورة مفصلة:

إنَّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بنى أمية و لا سيما الفساق منهم و أرباب السفه و قلة الدين، و إخراج مال الفياء إليهم و ما جرى في أمر عمّار و أبي ذر و عبد الله بن مسعود و غير ذلك من الأمور التي جرت في أواخر خلافته، ثم اتفق أن الوليد بن عقبة لما كان عاملاً على الكوفة و شهد عليه بشرب الخمر صرفه و ولي سعيد بن العاص مكانه، فقدم سعيد الكوفة و استخلص من أهلها قوماً يسمرون عنده، فقال سعيد يوماً: إنَّ السواد بستان لقريش و بنى أمية، فقال الأشر النخعي: و تزعم أن السواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيا فبنا بستان لك و لقومك؟ فقال صاحب شرطته: أ تردّ على الأمير مقالته؟ و أغلظ له، فقال الأشر لمن حوله من النخع و غيرهم من أشراف الكوفة: ألا تسمعون؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطؤه و طأ عنيقاً و جرّوا برجله، فغلظ ذلك على سعيد و أبعد سمّاره، فلم يأذن بعد لهم فجعّلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثم تعدّوا ذلك إلى شتم عثمان، و اجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم، فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيّرهم إلى الشام لتلا يفسدوا أهل الكوفة و كتب إلى معاوية و هو والى الشام: إنَّ نقرأ من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة و قد سيّرهم إليك، فانهمهم، فإن أنست منهم رشداً فأحسن إليهم و ارددهم إلى بلادهم. فلما قدموا على معاوية، و كانوا: الأشر، و مالك بن كعب الأرحبي، و الأسود بن يزيد النخعي، و علقمة بن قيس النخعي، و صعصعة بن صوحان العبدى و غيرهم، جمعهم يوماً و قال لهم:

إنكم قوم من العرب ذوو أسنان و السنة و قد أدركتم بالإسلام شرفاً و غلبتم

(١). أنساب الأشراف: ١٥١ / ٦ - ١٥٦.

ص: ٥٦

الأمم و حويتهم مواريتهم؛ و قد بلغنى أنّكم ذمتم قريشاً، و نقتم على الولاة فيها، و لولا قريش لكنتم أدلة، إنَّ أئمتكم لكم جنة فلا تفرقوا عن جنتكم. إنَّ أئمتكم ليصبرون على الجور و يحتملون فيكم العتاب، و الله لنتنهنّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف و لا يحمدم على الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم و بعد وفاتكم.

فقال له صعصعة بن صوحان: أمّا قريش فإنها لم تكن أكثر العرب و لا أمنها في الجاهلية، و إنَّ غيرها من العرب لأكثر منها و أمنع.

فقال معاوية: إنك لخطيب القوم و لا أرى لك عقلاً، و قد عرفتمكم الآن و علمت أن الذي أغراكم قلة العقول، أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهلية، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم، افقهوا عني و لا أظنكم تفقهون: إنَّ قريشاً لم تعز في جاهلية و لا إسلام إلّا بالله وحده، لم تكن بأكثر العرب و لا أشدها و لكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، و أمحضهم أنساباً، و أكملهم مروءة، و لم



يمنتعوا في الجاهليّة و الناس تأكل بعضهم بعضاً إلّا بالله، فبؤأهم حرماً آمناً يُتَخَطَّفُ الناس من حولهم، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلّا و قد أصابهم الدهر في بلدهم و حرّمهم؟ إلّا ما كان من قريش، فإنّه لم يُردهم أحد من الناس بكيد إلّا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتّباع دينه من هوان الدنيا و سوء مردّ الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً، و كان خيارهم قريشاً، ثمّ بنى هذا الملك عليهم و جعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحّ الأمر إلّا بهم، و قد كان الله يحوطهم في الجاهليّة و هم على كفرهم، أفتراه لا يحوطهم و هم على دينه؟ أف لك و لأصحابك، أمّا أنت يا صعصعة فإنّ قريتك شرّ القرى، أنتنها نبتاً، و أعمقها وادياً، و الأمها جيراناً، و أعرفها بالشرّ، لم يسكنها شريف قطّ، و لا وضيع إلّا شبّ بها، نزع الأمم و عبید فارس، و أنت شرّ قومك، أحين أبرزك الإسلام و خلطك بالناس أقبلت تبغى

ص: ٥٧

دين الله عوجاً، و تنزع إلى الغواية؟ إنّه لن يضرّ ذلك قريشاً و لا يضعهم و لا يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنّ الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشرّ فأغراكم بالناس، و هو صارعكم و إنكم لا تدركون بالشرّ أمراً إلّا فتح عليكم شرّ منه و أخزى، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً و لا يضرّه، و لستم برجال منفعة و لا مضرة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم و لا تبطرنكم النعمة، فإنّ البطر لا يجرّ خيراً، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

و كتب إلى عثمان: إنّه قدم على قوم ليست لهم عقول و لا أديان، أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء، و لا يتكلمون بحجّة، إنّما همهم الفتنة و الله مبتليهم و فاضحهم، و ليسوا بالذين نخاف نكايتهم، و ليسوا الأكثر ممّن له شغب و نكير «١». ثمّ أخرجهم من الشام.

و روى الحسن المدائني: إنّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات و المخاطبات بينهم، و إنّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله: إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أبا سفيان أكرمها و ابن أكرمها إلّا ما جعل الله لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم فإنّه انتجبه و أكرمه، و لو أنّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم لكانوا حلماً.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولد لهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه و أمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ و الفاجر و الكيس و الأحمق.

قال: و من المجالس التي دارت بينهم أنّ معاوية قال لهم: أيّها القوم ردّوا خيراً و اسكنوا «٢» و تفكّروا و انظروا فيما ينفعكم و المسلمين فاطلبوه و أطيعوني.

(١). في شرح النهج: و ليسوا بأكثر ممّن له شغب و نكير. و في تاريخ الطبري و الكامل: فإنهم ليسوا لأكثر من شغب و نكير.

(٢). كذا في الطبعة المعتمدة لدى المؤلف من شرح النهج، و في الطبعة المعتمدة لدينا: أو اسكتوا.

ص: ٥٨

فقال له صعصعة: لست بأهل لذلك و لا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله و طاعة رسوله و أن تعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا.

فقال صعصعة: بل أمرت بالفرقة و خلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

فقال: إن كنت فعلت فإنني الآن أتوب و آمركم بتقوى الله و طاعته و لزوم الجماعة و أن توقروا أئمتكم و تطيعوهم.

فقال صعصعة: إذا كنت تبت فإننا نأمرك أن تعتزل أمرك؛ فإن في المسلمين من هو أحقّ به منك ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، و هو أحسن قدماً في الإسلام منك.

فقال معاوية: إن لي في الإسلام لقدماً و إن كان غيري أحسن قدماً مني لكنّه ليس في زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه مني، و لقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن عند عمر هوادة لي و لغيري، و لا حدث ما ينبغي له أن اعتزل عملي، و لو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ فاعتزلت عمله، و لو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلّا و هو خير، فمهلاً فإن في دون ما أنتم فيه ما يأمر فيه الشيطان و ينهى، و لعمري لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم و أهوائكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً و ليلة، فعاودوا الخير و قولوه.

فقالوا: لست لذلك أهلاً. فقال: أما و الله إن لله لسطوات و نقمات، و إنني لخائف عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان و معصية الرحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل و الآجل.

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه و لحيته، فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، و الله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي و أنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى

ص: ٥٩

يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً. ثمّ قام من عندهم فقال: و الله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت، و كتب إلى

عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد: يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلمون بالسنّة الشياطين و ما يملون عليهم و يأتون الناس - زعموا - من قبل القرآن فيشبهون على الناس، و ليس كلّ الناس يعلم ما يريدون، و إنّما يريدون فرقة، و يقرّبون فتنة، قد أثقلهم الإسلام و أضجرهم، و تمكّنت رُقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممّن كانوا بين ظهرانهم من أهل الكوفة، و لست آمن إن أقاموا أهل الشام أن يغروهم بسحرهم و فجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم. و السلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضحّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و كان أميراً على حمص وهم: الأشتر، و ثابت بن قيس الهمداني «١» و كميل بن زياد النخعي، و زيد بن صوحان و أخوه صعصعة، و جندب بن زهير الغامدي، و حبيب بن كعب الأزدي، و عروة بن الجعد «٢» و عمرو بن الحمق الخزاعي.

و كتب عثمان إلى الأشتر و أصحابه: أمّا بعد: فإنّي قد سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام و أهله شراً. و السلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظراً للرعيّة، و أعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة. فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، و سار الأشتر و أصحابه إلى حمص

---

(١). في تاريخ الطبري [٣٢٦ / ٤] حوادث سنة ٣٣ هـ: النخعي، بدل: الهمداني. (المؤلف)

(٢). في أسد الغابة: ٣ / ٤٠٣ [٢٧ / ٤] رقم ٣٦٤٠: كان ممن سيره عثمان رضى الله عنه إلى الشام من أهل الكوفة. (المؤلف)

ص: ٦٠

فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل و أجرى عليهم رزقاً.

و روى الواقدي: أن عبد الرحمن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً و فرض لهم طعاماً قال لهم: يا بني الشيطان لا مرحباً بكم و لا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً و أنتم بعد في بساط ضلالكم و غيكم، جزى الله عبد الرحمن أن لم يؤذكم «١»، يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم، أتراكم تقولون لى ما قلتكم لمعاوية؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الردة، و الله يا ابن صوحان لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى، إن بلغنى أن أحداً ممن معى دق أنفك فاقنتعت رأسك. قال: فأقاموا عنده شهراً كلّموا ركب أمشاهم معه و يقول لصعصعة: يا بن الخطيئة! إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد و معاوية؟ فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه و دأبهم حتى قال: تاب الله عليكم. فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم و يسأله فيهم فردّهم إلى الكوفة «٢».

تاريخ الطبري (٥ / ٨٨ - ٩٠)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٥٧ - ٦٠)، شرح ابن أبي الحديد (١ / ١٥٨ - ١٦٠) و رأى هذه الصورة أصحّ ما ذكر في القضية، تاريخ ابن خلدون (٢ / ٣٨٧ - ٣٨٩)، تاريخ أبي الفداء (١ / ١٦٨) في حوادث سنة (٣٣).

قال الأميني: كان في عظمة أكثر هؤلاء القوم و صلاحهم المتسالم عليه و تقواهم المعترف بها مرتدع عن أذاهم و إجمالهم عن مستوى عزهم و موطن إقامتهم و تسييرهم من منفى إلى منفى، و الإصاخة إلى سعاية ذلك الشاب المستهتر، و الله سبحانه يقول: (إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصيحوا على

(١). كذا فى شرح نهج البلاغة، و فى الكامل فى التاريخ و تاريخ ابن خلدون: حسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٣١٧ / ٤ حوادث سنة ٣٣ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٦٧ حوادث سنة ٣٣ هـ، شرح نهج البلاغة: ١٢٩ / ٢ - ١٣٤ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٥٨٩ - ٥٩١.

ص: ٦١

ما فعَلْتُمْ نادِمينَ) «١». و كان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرطى جنب أولياء الله بتسميته إياهم السفهاء و هم قراء مصر، و زعماء الملاء، و نساك القطر، و فقهاء القارة، و هم القدوة فى التقوى و النسك، و بهم الأسوة فى الفقه و الأخلاق، و لم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف، و عدم مماشاتهم إياه على شهواته و مزاعمه، و هلّا استشفّ الخليفة حقيقة ما شجر بينه و بين القوم حتى يحكم فيه بالحقّ، لكنّه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة المثلى فى القضية استهواه ذلك الشابّ المترفّ فمال إليه بكلّه، و نال من القوم ما نال، و أوقع بهم ما حبّذه له الحبّ المعمى و المصمّ، لكن الدين و ملأه أنكرا ذلك عليه و حفظه التاريخ ممّا نغم به على عثمان.

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لا عن حلم، و خشونة لا يستمرّ عليها، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح، و إنّما كان يكشفهم جلباً لمرضاة الخليفة، و يوادعهم لما كان يدور فى خلدته من هوى الخلافة غداً، و كان يعرف القوم بالشدة و المتبوعيّة، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه و بينهم متى تسنى له الحصول على غايته المتوخّاة، و كانت هذه الخواطر لا تبارحه، و لا يزال هو يعدّ الدقائق و الثوانى للتوصّل إليها، و كان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراقيل دونها، و لذلك أطلق سراح القوم و تثبّط عن النهضة لنصرة عثمان لما استنصره - كما سيأتى تفصيله - حتى قتل و معاوية فى الخاذلين له.

و أمّا ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه فى الفظاظة و الغلظة، فلم يعاملهم إلّا بالرعونة و لم يجاملهم إلّا بالقسوة، و كلّ إناء بالذى فيه ينضح.

و هاهنا نوقفك على نبذ من أحوال من يهّمك الوقوف على حياته الثمينة من أولئك الرجال المنفيين الأبرار، حتى تعلم أنّ ما تقولوه فيهم و فعلوه بهم فى منتأى

(١). الحجرات: ٦.

ص: ٦٢

عنهم، و إنّما كان ذلك ظلماً و عدواناً، و تعلم أنّ ابن حجر مائن فيما يصف به الأشر من المروق «١» غير مصيب فى قذفه، متجانف للإثم فى الدفاع عن عثمان بقوله: إنّ المجتهد لا يعترض عليه فى أمره الاجتهاديّة، لكن أولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل و لا عقل «٢».

الأشتر:

١- مالك بن الحارث الأشتر: أدرك النبي الأعظم و قد أثنى عليه كل من ذكره؛ و لم أجد أحداً يغمز فيه، وثقه العجلي «٣» و ذكره ابن حبان في الثقات «٤»، و لا يُحمل عدم رواية أى إمام عنه على تضعيفه، قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب «٥» (١٠٠/١٢): قال مهنا: سألت أحمد عن الأشتر يروى عنه الحديث؟ قال: لا. قال: و لم يرد أحمد بذاك تضعيفه، و إنما نفى أن تكون له رواية.

و كفاه فضلاً و منعة كلمات مولانا أمير المؤمنين فى الثناء عليه فى حياته و بعد المنون، و إليك بعض ما جاء فى ذلك البطل العظيم:

-١

من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر: «أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، و لا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشدّ على الفجار من حريق النار. و هو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطبعوا أمره فيما طابق الحقّ، فإنه سيف من سيوف الله، لا

---

(١). راجع الصواعق: ص ٦٨ [ص ١١٥]. (المؤلف)

(٢). راجع الصواعق: ص ٦٨ [ص ١١٣]. (المؤلف)

(٣). تاريخ الثقات: ص ٤١٧ رقم ١٥٢٠.

(٤). الثقات: ٣٨٩ / ٥.

(٥). تهذيب التهذيب: ١١ / ١٠.

ص: ٦٣

كليل الطيبة «٦» و لا نابى الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يُقدم و لا يُحجم، و لا يؤخر و لا يُقدم إلّا عن أمرى، و قد آثرتمكم به على نفسى لنصيحتة لكم، و شدة شكيمته على عدوكم «٧».

تاريخ الطبرى (٦ / ٥٥)، نهج البلاغة (٢ / ٦١)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٣٠).

صورة أخرى:

رواها الشعبي من طريق صعصعة بن صوحان.

«أما بعد: فإنني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، لا ناكل من قدم، و لا واه في عزم، من أشدّ عباد الله بأساً و أكرمهم حسباً، أضرّ على الفجار من حريق النار، و أبعد الناس من دنس أو عار، و هو مالك بن الحارث الأشتر، حسام صارم، لا نابي الضريبة، و لا كليل الحدّ، حكيم في السلم، رزين في الحرب، ذو رأى أصيل، و صبر جميل، فاسمعوا له و أطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يُقدم و لا يُحجم إلّا بأمرى، و قد آثرتمكم به على نفسى نصيحةً لكم، و شدّة شكيمته على عدوكم» ... إلخ «٨».

-٢-

من كتاب للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أمراء جيشه:

«و قد أمرت عليكما و على من في حيّركما مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعا له

---

(٦). الظبة: بتخفيف الموحدة: حدّ السيف. (المؤلف)

(٧). تاريخ الأمم و الملوك: ٥ / ٩٦ حوادث سنة ٣٨ هـ، نهج البلاغة: ص ٤١٠ خطبة ٣٨، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٧٧ خطبة ٦٧.

(٨). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٩ [٦ / ٧٥ خطبة ٦٧]، جمهرة الرسائل: ١ / ٥٤٩ [رقم ٥٠٤]. (المؤلف)

ص: ٦٤

و أطبعا و اجعلاه درعاً و مجنّاً، فإنّه ممّن لا يُخاف و هنه و لا سقطته، و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل».

قال ابن أبي الحديد في شرحه «٩» (٣ / ٤١٧): فأما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل، و لعمري لقد كان الأشتر أهلاً لذلك، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً، و كان يجمع بين اللين و العنف، فيسطو في موضع السطوة، و يرفق في موضع الرفق؛ و من كلام عمر: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقوى في غير عنف، و لّين في غير ضعف. انتهى.

-٣-

من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر فيقول:

«إنَّ الرجلَ الذي كنتَ وليّته مصرَ كانَ لنا نصيحاً، وعلَى عدوّنا شديداً، وقد استكملَ أيّامه، ولاقى حمامه، ونحنُ عنه راضون، فرضى اللهُ عنه، وضاغفَ له الثواب، وأحسنَ له المآبَ» «١٠».

تاريخ الطبرى (٥٥ / ٦)، نهج البلاغة (٥٩ / ٢)، الكامل لابن الأثير (١٥٣ / ٣)، شرح ابن أبى الحديد (٣٠ / ٢).

-٤-

لَمَّا بلغَ عليّاً - أمير المؤمنين - موتَ الأشرّ قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ وَالحمدُ لِلَّهِ ربِّ العالمينَ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أحتسبه عندك، فَإِنَّ موته من مصائبِ الدهر. ثمَّ قال: رحمَ اللهُ مالِكاً فقد كانَ وفياً «١١» بعهدِهِ، وقضى نحبِهِ، ولقى ربّه، مع أَنّا قد وطّنا

---

(٩). شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٠١ كتاب ١٣.

(١٠). تاريخ الأمم و الملوك: ٥ / ٩٧ حوادث سنة ٣٨ هـ، نهج البلاغة: ص ٤٠٧ خطبة ٣٤، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٤١١ حوادث سنة ٣٨ هـ، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٧٨ خطبة ٦٧.

(١١). كذا فى الطبعة التى اعتمدها المؤلف قدس سره، و فى الطبعة المعتمدة لدينا: فلقد وفّى.

ص: ٦٥

أنفسنا أن نصبر على كلِّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها من أعظم المصائب»

، قال المغيرة الضبى: لم يزل أمر علىّ شديداً حتى مات الأشرّ «١٢».

-٥-

عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على علىّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشرّ فوجدناه يتلّهف و يتأسّف عليه ثمّ قال: «لله درّ مالک، و ما مالک؟ لو كان من جبل لكان فنداً «١٣»، و لو كان من حجر لكان صلداً، أما و الله ليهدنّ موتک عالماً، و ليُفرحنّ عالماً، على مثل مالک فليکِ البواكى، و هل موجود كمالک؟».

و قال علقمة بن قيس النخعى: فما زال علىّ يتلّهف و يتأسّف؛ حتى ظننّا أنّه المصاب به دوننا، و عُرف ذلك فى وجهه أيّاماً.

و فى لفظ الشريف الرضى و الزبيدى: «لو كان جبلاً لكان فنداً، لا يرتقيه الحافر، و لا يوفى عليه الطائر» «١٤».

نهج البلاغة (٢٣٩ / ٢)، شرح ابن أبى الحديد (٣٠ / ٢)، لسان العرب (٣٣٦ / ٤)، الكامل لابن الأثير (١٥٣ / ٣)، تاج العروس (٤٥٤ / ٢).

٦- قال ابن أبي الحديد فى شرحه «١٥» (٣ / ٤١٦): كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة و عظمائها، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام و نصره، و

قال فيه بعد موته: «رحم الله مالكا، فلقد كان لى كما كنت لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم».

٧- دس معاوية بن أبى سفيان للأشتر مولى لآل عمر، فسقاه شربة سويق

---

(١٢). شرح ابن أبى الحديد: ٢ / ٢٩ [٦ / ٧٧ الأصل ٦٧]. (المؤلف)

(١٣). الفند بالكسر: القطعة العظيمة من الجبل. (المؤلف)

(١٤). نهج البلاغة: ص ٥٥٤ خطبة ٤٤٣، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٧٧ خطبة ٦٧، لسان العرب: ١٠ / ٣٣٣، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٤١٠.

(١٥). شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٩٨ كتاب ١٣.

ص: ٦٦

فيها سمّ فمات.

فلما بلغ معاوية موته قام خطيباً فى الناس فحمد الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد: فإنه كان لعلّى بن أبى طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفّين و هو عمّار بن ياسر، و قطعت الأخرى اليوم و هو مالك الأشتر «١».

تاريخ الطبرى (٦ / ٢٥٥)، الكامل لابن الأثير (٣ / ١٥٣)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٢٩).

قال الأمينى: ما أجزأ الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور و التبهج بموت الأخيار الأبرار بعد ما يقتلهم، و يقطع عن أديم الأرض أصول بركاتهم، و يبشّر بذلك أمته الفئة الباغية، و يأمرهم بالدعاء عليهم (أولئك الذين لهم سوء العذاب و هم فى الآخرة هم الأخسرون) «٢»، (و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً) «٣».

٨- و قبل هذه كلها ما

جاء عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى دفن أبى ذر سيّد غفار من قوله فى لفظ الحاكم و أبى نعيم و أبى عمر: «ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»، و فى لفظ البلاذرى: «يلى دفنه رهط صالحون»، و قد دفنه مالك الأشتر و أصحابه الكوفيين، كما فى «٤» أنساب البلاذرى (٥ / ٥٥)، و حلية الأولياء لأبى نعيم (١ / ١٧٠)، و المستدرک للحاكم (٣ / ٣٣٧)، و الاستيعاب لأبى عمر (١ / ٨٣)، و شرح ابن أبى الحديد (٣ / ٤١٦)



فقال: هذا الحديث يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله؛ و هي شهادة قاطعة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه مؤمن.

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف ابن حجر إياه في

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٥ / ٩٦ حوادث سنة ٣٨ هـ، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤١٠، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٧٦ خطبة ٦٧.

(٢). النمل: ٥.

(٣). الفرقان: ٤٢.

(٤). أنساب الأشراف: ٦ / ١٧١، المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٣٨٨ ح ٥٤٧٠، الاستيعاب: القسم الأول / ٢٥٤ رقم ٣٣٩، شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٩٩ كتاب ١٣.

ص: ٦٧

الصواعق «١» (ص ٦٨) بالمروق و عدم الفهم و العقل، و لعنه إياه و أصحابه الصلحاء، و قد عزب عنه أنّه لا يلفظ من قول  
إلّا و لديه رقيب عتيد.

نحن لسنا الآن في صدد التبسّط في فضائل مالك و تحليل نفسيّاته الكريمة و مآثره الجمّة و إلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً، و لقد ناء بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيّد محمد الرضا آل السيّد جعفر الحكيم النجفي، و ابن عمّه السيّد محمد التقى ابن السيّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك، و قد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا عليه السلام بخراسان المشرّقة، حيّا الله حملة العلم سلفاً و خلفاً.

٢- زيد بن صوحان العبدى، الشهير بزيد الخير: أدرك النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم و ترجمه أبو عمر و ابن الأثير و ابن حجر في معاجم الصحابة، قال أبو عمر: كان فاضلاً ديناً سيّداً في قومه.

أخرج أبو يعلى «٢»، و ابن مندّة، و الخطيب، و ابن عساکر من طريق علىّ عليه السلام مرفوعاً: «من سرّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فليُنظر إلى زيد بن صوحان».

و في حديث آخر: «الأقطع الحبر زيد، زيد رجل من أمّتى تدخل الجنّة يده قبل بدنه» - قطعت يده يوم القادسيّة.

و في حديث أخرجه ابن مندّة، و أبو عمر، و ابن عساکر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «زيد و ما زيد؟! يسبقه بعض جسده إلى الجنّة، ثمّ يتبعه سائر جسده إلى الجنّة».

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينه «٣»، قال: لما أراد زيد أن يركب

---

(١). الصواعق المحرقة: ص ١١٥.

(٢). مسند أبي يعلى: ١ / ٣٩٣ ح ٥١١.

(٣). فى تاريخ دمشق و مختصره: عتبية، ترجمه الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٠٨.

ص: ٤٨

دأبته أمسك عمر بركابه ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد و إخوته و أصحابه «١».

تاريخ ابن عساكر (١١ / ١٣ - ١١ / ١٣)، تاريخ الخطيب (٨ / ٤٤٠)، الاستيعاب (١١ / ١٩٧)، أسد الغابة (٣ / ٢٣٤)، بهجة المحافل (٢ / ٢٣٧)، الإصابة (١ / ٥٨٢).

و فى الفائق للزمخشري «٢» (١ / ٣٥): قال فيه النبى عليه الصلاة و السلام: «زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار».

و فى معارف ابن قتيبة «٣» (ص ١٧٦): كان من خيار الناس،

و روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «زيد الخير الأجذم، و جندب ما جندب» فقيل: يا رسول الله أتذكر رجلين؟ فقال: «أما أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً، و أما الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقّ و الباطل»، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده و شهد مع على يوم الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين ما أرانى إلّا مقتولاً، قال: «و ما علمك بهذا يا أبا سليمان؟» قال: رأيت يدي نزلت من السماء و هى تستشيلنى. فقتله عمرو بن يثربى و قتل أخاه سليمان «٤» يوم الجمل.

و فى تاريخ الخطيب (٨ / ٤٣٩): كان زيد يقوم الليل و يصوم النهار، و إذا كانت ليلة الجمعة أحيهاها، و قال: قتل يوم الجمل و قال: ادفنوني فى ثيابى فأنى مخاصم. و فى رواية: لا تغسلوا عنى دماً، و لا تنزعوا عنى ثوباً إلّا الخفين، و ارمسونى فى الأرض رمساً فأنى رجل مُحاجٌّ. زاد أبو نعيم: أُحاجَّ يوم القيامة.

---

(١). تاريخ مدينة دمشق: ١٩ / ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨ رقم ٢٣٣٩ و فى مختصر تاريخ دمشق: ٩ / ١٤٣ - ١٤٤، الاستيعاب: القسم الثانى / ٥٥٥ - ٥٥٦ رقم ٨٥٢، أسد الغابة: ٢ / ٢٩١ رقم ١٨٤٨.

(٢). الفائق: ١ / ٧٨.

(٣). المعارف: ص ٤٠٢.

(٤). فى المصدر: و قتل أخاه سيحان.

ص: ٦٩

و فى مرآة الجنان لليافعى (١ / ٩٩): كان زيد من سادة التابعين صوّاماً قوّاماً. و فى شذرات الذهب «١» (١ / ٤٤): من خواصّ علىّ من الصلحاء الأتقياء.

و قال عقيل بن أبى طالب لمعاوية فى حديث مروج الذهب «٢» (٢ / ٧٥): أمّا زيد و عبد الله - أخوه - فإنّهما نهران جاربان يصبّ فيهما الخلجان، و يغاث بهما اللّهان «٣»، رجلا جدّ لا لعب معه.

و وصفه أخوه صعصعة لابن عبّاس لما قال له: أين أخواك منك زيد و عبد الله؟ صفهما. فقال: كان زيد و الله يا بن عبّاس عظيم المروّة، شريف الأخوّة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميّش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكراً لله طرفى النهار و زلفىّ من الليل، الجوع و الشبع عنده سيّان، لا ينافس فى الدنيا، و أقلّ فى أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت، و يحفظ الكلام، و إن نطق نطق بمقام، يهرب منه الدّعار «٤» الأشرار، و يألفه الأحرار الأخيار. فقال ابن عباس: ما ظنّك برجل من أهل الجنّة، رحم الله زيدا.

٣- صعصعة بن صوحان العبدى، أخو زيد الخير المذكور: ذكر فى معاجم الصحابة، قال أبو عمر: كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يلقه و لم يره. كان سيّداً فصيحاً خطيباً ديناً. قال الشعبى: كنت أتعلّم منه الخطب، و قال عقيل بن أبى طالب لمعاوية فى حديث: أمّا صعصعة فعظيم الشأن، غضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، و يفتق ما رتق، قليل النظير.

و قال ابن الأثير: كان سيّداً من سادات قومه عبد القيس، و كان فصيحاً خطيباً

---

(١). شذرات الذهب: ١ / ٢٠٩ حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٢). مروج الذهب: ٣ / ٤٨.

(٣). فى الطبعة المعتمدة لدينا: و يُغاث بهما البلدان.

(٤). جمع داعر، و هو الخبيث المفسد.

ص: ٧٠

لسناً ديناً فاضلاً يُعدّ في أصحاب عليّ رضی الله عنه.

له مع عثمان محاوراة سيوافيك شيء منها، و مواقفه مع معاوية ذكرت جملة منها في مروج الذهب (٢/ ٧٦-٨٣)، و تاريخ ابن عساكر (٤/ ٤٢٤-٤٢٧). وتقه ابن سعد و النسائي و ابن حبان «١» و ابن عساكر و ابن الأثير و ابن حجر.

أخرج ابن شبة: أن عمر بن الخطاب قسم المال الذي بعث إليه أبو موسى، و كان ألف ألف درهم و فضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه، و قال: أيها الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها؟ فقام صعصعة بن صوحان و هو غلام شاب فقال: يا أمير المؤمنين إنما تُشاور الناس فيما لم يُنزل الله فيه قرآناً، أمّا ما أنزل الله به القرآن و وضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها. فقال: صدقت. أنت مني و أنا منك. فقسمه بين المسلمين.

راجع «٢»: طبقات ابن سعد، مروج الذهب، تاريخ ابن عساكر، الاستيعاب، أسد الغابة، الإصابة، تهذيب التهذيب، خلاصة الخرجي.

٤- جندب بن زهير الأزدي: صحابي مترجم له «٣» في الاستيعاب، و أسد الغابة، و الإصابة. و له في يومى الجمل و صفين مواقف محموددة مع أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١). الثقات: ٤/ ٣٨٢.

(٢). الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٢١، مروج الذهب: ٣/ ٤٩-٥٤، تاريخ مدينة دمشق: ٢٤/ ٩٠-٩٦ رقم ٢٨٨١، و في مختصر تاريخ دمشق: ١١/ ٨٤-٨٨، الاستيعاب: القسم الثاني/ ٧١٧ رقم ١٢١١، أسد الغابة: ٣/ ٢١ رقم ٢٥٠٣، الإصابة: ٢/ ١٨٦ رقم ٤٠٦٩، تهذيب التهذيب: ٤/ ٣٧٠، خلاصة الخرجي: ١/ ٤٦٩ رقم ٣٠٩٢.

(٣). الاستيعاب: القسم الأول/ ٢٥٨ رقم ٣٤٣، أسد الغابة: ١/ ٣٥٩ رقم ٨٠٢، الإصابة: ١/ ٢٤٨ رقم ١٢١٧.

ص: ٧١

٥- كعب بن عبدة: سمعت فيما مرّ عن البلاذري «١» أنه كان ناسكاً.

٦- عدى بن حاتم الطائي: صحابي عظيم قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سنة (٧)، لم يختلف اثنان في ثقته، أخرج حديثه أئمة الصحاح الستة، و قد أثنى عليه عمر بن الخطاب لما قال له: يا أمير المؤمنين أ تعرفني؟ فقال: نعم و الله إنني لأعرفك، أكرمك الله بأحسن المعرفة، أعرفك و الله آمنت إذ كفروا، و عرفت إذ أنكروا، و وفيت إذ غدروا، و أقبلت إذ أدبروا، و إن أول صدقة بيّضت وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وجوه أصحابه صدقة طيئ جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. ثم أخذ يعتذر.

أخرجه «٢»: أحمد في المسند (١/ ٤٥)، و ابن سعد في الطبقات، و مسلم في صحيحه، و أبو عمر في الاستيعاب، و الخطيب في تاريخه، و ابن الأثير في أسد الغابة و فيه: إنّه كان منحرفاً عن عثمان، و ابن حجر في تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٦).

و أعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ما أخرجه في (١/ ١٩١) بالإسناد عن المغيرة قال: خرج عدى بن حاتم و جرير بن عبد الله البجلي و حنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قرقيسياء «٣» و قالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان.

و الصواب: يُشتم فيه على. فبدلت يد التحريف عليّاً بعثمان، و ذكره على علّاته ابن حجر في تهذيب التهذيب «٤» (٧/ ١٦٧).

---

(١). أنساب الأشراف: ١٥٤ / ٦.

(٢). مسند أحمد: ١/ ٧٤ ح ٣١٨، صحيح مسلم: ٥/ ١١١ ح ١٩٦ كتاب فضائل الصحابة، الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٥٨ رقم ١٧٨١، أسد الغابة: ٤/ ٩ رقم ٣٦٠٤، تهذيب التهذيب: ٧/ ١٥١.

(٣). قرقيسياء: بلد على نهر الخابور، عندها مصب الخابور في الفرات، فهي مثلث بين الخابور و الفرات.

(٤). تهذيب التهذيب: ٧/ ١٥١.

ص: ٧٢

توجد ترجمة عدى في «١»: الاستيعاب، تاريخ بغداد (ج ١)، أسد الغابة، الإصابة، تهذيب التهذيب.

٧- مالك بن حبيب: له إدراك، عدّ من الصحابة.

٨- يزيد بن قيس الأرحبي: له إدراك، و كان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس، و لمّا ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قرّاء الكوفة و أمّروه، و كان مع عدى في حروبه و ولّاه شرطته ثمّ ولّاه أصبهان و الرىّ و همدان، و هو المعنىّ في قول ثمامة:

فبايع عليّاً أو يزيد اليمانيا

معاوى إن لا تُسرّع السير نحونا

و له يوم صفين مواقف و خطابات تُعرب عن نفسيّاته الكريمة و ملكاته الفاضلة، تُذكر و تُشكر، ذكر جملة منها ابن مزاحم في كتاب صفين، و الطبرى في تاريخه، و ابن الأثير في الكامل «٢»، و ممّا ذكره قوله:

إنّ المسلم السليم من سلم دينه و رأيه، إنّ هؤلاء القوم [و الله] «٣» ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه، و لا إحياء عدل رأونا أمتناه، و لا يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبارة فيها ملوكاً، فلو ظهرنا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً و لا

سروراً- إذا أُلزموكم مثل سعيد و الوليد و عبد الله بن عامر السفهيه، يحدث أحدهم فى مجلسه بديث و زيت، و يأخذ مال الله و يقول: هذا لى و لا إثم علىّ فيه، كأنّما أعطى تراثه من أبيه، و إنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيفنا و رماحنا، قاتلوا، عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله، و لا تأخذكم فى جهادهم لومة لائم، إنّهم إن

(١). الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٥٧ رقم ١٧٨١، تاريخ بغداد: ١ / ١٨٩ رقم ٢٩، أسد الغابة: ٤ / ٨ رقم ٣٩٠٦، الإصابة: ٢ / ٤٦٨ رقم ٥٤٧٥.

(٢). الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٧٣ حوادث سنة ٣٧ هـ.

(٣). من المصادر.

ص: ٧٣

يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم و دنياكم، و هم من قد عرفتم و جربتم، و الله ما أرادوا إلى هذا إلّا شراً، و أستغفر الله العظيم لى و لكم «١».

٩- عمرو بن الحَمِق «٢» بن حبيب الخزاعى الكعبى: صحب النبىّ الأعظم و حفظ عنه أحاديث، و حظى بدعائه صلى الله عليه و آله و سلم له لما سقاه لبناً بقوله: «اللهمّ أمتعته بشبابه»

، فاستكمل الثمانين من عمره و لم يرَ شعرة بيضاء «٣». أخرج حديثه البخارى فى التعليق، و ابن ماجة «٤»، و النسائى «٥» و غيرهم، و كان من أعوان حجر بن عدى سلام الله عليه و عليهم، ترجمه أبو عمر فى الاستيعاب «٦»، و ابن الأثير فى أسد الغابة، و ابن حجر فى الإصابة، و لم أجد كلمة غمز لأىّ أحد فيه مع قولهم: كان ممّن سار إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه و هو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا، و صار بعد ذلك من شيعة علىّ. و قولهم: إنّّه كان ممّن قام على عثمان. و قولهم: كان أحد من ألب على عثمان.

و له يوم صفين مواقف مشكورة و كلم قيّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن إيمانه الخالص، و روحه النزيهة الطاهرة، راجع كتاب صفين لابن مزاحم «٧» (ص ١١٥، ٤٣٣، ٤٥٤، ٥٥١).

قال ابن الأثير فى أسد الغابة «٨» (٤ / ١٠١): قبره مشهور بظاهر الموصل بزار،

(١). كتاب صفّين: ص ٢٧٩ [ص ٢٤٧]، تاريخ الطبرى: ١٠ / ٦ [١٧ / ٥] حوادث سنة ٣٧ هـ، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ٤٨٥ [٥ / ١٩٤ خطبة ٦٥]، الإصابة: ٣ / ٦٧٥ [رقم ٩٤٠٧]. (المؤلف)

(٢). بفتح المهملة و كسر الميم. (المؤلف)

(٣). أسد الغابة: ٤ / ١٠٠ [٤ / ٢١٧ رقم ٣٩٠٦]، الإصابة: ٢ / ٥٣٣ [رقم ٥٨١٨]. (المؤلف)

(٤). سنن ابن ماجة: ٢ / ٨٩٦ ح ٢٦٨٨.

(٥). السنن الكبرى: ٥ / ٢٢٥ ح ٨٧٣٩ - ٨٧٤١.

(٦). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٧٣ رقم ١٩٠٩.

(٧). وقعة صفّين: ص ١٠٣، ٣٨١، ٣٩٩، ٤٨٢.

(٨). أسد الغابة: ٤ / ٢١٩ رقم ٣٩٠٦.

ص: ٧٤

و عليه مشهد كبير، ابتدأ بعمارته أبو عبد الله سعيد بن حمدان - و هو ابن عمّ سيف الدولة و ناصر الدولة ابني حمدان - في شعبان من سنة ستّ و ثلاثين و ثلاثمائة، و جرى بين السنّة و الشيعة فتنة بسبب عمارته.

١٠- عروة بن الجعد، و يقال: أبى الجعد البارقي الأزدي، صحابى مرضى مترجم له فى معاجم الصحابة «١» الاستيعاب، أسد الغابة، الإصابة.

روى حديث: «الخيّل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر و المغنم».

قال شبيب بن غرقدة: رأيت فى دار عروة سبعين فرساً رغبة فى رباط الخيل «٢»، أخرج حديثه أئمة الصحاح السنّة فيها.

١١- أصغر بن قيس بن الحارث الحارثى: له إدراك، ذكره ابن حجر فى الإصابة (١ / ١٠٩).

١٢- كميل بن زياد النخعي: كان شريفاً فى قومه، قتله الحجاج سنة (٨٢)، وثقه «٣» ابن سعد، و ابن معين، و العجلي، و ابن عمّار، و ذكره ابن حبان فى التقات «٤».

١٣- الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني: من رواية الصحاح الأربعة من الستة، قال ابن معين «٥»: ثقة. وقال ابن أبي داود: كان أफقه الناس، وأحسب الناس، وأفرض الناس، تعلّم الفرائض من عليّ، قال ابن أبي خيثمة: قيل ليحيى: يُحتجّ

(١). الاستيعاب: القسم الثالث/ ١٠٦٥ رقم ١٨٠٢، أسد الغابة: ٢٦/٤ رقم ٣٦٤٠، الإصابة: ٢/٤٧٦ رقم ٥٥١٨.

(٢). صحيح البخارى فى المناقب [٣/ ١٣٣٢ ح ٣٤٤٣]، باب قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ). [البقرة: ١٤٦].  
(المؤلف)

(٣). الطبقات الكبرى: ٦/ ١٧٩، تاريخ الثقات للعجلي: ص ٣٩٨ رقم ١٤٢٣، كتاب الثقات: ٥/ ٣٤١.

(٤). تهذيب التهذيب: ٨/ ٤٤٧ [٨/ ٤٠٢]. (المؤلف)

(٥). التاريخ: ٣/ ٣٦١ رقم ٦٧٥١.

ص: ٧٥

بالحارث؟ فقال: ما زال المحدثون يقبلون حديثه. وقال أحمد بن صالح المصرى: ثقة ما أحفظه و ما أحسن ما روى عن عليّ و أتى عليه. و وثقه ابن سعد «١».

و هناك من كذّبه، و العمدة فى ذلك الشعبى. قال ابن عبد البرّ فى كتاب العلم «٢»: أظنّ الشعبى عوقب بقوله فى الحارث: كذّاب، و لم يَبين من الحارث كذبه، و إنّما تقم عليه إفراطه فى حبّ عليّ.

و قال أحمد بن صالح: لم يكن الحارث يكذب فى الحديث، إنّما كان كذبه فى رأيه.

و قال الذهبى «٣»: و النسائى مع تعنّته فى الرجال قد احتجّ به [و قوّى أمره]، و الجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه فى الأبواب. تهذيب التهذيب «٤» (٢/ ١٤٥-١٤٧).

فمحصّل القول فى الهمداني: أنّه لا مغمز فيه غير نزعته العلوية الممدوحة عند الله و عند رسوله.

٤٥- تسيير الخليفة كعب بن عبدة و ضربه

كتب جماعة من القراء إلى عثمان منهم: معقل بن قيس الرياحى، و عبد الله بن الطفيل العامرى، و مالك بن حبيب التميمى، و يزيد بن قيس الأرحبى، و حجر بن عدى الكندى، و عمرو بن الحمق الخزاعى، و سليمان بن صرد الخزاعى و يُكنى أبا مطرف، و المسيّب بن نجبة الفزارى، و زيد بن حصن الطائى، و كعب بن عبدة النهدى،



(١). الطبقات الكبرى: ١٦٨ / ٤.

(٢). جامع بيان العلم و فضله: ص ٣٨٧ رقم ١٨٩٠.

(٣). ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٧ رقم ١٦٢٧. و ما بين المعقوفين منه.

(٤). تهذيب التهذيب: ٢ / ١٢٦ - ١٢٨.

ص: ٧٤

و زياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديان الحارثي، و مسلمة بن عبد القارى من القارة من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة:

إنَّ سعيداً كثرَ على قوم من أهل الورع و الفضل و العفاف، فحملك في أمرهم على ما لا يحلُّ في دين و لا يحسن في سماع، و إنَّا نذكرك الله في أمة محمد، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يدك، لأنَّك قد حملت بنى أيبك على رقابهم، و اعلم أنَّ لك ناصرًا ظالمًا، و ناقمًا عليك مظلومًا، فمتى نصرك الظالم و تقم عليك الناقم تباين الفريقان و اختلفت الكلمة، و نحن نشهد عليك الله و كفى به شهيدًا، فإنَّك أميرنا ما أطعت الله و استقمت، و لن تجد دون الله مُلتحدًا و لا عنه منتقدًا.

و لم يُسمَّ أحد منهم نفسه في الكتاب و بعثوا به مع رجل من عنزة يكتبي أبا ربيعة، و كتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمي فيه و دفعه إلى أبي ربيعة، فلمَّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره، فأراد ضربه و حبسه فمنعه على من ذلك و قال: إنَّما هو رسول أدَّى ما حُمِّل، و كتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً، و يحوِّل ديوانه إلى الرى، ففعل. ثمَّ إنَّ عثمان تحوَّب و ندم فكتب في إشخاصه إليه، ففعل. فلمَّا ورد عليه قال له: إنَّه كانت منى طيرة ثمَّ نزع ثيابه و ألقى إليه سوطاً و قال: اقتص، فقال: قد عفوت يا أمير المؤمنين.

و يقال: إنَّ عثمان لمَّا قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه، فأشخصه إليه مع رجل أعرابيٍّ من أعراب بنى أسد، فلمَّا رأى الأعرابيَّ صلاته و عرف نسكه و فضله قال:

عفوه عني و غفران ذنبي

ليت حظي من مسيرى بكعب

فلمَّا قدم به على عثمان قال عثمان: لأن تسمع بالمعيديِّ خير من أن تراه، و كان شابًا حديث السنَّ نحيفاً ثمَّ أقبل عليه فقال: أ أنت تعلمنى الحقَّ و قد قرأت كتاب الله

و أنت في صلب رجل مشرك؟ فقال له كعب: إن إماراة المؤمنين إنما كانت لك بما أوجبته الشورى حين عاهدت الله على نفسك في أن تسيرن بسيرة نبيه، لا تقصّر عنها، و إن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك، يا عثمان إن كتاب الله لمن بلغه و قرأه و قد شركناك في قراءته، و متى لم يعمل القارئ بما فيه كان حجة عليه. فقال عثمان: و الله ما أظنك تدرى أين ربك؟ فقال: هو بالمرصاد. فقال مروان: حلمك أغرى مثل هذا بك و جرّاه عليك. فأمر عثمان بكعب فجرد و ضرب عشرين سوطاً، و سيّره إلى دباوند «١»، و يقال: إلى جبل الدخان. فلمّا ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمرى، فقال الدهقان الذى ورد عليه: لم فعل بهذا الرجل ما أرى؟ قال بكير: لأنّه شرير، فقال: إن قوماً هذا من شرارهم لخيار.

ثمّ إن طلحة و الزبير و بختا عثمان فى أمر كعب و غيره، و قال طلحة: عند غبّ الصدر يحمد عاقبة الورد. فكتب فى ردّ كعب رضى الله عنه و حمله إليه، فلمّا قدم عليه نزع ثوبه و قال: يا كعب اقتص. فعفا رضى الله عنهم أجمعين «٢».

و عدّ الحلبي فى السيرة «٣» (٢ / ٨٧) من جملة ما انتقم به على عثمان: أنّه ضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً و نفاه إلى بعض الجبال.

قال الأمينى: ألا تعجب فى أمر هذا الخليفة؟ إنّ مناوئيه كلّهم فى عاصمة الخلافة و بقيّة الأوساط الإسلاميّة خيار البلاد و صلحاء الأمّة، كما أنّ من اكتنف به و أغراه بالأبرار هم المتهتكون فى الدين، المفضوحون بالسمة الشائنة، رواد الشره،

(١). بفتح المهملة و تضم، و يقال: دنباوند، و دماوند بالميم بدل الموحدة: كورة من كور الرى [معجم البلدان: ٢ / ٤٣٦].  
(المؤلف)

(٢). أنساب البلاذرى: ٥ / ٤١ - ٤٣ [٦ / ١٥٣ - ١٥٥]، تاريخ الطبرى: ٥ / ١٣٧ [٤ / ٤٠١ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الرياض النضرة: ٢ / ١٤٠ - ١٤٩ [٣ / ٧٦]، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ١٦٨ [٢ / ١٦٠ خطبة ٣٠]، الصواعق المحرقة: ص ٦٨ [ص ١١٤]، و اللفظ للبلاذرى. (المؤلف)

(٣). السيرة الحلبيّة: ٢ / ٧٨.

و سمسرة المطامع، من طغمة الأمويين و من يقتصّ أثرهم، فلا ترى له سوط عذاب يُرفع إلّا و كان مصبه أولئك الصالحين، كما أنّك لا تجد جميلاً له يُسدى و لا يداً موفورة إلّا لأولئك الساقطين، فهل بُعث الخليفة - و هو رحمة للعالمين - نعمة على المؤمنين؟ أم ما ذا كانت حقيقة الأمر؟ أنا لا أدرى لما ذا أسخط الخليفة كتاب القوم فأراد بحامله سوء من حبس و ضرب بعد يأسه عن معرفة كاتبه لو لا أنّ علياً أمير المؤمنين حال بينه و بين ما يشتهي، و هل كان الرجل إلّا وسيطاً كلّ بالرسالة فأذاها؟ و لعلّه لم يكن يعلم ما فيها، و ليس فى الكتاب إلّا التذكير بالله، و التحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة و إقلاق

السلام، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والاستقامة الذي هو مأخوذ في الخليفة قبل كل شيء - و عليه جرى انتخاب يوم الشورى - وإيقافه على مكان سعيد الشاب الغرّ من السعاية التي خافوا أن تكون وبألاً عليه، وأخيراً وقع ما خافوا منه و حدّروا الخليفة عنه، والشهادة لأوثك المنفيين بالبراءة ممّا نُبزوا به و أنّهم من أهل الورع و الفضل و العفاف، و أنّ تسييرهم لا يحلّ في دين الله، و يشوّه سمعة الخليفة.

و لما ذا أغضبه كتاب كعب، و هو بطبع الحال لدة ما كتبه القوم من النصح الجميل؟ و لما ذا أمر بإشخاصه إلى المدينة و ضربه و جازاه على نصحه بجزاء سنّار؟

فهلّا انبعث الخليفة إلى التفاهم مع القوم فيما أظهرها أنّهم يتحرّون ما فيه صلاحه و صلاح الأمة، فإنّما أن يُنعمهم بما عنده، أو يقنع بما يبدونه، فيرتفع ذلك الحوار، و تُدفع عنه المثالات، لكنّه أبى إلّا أن يستمرّ على ما ارتآه و حبّده له المحتفون به الذين اتّخذوه قنطرة إلى شهواتهم، و لذلك لم يتفاهم مع كعب إلّا بالغلظة فقال له: أ أنت تُعلّمني. إلخ. أنا لا أدري موقع هذا الكلام التافه، هل الكون في صلب رجل مشرك يحطّ من كرامة الإنسان و قد آمن بالله و رسوله؟ إذن لتسرّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين و ارتكضوا في أرحام المشركات، و كثير

ص: ٧٩

منهم أشركوا بالله قبل إسلامهم، لكن الإسلام يجبّ ما قبله، و هل الأصلاب و الأرحام إلّا أوعية؟

ثمّ السبق إلى قراءة الكتاب العزيز هل هو بمجرّده يرفع من قدر الرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به و فضّله كعب؟

و لا أدري ما يريد الخليفة بقوله: و الله ما أظنّك تدري أين ربّك. هل هو يريد المكان؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و أىّ مسلم لا يعرف أنّ ربّه لا يُقلّه حيّز، فإنّه حرى بالسقوط، و ما أحسن جواب كعب من قوله: هو بالمرصاد، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلما ذا احتمل أنّ مثل كعب الموصوف بالفضيلة و التقوى لا يعرف ذلك؟ و هل يريد عندئذٍ إلّا إهانة الرجل و هتكه؟

ثمّ ما ذا كان في هذه المحاوراة حتى عدّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم و كلام كعب من الجرأة و ثور الخليفة على الرجل؟ و هنالك انفجر بركان غضبه فأمر به فجرّد و ضرب و سيّر، و عوقب لنصحه و صلاحه، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاختلف كلّ شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً، ففي ذيل هذه الرواية أنّ الخليفة ندم على ما فعل و تاب بعد توبيخ طلحة و الزبير إيّاه و استعفى الرجل فعفا عنه، و لم يعلم المتقول أنّ خليفة لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يُؤتمن على دين و لا دنيا، فإنّ من الممكن عندئذٍ أن يقتحم المهالك حيث لا موبّخ فيستمرّ عليها فيهلك و يُهلك، و إنّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه: إنّهم يخيّروني إحدى ثلاث: إمّا يقيدونني بكلّ رجلٍ أصبته خطأً أو صواباً غير متروك منه شيء، فقلت لهم: أمّا إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء

تخطئ و تصيب فلم يُستفد من أحد منهم. إلخ. و هذه الكلمة تعطينا أنه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أخرج ساعاته المشاركة لقتله، فكيف

ص: ٨٠

بآونة السعة و ساعة المقدره. فما يزعمه هذا الناحت لذيل الرواية من أنه تنازل لكعب لأن يقيده بنفسه لا يكاد يلائم هذه النفسية، و لو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبث به في ذلك المأزق الحرج.

و هناك رواية أخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذاب المتروك، عن شعيب المجهول، عن سيف الوضاع المرمي بالزندقة المتفق على ضعفه «١»، عن محمد و طلحة: أن كعباً كان يعالج نيرنجاً «٢» فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقر به فأوجعه، فدعا به فسأله فقال: إنما هو رفق و أمر يُعجب منه، فأمر به فعزّ، و أخبر الناس خبره و قرأ عليهم كتاب عثمان: إنه قد جدّ بكم فعليكم بالجدّ و إياكم و الهزال، فكان الناس عليه و تعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضب، فنفر في الذين نفروا فضرب معهم، فكتب إلى عثمان فيه. فلما سیر إلى الشام من سیر، سیر كعب بن ذى الحبكة و مالك بن عبد الله و كان دينه كدينه إلى ذنباوند لأنها أرض سحرة، فقال في ذلك كعب بن ذى الحبكة للوليد:

لعمري لئن طردتني ما إلى التي  
رجوت رجوعى يا ابن أروى و رجعتى  
و إن اغترابى فى البلاد و جفوتى  
و إن دعائى كل يوم و ليلة  
طمعتُ بها من سقطتى لسبيلُ  
إلى الحقّ دهرأ غال ذلك غولُ  
و شتمى فى ذات الإله قليلُ  
عليك بدُنباوندكم لطويلُ

فلما ولى سعيد أقاله و أحسن إليه و استصلحه، فكفره، فلم يزدد إلا فسادا «٣». شوّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري و قد أسلفنا فى الجزء الثامن أنّها

(١). راجع ما مرّ فى: ٨ / ٨٤، ١٤٠، ١٤١، ٣٢٦ - ٣٣٣ من كلمات الحفظ حول رجال الإسناد. (المؤلف)

(٢). النيرج و النيرنج: أخذ كالسحر و ليس به. (المؤلف)

(٣). تاريخ الطبري: ٥ / ١٣٧ [٤ / ٤٠١ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلف)

ص: ٨١

موضوعه كلّها، اختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب، يريد بها رفاء لما هنالك من فتق، و هو الذي قذف أبا ذر و نظراءه من الصالحين، غير مكترث لمغبة الكذب و الافتراء، و من ملامح الكذب في هذه الرواية أنّ تسيير من سيّر إلى الشام من قرآء الكوفة و نسّاكها و ضرب كعب إنّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية.

و إنّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ، و لم يؤثر في أيّ من مدونات التاريخ و السير، و لو كان تفرّد به أناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول، لكن الرواية كما قيل:

صحاّهم عن سجاح عن مسيلمة  
عن ابن حيّان و الدوسيّ يمليه  
و كلّهم ينتهي إسناد باطله  
إلى عزازيل مُنْشِيهِ و مُنْهِيهِ «١»

على أنّه يقول فيها: إنّ وليداً قرأه على رءوس الأشهاد، كأنه يحاول معذرةً عمّا ارتكب من كعب، و إنّ كان برضىّ من المسلمين، و لو صحّت المزعمة لكانت مستفيضة، إذ الدواعي كانت متوفّرة على نقلها، لكنهم لم يسمعوها فلم يرووها، مضافاً إلى أنّ المعروف من كعب بن عبدة أنّه كان من نسّاك الكوفة و قرآئها كما سمعته من كلام البلاذري و غيره لا ممّن يتلّه بالنيرنجات و أشباهها.

و إنّ تعجب فعجب أنّ صاحب النيرنج - لو صدقت الأحلام - يُعزّر و يعاقب، و مُعاقِر الخمر - وليد الفجور - لا يحدّ لشربه الخمر إلّا بعد تقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرّاء ذلك، ثمّ يكون مُقيم الحدّ عليه غيره و هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

و لم يكن في أولئك المسيّرين من يسمّى مالك بن عبد الله، و إنّما كان فيهم مالك ابن الحارث الأشتر و مالك بن حبيب الصحابيّان كما تقدّم ذكرهما.

و أبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد؛ فإنّه هو ابن أروى بنت

---

(١). البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي. (المؤلف)

كريز و فيها صراحة بسبب اغتراب كعب و جفوته و شتمه، و أنّها كانت في ذات الله، يقول ذلك بملء فمه، و لا يردّ عليه رادّاً بأنّها ليست في ذات الله و إنّما هي لأنّه كان يعالج نيرنجاً.

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء و الشهوات تزلفاً إلى أناس و انحيازاً عن آخرين (فَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) «١».

٤٦- تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري

الزاهد الناسك إلى الشام

أخرج الطبري «٢» من طريق العلاء بن عبد الله بن زيد العنبري أنه قال: اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان و ما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه و يخبره بأحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري و هو الذي يدعى عامر بن عبد قيس، فأتاه فدخل عليه فقال له: إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظيماً فأتق الله عزّ و جلّ و تب إليه و انزع عنها. قال له عثمان: انظر إلى هذا فإنّ الناس يزعمون أنّه قارئ ثمّ هو يجيء فيكلمني في المحقرات فو الله ما يدري أين الله. قال عامر: أنا لا أدري أين الله؟ قال: نعم، و الله ما تدري أين الله. قال عامر: بلى و الله إنّني لأدري إنّ الله بالمرصاد لك. فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، و إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و إلى سعيد بن العاص، و إلى عمرو بن العاص، و إلى عبد الله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره و ما طلب إليه و ما بلغ عنهم. فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إنّ لكلّ امرئ وزراء و نصحاء و إنكم وزرائي و نصحاؤي و أهل ثقتي، و قد صنع الناس ما قد رأيتم، و طلبوا

(١). الزخرف: ٨٣، و المعارج: ٤٢.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٣٣ حوادث سنة ٣٤ هـ.

ص: ٨٣

إلى أن أعزل عمّالي و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون فاجتهدوا رأيكم و أشيروا عليّ.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك و أن تجمرهم في المغازي حتى يذلّوا لك، فلا يكون همّة أحدهم إلّا نفسه و ما هو فيه من دبرة دابته و قمل فروه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء و اقطع عنك الذي تخاف، و اعمل برأيي تصب. قال: و ما هو؟ قال: إنّ لكلّ قوم قادة متى تهلك يتفرّقوا و لا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إنّ هذا الرأي لو لا ما فيه.

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قبلهم و أنا ضامن لك قبلي.

ثم أقبل على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعادل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا و امض قدماً.

فقال عثمان: مالك قمل فروك؟ أ هذا الجد منك؟ فأسكت عنه دهرًا، حتى إذا تفرق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين لأنت أعز علي من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شراً.

فردّ عثمان عماله على أعمالهم و أمرهم بالتضييق على من قبلهم و أمرهم

ص: ٨٤

بتجدير «١» الناس في البعوث، و عزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه و يحتاجوا إليه «٢».

و قال البلاذري في الأنساب «٣» (٥ / ٥٧): قال أبو مخنف لوط بن يحيى و غيره: كان عامر بن [عبد] قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره و سيرته، فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كريز في حمله فحمله، فلما قدم عليه فرآه و قد أعظم الناس إشخاصه و إزعاجه عن بلده لعبادته و زهده، أطفه و أكرمه و ردّه إلى البصرة.

و روى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أن عامر بن عبد قيس وُشي به إلى عثمان، فأمر أن يُنفي إلى الشام على قتب، فأنزله معاوية الخضر و بعث إليه بجارية و أمرها أن تعلمه ما حاله، فكان يقوم الليل كله و يخرج من السحر فلا يعود إلّا بعد العتمة، و لا يتناول من طعام معاوية شيئاً، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها و يشرب من ذلك الماء، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله و يدينه فقال: لا أرب لى في ذلك. الإصابة لابن حجر (٣ / ٨٥).

و ذكر «٤» ابن قتيبة في المعارف (ص ٨٤ و ١٩٤)، و ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢ / ٢٤١)، و الراغب في المحاضرات (٢ / ٢١٢) جملة ممّا نُقم به على عثمان و عدّوا منه: أنه سير عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام، و قال ابن قتيبة: كان خيراً فاضلاً.

قال الأميني: منظر غريب لعمر ك في ذلك اليوم، أليس من المستغرب أن صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم؟ فمن راسف تحت نير الاضطهاد، و من معتقل في غيابة الجبّ، و من مغترب يجفل به من منفي إلى منفي، و من منقطع عن

(١). تجدير الجيش: جمعهم في الثغور و حبسهم عن العود إلى أهليهم.

(٢). أنساب البلاذرى: ٥ / ٤٣ [١٥٦ / ٦]، تاريخ الطبرى: ٥ / ٩٤ [٣٣٣ / ٤] حوادث سنة ٣٤ هـ، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٩٢ [٢ / ٢٧٥] حوادث سنة ٣٤ هـ، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٩٠ [٢ / ٥٩٢]. (المؤلف)

(٣). أنساب الأشراف: ٦ / ١٧٢.

(٤). المعارف: ص ١٩٥ و ٤٣٦، العقد الفريد: ٤ / ١٠٣، محاضرات الأدباء: ٢ / ٤٧٦.

ص: ٨٥

العتاء، و من ممقوت ينظر إليه شزراً، و من مضروب تُدق به أضالعه، إلى مشتوم يُهتك فى الملاً الدينى. لما ذا ذلك كله؟ لأنهم غضبوا للحق، و أنكروا المنكر، فهللاً كان فى وسع من يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عما ينكرونه و فيه رضا الله قبل كل شىء، و مرضاة رسوله من بعده، و مرضاة الأمة جمعاء، و به كانت تُدحر عنه المثلات و تخمد الفتن، و كانت فيه مجلبة للموذة، و مكتسح للقلاقل، و هو أذى لجمام النفس، و سيادة الأمن، و إزاحة الهرج، و كان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفى و الضرب و الشتم و الإزعاج و الجفوة. و لو كان الخليفة يرى خطأهم فى إنكارهم عليه فإنه كان فى وسعه أن يعقد لهم محتفلاً للتفاهم، فيما أن يتنازلوا عن بعض ما أرادوا، أو يتنازل هو عن بعض ما يبتغيه، أو يتكافأ فى التنازل فتقع خيرة الكل على أمر واحد، و كان عقد هذا المتندى خيراً له مما عقده للنظر فى شأن عامر بن عبد قيس، و جمع خلقاً من أصول الجور، و جذوم الفتن، و جرائم العيث و الفساد، فروع الشجرة الملعونة، و هم الذين جرّوا إليه الولايات بجورهم و فجورهم و استعبادهم الأمة و ابتغائهم الغوائل، و هملجتهم وراء المطامع فلم يسمع منهم فى ذلك المجتمع و لا فى غيره إلّا رأى مُستغش، و نظرية خائن، أو أفيكة مائن، أو دسيسة لعين بلسان النبى الأقدس مرة بعد أخرى، و هو مع ذلك يراهم وزراءه و نصحاءه و أهل ثقته، أ و لا تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزراءها و نصحاءها و أهل ثقة صاحبها؟!!

ثم انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين: الخليفة و سفير المسلمين إليه، هذا يذكره بالتقوى و التوبة إلى الله و ينهاه عن ارتكاب العظائم التى استعظمها المسلمون العلماء منهم و القراء و التساك و ذوو الرأى و المسكة، و الخليفة يعدّ ما استعظمتها الأمة من المحقرات، ثم يهزأ به و يقذفه بقلّة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً و صعصعة بن صوحان و سمع منهما ما سمعه من عامر لأنهم حملة العلم، و العلم حرف واحد كثره الجاهلون.

و الأعجب كيف يعير الخليفة إلى سعاية حُمران بن أبان أذناً واعية و قد رآه

ص: ٨٦

على الفاحشة هو بنفسه؛ و ذلك أنه تزوّج امرأة فى العدة، فضربه و نفاه إلى البصرة «١» و أسرّ إليه سرّاً فأخبر به عبد الرحمن بن عوف، فغضب عليه عثمان و نفاه «٢». و قال البلاذرى فى الأنساب «٣» (٥ / ٥٧): كان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شك الناس الوليد بن عقبة لياثيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد، فلما قدم على عثمان كذب عن الوليد و قرّطه. ثم إنّه



لقى مروان فسأله عن الوليد فقال له: الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك، فغضب على حمران و غربه إلى البصرة لكذبه عليه و أقطعه داراً.

كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق و التهور، و الله جل اسمه يقول: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) «٤».

ثم اعجب أن حمران نفاه الخليفة على فسقه و أقطعه داراً لجمع شمله، و العبد الصالح أبو ذر الغفاري الصادق المصدوق أجفل إلى الربذة، و ترك في البرّ الأفقر لا يأوى إلى مضرب، و لا يظله خباء، هذا من هوان الدنيا على الله.

و هل الخليفة عرف عامراً و مكانته في الأمة و منزلته من الزهد و التقوى و محله من التعبد و النزاهة، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة و أشخصه إلى المدينة مرة و سيره إلى الشام على القتب أخرى، و أزرى به و أهانه حين مثل بين يديه؟ أو أنه لم يعرفه و لا شيئاً من فضله، فوثق بما قالوه؟ و كان عليه أن يعرفه لما علم بسفارته من قبل وجهاء البصرة و أهل الحريجة و التقوى، ذوى الحلوم الراجحة، و الآراء الناضجة، فإنهم لا يرسلون طبعاً إلّا من يرضونه في مكانته و علمه و عقله و تقواه. و هل كان فيما يقوله

---

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ٩١ [٣٢٧ / ٤] حوادث سنة ٣٣ هـ، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٦٠ [٢٧١ / ٢] حوادث سنة ٣٣ هـ. (المؤلف)

(٢). تهذيب التهذيب: ٣ / ٢٤ [٢٢ / ٣]. (المؤلف)

(٣). أنساب الأشراف: ٦ / ١٧٢.

(٤). الحجرات: ٦.

ص: ٨٧

مغضبة؟ أو أنه ما كان يتحرى صالح الأمة و صلاح من يسوسها؟

إنّ من العيب أن نعترف بأنّه ما كان يعرف عامراً و صلاحه، فقد كان يسير بذكره الركبان، و هبت بأريخ فضله النسائم في الأجواء و الأرجاء، و في طبّات المعاجم و السّير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد و في البلاد يوم أُلزم نفسه أن يصلّى في اليوم و الليلة ألف ركعة «١» فكانوا يعدّونه من أولياء الله المقربين، و أولّ الزهاد الثمانية، و ذكروا له كرامات و مكرّات.

أ فمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة؟ و لم يكن فيما ينكره إلّا ما أصفقت على إنكاره أهل الحلّ و العقد يومئذٍ من الصالح العام فى الحواضر الإسلاميّة كلّها، غير أنّهم لم يجدوا - كما أنّ عامراً لم يجد - أذناً مصغية لهاتفهم، فتكافأ دؤوب الخليفة على التصامم و دؤوب القوم على الإنكار حتى استفحل الخطب و دارت الدوائر.

و هلمّ معى ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذاب متروك، عن مجهول منكر، عن وضّاع متّهم بالزندقة متّفق على ضعفه: السرى، عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن محمد و طلحة: أنّ عثمان سيرّ حرمان بن أبان أن تزوّج امرأة فى عدتها و فرق بينهما و ضربه و سيّره إلى البصرة، فلمّا أتى عليه ما شاء الله و أتاه عنه الذى يحبّ، أذن له فقدم عليه المدينة و معه قوم سعوا بعامر أنّه لا يرى التزويج، و لا يأكل اللحم، و لا يشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية، فلمّا قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربياً «٢». فعرف أنّ الرجل مكذوب عليه فعرفّه معاوية سبب إخراجه، فقال: أمّا الجمعة فإنّى أشهداها فى مؤخر المسجد ثمّ أرجع فى أوائل الناس، و أمّا التزويج فإنّى

(١). تاريخ ابن عساکر: ٧ / ١٦٩ [٢٦ / ١٧ رقم ٣٠٥٢، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١١ / ٢٧٧]، الإصابة: ٣ / ٨٥ [رقم ٦٢٨٤].  
(المؤلف)

(٢). كذا فى كامل ابن الأثير، و فى بقية المصادر: أكلاً غريباً.

ص: ٨٨

خرجت و أنا يُخطب علىّ، و أمّا اللحم فقد رأيت «١».

أ و لا تعجب من الذين اتّخذوا هذه الرواية مصدراً فى تعذير عثمان عن نفى عامر و إشخاصه و هم يبطلون الرواية فى غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة، لكنّهم يحتجّون بروايتهم جميعاً هاهنا، و فى كلّ ما نqm به على عثمان؟!

ثمّ لننظر فيما وُشى به على الرجل بعد الفراغ من النظرة فى حال الواشى و هو حرمان المتقدم ذكره، هل يوجب شىء منها ذمّاً أو تعزيراً أو تأديباً أو تغريباً؟ و هل هى من المعاصى المسقطّة لمحلّ الإنسان؟ أمّا ترك التزويج فلم يثبت حرمنه إن لم يكن من باب التشريع و أخذه ديناً، و إنّما النكاح من المرغّب فيه، على أنّه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنّه لا يجد من يلائمه فى خفة المئونة. أخرج أبو نعيم فى الحلية (٢ / ٩٠): إنّ عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة، فقال: إنّ أمير المؤمنين أمرنى أن أسألك مالك لا تزوّج النساء؟ قال: ما تركتهنّ و إنّى لدائب فى الخطبة، قال: و مالك لا تأكل الجبن؟ قال: أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته. قال: و ما يمنعك أن تأتى الأمراء؟ قال: إنّ لدى أبوابكم طلباب الحاجات فادعوهم و اقضوا حوائجهم، و دعوا من لا حاجة له إليكم.

و أخرج من طريق أحمد بن حنبل بإسناده عن الحسن قال: بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه و أكرمه و مره أن يخطب إلى من شاء و أمهر عنه من بيت المال، فأرسل إليه أن أمير المؤمنين قد كتب إلىّ و

أمرني أن آمرك أن تخطب إلي من شئت و أمهر عنك من بيت المال. قال: أنا في الخطبة دائب. قال: إلى من؟ قال: إلى من يقبل مني الفلقة و التمرة.

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ٩١ [٤ / ٣٢٧ حوادث سنة ٣٣ هـ]، تاريخ ابن عساكر: ٧ / ١٦٧ [٢٦ / ٩ رقم ٣٠٥٢]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٦٠ [٢ / ٢٧٢ حوادث سنة ٣٣ هـ]، أسد الغابة [٣ / ١٣٢ رقم ٢٧١٢]، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٨٩ [٢ / ٥٩١].  
(المؤلف)

ص: ٨٩

و هذان الحديثان يكذبان ما جاء به السري، و لو صحّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيام معاوية عن تزويج عامر؟

و أمّا ترك اللحوم فليس من المحرّم أيضاً و قد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير إيجاب، نعم تركها النهائي مكروه إن لم يكن من باب التدبّر، و قد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شئون الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذ كلّها، و كان مع ذلك لعامر عذر، قال ابن قتيبة في المعارف «١» (ص ١٩٤): و كان سبب تسييره أنّ حمران بن أبان كتب فيه: أنّه لا يأكل اللحم، و لا يعشى النساء، و لا يقبل الأعمال - يعرض بأنّه خارجيّ «٢» - فكتب عثمان إلى ابن عامر: أن ادعُ عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيره. فسأله، فقال: أمّا اللحم فإنّي مررت بقصّاب يذبح و لا يذكر اسم الله، فإذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها، و أمّا النساء فإنّ لي عنهنّ شغلاً، و أمّا الأعمال فما أكثر من تجدونه سوى. فقال له حمران: لا أكثر الله فينا أمثالك، فقال له عامر: بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين و حجّامين.

و أمّا عدم الحضور للجمعة: فقد بيّن عامر نفسه حقيقته لمعاوية و هو الصادق الأمين على أنّه كان له أن لا يحضر الجمعة و الجماعة إن لم ير لمقيمها أهليّة للائتمام به، و ليس من المنكر ذلك في حقّ الولاة الأمويين يومئذٍ.

و على فرض صحّة الرواية و كون كلّ ممّا نُبز به حوباً كبيراً، فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قبل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرّ من رواية أبي نعيم بالنسبة إلى التزويج و أكل الجبن و إتيان الأمراء. و لا أدري هل من الفرائض في

(١). المعارف: ص ٤٣٩.

(٢). كذا في المعارف، فإذا كان المراد بالخارجي نسبته إلى الخوارج، فإن هذا لا يصح كما هو معلوم؛ لأنّ هؤلاء فرقة وُجدت تاريخياً بعد وقعة صفين. و قد يكون أراد بهذا الوصف الخروج عن سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ص: ٩٠

الشريعة السمحاء أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسس و التفتيش؟ و على كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرّ أمنه على قتب إلى الشام منفي الناثرين على الخليفة؟ و أىّ عقل يقبل تسييره و تعذيبه لتلك الأمور التافهة؟ نعم: الغريق يتشبّث بكلّ حشيش.

٤٧- تسيير الخليفة عبد الرحمن الجمحي

عدّ ممّن سيّره الخليفة عبد الرحمن بن حنبل الجمحي. قال اليعقوبي: سيّر عبد الرحمن صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى القموس «١» من خبير، و كان سبب تسييره إيّاه أنّه بلغه كرهه مساوئ ابنه و خاله، و أنّه هجاه.

و قال العلائى عن مصعب و أبو عمر فى الاستيعاب «٢»: إنّهُ لَمَّا أُعْطِيَ عثمان مروان خمسمائة ألف من خمس إفريقية قال عبد الرحمن:

و أحلف بالله جهد اليمين	ما ترك الله أمراً سدى
و لكن جعلت لنا فتنةً	لكى نبتلى بك أو تبتلى
دعوت الطريد فآدنيته	خلافاً لما سنّه المصطفى
و وليت قرباك أمر العباد	خلافاً لسنة من قد مضى
و أعطيت مروان خمس الغنيم	-آثرته و حميت الحمى
و مألأ اتاك به الأشعري	من الفىء أعطيته من دنا
فإنّ الأمينين قد بيّنا	منار الطريق عليه الهدى

(١). كذا فى لفظ اليعقوبى [٢ / ١٧٣]، و فى الإصابة [٢ / ٣٩٥ رقم ٥١٠٧]: الغموص كما فى الآيات. و الصحيح: القموص، بالقاف المفتوحة و آخره صاد مهملة [و هو جبل بخبير عليه حصن أبى الحقيق اليهودى. معجم البلدان: ٣٩٨ / ٤]. (المؤلف)

(٢). الاستيعاب: القسم الثانى / ٨٢٨ رقم ١٤٠١.

فما أخذاً درهماً غيلةً

و لا قسماً درهماً فى هوى «١»

فأمر به فحبس بخبير، و أنشد له المرزبانى فى معجم الشعراء أنه قال و هو فى السجن:

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا  
أبا حسن غللاً شديداً أكابده  
بخبير فى قعر الغموص كأنها  
جوانب قبرٍ أعمق اللحد لا حده  
أ إن قلت حقاً أو نشدت أمانة  
قتلت؟ فمن للحق إن مات ناشده؟

و كتب إلى علىّ و عمّار من الحبس:

أبلغ علياً و عمّاراً فإنهما  
بمنزل الرشد إن الرشد مبتدر  
لا تتركوا جاهلاً حتى يوقره  
دين الإله و إن هاجت به مرر  
لم يبق لى منه إلّا السيف إذ علقت  
حبال الموت فىنا الصادق البرر  
يعلم بأنى مظلومٌ إذا ذكرت  
وسط الندى حجاج القوم و العذر

فلم يزل علىّ يكلم عثمان حتى خلى سبيله على أنه لا يساكنه بالمدينة فسيّره إلى خبير فأنزله قلعة بها تسمى القموص، فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان و ساروا إليه من كل بلد، فقال عبد الرحمن:

لو لا علىّ فإنّ الله أنقذنى  
على يديه من الأغلال و الصفد  
لما رجوت لى شدّ بجامعة  
يمنى يديّ غياث الفوت من أحد  
نفسى فداءً علىّ إذ يخلصنى  
من كافرٍ بعد ما أغضى على صمد

كان عبد الرحمن مع علىّ فى صفين، قال الطبرى من طريق عوانة: إنه جعل ابن حنبل يقول يومئذ:

(١). قد تنسب هذه الأبيات إلى أسلم، راجع: ٨ / ٢٥٨. (المؤلف)

ص: ٩٢

راجع «١»: تاريخ الطبرى (٢٥ / ٦)، تاريخ يعقوبى (٢ / ١٥٠)، الاستيعاب (٢ / ٤١٠)، شرح ابن أبى الحديد (١ / ٦٦)، الإصابة (٢ / ٣٩٥).

قال الأمينى: هذا أحد المعذّبين الذين أقلّتهم غيابة الجبّ مُصَفِّداً بالحديد و لم يجهز عليه إلّا إنكاره المنكر، و جنوحه إلى الحقّ المعروف، و الكلام فيه لدة ما كرّراه فى غير واحد من زملائه الصالحين، و أحسن ما ينمّ عن سريره شعره الطافح بالإيمان.

٤٨- تسيير الخليفة عليّاً أمير المؤمنين

لعلّ التبسّط فى البحث عمّا جرى بين عثمان أيام خلافته و بين علىّ أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف، و ينتهى إلى ما لا يُحمد عقباه، و التاريخ و إن لم يحفظ منه إلّا النزر اليسير غير أنّ فى ذلك القليل غنىّ و كفاية و به تُعرف جليّة الحال، و نحن نمرّ به كراماً، فلا نحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعلىّ عليه السلام، البعيدة عن ساحة قدسه، النائبة عن مكانته الراقية التى لا يُدرك شأوها، و يقصر دون استكناهاها البيان.

أ يسع لمن أسلم وجهه للهّ و هو محسن و آمن بالكتاب و بما نزل من آيه فى سيّد العترة، و صدّق بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و بما صدع به من فضائل علىّ عليه السلام، و جاوره مع ذلك حقّباً و أوعاماً بيت بيت، و وقف على نفسيّاته الكريمة و هو على ضمادة من أفعاله و تروكه و شاهد مواقفه المبرورة و مساعيه المشكورة فى تدعيم الدين الحنيف، أ يسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهّر بلسان اللهّ بقوله: لم لا يشتمك - مروان - إذا شتمته، فو اللهّ ما أنت عندى بأفضل منه و مروان طريد رسول اللهّ و ابن طريده

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٥ / ٤٦ حوادث سنة ٣٧ هـ، تاريخ يعقوبى: ٢ / ١٧٣، الاستيعاب: القسم الثانى / ٨٢٨ رقم ١٤٠١، شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨ خطبة ٣.

ص: ٩٣

و لعينه و ابن لعينه «١»؟

أم بقوله له: و الله يا أبا الحسن ما أدري أشتهى موتك؟ أم اشتهى حياتك؟ فو الله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأنى لا أجد منك خلفاً، و لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً و عضداً، و يعدك كهفاً و ملجأ، لا يمنعنى منه إلا مكانه منك و مكانك منه، فأنا منك كالابن العاق من أبيه إن مات فجعه و إن عاش عقه. إلى آخر ما مرّ فى (ص ١٨).

أم بقوله له: ما أنت بأفضل من عمّار، و ما أنت أقلّ استحقاقاً للنفى منه «٢».

أم بقوله له: أنت أحقّ بالنفى من عمّار «٣»؟

أم بقوله الغليظ الذى لا يحبّ المؤرّخون ذكره و نحن سكتنا عن الإعراب عنه «٤»؟

و بعد هذه كلّها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و يقلقه من عقر داره و يخرجّه إلى ينبع مرّة بعد أخرى قائلاً لابن عبّاس: قل له فليخرج إلى ماله بينبع، فلا أغتمّ به و لا يغتمّ بى.

ألا مسائل الرجل عمّا أوجب أولويّة الإمام الطاهر المنزه عن الخطل، المعصوم من الزلل بالنفى ممّن نفاهم من الأئمة الصالحة؟ أ كان - بزعمه - علىّ عليه السلام شيعياً اشتراكياً شيخاً كذاباً كأبى ذر الصادق المصدّق؟ أم كان عنده دويبة سوء كابن مسعود أشبه الناس هدياً و دلاً و سمتاً برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

---

(١). راجع: ٨ / ٣٩٧، ٣٠٢. (المؤلف)

(٢). الفتنة الكبرى: ص ١٦٥ [المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - الفتنة الكبرى - مج ٤ / ٣٦٠]. (المؤلف)

(٣). راجع: صفحة ١٩ من هذا الجزء. (المؤلف)

(٤). راجع: ٨ / ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٢٣. (المؤلف)

ص: ٩٤

أم كان الرجل يراه ابن متكّ، عاضاً أير أبيه، طاغياً كذاباً يجترىء عليه و يجرىّ عليه الناس كعمّار جلدة ما بين عيني النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم؟

أم كان يحسبه معالجاً نيرنجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك؟ أم كان يراه تاركاً الجبن و اللحم و الجمعة و التزويج كعامر بن عبد قيس القارى الزاهد المتعبّد؟

أم كان الإمام متكلماً بالسنّة الشياطين غير عاقل و لا دين كصلحاء الكوفة المنفيين؟

حاشا صنو النبي الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهره الجليل، و اتخذهُ نفساً لنبِيهِ، و اختارهما من بين بريته نبياً و وصياً.

و حاشا أولئك المنفيين من الصحابة الأولين الأبرار و التابعين لهم بإحسان عن تلکم الطامات و الأفائك و النسب المفتعلة.

نعم؛ كان يرى الرجل كلاً من أولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر طاغياً اتخذ علياً عليه السلام سلفاً و يعدّه كهفأً و ملجأً يدافع عنهم بوادر غضب الخليفة، و يحول بينهم و بين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لما ركبهُ من النهاير «١»، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقّق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفى من أولئك الرجال المنفيين، و لولاه لكان يشفى منهم غليله، و يتسنّى له ما كان يبتغيه من البغى عليهم، و الله يدافع عن الذين آمنوا و أنه على نصرهم لقدير.

على أنه ليس من المعقول أن يكون من يأوى إلى مولانا أمير المؤمنين و آواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة، فإنه لا يأوى إلى مثله إلّا الصالح الراشد من

---

(١). النهاير: جمع نهيرة؛ و هى المهالك، و أصلها الحفر بين الآكام.

ص: ٩٥

المظلومين و هو عليه السلام لا يحمى إلّا من هو كذلك، و هو ولىّ المؤمنين، و أمير البررة، و قائد الغرّ المحجلين، و إمام المتّقين، و سيّد المسلمين، كلّ ذلك نصّ من الرسول الصادق الأمين. و ليتنى أدري ممّ كان يغمّ عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة؟ و وجوده رحمة و لطف من الله سبحانه و تعالى على الأمة جمعاء لا سيّما فى البيّنة التى تُقلّ، يكسح عن أهلها الفساد، و يكبح جماح المتغلّبين، و يقف أمام نعرات المتهوّسين، و يسير بالناس على المنهج اللاحب سيراً صحيحاً.

نعم؛ يغمّ به سمسرة النهمة و الشره فيروقهم بعاده ليهملج كلّ منهم إلى غاياته قلق الوضين «١». و ما كان هتاف الناس به يومئذٍ إلّا لأن يقيم أود الجامعة، و يعدّل الخطّة العوجاء، و يقف بهم على المحجّة الواضحة، غير أنّ ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه ذلك كلّهُ، فالاعتماد به جناية على المجتمع الدينى، و وقوف أمام سير الصالح العام.

و لعمر الله إنّ هذه القوارص هى التى فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته، و هتكت منه حجاب حرمتة و كرامته، و أطالت عليه السنة البذاءة و الوقعة فيه، و عثمان هو الذى أزرى بالإمام فى الملاء الدينى، و صغّره فى أعين الناس و جرأ عليه طعام الأمويين و سفلة الأعراب، فباذاه أبناء أميّة و هم على آسال خليفتهم اتّخذوه أسوة و قدوة فى شتيمته و قذيعته و آذوا نبِيهِم فى أخيه علم الهدى. (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) «٢»، (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) «٣»، (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ



(١). الوضين: بطن منسوج بعضه على بعض يُشدُّ به الرحل على البعير، و قوله: قلق الوضين أى سريع الحركة يوصف بالخفة و قلة الثبات، كالحزام إذا كان رخوًا.

(٢). الأحزاب: ٥٧.

(٣). التوبة: ٦١.

ص: ٩٦

بَغَيْرِ مَا اِكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَاِثْمًا مُّبِينًا «١».

٤٩- آية نازلة في الخليفة

أخرج الواحدى و الثعلبى من طريق ابن عباس و السدى و الكلبي و المسيب بن شريك، قالوا: نزل قوله تعالى فى سورة النجم (٣٣، ٣٤، ٣٥): (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى \* وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى \* «٢» \* أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى): نزلت فى عثمان رضى الله عنه كان يتصدق و ينفق فى الخير، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن أبى سرح: ما هذا الذى تصنع؟ يوشك أن لا يُبقى لك شيئاً. فقال عثمان: إن لى ذنوباً و خطايا و إننى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى و أرجو عفوهُ، فقال له عبد الله: أعطنى ناقتك برحلتها و أنا أتحمل عنك ذنوبك كلها. فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى). إلخ. فعاد عثمان إلى أحسن ذلك و أجمله.

و ذكره جمع من المفسرين، و فى تفسير النيسابورى: معنى تولى: ترك المركز يوم أحد.

راجع «٣»: أسباب النزول للواحدى (ص ٢٩٨)، تفسير القرطبي (١٧ / ١١١)، الكشاف (٣ / ١٤٦)، تفسير النيسابورى هامش الطبرى (٢٧ / ٥٠)، تفسير الشرييني (٤ / ١٢٨).

(١). الأحزاب: ٥٨.

(٢). قال ابن عباس و مجاهد و طاوس و قتادة و الضحاک: أكدي: انقطع فلا يعطى شيئاً. يقال: البئر أكدت. (المؤلف)

(٣). أسباب النزول: ص ٢٦٧، الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٧٣، الكشاف: ٤ / ٤٢٧، غرائب القرآن للنيسابورى: ٦ / ٢٠٩، السراج المنير: ٤ / ١٣٤.

ص: ٩٧

قال الأميني: لا غرابة من ابن أبي سرح و قد تشاقلت أحواله يوم كفره و إسلامه و ردّته و زلفته من عثمان على عهد خلافته إن لهج بهذه السخافة التي لا تلائم أيّاً من نواميس العدل، و لكن إن تعجب فعجب قبول عثمان تلکم الخرافة منه، و منحه إيّاه ناقته برحلهما على أن يحمل عنه ذنوبه (وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) «١». و إشهداه عليه و إمساكه عن الصدقات، و حسابانه أن ما قاله ذلك الساخر كائن لا محالة، كأن بيد ابن أبي سرح أزمة الحساب، و عنده مقاليد يوم القيامة، و هو الخبير بما يكون فيه، فأنبأه بأن ذنوبه مُحيت بتلك المبادلة، أو أن عثمان نفسه كان يعلم الغيب، فهو يرى أن ما يقوله حميمه حق، و كأنه نسي قوله تعالى: (وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ\* وَ لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْتَقَالَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) «٢». و قوله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَ لَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا) «٣». و قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ\* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) «٤». و قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) «٥». (وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) «٦». (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) «٧». (وَ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ) «٨» إلى آي كثيرة من أمثالها، و هي كلّها تقرّر حكم العقل بقبح أخذ أيّ أحد بجريمة غيره.

(١). الأنعام: ١٦٤.

(٢). العنكبوت: ١٢، ١٣.

(٣). النساء: ١٢٣.

(٤). الزلزلة: ٧، ٨.

(٥). المدثر: ٣٨.

(٦). النساء: ١١١.

(٧). غافر: ١٧.

(٨). الجاثية: ٢٢.

ص: ٩٨

و العدل يحكم بأن ابن أبي سرح و هو مثال المآثم و المخازي إن حُمِلَ إثمًا من جرّاء قولته هذه فإنّما هو جرّأته على الله تعالى و تصغيره عظمة نيران القسط الإلهي و نهيته عن الصدقة لا ما سبق لعثمان اقترافه من السيئات، لكن هلمّ معي إلى ضئولة عقل من يصدّق تلکم المهزأة، و يرتّب عليها آثاراً عمليّة حتى ندّد به الذكر الحكيم.

وهب أنا غاضبنا الراوى على عود الرجل إلى ما كان بعد نزول الآية الكريمة، لكن ذلك لا يُجديه نفعاً يُزيح عنه وصمة ضعف الرأى و قوّة الرعونة فيه، نعم؛ كان يُجديه لو لم يعبأ بتلكم الضلالة، أو أنّه عدل عنها بقوّة التفكير لا بتوبيخ الوحي الإلهى، وليته لم يعدل فإنّه عدل إلى ما عرفت من سيرته فى الصدقات، و جاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع.

٥٠- الخليفة لا يعرف المخلص من النار

أخرج ابن عساکر فى تاريخه «١» (٥٨ / ٢) من طريق أحمد بن محمد، أبى على بن مكحول البيروتى قال: مرّ عمر على عثمان بن عفّان فسلم عليه، فلم يردّ عليه السلام، فجاء عمر إلى أبى بكر الصديق فقال: يا خليفة رسول الله ألا أخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله؟ قال: و ما هي؟ قال: مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يردّ علىّ السلام. فقال أبو بكر: أ و كان ذلك؟ قال: نعم. فأخذ بيده و جاء إلى عثمان فسلماً عليه، فردّ عليهما السلام فقال أبو بكر: جاءك عمر فسلم عليك فلم تردّ عليه؟ فقال: و الله يا خليفة رسول الله ما رأيته. قال: و فى أىّ شىء كانت فكرتك؟ قال: كنت مفكراً فى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فارقتاه و لم نسأله كيف الخلاص و المخلص من النار؟ فقال أبو بكر: و الله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأخبرنى، فقال عثمان: ففرّج عنّا،

قال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: تمسّكوا بالعروة الوثقى: قول لا إله إلا الله.

(١). تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٧ / ٥ رقم ١٦٤، و فى مختصر تاريخ دمشق: ٢٦٨ / ٣.

ص: ٩٩

قال الأمينى: أ كان فى أذن الرجل وقر على عهد النبوة عمّا كان يتهالك دونه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يهتف به آناء الليل و أطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربّه من الإشادة بكلمة التوحيد، و أنّ الإخلاص بها هو المنقذ الفذّ، و السبب الوحيد للنجاة من الهلكة التى من ورائها النار، و أنّ (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) «١». (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) «٢». (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) «٣». (وَ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَا وَاهُ النَّارُ) «٤».

أ لم يك يسمع

نداءه صلى الله عليه و آله و سلم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» «٥»؟

و قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله، و أنّ محمداً رسول الله، حرّم الله عليه النار».

و قوله: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة».

وقوله: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار».

وقوله: «إنني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله».

إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذرى فى الترغيب و الترهيب «٤» (٢/ ١٦٠ - ١٦٤).

(١). لقمان: ٢٢.

(٢). البقرة: ٢٥٦.

(٣). البقرة: ٨٢.

(٤). المائدة: ٧٢.

(٥). تاريخ البخارى: ج ٤ / القسم الثانى / ص ١٤ [مج ٨ / ١٤ رقم ١٩٧٧]. (المؤلف)

(٦). الترغيب و الترهيب: ٢ / ٤١٢ - ٤١٦.

ص: ١٠٠

أو أن الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبية، لكنّه لا يعيرها أذنًا واعية فَنسيها؟ فإن كان لم يع هذه وهى أساس الدعوة فما الذى وعاه؟ وما الذى تعقله من نبيّ جاء و ذهب و لم يعرف ما هو المخلص من النار؟ و لم يبعث إلا لانتشال أمته منها، و فى يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء، و أىّ نبيّ كان يحسبه عثمان، نبيّ العظمة؟ و على أىّ أساس علا صُروح إسلامه؟ و أىّ مسلم هذا يدرك أيام دعوة نبيّه كلّها ثمّ يدركه صلى الله عليه و آله و سلم الموت و لم يعرف المسكين بعدُ ما ينجيه من النار؟ نعم؛ لم يألُ نبيّ الإسلام فى تنوير سبل السلام، و إنقاذ البشر من النار، فما ذا عليه إن لم تصادفه نفس صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها؟

٥١- ترك الخليفة التكبير فى كلّ خفض و رفع

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال: صلّيت خلف علىّ صلاة ذكرّنى صلاة صلّيتها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الخليفين، قال: فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبر كلّما سجد و كلّما رفع رأسه من الركوع فقلت: يا أبا نجيد من أوّل من تركه؟ قال: عثمان رضى الله عنه حين كبر و ضعف صوته تركه «١».

قال الأمينى: سيوافيك البحث الضافى فى الجزء العاشر إن شاء الله تعالى حول التكبير فى الصلاة عند كلّ رفع و خفض و أنّها سنّة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تسالمت عليها الأمة، و عمل بها الصحابة، و استقرّ عليها إجماع أئمة

المذاهب، و هذا الحديث يعطينا خبراً بأنَّ أوَّل من تركها هو عثمان و تبعه معاوية و بنو أمية، و ما زال الناس على هذا المزن و تمرنت عليه الأمة طوعاً أو كرهاً حتى ضاعت السنّة الثابتة و نُسييت، و كان من جاء بها يُعدّ أحقّ كأنه ارتكب أمراً شاذّاً عن الشرع المقدّس، و التبعة في ذلك

---

(١). مسند أحمد: ٤/ ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤٤ [٥/ ٥٩٠ ح ١٩٣٣٩ و ٥٩٣ ح ١٩٣٥٩ و ٥٩٧ ح ١٩٣٨٠ و ٦٠٩ ح ١٩٤٥٠ و ٦١٦ ح ١٩٤٩٣]. (المؤلف)

ص: ١٠١

كلّه على الخليفة البادي بترك سنّة الله التي لا تبديل لها. قال الزرقاني في شرح الموطأ «١» (١/ ١٤٥): و لأحمد «٢» عن عمران: أوَّل من ترك التكبير عثمان حين كبر، و للطبري عن أبي هريرة: أوَّل من تركه معاوية. و لأبي عبيد: أوَّل من تركه زياد. و لا ينافي ما قبله لأنَّ زياداً تركه بترك معاوية، و كأنه تركه بترك عثمان و قد حمّله جماعة من العلماء على الإخفاء. انتهى.

و تبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء ياباه صريح لفظ: ترك، و إنّما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهوى و الانتصاب لا عن جهره به، و السائل إنّما يسأله عن أوَّل من تركه لا عمّن خافت به أوَّلًا، و يزيّفه ما يأتي عن ابن حجر «٣» و الشوكاني «٤» و غيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني: كان معاوية تركه بترك عثمان. و لم يؤثر عن معاوية غير الترك و التنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص، و قد اتّبع أثر عثمان في أحدوثته في الملتقى.

نتاج البحث:

هذه نبذ قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كسحاً عن ذكر مهمّات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلقل، الطافح بالفتن، المفعم بالهناث «٥»، و قد عرفناه جانباً بستر تلکم الحقائق، جنوحاً إلى العاطفة، سائراً مع الميول، و التاريخ حرّ يجب أن يمضى مع الواقع و أن لا يلويه مع القصد تعصب لأحد أو تحييز إلى فئة، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم، فطفقوا يُحرّفون الكلم عن مواضعه،

---

(١). شرح الموطأ: ١/ ١٥٩ ح ١٦٣.

(٢). مسند أحمد: ٥/ ٥٩٧ ح ١٩٣٨٠.

(٣). فتح الباري: ٢/ ٢٧٠.

(٤). نيل الأوطار: ٢/ ٢٦٨.

(٥). الهنايب: الدواهي، واحدها هنبئة.

ص: ١٠٢

و يُثبتون ما يوافق هواهم، و يدعون ما لا يروقهم.

قال الطبري في تاريخه «١» (٥ / ١٠٨): إن الواقدي ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان و نزولهم ذا خُشب أموراً كثيرة، منها ما تقدّم ذكره، و منها ما أعرضت عن ذكره كراهة منّي ذكره لبشاعته.

و قال «٢» في (٥ / ١١٣): قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه أنّهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الإعراض عنها.

و قال «٣» في (ص ٢٣٢): إن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لَمَّا وُلّي؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يتحمّل سماعها العامّة.

و مرّ في (٨ / ٣٠٦) في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام و عثمان قول الواقدي «٤»: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره و أجابه عليّ بمثله.

و قال ابن الأثير في الكامل «٥» (٣ / ٧٠): قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعل دعوت إلى ذلك.

و قال ابن كثير في البداية و النهاية «٦» (٧ / ١٦٦): و في هذه السنة - يعني (٣٣) - سيّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام، و إلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضى الله عنه، فكان هؤلاء ممّن يؤلّب عليه و يُمالئ الأعداء في الحطّ و الكلام فيه، و هم الظالمون في ذلك، و هو البارّ الراشد رضى الله عنه.

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٥٦ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٦٥ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٥٥٧ / ٤ حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٤). أنظر شرح نهج البلاغة: ٢٥٩ / ٨ خطبة ١٣٠.

(٥). الكامل في التاريخ: ٢٨٦ / ٢ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٦). البداية و النهاية: ١٨٦ / ٧ حوادث سنة ٣٣ هـ.

وقال «١» في (ص ١٧٧): جرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان. ثم ذكر من الأمور ما راقه و يلائم ذوقه و لم يذكر إلا سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيء منها.

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون (١ / ٥): أمّا نحن فلا يُطلب منّا أن نبدي رأينا في عثمان، فهو صحابيٌّ عظيم و له أثره الخالد في جمع القرآن و غير القرآن و له دينه السمح الذي لا تشوبه شائبة، و ما كان الدين ليحتّم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التقشّف و الزهد، و لا يُطلب منّا أن نتبت ضعف الحكومة العثمانيّة، و إنّما يُطلب منّا أن نسرد الحوادث بإيجاز، و لنا في تسلسل هذه الحوادث و دراستها و تقييد آثارها ما قد سمح لنا بالتعرّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا فيما بعد. انتهى.

ثمّ ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان، فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به ابن الأثير من رواية الطبري، عن السريّ الكذاب، عن شعيب المجهول، عن سيف المتروك الساقط المتّهم بالزندقة أو عن أناس آخرين أمثال هؤلاء.

أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلّفة قديماً و حديثاً، فإنّها ألّفت بيد أئمة على ودائع العلم و الدين، و لعلّ في المذكور في كتابنا هذا و هو قليل من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيات الخليفة من شتى نواحيه، و مبلغه من العلم، و مقداره من التقوى، و مداه من الرأى، و مآثره من ناحية ملكاته، و قد عرف كلّ ذلك من عاصره و عاشره، فكانت كلمتهم في حقّه واحدة، و رأيهم فيه فذاً، و أعمالهم معه كلّ يشبه الآخر، و نحن نذكر لك نماذج ممّا لفظ به من قول و عمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجائع و الفظائع فدونها:

---

(١). البداية و النهاية: ٧ / ١٩٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

#### الاحاديث في حق عثمان بن عفان

١- حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه

-١

من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني، و أنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، و جزعتم فأسأتم الجزع، و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع» «١».

قال ابن أبي الحديد فى الشرح «٢» (١ / ١٥٨): قوله: غير أن من نصره؛ معناه أن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأن الذين نصره كان أكثرهم فساقاً، كمروان بن الحكم و أضرابه، و خذله المهاجرون و الأنصار.

-٢-

من كلام له عليه السلام قاله لابن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام:

«يا بن عباس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلنى جملاً ناضحاً بالغرب» «٣» أقبل و أدبر، بعث إلى أن أخرج، ثم بعث إلى أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إلى أن أخرج، و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً» «٤».

-٣-

أخرج البلاذرى فى الأنساب «٥» (٥ / ٩٨) من طريق أبى خلدة أنه سمع علياً رضى الله عنه يقول و هو يخطب فذكر عثمان، فقال: «و الله الذى لا إله إلّا هو ما قتلته،

---

(١). نهج البلاغة: ١ / ٧٦ [ص ٧٣ خطبة ٣٠]. (المؤلف)

(٢). شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٢٨ خطبة ٣٠.

(٣). الناضح: البعير يستقى عليه. الغرب: الدلو العظيمة. (المؤلف)

(٤). نهج البلاغة: ١ / ٤٦٨ [ص ٣٥٨ خطبة ٢٤٠]. (المؤلف)

(٥). أنساب الأشراف: ٦ / ٢٢١.

ص: ١٠٥

و لا مالات على قتله، و لا ساءنى».

-٤-

أخرج ابن سعد «٦» من طريق عمّار بن ياسر قال: رأيت علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين قُتل عثمان و هو يقول: «ما أحببت قتله و لا كرهته، و لا أمرت به و لا نهيت عنه».



الأنساب للبلاذرى «٧» (٥ / ١٠١).

و أوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الإمام عليه السلام بأبيات له، ألا و هي:

و ما فى علىّ لمستعتبٍ  
مقالٌ سوى ضمّه المحدثينا  
و إيناره اليوم أهل الذنوب  
و رفع القصاص عن القاتلينا  
إذا سيل عنه هذا «٨» شبهةً «٩»  
و عمى الجواب على السائلينا  
فليس براضٍ و لا ساخطٍ  
و لا فى التُّهامةِ و لا الآمرينا  
و لا هو ساءٌ و لا سرّه  
و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا «١٠»

قال ابن أبى الحديد بعد ذكر الأبيات: ما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين فى عثمان يجرى هذا المجرى نحو

قوله: «ما سرّنى و لا ساءنى»

، و قيل له: أراضيت بقتله؟ فقال: «لم أرض»؛ فقيل له: أسخطت قتله؟ فقال: «لم أسخط».

و قوله تارة: «اللّه قتله و أنا معه».

و قوله تارة أخرى: «ما قتلت

---

(٦). الطبقات الكبرى: ٨٢ / ٣.

(٧). أنساب الأشراف: ٢٢٤ / ٦.

(٨). فى وقعة صفين: حدا.

(٩). فى العقد الفريد: زوى وجهه. (المؤلف)

(١٠). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٦٣ [ص ٥٧]، العقد الفريد: ٢ / ٢٦٧ [٤ / ١١١]، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ١٥٨ [٢ / ١٢٨

خطبة ٣٠]. (المؤلف)

عثمان ولا مالأت في قتله».

وقوله تارة أخرى: «كنت رجلاً من المسلمين أوردت إذ أوردوا، وأصدرت إذ أصدروا»

. و لكل شيء من كلامه إذا صح عنه تأويل يعرفه أولو الألباب.

-٥-

أخرج أبو مخنف من طريق عبد الرحمن بن عبيد: إن معاوية بعث إلى علي: حبيب بن مسلمة الفهري و شرحبيل بن سمط و معن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه و أنا عنده. إلى أن قال بعد كلام حبيب و شرحبيل و ذكر جواب مولانا أمير المؤمنين: فقالا: أتشهد أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً؟ فقال لهما: «لا أقول ذلك». قالوا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء. ثم قاما فانصرفا، فقال علي: (فإنك لا تسمع الموتى و لا تسمع الدعاء إذا ولوا مديريين\* و ما أنت بهاد العُمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) «١١».

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٢٢٧) و اللفظ له، تاريخ الطبرى (٤/٦)، الكامل لابن الأثير (٣/١٢٥) «١٢».

-٦-

ذكر البلاذرى فى الأنساب «١٣» (٥/٤٤) فى حديث قول عليّ عليه السلام لعثمان: «يا عثمان إن الحق ثقيل مرىء، و إن الباطل خفيف و بىء، و إنك متى تصدق تسخط و متى تكذب ترض».

٧- كان عليّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن إليه، فلما أكثر عليه قال له: إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم، و نحن أعلم بما نعمل، فكفّ عنا، فلم يبعث عليّ ابنه فى شيء بعد ذلك.

و ذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج إلى عليّ

(١١). الروم: ٥٢-٥٣.

(١٢). وقعة صفين: ص ٢٠٠-٢٠٢، تاريخ الأمم و الملوك: ٥/٨ حوادث سنة ٣٧ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢/٣٦٩ حوادث سنة ٣٧ هـ.

(١٣). أنساب الأشراف: ١٥٦/٦.

يعوده في مرضه و مروان معه، فرآه ثقيلًا، فقال: أما والله لو لا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أريد أن أتكلّم به، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليّ أو أبغض، أ يوم حياتك؟ أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفًا، و يتخذك عضدًا، و لئن متّ لأفجعنّ بك، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاقّ، إن عاش عقّه، و إن مات فجعّه، فليتيك جعلت لنا من أمرك لنا علمًا نقف عليه و نعرفه، إمّا صديق مسالم، و إمّا عدوّ معاني، و لا تجعلني كالمختنق بين السماء و الأرض، لا يرقى بيد و لا يهبط برجل، أما والله لئن قتلتك لا أصيب منك خلفًا، و لئن قتلتنى لا تصيب منى خلفًا، و ما أحبّ أن أبقى بعدك. قال مروان: إي والله، و أخرى أنه لا ينال ما وراء ظهورنا حتى تكسرّ رماحنا، و تقطع سيوفنا، فما خير العيش بعد هذا؟ فضرب عثمان في صدره و قال: ما يدخلك في كلامنا؟ فقال عليّ: «إني و الله في شغل عن جوابكما و لكنني أقول كما قال أبو يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ)» (١).

العقد الفريد (٢/ ٢٧٤)، الإمامة و السياسة (١/ ٣٠) (٢).

-٨-

في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يجب به معاوية بن أبي سفيان قال: «و ذكرت إبطائي عن الخلفاء و حسدى إياهم و البغي عليهم، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون، و أمّا الكراهة لهم فو الله ما أعتذر للناس من ذلك، و ذكرت بغيي على عثمان و قطعي رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمت، و عمل به الناس ما قد بلغك، فقد علمت أنّي كنت من أمره في عزلة إلّا أن تجنّ فتجنّ ما شئت، و أمّا ذكرك قتلة عثمان و ما سألت من دفعهم إليك؛ فإنّي نظرت في هذا الأمر و ضربت أنفه و عينه فلم يسعني دفعهم إليك و لا إلى غيرك، و إن لم تنزع عن غيبيك لنعرفنك (٣) عمّا قليل يطلبونك

(١). يوسف: ١٨.

(٢). العقد الفريد: ٤/ ١٢٠، الإمامة و السياسة: ١/ ٣٦.

(٣). في العقد الفريد: لتعرفنهم.

ص: ١٠٨

و لا يكلفونك أن تطلبهم في سهل و لا جبل و لا برّ و لا بحر.

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ١٠٢)، العقد الفريد (٢/ ٢٦٨)، نهج البلاغة (٢/ ١٠)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٤٠٩) (٤).

-٩-

أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمد: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشياً عليه، فخرج رجل من حجاب عثمان و معه مصحف في يده و هو ينادى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) «٥» و دخل على بن أبي طالب على عثمان «٦» و هو مغشياً عليه و بنو أمية حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا: يا على أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين، أما و الله لئن بلغت الذي تريد لثمرن عليك الدنيا. فقام على مغضباً.

تاريخ الطبري (٥/ ١١٣)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٦٧) «٧».

-١٠-

ذكر ابن قتيبة في الإمامة و السياسة (١/ ٤٢) في حديث مسألة عمرو ابن العاص ركباً: فقال له عمرو: ما الخبر؟ قال: قتل عثمان، قال: فما فعل الناس؟ فقال: بايعوا علياً. قال: فما فعل علي في قتلة عثمان؟ قال: دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله، فقال: «ما أمرت و لا نهيت، و لا سرتي و لا ساءني». قال: فما فعل بقتلة عثمان؟ فقال: آوى و لم يرض، و قد قال له مروان: إن لا تكن أمرت فقد توليت

(٤). وقعة صفين: ص ٩٠، العقد الفريد: ٤/ ١٣٨، نهج البلاغة: ص ٣٦٨ خطبة ٩، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٧٨ كتاب ٩.

(٥). الأنعام: ١٥٩.

(٦). تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٣٦٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٨٢ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٧). الإمامة و السياسة: ١/ ٤٨.

ص: ١٠٩

الأمر، و إن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين، فقال عمرو بن العاص: خلط و الله أبو الحسن.

-١١-

روى الأعمش، عن الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت علياً عليه السلام على منبر الكوفة و هو يقول: «يا أبناء المهاجرين انفروا إلى أمة الكفر، و بقية الأحزاب، و أولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فو الله الذي فلق الحبة، و برأ النسمة؛ إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً» «١».

قال الأميني: طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس «٢» بن أبي حازم و قال: هو الذي روى حديث: إنكم لترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، و قد طعن مشايخنا المتكلمون فيه و قالوا: إنه فاسق و لا تُقبل روايته.

لأنه قال: إنني سمعت عليًا يخطب على منبر الكوفة و يقول: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب»

فأبغضته و دخل بغضه في قلبي، و من يبغض عليًا عليه السلام لا تقبل روايته. ثمّ حمله على فرض الصحّة على إرادة معاوية من قوله: حمّال الخطايا فقال: لأنّهم يحامون عن دمه، و من حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه. انتهى.

ألا مسائل الرجل عن أنّ رواية حديث الرؤية أىّ منقصة و حزازة فيها و قد أخرجها «٣» البخارى و مسلم فى صحيحهما، و أحمد فى مسنده؟ فهل طعن أحد فى أولئك الأئمة لروايتهم إيّاها؟.

ثمّ لو كان من أبغض عليًا عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية - كما هو الحقّ - فما

---

(١). شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٧٩ [٢ / ١٩٤ خطبة ٣٤]. (المؤلف)

(٢). من رجال الصحيحين: البخارى و مسلم. (المؤلف)

(٣). صحيح البخارى: ٤ / ١٦٧١ ح ٤٣٠٥، صحيح مسلم: ١ / ٢١٣ ح ٢٩٩ كتاب الإيمان، مسند أحمد: ٥ / ٤٨٢ ح ١٨٧٠٨.

ص: ١١٠

قيمة الصحاح عندئذٍ فى سوق الاعتبار؟ و ما أكثر ما فيها من الرواية عن مناوئى أمير المؤمنين و منهم نفس الرجل - قيس بن أبى حازم - فقد أخرج أئمة الصحاح أحاديث من طريقه و هو من رجالهم.

على أنّ علماء الفنّ من القوم مع قولهم بأنّه كان يحمل على علىّ نصوّاً على ثقة الرجل، و قالوا: متقن الرواية، و الحديث عنه من أصحّ الإسناد، و قال ابن خراش: كوفىّ جليل، و قال ابن معين «١»: ثقة. و ذكره ابن حبان فى الثقات «٢»، و قال ابن حجر: أجمعوا على الذهبى الاحتجاج به و من تكلم فيه فقد آذى نفسه.

راجع: تهذيب التهذيب «٣» (٨ / ٣٨٦).

و أمّا تأويل: «حمّال الخطايا» بإرادة معاوية منه، فمن التافه البعيد عن سياق العربيّة نظير تأويل معاوية الحديث الوارد فى عمّار من

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «تقتلك الفئة الباغية».

كان مولانا أمير المؤمنين يخطب و يلوم الناس على تشبيطهم و تقاعدهم و يستنفرهم إلى أهل الشام، فقال له الأشعث بن قيس: هلاً فعلت فعل ابن عفان؟ فقال له: «إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له و لا وثيقة معه، إن امرأً أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفرى جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، أنت فكن ذاك إن أحببت، فأما أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة الفصل...» «٤».

من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر:

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصى في أرضه

(١). التاريخ: ٣ / ٤٣١ رقم ٢١١٦.

(٢). التفات: ٥ / ٣٠٧.

(٣). تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٤٦.

(٤). شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٧٨ [٢ / ١٩١ خطبة ٣٤]. (المؤلف)

ص: ١١١

و ذهب بحقه، ف ضرب الجور سراقه على البرّ و الفاجر، و المقيم و الطاعن، فلا معروف يُستراح إليه، و لا منكر يُتناهى عنه» «٥».

قال ابن أبي الحديد في شرحه «٦» (٤ / ٥٨): هذا الفصل يشكل على تأويله؛ لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، و إذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا لله حين عُصى في الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر. ثم تأوله بما رآه تعسفاً، و التعسف لا يغني عن الحق شيئاً و لا تتم به الحجّة.

هب ابن أبي الحديد تعسف هاهنا و تأول، فما يصنع ببقية كلمات مولانا أمير المؤمنين و كلمات سائر الصحابة لدة هذه الكلمة و هي تربو على مئات؟ فهل يسعنا أن نكون متعسفين في كل ذلك؟ سل عنه خبيراً.

من كلام لأمير المؤمنين قاله لعثمان لما اجتمع الناس إليه و شكوا إليه ما تقومه على عثمان فدخل عليه السلام عليه فقال:

«إنَّ الناس ورائي و قد استفسروني بينك و بينهم، و والله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، و لا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، و لا خلونا بشيء فنبلِّغكه و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا و صحبت رسول الله كما صحبتنا، و ما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطَّاب بأولى بعمل الحق منك، و أنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شبيجة رحم منهما، و قد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنك و الله ما تُبصِّر من عمي، و لا تُعلم من جهل، و إنَّ الطرق لواضحة، و إنَّ أعلام الدين لقاومة، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدى و هدى، فأقام سنَّة معلومة، و أمات بدعة مجهولة، و إنَّ السنن لثيرة لها

(٥). تاريخ الطبري: ٥٥ / ٦ [٥ / ٩٦ حوادث سنة ٣٨ هـ]، نهج البلاغة: ٢ / ٦٣ [ص ٢١٠ خطبة ٣٨]، شرح ابن أبي الحديد: ٢ / ٢٩ [٦ / ٧٧ خطبة ٣٨]. (المؤلف)

(٦). شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٥٦ كتاب ٣٨.

ص: ١١٢

أعلام، و إنَّ البدع لظاهرة لها أعلام، و إنَّ شرَّ الناس عند الله إمام جائر، ضلَّ و ضلَّ به، فأمات سنَّة مأخوذة، و أحيا بدعةً متروكة، و إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحي ثم يرتبط في قعرها، و إنني أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يُقال: يُقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة، و يُلبس أمورها عليها، و يُثبَّت الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجاً، و يمرجون فيها مرجاً، فلا تكونن لمروان سبيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال «٧» السن و تقضى العمر». فقال له عثمان: كَلِم الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله و وصول أمرك إليه» «٨».

تاريخ الطبري (٥ / ٩٦)، الأنساب للبلاذري (٥ / ٦٠)، نهج البلاغة (١ / ٣٠٣)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٦٣)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٦٨) «٩».

-١٥

أخرج ابن السمان من طريق عطاء: إنَّ عثمان دعا علياً فقال: يا أبا الحسن إنك لو شئت لاستقامت على هذه الأمة فلم يخالفني واحد. فقال علي: «لو كانت لي أموال الدنيا و زخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكف الناس؛ و لكنني سأدلك على أمر هو أفضل ممَّا سألتني: تعمل بعمل أخويك أبي بكر و عمر، و أنا لك بالناس لا يخالفك أحد».

(٧). الجلال: العظيم.

(٨). سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه إياها مرة بعد أخرى. (المؤلف)

(٩). تاريخ الأمم والملوك: ٣٣٧ / ٤ حوادث سنة ٣٤ هـ، نهج البلاغة: ص ٢٣٤ خطبة ١٦٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٧٥ حوادث سنة ٣٤ هـ، أنساب الأشراف: ١٧٥ / ٦، البداية والنهاية: ١٨٨ / ٧ حوادث سنة ٣٤ هـ.

ص: ١١٣

الرياض النضرة «١» (٢ / ١٢٩).

-١٦-

من الخطبة الشقشقية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قوله: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن أنتكت فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته».

مرّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع (ص ٨٢ - ٨٥).

١٧- قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد «٢» (٢ / ٢٦٧): قال حسّان بن ثابت لعلّي: إنك تقول: ما قتلت عثمان و لكن خذلته، و لم آمر به و لكن لم أنه عنه، فالخاذل شريك القاتل، و الساكت شريك القاتل.

١٨- أخرج البلاذري في الأنساب «٣» (٥ / ١٣) من طريق عبد الله بن عباس قال: إن عثمان شكّا عليّاً إلى العباس فقال له: يا خال إن عليّاً قد قطع رحمي، و آلب الناس ابنك، و الله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقرتم هذا الأمر في أيدي بني تميم و عدى فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه و لا تحسدوهم عليه. قال عبد الله بن العباس: فأطرق أبي طويلاً ثمّ قال: يا ابن أخت لئن كنت لا تحمد عليّاً فما يُحمدك له، و إن حقّك في القرابة و الإمامة للحقّ الذي لا يُدفع و لا يُجحد، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما، و كان ذلك أوصل و أجمل، قال: قد صيرت الأمر في ذلك إليك فقرب الأمر بيننا. قال: فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه، فما لبنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه، فلمّا رجع قال: يا خال أحبّ أن تؤخّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليّ حتى أرى من رأبي، فخرج أبي من عنده ثمّ

(١). الرياض النضرة: ٣ / ٦٢.

(٢). العقد الفريد: ٤ / ١١١.

(٣). أنساب الأشراف: ٦ / ١١٦.



التفت إليّ فقال: يا بنيّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء، ثمّ قال: اللهمّ أسبق بي الفتن و لا تُبقني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه. فما كانت جمعة حتى هلك.

-١٩

أخرج البلاذري في الأنساب «١» (١٤ / ٥) من طريق صهيب مولى العباس: إنّ العباس قال لعثمان: أذكرك الله في أمر ابن عمّك و ابن خالك و صهرك و صاحبك مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به و بأصحابه، فقال: أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفّعتك، أنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلّا دونه و لكنّه أبى إلّا رأيّه، ثمّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان، فقال عليّ: «لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت».

-٢٠

من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: «أما بعد: فو الله ما قتل ابن عمّك غيرك، و إنني لأرجو أن أحقك به على مثل ذنبه و أعظم من خطيئته».

العقد الفريد «٢» (٢ / ٢٢٣)

، و في طبعة (ص ٢٨٥).

و لا تنس في الختام قول حسّان بن ثابت:

صبراً جميلاً بنى الأحرار لا تهنوا	قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
يا ليت شعري و ليت الطير تُخبرني	ما كان شأنُ عليّ و ابنِ عفّانا
لتسمعنَّ وشيكاً في دياركمُ	اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثماننا «٣»

قال الأُميني: يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث أنّ الإمام عليه السلام ما كان يرى الخليفة إمام عدل يسوؤه قتله، أو يهّمه أمره، أو يُسخطه التجمهر عليه، بل كان يعتزل عن أمره و يخشى أن يكون آثماً إن دأب على الدفاع عنه، و لا يرى النائرين

(٢). العقد الفريد: ١٣٧ / ٤.

(٣). أنساب البلاذرى: ١٠٤ / ٥ [٢٢٨ / ٦]. (المؤلف)

ص: ١١٥

عليه متحويين في نهضتهم و إلاً لساءه ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى أهل مصر، أو يرى الخاذلين له خيراً ممن نصره و لو كان يراه إمام عدل، فأقلّ المراتب أن يقول: إن ناصره خير من خاذله. بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيّة فضلاً عن إمامها.

و حديث شكايه عثمان إلى عمّه العباس المتوفى سنة (٣٢) يعلمنا بأنّ الخلاف و التشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيام خلافته قبل وفاته بأعوام، و

قول أمير المؤمنين له: «لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت»

. فيه إيعاز إلى أن إنكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك، و ما كان يرضى بشقّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره، و إنّما كان للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لم يك يري لنفسه بُداً من ذلك.

و لو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدرّية لانفتح عليك أبواب من رأى الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها، و يُعرب عن رأيه فيه ما مرّ في (٢٨٧ / ٨).

من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله: «ألا إن كلّ قطيعة أقطعها عثمان، و كلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال».

فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه و ردّه و قطعه و عطاؤه حجّة لا يتطرقّ إليها الردّ، و لكن ....

٢- حديث عائشة بنت أبي بكر أمّ المؤمنين

١- قال ابن سعد «١»: لما حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدّ القتال، و أرادت عائشة الحجّ و عثمان محصور، فأتاها مروان و زيد بن ثابت و عبد الرحمن بن

---

(١). الطبقات الكبرى: ٣٦ / ٥.

ص: ١١٦

عتاب فقالوا: يا أمّ المؤمنين لو أقمت فإنّ أمير المؤمنين على ما ترين محصور و مقامك ممّا يدفع الله به عنه. فقالت: قد حلبتُ ظهري، و عريتُ غرائري، و لست أقدر على المقام. فأعادوا عليها الكلام، فأعدت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان و هو يقول:

و حرّق قيسٌ علىّ البلا  
د حتى إذا استعرت أجذما»١

فقالت عائشة: أيها المتمثل علىّ بالأشعار وددتُ و الله أنّك و صاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً و أنّكما في البحر، و خرجت إلى مكة.

و في لفظ البلاذري «٢»: لمّا اشتدّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فأتيا عائشة و هي تريد الحجّ، فقالا لها: لو أقمتِ فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل: فقالت: قد قرنت ركابي و أوجبت الحجّ على نفسي، و و الله لا أفعل. فنهض مروان و صاحبه، و مروان يقول:

و حرّق قيسٌ علىّ البلا  
د حتى إذا اضطرت أجذما

فقالت عائشة: يا مروان وددت و الله أنّه في غرارة «٣» من غرائري هذه و أنّي طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر.

٢- مرّ عبد الله بن عباس بعائشة و قد ولّاه عثمان الموسم و هي بمنزل من منازل طريقها، فقالت: يا بن عباس، إنّ الله قد آتاك عقلاً و فهماً و بياناً فإيتاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية. أخرج البلاذري «٤».

---

(١). البيت للربيع بن زياد بن عبد الله العبسي، شاعر جاهلي. كان له اتصال بالنعمان بن المنذر، توفّي سنة (٣٠ قبل الهجرة). راجع لسان العرب: ٢ / ٢٢٤ و فيه: إذا اضطرت، الأعلام: ٣ / ١٤.

(٢). أنساب الأشراف: ٦ / ١٩٢.

(٣). الغرارة بكسر المعجمة: الجوالق [و هو وعاء من الأوعية معروف عند العرب]. (المؤلف)

(٤). أنساب الأشراف: ٦ / ١٩٣.

و فى لفظ الطبرى «١»: خرج ابن عباسَ فمرَّ بعائشة فى الصلصل «٢» فقالت: يا بن عباس أنشدك الله - فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً «٣» - أن تخذّل عن هذا الرجل و أن تشكّك فيه الناس؛ فقد بانت لهم بصائرهم و أنهجت و رفعت لهم المنار و تحلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ، و قد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتّخذ على بيوت الأموال و الخزائن مفاتيح، فإن يل يسرُ بسيرة ابن عمّه أبى بكر رضى الله عنه. قال: قلت: يا أمّه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: أيها عنك إنى لستُ أريد مكابرتك و لا مجادلتك. و حكاه ابن أبى الحديد عن تاريخ الطبرى فى شرح النهج «٤» غير أن فيه: فقالت: يا بن عباس أنشدك الله فإنك قد أعطيت فهماً و لساناً و عقلاً أن لا تخذّل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم فى عثمان، و أنهجت و رفعت لهم المناير و تجلّبوا من البلدان لأمر عظيم قد حمّ، و أن طلحة قد اتخذ رجالاً على بيوت الأموال، و أخذ مفاتيح الخزائن، و أظنّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبى بكر. الحديث.

٣- كانت عائشة و أمّ سلمة حجّتا ذلك العام - عام قتل عثمان - و كانت عائشة تؤلّب على عثمان، فلمّا بلغها أمره و هى بمكة أمرت بقبّتها فضربت فى المسجد الحرام، و قالت: إنى أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. رواه البلاذرى «٥».

٤- أخرج عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشى قال: خرجت عائشة و عثمان محصور، فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٠٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). صلصل بالضم و التكرير: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها [معجم البلدان: ٣ / ٤٢١]. (المؤلف)

(٣). الإزعيلى: الذلق.

(٤). شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٦ خطبة ١٧٥.

(٥). أنساب الأشراف: ٦ / ٢١٢.

ص: ١١٨

الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريين. قالت: إننا لله و إننا إليه راجعون أ يقتل قوماً جاءوا يطلبون الحقّ و ينكرون الظلم؟ و الله لا نرضى بهذا. ثمّ قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريون عثمان، قالت: العجب لأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل: أكذب من أخضر. و أخرجه الطبرى «١».

٥- مرّ في الجزء الثامن صفحة (١٢٣): أن الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما تجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأً إلّا بيت عائشة؟ فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل. الحديث فراجع.

٦- أسلفنا في هذا الجزء صفحة (١٦) في مواقف عمّار: إنّ عائشة لما بلغها ما صنع عثمان بعمّار؛ غضبت وأخرجت شعراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ثوباً من ثيابه و نعلًا من نعاله، ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول. الحديث.

و قال أبو الفداء: كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه، و كانت تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و شعره و تقول: هذا قميصه و شعره لم يبيل و قد بلى دينه.

-٧

و في كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه لما قارب البصرة إلى طلحة و الزبير و عائشة: «و أنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله و لرسوله تطليبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنك تريدان الإصلاح بين المسلمين، فخبّريني ما للنساء و قود الجيوش و البروز للرجال، و الوقوع بين أهل القبلة و سفك الدماء المحرّمة؟ ثمّ إنك طلبت على زعمك دم عثمان، و ما أنت و ذاك؟ عثمان رجل من بني

---

(١). تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٤٩ حوادث سنة ٣٦ هـ.

ص: ١١٩

أميّة و أنت من تيم، ثمّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقتلوا نعلًا قتله الله فقد كفر، ثمّ تطليبين اليوم بدمه؟ فاتقى الله و ارجعي إلى بيتك، و اسبلي عليك سترك، و السلام» «٢».

٨- أخرج الطبري «٣» و ابن قتيبة «٤»: أنّ غلاماً من جهينة أقبل على محمد بن طلحة - يوم الجمل - و كان محمد رجلاً عابداً، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة اليهودج يعني عائشة، و ثلث على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة، و ثلث على علي بن أبي طالب. و ضحك الغلام و قال: ألا أراني على ضلال! و لحق بعليّ و قال في ذلك شعراً:

بجوف المدينة لم يُقبرِ

أما توا ابن عفان و استعبرِ

سألتُ ابنَ طلحةَ عن هالكِ

فقال ثلاثة رهطٍ همُ

و ثلثُ على رَاكبِ الأَحمرِ  
و نحن بدويّةِ قرقرِ  
و أخطأتَ في الثالثِ الأزهرِ

فثلثُ على تلكِ في خِدْرِهَا  
و ثلثُ على ابنِ أبي طالبِ  
فقلتُ صدقتَ على الأولينِ

٩- أخرج الطبري «٥» من طريقين: أن عائشة رضى الله عنها لما انتهت إلى سرف «٦» راجعةً في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أمّ كلاب و هو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمّه فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان رضى الله عنه فمكثوا ثمانية. قالت: ثم صنعوا ما ذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على عليّ

(٢). تذكرة الخواص: ص ٦٩.

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٦٥ حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٤). الإمامة و السياسة: ١ / ٦١.

(٥). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٥٨ حوادث سنة ٣٦ هـ، تذكرة الخواص: ص ٦٤.

(٦). سرف بالفتح ثم الكسر: موضع على ستة أميال من مكة [معجم البلدان: ٣ / ٢١٢]. (المؤلف)

ص: ١٢٠

ابن أبي طالب. فقالت: و الله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني. فانصرفت إلى مكة و هي تقول: قتل و الله عثمان مظلوماً، و الله لأطلبنّ بدمه. فقال لها ابن أمّ كلاب: و لم؟ فو الله إن أول من أماره حرفه لأنت، و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر «١». قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، و قد قلت و قالوا، و قولي الأخير خير من قولي الأول. فقال لها ابن أمّ كلاب «٢»:

و منكِ الرياحُ و منكِ المطرُ  
و قلتِ لنا: إنّه قد كفرُ  
و قاتله عندنا من أمرُ  
و لم ينكسف شمسنا و القمرُ

منكِ البداءُ و منكِ الغيرُ  
و أنتِ أمرتِ بقتل الإمامِ  
فهبنا أطعناكِ في قتله  
و لم يسقط السقفُ من فوقنا

و قد بايع الناس ذا تُدرأ «٣»

يزيل الشبا و يُقيم الصَّعْرُ

و يلبس الحرب أثوابها

و ما من و فى مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسَّرت و اجتمع إليها الناس فقالت: يا أيُّها الناس إنَّ عثمان رضى الله عنه قُتلَ مظلوماً و والله لأُطلبنَّ بدمه.

١٠- قال أبو عمر صاحب الاستيعاب «٤»: إنَّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين و ذكاء و فصاحة و دهاء، لمَّا قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس، فأبى أن يأتيها «٥»، ثمَّ أرسلت إليه فأتاها، فقالت: ويحك يا أحنف بهم

---

(١). فى لفظ ابن قتيبة [فى الإمامة و السياسة: ١ / ٥١]: فجر. (المؤلف)

(٢). فى لفظ ابن قتيبة [فى الإمامة و السياسة: ١ / ٥١]: عذر و الله ضعيف يا أمَّ المؤمنين. ثمَّ ذكر الأبيات. (المؤلف)

(٣). ذو تُدرأ: ذو عدَّة و قوَّة.

(٤). الاستيعاب: القسم الثانى / ٧١٦ رقم ١٢٠٩.

(٥). هذه العبارة حذفت من الطبعة الجديدة، و هى موجودة فى الاستيعاب المطبوع فى هامش الإصابة: ٢ / ١٩٢ فى ترجمة صخر بن قيس.

ص: ١٢١

تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه؟ أ من قلة عدد؟ أو أنك لا تطاع فى العشيرة؟ قال: يا أم المؤمنين ما كبرت السنَّ و لا طال العهد، و إنَّ عهدى بك عام أولَّ تقولين فيه و تنالين منه. قالت: ويحك يا أحنف إنَّهم ماصوه موص الإناء ثمَّ قتلوه. قال: يا أم المؤمنين إنى آخذ بأمرك و أنت راضية، و أدعه و أنت ساخطة.

١١- أخرج ابن عساكر «١» من طريق أبى [إدريس الخولانى أن أبا] مسلم [الخولانى]، قال لأهل الشام و هم ينالون من عائشة فى شأن عثمان: يا أهل الشام أضرب لكم مثلكم و مثل أمكم هذه: مثلها و مثلكم كمثل العين فى الرأس تؤذى صاحبها و لا يستطيع أن يعاقبها إلَّا بالذى هو خير لها.

١٢- قال ابن أبي الحديد «٢»: قال كلٌّ من صَنَّف في السير و الأخبار: إنَّ عائشة كانت من أشدَّ الناس على عثمان حتى أنَّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنصبتة في منزلها و كانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبيل و عثمان قد أبلى سنته.

قالوا: أوَّل من سمَّى عثمان نعتاً عائشة، و كانت تقول: اقتلوا نعتاً، قتل الله نعتاً.

١٣- روى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قُتل عثمان كانت عائشة بمكة و بلغ قتله إليها و هي بشراف فلم تشكَّ في أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت: بعداً لنعتل و سحفاً، إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يا ابن عم! لكأني أنظر إلى إصبعة و هو يُبَايع له، حثوا الإبل و دعدوها «٣».

قال: و قد كان طلحة حين قُتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال و أخذ نجائب

---

(١). تاريخ مدينة دمشق: ٢٧ / ٢٢١ رقم ٣٢١٣.

(٢). شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٥ خطبة ٧٩.

(٣). دعدع بالإبل: زجرها.

ص: ١٢٢

كانت لعثمان في داره ثمَّ فسد أمره فدفعها إلى عليِّ بن أبي طالب «١».

١٤- قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إنَّ عائشة لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة أقبلت مسرعة و هي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً، فلما انتهت إلى شراف «٢» استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟ قال: قُتل عثمان. قالت: ثمَّ ما ذا؟ قال: ثمَّ حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً. فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا، ويحك انظر ما ذا تقول. قال: هو ما قلت لك يا أمَّ المؤمنين، فولولت. فقال لها: ما شأنك يا أمَّ المؤمنين؟ و الله ما أعرف بين لابتيتها أحداً أولى بها منه و لا أحقَّ، و لا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلما ذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردَّت عليه جواباً.

و قد روى من طرق مختلفة: أنَّ عائشة لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة قالت: أبعد الله، ذلك بما قدّمت يداه و ما الله بظلام للعبيد «٣».

١٥- قال: و قد روى قيس بن أبي حازم: أنه حجَّ في العام الذي قُتل فيه عثمان و كان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع. و إذا ذكرت عثمان قالت: أبعد الله. حتى أتاهها خبر بيعة عليّ،



فقال: لوددت أن هذه وقعت على هذه. ثم أمرت بردّ ركائبها إلى مكة فرددت معها، و رأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفّان مظلوماً. فقلت لها: يا أمّ المؤمنين أ لم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله؟ و قد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه و أقبحهم فيه قولاً، فقلت: لقد كان ذلك و لكنى نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام

---

(١). شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٥ خطبة ٧٩.

(٢). راجع صفحة: ٢٣٦ من الجزء الثامن، و ٨٠ من هذا الجزء. (المؤلف)

(٣). شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٥ خطبة ٧٩.

ص: ١٢٣

فقتلوه «١».

١٦- قال: و روى من طرق أخرى: أنّها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله قتله ذنبه، و أقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع. فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت: تعسوا لا يردّون الأمر في تيمم أبداً.

كتب طلحة و الزبير إلى عائشة و هي بمكة كتباً أن خذلي الناس عن بيعة عليّ، و أظهرى الطلب بدم عثمان. و حملا الكتب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، فلما قرأت الكتب كاشفت و أظهرت الطلب بدم عثمان، و كانت أمّ سلمة بمكة في ذلك العام، فلما رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك و أظهرت موالة عليّ عليه السلام و نصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرتين «٢».

١٧- قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقلت لها: يا بنت أبي أمية أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أنت كبيرة أمّهات المؤمنين، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقسم لنا من بيتك، و كان جبريل أكثر ما يكون في منزلك. فقلت أمّ سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة! فقلت عائشة: إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، و قد عزمتم على الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا. فقلت: أنا أمّ سلمة، إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول، و ما كان اسمه عندك إلّا نعلماً، و إنك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٣». الحديث «٤».

---

(١). شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٦ خطبه ٧٩.

(٢). شرح نهج البلاغة: ٢١٦ / ٦ خطبه ٧٩.

(٣). شرح نهج البلاغة: ٢١٧ / ٦

(٤). فيه فوائد جمّة لا تفوت الباحث و عليه به. (المؤلف)

ص: ١٢٤

١٨- روى ابن عبد ربّه «١» عن العتبي قال: قال رجل من بنى ليث: لقيت الزبير قادمًا فقلت: يا أبا عبد الله ما بالك؟ قال: مطلوب مغلوب يغلبني ابني و يطلبني ذنبي، قال: فقدت المدينة فليقت سعد بن أبي وقاص فقلت: أبا إسحاق من قتل عثمان؟ قال: قتله سيف سلّته عائشة، و شحذه طلحة، و سمّه عليّ. قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده و صمت بلسانه.

و فى الإمامة و السياسة «٢»: كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان و من قتله و من تولى كبره، فكتب إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان، و إنى أخبرك أنه قُتل بسيف سلّته عائشة، و صقله طلحة، و سمّه ابن أبي طالب، و سكت الزبير و أشار بيده، و أمسكنا نحن و لو شئنا دفعناه عنه، و لكن عثمان غيّر و تغيّر و أحسن و أساء، فإن كنا أحسنًا فقد أحسنًا، و إن كنا أسوأ فنستغفر الله، و أخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله و بطلبه بذنبه، و طلحة لو يجد أن يشقّ بطنه من حبّ الإمارة لشقّه.

١٩- و قال ابن عبد ربّه: دخل المغيرة بن شعبة على عائشة، فقالت: يا أبا عبد الله لو رأيتنى يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجى حتى وصل بعضها إلى جلدى، قال لها المغيرة: وددت و الله أن بعضها كان قتلك، قالت: يرحمك الله و لم تقول هذا؟ قال: لعلها تكون كفارة فى سعيك على عثمان، قالت: أما و الله لئن قلت ذلك لما علم الله أنى أردت قتله، و لكن علم الله أنى أردت أن يُقاتل فقوتلت، و أردت أن يُرمى فرميت، و أردت أن يُعصى فعُصيت، و لو علم منى أنى أردت قتله لقتلت «٣».

٢٠- و روى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدرى قال: إن أناسًا كانوا عند

---

(١). العقد الفريد: ١١١ / ٤.

(٢). الإمامة و السياسة: ٤٨ / ١.

(٣). العقد الفريد: ١١١ / ٤.

ص: ١٢٥

فسطاط عائشة و أنا معهم بمكة فمرّ بنا عثمان فما بقى أحد من القوم إلّا لعنه غيرى، فكان فيهم رجل من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفى أجراً منه على غيره، فقال: يا كوفى أتشتمنى؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده، قال: فقيل له: عليك

بطلحة، قال: فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان: والله لأجلدنه مائة سوط. قال طلحة: والله لا تجلده مائة إلا أن يكون زانياً. قال: والله لأحرمه عطاءه. قال: الله يرزقه «١».

٢١- قال ابن الأثير والفيروزآبادي وابن منظور والزيدي: النعتل: الشيخ الأحمق، و نعتل: يهودى كان بالمدينة. قيل شبه به عثمان رضى الله عنه كما فى التبصير، و نعتل رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قال أبو عبيد: كان يشبه عثمان، و شاتمو عثمان يسمونه نعتلاً، و فى حديث عثمان أنه كان يخطب ذات يوم فقام رجل فنال منه فوذاه ابن سلام فاتّداً «٢»، فقال له رجل: لا يمتنعك مكان ابن سلام أن تسبّ نعتلاً فإنه من شيعته، و كان أعداء عثمان يسمونه نعتلاً، و فى حديث عائشة: اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً. تعنى عثمان، و كان هذا منها لما غاضبته و ذهبت إلى مكة، و فى حياة الحيوان: النعتل كجعفر: الذكر من الضباع و كان أعداء عثمان يسمونه نعتلاً «٣».

٢٢- روى البلاذرى فى الأنساب قال: خرجت عائشة رضى الله تعالى عنها باكية تقول: قتل عثمان رحمه الله. فقال لها عمّار بن ياسر: أنت بالأمس تحرضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه.

---

(١). العقد الفريد: ١١٨ / ٤.

(٢). وذاه فاتّداً: عابه و زجره فانزجر.

(٣). النهاية: ٨٠ / ٥، القاموس المحيط: ص ١٣٧٤، لسان العرب: ١٩٨ / ١٤، تاج العروس: ١٤١ / ٨، حياة الحيوان: ٣٤٥ / ٢.

ص: ١٢٦

راجع «١» طبقات ابن سعد (٥ / ٢٥) طبع ليدن، أنساب البلاذرى (٥ / ٧٠، ٧٥، ٩١)، الإمامة و السياسة (١ / ٤٣، ٤٤، ٥٧)، تاريخ الطبرى (٥ / ١٤٠، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٦)، العقد الفريد (٢ / ٢٤٧، ٢٧٢)، تاريخ ابن عساکر (٧ / ٣١٩)، الاستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس، تاريخ أبى الفداء (١ / ١٧٢)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٧٧، ٥٠٦)، تذكرة السبط (ص ٣٨، ٤٠)، نهاية ابن الأثير (٤ / ١٦٦)، أسد الغابة (٣ / ١٥)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٨٧)، القاموس (٤ / ٥٩)، حياة الحيوان (٢ / ٣٥٩)، السيرة الحلبية (٣ / ٣١٤)، لسان العرب (١٤ / ١٩٣)، تاج العروس (٨ / ١٤١).

قال الأمينى: هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظريّة عائشة فى عثمان، و أنّها لم تكن ترى له جدارة تسنّم ذلك العرش، و بالغت فى ذلك حتى ودّت إزالته عن مستوى الوجود. فأحبّت له أن يُلقى فى البحر و برجله رضى تجرّه إلى أعماقه، أو أنّه يُجعل فى غرارة من غرائرها و تشدّ عليه الحبال فيقذف فى عباب اليمّ فيرسب فيه من غير خروج، أو أن يودى به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملاء معرفة أهدواته.

و لذلك كانت تنير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ثوبه و نعله، و لم تبرح تؤلّب الملاء الدينى عليه و تحثهم على مقتته و تخذلّهم عن نصرته فى حضرها

(١). الطبقات الكبرى: ٣٦ / ٥، أنساب الأشراف: ١٨٧ / ٦ و ١٩٣ و ٢١٢، الإمامة والسياسة: ١ / ٤٧ و ٥١ و ٦١، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٤٠٧ و ٤٤٩ و ٤٥٨ و ٤٦٥ حوادث سنة ٣٦ هـ، العقد الفريد: ٤ / ١١١ و ١١٨، تاريخ مدينة دمشق: ٢٧ / ٢٢١ رقم ٣٢١٣، الاستيعاب: القسم الثاني / ٧١٦ رقم ١٢٠٩، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٥ خطبة ٧٩ و ١٠ / ٥ - ٩ خطبة ١٧٥، تذكرة الخواص: ص ٦١ و ٦٤ و ٦٩، النهاية: ٥ / ٨٠، أسد الغابة: ٣ / ١٤ رقم ٢٤٩١، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣١٣ حوادث سنة ٣٦ هـ، القاموس المحيط: ص ١٣٧٤، حياة الحيوان: ٢ / ٣٦٥، السيرة الحلبية: ٣ / ٢٨٦، لسان العرب: ١٤ / ١٩٨.

ص: ١٢٧

و سفرها، و إنّها لم تعدل عن تلکم النظرية حتى بعد ما أجهز على عثمان إلّا لما علمت من انفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره و تضمّر تقديمه منذ كانت تُرهب النقع على عثمان، و تهيج الأمة على قتله، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيمية مرة أخرى، و لعلها حجّت لبثّها تيك الدعاية في طريقها و عند مجتمع الحجيج بمكة، فكان يُسمع منها قولها في طلحة: إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يا ابن عم! لكنّي أنظر إلى إصبعه و هو يبّاع له، و قولها: إيه ذا الإصبع! لله أبوك، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً.

و قولها في عثمان: اقتلوا نعتاً قتله الله فقد كفر، و قولها لابن عباس: إيتاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية، و قولها بمكة: بعداً لنعنل و سحقاً، و قولها لما بلغها قتله: أبعد الله، ذلك بما قدّمت يداه و ما الله بظلام للعبيد.

لكنّها لما علمت أنّ خلافة الله الكبرى عادت علوية و استقرت في مقرّها الجدير بها - و لم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى - قلبت عليها ظهر المجنّ، فطفقت تقول: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، و أظهرت الأسف على قتل عثمان و رجعت إلى مكة بعد ما خرجت منها، و نهضت نائرة تطلب بدم عثمان لعلها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق، و إلّا فما هي من أولياء ذلك الدم، و قد وضع عنها قود العساكر و مباشرة الحروب، لأنّها امرأة خلقتها الله لخدورها، و قد نهيت كبقية نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم خاصّة عن التبرّج، و قد أنذرها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حذرّها عن خصوص واقعة الجمل، غير أنّها أعرضت عن ذلك كلّ لما ترجّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة، و تصاممت عن نبح كلاب الحوآب، و قد ذكره لها الصادق الأمين عند الإنذار و التحذير، و لم تنزل يقودها الأمل حتى قتل طلحة فألمت بها الخيبة، و غلب أمر الله و هي كارهة.

ص: ١٢٨

٣- حديث عبد الرحمن بن عوف

أحد العشرة المبشرة، شيخ الشورى، بدرى

أخرج البلاذري عن سعد، قال: لما توفي أبو ذر بالربذة تذاكر عليّ و عبد الرحمن بن عوف فعل عثمان، فقال عليّ: «هذا عملك». فقال عبد الرحمن: إذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني.

٢- قال أبو الفداء: لما أحدث عثمان رضى الله عنه ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه؛ روى أنه قيل لعبد الرحمن بن عوف: هذا كله فعلك. فقال: ما كنت أظنّ هذا به، لكن لله عليّ أن لا أكلّمه أبداً، و مات عبد الرحمن و هو مهاجر لعثمان، و دخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحول إلى الحائط و لم يكلمه.

٣- روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد، قال: ذكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذى مات فيه، فقال عبد الرحمن: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه. فبلغ ذلك عثمان، فبعث إلى بثر كان يُسقى منها نعم عبد الرحمن بن عوف فمنعه إيّاها، فقال عبد الرحمن: اللهم اجعل ماءها غوراً، فما وجدت فيها قطرة.

٤- عن عبد الله بن ثعلبة، قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان حلف ألا يكلم عثمان أبداً.

٥- عن سعد، قال: إن عبد الرحمن أوصى أن لا يصلّى عليه عثمان، فصلّى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص، و توفي سنة اثنتين و ثلاثين.

٦- قال ابن عبد ربّه: لما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمد، قيل لعبد الرحمن: هذا عملك. قال: ما ظننت هذا. ثم مضى و دخل عليه و عاتبه و قال: إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر

ص: ١٢٩

و عمر فخالفتهما، و حايبت أهل بيتك و أوطأتهم رقاب المسلمين. فقال: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله، و أنا أصل قرابتي في الله. قال عبد الرحمن: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً. فلم يكلمه أبداً حتى مات و هو مهاجر لعثمان، و دخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحول عنه إلى الحائط و لم يكلمه.

راجع «١»: أنساب البلاذري (٥/ ٥٧)، العقد الفريد (٢/ ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٢)، تاريخ أبي الفداء (١/ ١٦٦).

٧- أخرج الطبرى من طريق المسور بن مخرمة، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بنى الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخرمة و إلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذها، فقسمها عبد الرحمن في الناس و عثمان في الدار.

تاريخ الطبرى (٥/ ١١٣)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٧٠)، شرح ابن أبي الحديد (١/ ١٦٥) «٢».

٨- قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل: أستجيبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان و عبد الرحمن، فما ماتا إلّا متهاجرين متعادين. أرسل عبد الرحمن إلى عثمان يعاتبه. إلى أن قال: لما بنى عثمان قصره طمار الزوراء، و صنع طعاماً كثيراً،

و دعا الناس إليه، كان فيهم عبد الرحمن فلما نظر إلى البناء و الطعام قال: يا ابن عفان لقد صدقتنا عليك ما كنا نكدب فيك، و إنى أستعيز بالله من بيعتك، فغضب عثمان و قال: أخرجته عنى يا غلام، فأخرجوه و أمر الناس أن لا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلّا

---

(١). أنساب الأشراف: ١٧١ / ٦، ١٧٢، العقد الفريد: ١٠١ / ٤، ١١٨.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٦٥ / ٤ حوادث سنة ٣٥، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٨٦ حوادث سنة ٣٥، شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٤٩ خطبة ٣٠.

ص: ١٣٠

ابن عباس، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن و الفرائض، و مرض عبد الرحمن فعاده عثمان و كلمه فلم يكلمه حتى مات.

شرح ابن أبى الحديد «١» (١ / ٦٥، ٦٦).

قول العسكرى: أستجيب دعوة على؛ إشارة إلى ما

ورد من قوله عليه السلام يوم الشورى لعبد الرحمن بن عوف: «و الله ما فعلتها إلّا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم» «٢».

و منشم: امرأة عطارة من حمير، و كانت خزاعة و جرهم اذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، و كانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر منشم، فصار مثلاً «٣».

و قول عبد الرحمن: لقد صدقتنا عليك ما كنا نكدب فيك. إيعاز إلى

قول مولانا أمير المؤمنين يوم الشورى أيضاً: «أما إنى أعلم أنهم سيولون عثمان، و ليحدثن البدع و الأحداث، و لئن بقى لأذكرنك، و إن قتل أو مات ليتداولنها بنو أمية بينهم، و إن كنت حياً لتجدنى حيث تكرهون» «٤».

قال الشيخ محمد عبده فى شرح نهج البلاغة «٥» (١ / ٣٥): لما حدث فى عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار، و وجد عليه كبار الصحابة، روى أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يدىك. فقال: ما كنت أظن هذا به

---

(١). شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٦ خطبة ٣.

(٢). شرح ابن أبى الحديد: ١ / ٦٣ [١ / ١٨٨ خطبة ٣]. (المؤلف)

(٣). أنظر مجمع الأمثال: ١٩١ / ٢ رقم ٢٠٣٨.

(٤). شرح ابن أبي الحديد: ١ / ٦٤ [١ / ١٩٢ خطبة ٣]. (المؤلف)

(٥). شرح نهج البلاغة: ص ٨٨.

ص: ١٣١

و لكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً، ثمّ مات عبد الرحمن و هو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعود فتحوّل إلى الحائط لا يكلمه، و الله أعلم و الحكم لله يفعل ما يشاء.

و قال ابن قتيبة في المعارف «١» (ص ٢٣٩): كان عثمان بن عفان مهاجراً لعبد الرحمن بن عوف حتى ماتا.

قال الأميني: لا بدّ أن يُساءل هؤلاء عن أشياء، فيقال لهم: إن سيرة الشيخين التي بويح عثمان عليها هل كانت تطابق سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أو تخالفها؟ و على الأوّل فشرطها مستدرک، و لا شرط للخلافة إلّا مطابقتة كتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم و لا نقمة على تاركها إلّا بترك السنّة لا السيرة، فذكرها إلى جانب السنّة الشريفة كضمّ اللّاحجّة إلى الحجّة، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان، و على الثاني فإنّ من الواجب على كلّ مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله و بكتابه و رسوله و اليوم الآخر، فكان من حقّ المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنّة فحسب. و لهذا لم يقبل مولانا أمير المؤمنين لما ألقى إليه عبد الرحمن أمر البيعة على الشرط المذكور إلّا مطابقتة أمره للسنّة و الاجتهاد فيها «٢».

و ليت شعري إنّه لما شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا؟ و على فرض علمه يتوجّه عليه ما سطرناه على كلّ من الفرضين، و على تقدير عدم علمه و هو أبعد شيء يفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته، و كيف يناط أمر الدين و زعامته الكبرى بحقيقة مجهولة؟ و ما الفائدة في اشتراطه؟

---

(١). المعارف: ص ٥٥٠.

(٢). مسند أحمد: ١ / ٧٥ [١ / ١٢٠ ح ٥٥٨]، تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠ [٤ / ٢٣٨ حوادث سنة ٢٣]، تمهيد الباقلاني: ص ٢٠٩، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٤٦ [٧ / ١٦٥ حوادث سنة ٢٤]. (المؤلف)

ص: ١٣٢

و للباقلاني في التمهيد (ص ٢١٠) في بيان هذا الشرط وجه نُجِّل عنه ساحة كلّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله.

ثمّ تأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوّل وهلة، هل كان يعلم شيئاً ممّا قدّمناه من النسبة بين السنّة و السيرة أو لا؟ فهلّا شرط الأمر على تقدير الموافقة، و رفضه على فرض المخالفة. و إن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدرى ما هو؟

ثم هل كان يعلم يومئذ أنه يطبق على ذلك أو لا؟ أو كان يعلم أنه لا يطبقه؟ و على الأخير فكيف قبل ما لا يطبقه؟ و على الثانى كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم أنه يتسنى له أن ينوء به؟ و على الأول فلما ذا خالف ما اشترط عليه و قبله و وقعت البيعة عليه، و حصل القبول و الرضا من الأمة به؟ ثم جاء يعتذر لما أخذه ابن عوف بمخالفته إياها بأنه لا يطبق ذلك، فقال فيما أخرجه أحمد فى مسنده «١» (١/ ٦٨) من طريق شقيق: و أما قوله: إنى لم أترك سنة عمر، فإنى لا أطيقها و لا هو. و ذكره ابن كثير فى تاريخه «٢» (٧/ ٢٠٦).

و كيفما أُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظريّة عبد الرحمن بن عوف الأخيرة فى الخليفة، و هى من أوضح الحقائق لمن استشف ما ذكرناه من قوله له: إنى أستعيذ بالله من بيعتك. و قوله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفى. إلخ. مستحلاً قتاله، و قوله: عاجلوه قبل أن يتمادى فى ملكه. و قد بالغ فى الإنكار عليه و رأيه فى سقوطه أنه لم يره أهلاً للصلاة عليه و أوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير، و هجره و حلف أن لا يكلمه أبداً حتى أنه حوّل وجهه إلى الحائط لما جاء عائداً، و أنه كان لا يرى لتصرفاته نفوذاً و لذلك لما بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بنى الحكم أرسل إليها المسور بن مخرمة و عبد الرحمن بن الأسود

---

(١). مسند أحمد: ١/ ١٠٩ ح ٤٩٢.

(٢). البداية و النهاية: ٧/ ٢٣١ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ١٣٣

فأخذها فقسّمها عبد الرحمن فى الناس و عثمان فى الدار، و لهذه كلّها كان يراه عثمان منافقاً و يقذفه بالنفاق كما ذكره ابن حجر فى الصواعق «١» (ص ٦٨) و أجاب عنه متسالمًا عليه بأنه كان متوحّشاً منه لأنه كان يجهته كثيراً. إقرأ و اضحك. و ذكره الحلبي فى السيرة «٢» (٢/ ٨٧) فقال: أجاب عنه ابن حجر. و لم يذكر الجواب لعلمه بأنه أضحوكة.

و نسائل القوم بصورة أخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه: إن ما اشترط على عثمان و عقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء؟ أو كان لعثمان منتدح عنه بتركه؟ و على الأول فما وجه مخالفة الخليفة له؟ و لما ذا لم يقبله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و هو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و العارف بأحكامه و سننه و بصلاح الأمة منذ بدء أمرها إلى منصرمه، و هل يخلع الخليفة فى صورة المخالفة؟ فلما ذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لما أرادت الصحابة خلعه للمخالفة؟ أو أنه لا يُخلع؟ فلما ذا تجمهروا عليه فخلعوه و قتلوه؟ و هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم العدول كلّهم فى نظر القوم، و إن كان لا يجب الوفاء به فلما ذا لم يبايعوا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لما جابهم بعدم الالتزام بما لا يجب الوفاء به؟ و ما معنى اعتذار عبد الرحمن بن عوف فى تقديمه عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام بأنه قبل متابعة سيرة الشيخين و لم يقبلها علىّ عليه السلام؟ و لما ذا ألزموا عثمان به؟ و لما ذا التزم به عثمان؟ و لما ذا تمّت البيعة عليه؟ و لما ذا تجمهروا عليه لما شاهدوا منه المخالفة؟



(وَ لَيْسُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ) «٣»

(فَبِوَمَثَلِ الْيَنْفَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) «٤»

(١). الصواعق المحرقة: ص ١١٤.

(٢). السيرة الحلبية: ٧٨ / ٢.

(٣). العنكبوت: ١٣.

(٤). الروم: ٥٧.

ص: ١٣٤

٤- حديث طلحة بن عبيد الله

أحد العشرة المبشرة، وأحد الستة أصحاب الشورى

-١

من كلام لمولانا أمير المؤمنين في طلحة: «و الله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يُطالب بدمه لأنه مظنّته، و لم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر و يقع الشك، و والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالماً- كما كان يزعم- لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينازق ناصريه. و لئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنتهيين عنه و المعذّرين فيه. و لئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركد جانباً و يدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، و جاء بأمر لم يعرف بابه، و لم تسلم معاذيره» «١».

قال ابن أبي الحديد في الشرح «٢» (٥٠٦ / ٢): فإن قلت: يمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أولاً، ثم تبدل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أنّ قتله حرام، و أنّه يجب أن يقتصّ من قاتليه. قلت: لو اعترف بذلك لم يقسم علىّ عليه السلام هذا التقسيم؛ و إنّما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد، و هذا التقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه، و كذا كان حال طلحة؛ فإنّه لم يُنقل عنه أنّه قال: ندمت على ما فعلت بعثمان.

فإن قلت: كيف قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما فعل واحدة من الثلاث، و قد فعل واحدة منها، لأنه وازر قاتليه حيث كان محصوراً. قلت: مراده عليه السلام: أنّه إن كان عثمان

(١). نهج البلاغة: ١ / ٣٢٣ [ص ٢٤٩ خطبة ١٧٤]. (المؤلف)

(٢). شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٩ خطبة ١٧٥.

ص: ١٣٥

ظالمًا ووجب أن يوازر قاتليه بعد قتله، يحامى عنهم، و يمنعهم ممّن يروم دماءهم، و معلوم أنّه لم يفعل ذلك، و إنّما وازرهم و عثمان حيّ؛ و ذلك غير داخل في التقسيم. انتهى.

-٢-

أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر، قال: قال عليّ لطلحة - و عثمان محصور-: «أنشدك الله إلّا رددت الناس عن عثمان». قال: لا و الله حتى تعطي بنو أمية الحقّ من أنفسها «١».

تاريخ الطبري (٥ / ١٣٩)، شرح ابن أبي الحديد (١ / ١٦٨) فقال: فكان عليّ عليه السلام يقول: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل».

-٣-

أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد، قال: حدّثني عبد الله بن عباس ابن أبي ربيعة «٢» قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه، فتحدّثت عنده ساعة، فقال: يا ابن عباس تعال، فأخذ بيدي فأسمعني كلام من عليّ باب عثمان، فسمعنا كلاماً منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ و منهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، فبيننا أنا و هو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيد الله، فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقبل: ها هو ذا. قال: فجاءه ابن عديس، فواجه بشيء، ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل و لا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثمّ قال عثمان: اللهمّ اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنّه حمل عليّ هؤلاء و ألّ بهم، و الله إنني لأرجو أن يكون منها صفرًا و أن يُسفك دمه، إنّه انتهك مني ما لا يحلّ له، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلّا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم، أو

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٠٥ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٦١ خطبة ٣٠، ١٠ / ٥ خطبة ١٧٥.

(٢). في الطبعة المعتمدة: عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة.

ص: ١٣٦

رجل قتل نفساً بغير نفس». ففيم أقتل؟ قال: ثم رجع عثمان. قال ابن عباس: فأردت أن أخرج فممنوني حتى مرّ بي محمد بن أبي بكر فقال: خلّوه، فخلّوني.

تاريخ الطبري (٥/ ١٢٢)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٧٣) «٣».

٤- أخرج الطبري من طريق الحسن البصري: أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمئة ألف فحملها إليه، فقال طلحة: إن رجلاً تنسّق هذه عنه «٤» و في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزّ وجلّ لغرير بالله سبحانه، فبات و رسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسمها حتى أصبح، فأصبح و ما عنده منها درهم. قال الحسن: و جاء هاهنا يطلب الدينار و الدرهم. أو قال: الصفراء و البيضاء.

تاريخ الطبري (٥/ ١٣٩)، تاريخ ابن عساكر (٧/ ٨١) «٥».

٥- حكى ابن أبي الحديد «٦» عن الطبري: أن عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهياً مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. قال: فكان عثمان يقول و هو محصور: جزاء سينمار «٧».

و قال ابن أبي الحديد: كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه، و كان الزبير

---

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٧٨ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٩١ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤). في شرح ابن أبي الحديد [١٠ / ٥ خطبة ١٧٥]: عنده. (المؤلف)

(٥). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٠٥ حوادث سنة ٣٥ هـ، تاريخ مدينة دمشق: ٢٥ / ١٠١ رقم ٢٩٨٣، و في مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٢٠١.

(٦). شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٥ خطبة ١٧٥.

(٧). هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه: ٥ / ١٣٩ [٤ / ٤٠٥ حوادث سنة ٣٥ هـ]، و ليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد: فكان عثمان يقول و هو محصور: جزاء سنمار. (المؤلف)

ص: ١٣٧

دونه في ذلك. روى أن عثمان قال: ويلى على ابن الحضرمية - يعنى طلحة - أعطيته كذا و كذا بهاراً ذهباً، و هو يروم دمي يحرّض على نفسي، اللهم لا تمتّعه به و لقه عواقب بغيه.

قال: و روى الناس الذين صنّفوا فى واقعة الدار: أنّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقنّعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمى الدار بالسهام، و روى أيضاً: أنّه لمّا امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

شرح ابن أبى الحديد «١» (٢/ ٤٠٤).

٦- روى المدائنى فى كتاب مقتل عثمان: أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام، و أنّ عليّاً لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، و أنّ حكيم بن حزام أحد بنى أسد ابن عبد العزّى و جبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعليّ على دفنه فأقعد طلحة لهم فى الطريق ناساً بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله و هم يريدون به حائطاً بالمدينة يُعرف بحشّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلمّا صار هناك رجم سريره و همّوا بطرحه، فأرسل عليّ إلى الناس يعزم عليهم ليكفّوا عنه، فكفّوا فانطلقوا به حتى دفنوه فى حشّ كوكب.

و أخرج المدائنى فى الكتاب، قال: دُفن عثمان بين المغرب و العتمة، و لم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم و ابنة عثمان و ثلاثة من مواليه، فرفعت ابنته صوتها تندبه و قد جعل طلحة ناساً هناك أكرمهم كميناً، فأخذتهم الحجارة و صاحوا: نعتل نعتل. فقالوا: الحائط الحائط. فدفن فى حائط هناك «٢».

(١). شرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٥-٣٦ خطبة ١٣٦.

(٢). أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ١٠/ ٦-٧ خطبة ١٧٥.

ص: ١٣٨

٧- أخرج الواقدى قال: لمّا قُتل عثمان تكلموا فى دفنه، فقال طلحة: يُدفن بدير سلع. يعنى مقابر اليهود. و رواه الطبرى فى تاريخه «١» (٥/ ١٤٣) غير أنّ فيه مكان طلحة: رجل.

-٨

أخرج الطبرى بالإسناد، قال: حُصر عثمان و عليّ بخبير، فلمّا قدم أرسل إليه عثمان، يدعوهُ فانطلق، فقلت: لأنطلقنّ معه و لأسمعنّ مقالتهما، فلمّا دخل عليه كلمه عثمان، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ لى عليك حقوقاً، حقّ الإسلام و حقّ الإخاء، و قد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين آخى بين الصحابة آخى بينى و بينك، و بيّن حقّ القرابة و الصهر، و ما جعلت لى فى عنقك من العهد و الميثاق، فو الله لو لم يكن من هذا شيء ثمّ كنّا إنّما نحن فى جاهلية لكان مبطّأً على بنى عبد مناف أن يبتزّهم أخو بنى تيمم ملكهم. فتكلّم علىّ فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال:

«أما بعد: فكل ما ذكرت من حَقِّك على ما ذكرت، أمّا قولك: لو كنّا في جاهليّة لكان مُبَطَّنًا على بنى عبد مناف أن يبتزّهم أخو بنى تيم ملكهم، فصدقت و سيأتيك الخبر». ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالساً، فدعاه فاعتمد على يده، فخرج يمشى إلى طلحة و تبعته، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله و هى رجّاس «٢» من الناس، فقام إليه فقال: «يا طلحة ما هذا الأمر الذى وقعت فيه؟» فقال: يا أبا حسن بعد ما مسّ الحزام الطيبين «٣». فانصرف علىّ و لم يحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال، فقال: «افتحوا هذا الباب». فلم يقدر على المفاتيح فقال: «اكسروه»، فكُسر باب بيت المال، فقال: «أخرجوا المال». فجعل يُعطى الناس فبلغ الذين فى دار

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤١٣ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). الرجّاس: صوت الشىء المختلط العظيم.

(٣). أى: اشتدّ الأمر و تفاقم. كتب عثمان إلى علىّ عليه السلام: قد بلغ السيل الزبى و جاوز الحزام الطيبين. تاج العروس: ١٠ / ٢٢٢. (المؤلف)

ص: ١٣٩

طلحة الذى صنع على، فجعلوا يتسلّلون إليه حتى ترك طلحة وحده، و بلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشى عائداً إلى دار عثمان، فقلت: و الله لأنظرنّ ما يقول هذا فتبّعته، فاستأذن على عثمان، فلمّا دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين أستغفر الله و أتوب إليه، أردت أمراً فحال الله بينى و بينه، فقال عثمان: إنك و الله ما جئت تائباً و لكنك جئت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة.

تاريخ الطبرى (٦ / ١٥٤)، كامل ابن الأثير (٣ / ٧٠)، شرح ابن أبى الحديد (١ / ١٦٥)، تاريخ ابن خلدون (٢ / ٣٩٧) «١».

قال الأمينى: هذا لفظ تاريخ الطبرى المطبوع و قد لعبت به أيدى الهوى بالتحريف و زادت فيه حديث الإخاء بين عثمان و علىّ المتسالم على بطلانه بين فرق المسلمين، كأنّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلّا شوّهوه بالاختلاق، و قد حكى ابن أبى الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبرى فى شرحه «٢» (٢ / ٥٠٦) و لا توجد فيه مسألة الإخاء و إليك لفظه:

روى الطبرى فى التاريخ: أنّ عثمان لمّا حصر كان علىّ عليه السلام بخبير فى أمواله، فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه، فلمّا دخل عليه قال له: إن لى عليك حقوقاً: حقّ الإسلام، و حقّ النسب، و حقّ مالى عليك من العهد و الميثاق، و و الله إن لو لم يكن من هذا كلّ شىء و كنّا فى جاهليّة؛ لكان عاراً على بنى عبد مناف أن يبتزّهم أخو تيم ملكهم - يعنى طلحة -، فقال له عليه السلام: سيأتيك الخبر ... إلى آخر الحديث باللفظ المذكور.

و قد أسلفنا فى الجزء الثالث (ص ١١٢ - ١٢٤) حديث المواخاة بأوسع ما يُسطر

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٣٠ حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٨٦ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٤٨ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٥٩٨.

(٢). شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٨ خطبة ١٧٥.

ص: ١٤٠

وفيه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى واخى أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره.

٩- ذكر البلاذرى فى حديث: أنَّ طلحة قال لعثمان: إنَّك أحدثت أحداثاً لم يكن الناس يعهدونها، فقال عثمان: ما أحدثت أحداثاً و لكنكم أظنَّاء تفسدون على الناس و تؤلَّبونهم.

الأنساب «١» (٥ / ٤٤).

١٠- حكى البلاذرى عن أبى مخنف و غيره: حرس القوم عثمان و منعوا من أن يدخل عليه، و أشار عليه سعيد بن العاص بأن يحرم و يلبى و يخرج فيأتى مكة فلا يقدم عليه. فبلغهم قوله، فقالوا: و الله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا و بينه، و اشتدَّ عليه طلحة بن عبيد الله فى الحصار، و منع من أن يدخل إليه الماء حتى غضب على بن أبى طالب من ذلك، فأدخلت عليه روايا الماء.

الأنساب «٢» (٥ / ٧١).

-١١-

فى رواية للبلاذرى «٣» (ص ٩٠): كان الزبير و طلحة قد استوليا على الأمر، و منع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب، فأرسل علىّ إلى طلحة و هو فى أرض له على ميل من المدينة: أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه و من بثره يعنى بثر رومة، و لا تقتلوه من العطش، فأبى، فقال علىّ: لو لا أنّى قد آليت يوم ذى حُشب أنه إن لم يُطعنى لا أردّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء.

و فى الإمامة و السياسة «٤» (١ / ٣٤): أقام أهل الكوفة و أهل مصر بباب عثمان

---

(١). أنساب الأشراف: ٦ / ١٥٦.

(٢). أنساب الأشراف: ٦ / ١٨٨.

(٣). أنساب الأشراف: ٢١١ / ٤.

(٤). الإمامة و السياسة: ٤٠ / ١.

ص: ١٤١

ليلاً و نهاراً، و طلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان، ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه.

١٢- قال البلاذري: قالوا: مرّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله فقال: يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال: أظنكم و الله قاتليه. فقال طلحة: فإن قُتل فلا ملك مقرب و لا نبي مرسل.

الأنساب «١» (٧٤ / ٥).

١٣- و روى البلاذري في حديث: و سلم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردوا عليه، فقال: يا طلحة ما كنت أرى أنى أعيش إلى أن أسلم عليك فلا تردّ على السلام.

الأنساب «٢» (٧٤ / ٥).

كان هذه القضية غير ما وقع في أيام الحصار الثاني مما ذكره الدياربكري في تاريخ الخميس (٢٦٠ / ٢) قال: أشرف عثمان عليهم ذات يوم و قال: السلام عليكم. فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه إلّا أن يردّ في نفسه. و سيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري و نهيه الناس عن ردّ السلام على عثمان إذا سلّم عليهم.

١٤- أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال: كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار، فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى علىّ بهذا البيت:

---

(١). أنساب الأشراف: ١٩٢ / ٤.

(٢). أنساب الأشراف: ١٩٥ / ٤.

ص: ١٤٢

و إلّا فأدركني و لمّا أمزق «١»

و إن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي

و قال أبو مخنف: صَلَّى عليّ بالناس يوم النحر و عثمان محصور، فبعث إليه عثمان ببيت الممزق «٢»، و كان رسوله به عبد الله بن الحارث ففرّق عليّ الناس عن طلحة، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر، فقال له عثمان: يا بن الحضرمية ألبت عليّ الناس و دعوتهم إلى قتلى حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً، لا قبل الله ممن قبل عذرک.

الأنساب «٣» (٥ / ٧٧).

١٥- روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنه قال: لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم أشدّ على عثمان من طلحة.

الأنساب (٥ / ٨١)، و ذكره ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢ / ٢٦٩) «٤».

١٦- أخرج ابن سعد و ابن عساکر، قال: كان طلحة يقول يوم الجمل: إنا داهنا في أمر عثمان، فلا نجد [اليوم] «٥» شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

طبقات ابن سعد، تاريخ ابن عساکر (٧ / ٨٤)، تذكرة السبط (ص ٤٤) «٦».

---

(١). هذا البيت للممزق العبدى: شاش بن لها بن الأسود. و به سمى الممزق. (المؤلف)

(٢). هو شأس بن نهار بن أسود، من بنى عبد القيس، شاعر جاهلى قديم، من أهل البحرين، لقب بالممزق، لقوله الآنف.

(٣). أنساب الأشراف: ١٩٦ / ٦.

(٤). أنساب الأشراف: ٢٠١ / ٦، العقد الفريد: ١١٣ / ٤.

(٥). ما بين المعقوفين إضافة من المصادر الثلاثة.

(٦). الطبقات الكبرى: ٢٢٢ / ٣، تاريخ مدينة دمشق: ١٠٩ / ٢٥ رقم ٢٩٨٣، و فى مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٤ / ١١، تذكرة الخواص: ص ٧٧.

ص: ١٤٣



١٧- أخرج ابن عساکر، قال: كان مروان بن الحكم فى الجيش - يوم الجمل - فقال: لا أطلب بنارى بعد اليوم، فهو الذى رمى طلحة فقتله، ثم قال لأبان بن عثمان: قد كفىتك بعض قتلة أبيك، و كان السهم قد وقع فى عين ركبتة، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت و إذا أرسلوها انبعثت، فقال: دعوها فإنها سهم أرسله الله.

تاريخ ابن عساکر «١» (٧ / ٨٤).

قال أبو عمر فى الاستيعاب «٢»: لا يختلف العلماء النقات فى أن مروان قتل طلحة يومئذ و كان فى حزبه. روى عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: قال طلحة يوم الجمل:

شريت رضا بنى جرم برغمی «٣»

ندمت ندامة الكسعی لما

اللهم خذ منى لعثمان حتى يرضى.

بيان: الكسعی: حى من قيس عيلان، و قيل: هم حى من اليمن رماة، و منهم الكسعی الذى يضرب به المثل فى الندامة، و هو رجل رام رمى بعد ما أسدف الليل غيراً فأصابه، و ظن أنه أخطأه فكسر قوسه و قيل: قطع إصبعة ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً و سهمه فيه، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله. و إياه عنى الفرزدق بقوله:

غدت منى مطلقاً نواراً

ندمت ندامة الكسعی لما

و قال آخر:

(١). تاريخ مدينة دمشق: ٢٥ / ١١٢ - ١١٣ رقم ٢٩٨٣، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١١ / ٢٠٧.

(٢). الاستيعاب: القسم الثانى / ٧٤٤ رقم ١٢٨٠.

(٣). هذا البيت معه ثلاثة أبيات آخر ذكرها ابن الأثير فى أسد الغابة: ٣ / ١٠٤ [٣ / ٨٧ رقم ٢٤٢٥]، و سبط ابن الجوزى فى التذكرة: ص ٤٤ [ص ٧٤]. (المؤلف)

ندمت ندامة الكُسعَى لَمَّا

رأت عيناه ما فعلت يداه

وقيل: كان اسم الكُسعَى محارب بن قيس.

وأخرج أبو عمر «١» من طريق ابن أبي سبرة قال: نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل فقال: لا أطلب بثارى بعد اليوم. فرماه بسهم فقتله.

وأخرج «٢» من طريق يحيى بن سعيد عن عمه أنه قال: رمى مروان طلحة بسهم، ثم التفت إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفيينا بعض قتلة أبيك.

وأخرج «٣» من طريق قيس نقلًا عن ابن أبي شيببة أن مروان قتل طلحة، و من طريق وكيع و أحمد بن زهير، بإسنادهما عن قيس بن أبي حازم حديث: لا أطلب بثارى بعد اليوم. و زاد فى أسد الغابة «٤» ما مرّ من قول مروان لأبان.

وقال ابن حجر فى الإصابة (٢/ ٢٣٠): روى ابن عساكر «٥» من طرق «٦» متعدّدة: أن مروان بن الحكم هو الذى رماه فقتله، منها: وأخرجه أبو القاسم البغوى بسند صحيح عن الجارود بن أبى سبرة، قال: لَمَّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال: لا أطلب ثارى بعد اليوم، فنزع له بسهم فقتله.

وأخرج يعقوب بن سفيان، بسند صحيح عن قيس بن أبى حازم؛ أن مروان

---

(١). الاستيعاب: القسم الثانى / ٧٦٨ رقم ١٢٨٠.

(٢). الاستيعاب: القسم الثانى / ٧٦٨ رقم ١٢٨٠.

(٣). الاستيعاب: القسم الثانى / ٧٦٨ رقم ١٢٨٠.

(٤). أسد الغابة: ٣ / ٨٨ رقم ٢٦٢٥.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ٢٥ / ١١٢ رقم ٢٩٨٣، وفى مختصر تاريخ دمشق: ١١ / ٢٠٧.

(٦). حذفها يد الطبع الأمانة على ودائع العلم حيّا الله الأمانة! لقد لعبت يد الشيخ عبد القادر بن بدران بتاريخ ابن عساكر لَمَّا هدّبه ورتبه على زعمه فأخرجه عمّا هو عليه، و جعله مسيخاً مشوّهاً بإدخال آرائه الساقطة فيه، و أسقط منه أحاديث كثيرة متناً و إسناداً ممّا لا يروقه. (المؤلف)

ابن الحكم رأى طلحة فى الخيل، فقال: هذا أعان على عثمان، فرماه بسهم فى ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات. و أخرج الحاكم فى المستدرک «١» (٣ / ٣٧٠).

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس، و أخرجه الطبرانى «٢» من طريق يحيى ابن سليمان الجعفى عن وكيع بهذا السند، قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع فى عين ركبته، فما زال الدم يسيح إلى أن مات.

و أخرج الحاكم فى المستدرک «٣» (٣ / ٣٧٠) من طريق عكراش قال: كنا نقاتل عليًا مع طلحة و معنا مروان، قال: فانهزمتنا، فقال مروان: لا أدرك بثارى بعد اليوم من طلحة. فرماه بسهم فقتله.

و قال محبّ الدين الطبرى فى الرياض «٤» (٢ / ٢٥٩): المشهور أنّ مروان بن الحكم هو الذى قتله، رماه بسهم و قال: لا أطلب بثارى بعد اليوم. و ذلك أنّ طلحة زعموا أنّه كان ممّن حاصر عثمان و اشتدّ عليه.

و أخرج البلاذرى فى الأنساب «٥» (ص ١٣٥)، فى حديث عن روح بن زنباع: أنّه قال: رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان.

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله أخذاً بثار عثمان فى «٦»:

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤١٨ ح ٥٥٩١.

(٢). المعجم الكبير: ١ / ١١٣ ح ٢٠١.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤١٧ ح ٥٥٨٩.

(٤). الرياض النضرة: ٤ / ٢٣٠.

(٥). أنساب الأشراف: ٦ / ٢٦٧.

(٦). مروج الذهب: ٢ / ٣٨٢، العقد الفريد: ٤ / ١٢٨، المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤١٨ ح ٥٥٩٣، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٣٨ حوادث سنة ٣٦ هـ، صفة الصفوة: ١ / ٣٤١ رقم ٦، أسد الغابة: ٣ / ٨٨ رقم ٢٦٢٥، دول الإسلام: ص ٢٣، البداية و النهاية: ٧ / ٢٦٩ حوادث سنة ٣٦ هـ، تذكرة الخواص: ص ٧٧، تهذيب التهذيب: ٥ / ٢٠، تاريخ ابن شحنة: ١ / ٢١٧.

مروج الذهب (١١ / ٢)، العقد الفريد (٢ / ٢٧٩)، مستدرک الحاکم (٣ / ٣٧٠)، الکامل لابن الأثیر (٣ / ١٠٤)، صفة الصفوة لابن الجوزی (١ / ١٣٢)، أسد الغابة (٣ / ٤١)، دول الإسلام للذهبی (١ / ١٨)، تاریخ ابن کثیر (٧ / ٢٤٧)، تذکرة السبط (ص ٤٤)، مرآة الجنان لليافعی (١ / ٩٧)، تهذیب التهذیب (٥ / ٢١)، تاریخ ابن شحنة هامش الکامل (٧ / ١٨٩).

١٨- أخرج ابن سعد «١» بالإسناد عن شیخ من کلب، قال: سمعت عبد الملك ابن مروان يقول: لو لا أن أمير المؤمنین مروان أخبرنی أنه قتل طلحة ما ترکت أحداً من ولد طلحة إلا قتلته بعثمان.

١٩- أخرج الحمیدى فى النوادر من طریق سفیان بن عیینة، عن عبد الملك بن مروان، قال: دخل موسى بن طلحة على الولید، فقال له الولید: ما دخلت على قط إلا هممتُ بقتلك لو لا أن أبى أخبرنی أن مروان قتل طلحة.

تهذیب التهذیب «٢» (٥ / ٢٢).

٢٠- أخرج الطبری فى حدیث: فقام طلحة و الزبیر خطیبین - یعنی بالبصرة - فقالوا: یا أهل البصرة توبة بحوبة، إنما أردنا أن يستعذب أمير المؤمنین عثمان و لم نُرد قتلہ، فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: یا أبا محمد قد كانت کتیک تأتینا بغير هذا.

تاریخ الطبری «٣» (٥ / ١٧٩).

-٢١

ذکر المسعودی فى حدیث وقعة الجمل: ثم نادى علىّ رضی الله عنه طلحة حین

---

(١). الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٢٣.

(٢). تهذیب التهذیب: ٥ / ٢٠.

(٣). تاریخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٦٩ حوادث سنة ٣٦ هـ.

ص: ١٤٧

رجع الزبیر: «یا أبا محمد ما الذى أخرجک؟» قال: الطلب بدم عثمان. قال علىّ: «قتل الله أولانا بدم عثمان» «١».

مروج الذهب «٢» (٢ / ١١).

٢٢- لمّا نزل طلحة و الزبير السبخة «٣»، أتاها عبد الله بن حكيم التميمي بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلى. قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه، فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدنيا، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمّ نكثت ببيعتك، ثمّ جئت لتدخلنا في فتنك «٤». الحديث.

٢٣- قال ابن قتيبة: ذكروا أنّه لمّا نزل طلحة و الزبير و عائشة البصرة اصطفّ لها الناس في الطريق يقولون: يا أمّ المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك؟ فلمّا أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق و كانت من أبلغ الناس، فحمدت الله و أثنت عليه، ثمّ قالت:

أيّها الناس و الله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحلّ دمه «٥» و لقد قتل مظلوماً، غضبنا لكم من السوط و العصا و لا نغضب لعثمان من القتل! و إنّ من الرأى أن تنظروا إلى قتله عثمان فيقتلوا به، ثمّ يردّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب. فمن قائل يقول: صدقت، و آخر يقول: كذبت. فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب

---

(١). لقد استجاب الله تعالى دعاء الإمام عليه السلام، فقتل طلحة في أسرع وقت. (المؤلف)

(٢). مروج الذهب: ٢ / ٣٨٢.

(٣). السبخة بالتحريك: موضع بالبصرة [معجم البلدان: ٣ / ١٨٣]. (المؤلف)

(٤). شرح ابن أبي الحديد: ٢ / ٥٠٠ [٩ / ٣١٨ خطبة ١٧٣]. (المؤلف)

(٥). أنّى هذا المحال و التمحلّ من قوارصها التي مرّت في ص ٧٧-٨٥. (المؤلف)

ص: ١٤٨

بعضهم وجوه بعض، فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشرف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأييب على قتل عثمان. فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردك على ما كنت عليه، و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، و أنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه؟ و قد زعمتما أنّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله، إذ كنتما أسنّ منه فأبيتما إلّا أن تقدّماه لقرابته و سابقته فبايعتماه، فكيف تتكثران ببيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها و بايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنّه غير فاعل، و لو فعل أبي ذلك المهاجرون و الأنصار، و خفنا أن نردّ بيعته فنقتل، فبايعناه كارهين، قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه و خذلاننا إيّاه، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلّا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به؟ قال: بايعنا على قتال عليّ و نقض بيعته، قال: رأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا [إلى ما تدعوان] «١» إليه، ما نصنع؟ قال: لا تبايعه. قال: ما أنصفتما، أ تأمراني أن أقاتل عليّاً و أنقض بيعته و هي في أعناقكما، و تنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما؟ أما إنّنا قد بايعنا عليّاً، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا. قال: ثمّ تفرّق الناس، فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، و فرقة مع طلحة و الزبير.

ثمّ جاء جارية بن قدامة، فقال: يا أمّ المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنّه كانت لك من الله تعالى حرمة و ستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أمّ المؤمنين أتيتنا طائفة فارجعي إلى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعتبي [الله] «٢».

---

(١). من المصدر.

(٢). الإمامة و السياسة: ١ / ٦٠ [١ / ٦٤ و ما بين المعقوفين منه]. (المؤلف)

ص: ١٤٩

-٢٤

ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة «١» لمولانا أمير المؤمنين قوله: «اللهم إن طلحة نكث بيعتي و آلب على عثمان حتى قتله ثمّ عضهني «٢» به و رمانى، اللهم فلا تمهله، اللهم إن الزبير قطع رحمي و نكث بيعتي و ظاهر على عدوى، فاكفنيه اليوم بما شئت «٣».

٢٥- أخرج الطبري في تاريخه «٤» (١٨٣ / ٥)؛ من طريق علقمة بن وقاص الليثي، قال: لما خرج طلحة و الزبير و عائشة رأيت طلحة و أحبّ المجالس إليه أخلاها و هو ضاربٌ بلحيته على زوره «٥»، فقلت: يا أبا محمد أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها، و أنت ضارب بلحيتك على زورك، إن كرهت شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بن وقاص، بينا نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً، إنّه كان مني في عثمان شيء ليس تويتى إلا أن يسفك دمي في طلب دمه.

الوجه في هذه التوبة إن صحّت و كان الموءود من النفوس المحترمة أن يسلم نفسه لأولياء القتل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه، لا أن يلقح فتنة كبرى تراق فيها دماء بريئة من دم عثمان، و تزهق أنفوس لم تكن هنالك في حلّ و لا مرتحل، فيكون قد زاد ضعفاً على إباله «٦»، و جاء بها حشفاً و سوء كيلة «٧».

---

(١). ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١ / ١٠١ [١ / ٣٠٦ خطبة ٢٢]. (المؤلف)

(٢). العضه و العضيبة: البهتان و الافتراء.

(٣). يا لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة. (المؤلف)

(٤). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٧٦ حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٥). الزور: الصدر. و قيل: وسط الصدر. و قيل: أعلى الصدر. و قيل: ملتقى أطرف عظام الصدر. (المؤلف)

(٦). مجمع الأمثال: ٢ / ٢٦٠ رقم ٢٢٠٢.

(٧). مجمع الأمثال: ١ / ٣٦٧ رقم ١٠٩٨. و المثل: أَحْسَفًا و سُوءَ كَيْلَةٍ؟ و يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

ص: ١٥٠

#### ٥- حديث الزبير بن العوام

أحد العشرة المبشرة، و أحد أصحاب الشورى الستة

-١

أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل: خرج عليّ عليّ فرسه فدعا الزبير فتواقفا، فقال عليّ للزبير: «ما جاء بك؟» قال: أنت، و لا أراك لهذا الأمر أهلاً و لا أولى به منّا. فقال عليّ: «لست «١» له أهلاً بعد عثمان رضى الله عنه؟ قد كنّا نعدّك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا و بينك». و عظم عليه أشياء، فذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم مرّ عليهما فقال لعليّ: «ما يقول ابن عمّتك؟ ليقاتلنك و هو لك ظالم» «٢».

فانصرف عنه الزبير و قال: فإنّي لا أقاتلك، فرجع إلى ابنه عبد الله، فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة. فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، و لكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، و عرفت أنّ تحتها الموت فجبت، فأحفظه حتى أردد و غضب، و قال: ويحك إنّي قد حلفت له ألا أقاتله. فقال له ابنه: كفر عن يمينك بعق غلامك سرجيس فأعتقه و قام في الصفّ معهم، و كان عليّ قال للزبير: «أ تطلب منّي دم عثمان، و أنت قتلتته؟ سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره» «٣».

و قول عليّ عليه السلام للزبير: «أ تطلب منّي دم عثمان و أنت قتلتته؟...» إلخ. أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى.

و في لفظ المسعودي: قال عليّ: «ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟» قال: دم عثمان. قال عليّ: «قتل الله أولانا بدم عثمان».

(١). في الكامل لابن الأثير [٢ / ٣٣٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]: أ لست. (المؤلف)

(٢). هذا الحديث أخرجه جمع من الحفاظ كما أسلفناه في الجزء الثالث: ص ١٩١. (المؤلف)

(٣). تاريخ الطبري: ٥ / ٢٠٤ [٤ / ٥٠٨ حوادث سنة ٣٦ هـ]، مروج الذهب: ٢ / ١٠ [٢ / ٣٨٠]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ١٠٢

[٢ / ٣٣٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

قال الأميني: إنما حلف الزبير على ترك القتال لأنه وجدته بعد تذكير الإمام عليه السلام له الحديث النبوي، و بعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرماً عليه في الدين، و أنه من الظلم الفاحش الذي استقلّ العقل بتحريمه، فهل التكفير بعق الغلام يُبيح ذلك المحرّم بالعقل و الشريعة، و يسوّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته؟ لا، لكن تسويل عبد الله هو الذي فرق بين الزبير و بين آل عبد المطلب، و أباح له كلّ محظور، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصّ النبوي، و صدّق الخبر الخبر.

٢- ذكر المسعودي في حديث: إنّ مروان بن الحكم قال - يوم الجمل - رجع الزبير، و يرجع طلحة، ما أبالي رميت هاهنا أم هاهنا، فرماه في أكحله فقتله. مروج الذهب «١» (١١ / ٢).

٣- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج «٢» (٢ / ٤٠٤): كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه، و كان الزبير دونه في ذلك، روي أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم. فقالوا له: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان و لو بُدئ بابني، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً.

٤- أخرج البلاذري في الأنساب «٣» (٥ / ٧٦) من طريق أبي مخنف قال: جاء الزبير إلى عثمان فقال له: إنّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جماعة يمنعون من ظلمك، و يأخذونك بالحقّ، فاخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، فخرج فوثب الناس عليه بالسلاح فقال: يا زبير ما أرى أحداً يأخذ بحقّ، و لا يمنع من ظلم، و دخل و مضى الزبير إلى منزله.

(١). مروج الذهب: ٢ / ٣٨٢.

(٢). شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣٥ - ٣٦ خطبة ١٣٧.

(٣). أنساب الأشراف: ٦ / ١٩٥.

٥- قال البلاذري في الأنساب «١» (٥ / ١٤): وجدت في كتاب لعبد الله عن صالح العجلي، ذكروا: أنّ عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إنّ شئت تفاذنا، فقال عثمان: بما ذا أبا البعير يا أبا عبد الله؟ قال: لا و الله و لكن بطبع خبّاب، و ريش المقعد، و كان خبّاب يطبع السيوف، و كان المقعد يريش النبل. و قال ابن المغيرة بن الأخنس متغنياً على قعود له:

و أشتر و المكشوح جرّوا الدواھيا	حكيم و عمّار الشجا و محمد
و صاحبه الأدنى أشاب النواصيا «٢»	و قد كان فيها للزبير عجاّجة



من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين: «و الله ما أنكروا على منكرأ و لا جعلوا بيني و بينهم نصفأ، و إنهم ليطلبون حقأ هم تركوه، و دمأ هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه، فإن لهم نصيبهم منه، و إن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلأ قبلهم، و إن أول عدلهم للحكم على أنفسهم، و إن معي لبصيرتي ما لبست و لا لبس على، و إنها للفئة الباغية فيها الحمأ و الحممة» «٣».

نهج البلاغة «٤» (١/ ٢٥٤).

و في لفظ أبي عمر في الاستيعاب «٥» في ترجمة طلحة بن عبيد الله: «إني مُنيت

---

(١). أنساب الأشراف: ١١٧ / ٦.

(٢). كتاب صفين لابن مزاحم، طبع مصر: ص ٦٠، ٦٦ [ص ٥٤]. (المؤلف)

(٣). قال ابن أبي الحديد [٩/ ٣٣ خطبة ١٣٧]: كنى علي عليه السلام عن الزوجة بالحممة. و هي: سم العقرب. و الحمأ: يضرب مثلاً لغير الطيب و لغير الصافي. (المؤلف)

(٤). نهج البلاغة: ص ١٩٤ خطبة ١٣٧.

(٥). الاستيعاب: القسم الثاني / ٧٦٧ رقم ١٢٨٠. و مُنية اسم أم يعلى أو جدته لأبيه، و اسم أبيه أمية.

ص: ١٥٣

بأربعة: أدهى الناس و أسخاهم طلحة، و أشجع الناس الزبير، و أطوع الناس في الناس عائشة، و أسرع الناس إلى الفتنة يعلى بن منية، و الله ما أنكروا على شيئاً منكرأ، و لا استأثرت بمال، و لا ملت بهوى، و إنهم ليطلبون حقأ تركوه، و دمأ سفكوه، و لقد ولوه دوني، و إن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، و ما تبعه عثمان إلأ عندهم، و إنهم لهم الفئة الباغية». إلى قوله عليه السلام: «و الله إن طلحة و الزبير و عائشة ليعلمون أني على الحقّ و أنّهم مبطلون».

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: «أما بعد؛ فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه: إنّ الناس طعنوا عليه فكنّت رجلاً من المهاجرين أكثر استعبابه، وأقلّ عتابه، وكان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، و أرفق حدائهما العنيف، و كان من عائشة فيه فلتة غضب فأُتيح له قوم فقتلوه، و بايعنى الناس غير مستكرهين و لا مجبرين، بل طائعين مخيّرين».

نهج البلاغة (٢ / ٢)، الإمامة و السياسة (١ / ٥٨) «٦».

قال ابن أبى الحديد فى الشرح «٧» (٣ / ٢٩٠): أمّا طلحة و الزبير فكانا شديدين عليه - على عثمان - و الوجيف: سير سريع، و هذا مثل يقال للمشمّرين فى الطعن عليه، حتى أنّ السير السريع أبطأ ما يسيران فى أمره، و الحداء العنيف أرفق ما يحرضان به عليه.

-٣-

قال البلاذرى «٨»: حدّثنى المدائنى عن ابن الجعدبة، قال: مرّ علىّ بدار بعض آل أبى سفيان، فسمع بعض بناته تضرب بدف و تقول:

---

(٦). نهج البلاغة: ص ٣٦٣ كتاب ١، الإمامة و السياسة ١ / ٦٣.

(٧). شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٤ كتاب ١.

(٨). أنساب الأشراف: ٦ / ٢٢٩.

ص: ١٥٤

و أوتر منه لنا طلحة  
و كانا حقيقين بالفضحة

ظلامه عثمان عند الزبير  
هما سعراها بأجدالها

فقال علىّ: «قاتلها الله، ما أعلمها بموضع ثأرها!».

-٤-

أخرج الطبري من طريق ابن عباس، قال: قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بخمسة أيام، فجتت عليا أدخل عليه، فقيل لى: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة فسلم علي فقال: متى قدمت؟ فقلت: الساعة.

فدخلت على علي فسلمت عليه، فقال لى: «لقت الزبير و طلحة؟» قال: قلت: لقيتهما بالنواصف. قال: «من معهما؟» قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فته من قريش. فقال علي: «أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتلة عثمان».

تاريخ الطبري «١» (٥/ ١٦٠).

٥- أخرج الطبري عن عمر بن شبة، من طريق عتبة بن المغيرة ابن الأخنس، قال: لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم و أصحابه بذات عرق، فقال: أين تذهبون و تاركم على أعجاز الإبل؟ اقتلوهم «٢» ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم. قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً. فخلا سعيد بطلحة و الزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني. قالوا: لأحدنا أيّنا اختاره الناس. قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه. قالوا: ندع شيوخ المهاجرين و نجعلها لأبنائهم؟ قال: أ فلا أرانى أسعى لأخرجها من بنى

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٤٤٠ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). يعنى طلحة و الزبير و أصحابهما. (المؤلف)

ص: ١٥٥

عبد مناف؟ فرجع و رجع عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة بن شعبة: رأى ما رأى سعيد، من كان هاهنا من تقيف فليرجع، فرجع. الحديث.

تاريخ الطبري «١» (٥/ ١٦٨).

٦- و فى كتاب كتبه ابن عباس إلى معاوية جواباً: و أمّا طلحة و الزبير؛ فإنّهما أجلبا عليه و ضيقا خناقاه، ثمّ خرجا ينقضان البيعة، و يطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، كما قاتلناك على البغي.

كتاب نصر بن مزاحم (ص ٤٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (٢/ ٢٨٩) «٢».

٧- قدم على حابس بن سعد سيّد طىّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة، و سار مع عليّ إلى الكوفة، و كان له لسان و هيبه، فغدا به حابس إلى معاوية فقال: هذا ابن عمّى قدم من الكوفة، و كان مع عليّ و شهد قتل عثمان بالمدينة، و هو ثقة. فقال معاوية: حدّثنا عن أمر عثمان. قال: نعم وليه محمد بن أبى بكر، و عمّار بن ياسر، و تجرّد فى أمره

ثلاثة نفر: عدى بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق. و دبّ «٣» في أمره رجلان: طلحة و الزبير، و أبرأ الناس منه على بن أبي طالب، ثمّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفرائس حتى ضلّت «٤» النعل، و سقط الرداء و وطئ الشيخ و لم يذكر عثمان و لم يذكره. إلخ.

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٥٣ حوادث سنة ٣٦ هـ.

(٢). وقعة صفين: ص ٤١٥، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٦٦ خطبة ١٣٤.

(٣). لفظ ابن مزاحم: و جدّ في أمره رجلان. (المؤلف)

(٤). و في لفظ: ضاعت النعل. (المؤلف)

ص: ١٥٦

الإمامة و السياسة (١ / ٧٤)، كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (١ / ٢٥٩) «١».

-٨

أخرج الحاكم في المستدرک «٢» (٣ / ١١٨)، بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنّه قال: سمعت الحسن يقول: «جاء طلحة و الزبير إلى البصرة، فقال لهم الناس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب دم عثمان. قال الحسن: أيا سبحان الله أ فما كان للقوم عقول فيقولون: و الله ما قتل عثمان غيركم؟».

٩- لما انتهت عائشة و طلحة و الزبير إلى حفر أبي موسى «٣» قريباً من البصرة، أرسل عثمان بن حنيف- و هو يومئذ عامل علىّ على البصرة- إلى القوم أبا الأسود الدؤلي، فجاء حتى دخل على عائشة، فسألها عن مسيرها، فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت و لكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة و جئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أ نغضب لكم من سوط عثمان و لا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنت من السوط و السيف؟ إنّما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمرك أن تقرّ في بيتك، و تتلى كتاب ربّك، و ليس على النساء قتال، و لا لهنّ الطلب بالدماء، و إنّ عليّاً لأولى بعثمان منك و أمسّ رحماً، فإنّهما ابنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضى لما قدمت إليه، أ فتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما و الله لتقتاتين قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك و أنت يوم بويح أبو بكر

---

(١). الإمامة و السياسة: ١ / ٧٨، وقعة صفين: ص ٦٥، شرح نهج البلاغة: ٣ / ١١١ خطبة ١٢٤.

(٢). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ١٢٨ ح ٤٦٠٦.

(٣). حُفِرَ أبی موسی: هی رکیا حفرها أبو موسی الأشعری علی جادة البصرة إلى مكة، بينها و بین البصرة خمس لیل [معجم البلدان: ٢ / ٢٧٥]. (المؤلف)

ص: ١٥٧

أخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب و أين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت و صاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول. فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيّه، مصراً على الحرب و الفتنة. الحديث.

الإمامة و السياسة (١ / ٥٧)، العقد الفريد (٢ / ٢٧٨)، شرح ابن أبي الحديد (٢ / ٨١) «١».

١٠- خرج عثمان بن حنيف إلى طلحة و الزبير في أصحابه، فناشدهما الله و الإسلام و أذكرهما بيعتهما علياً، فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: و ما أنتما و ذاك؟ أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلّا و الله، و لكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، و كنتما ترجوان هذا الأمر و تعملان له، و هل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً و ذكرا أمّه. الحديث.

شرح ابن أبي الحديد «٢» (٢ / ٥٠٠).

١١- لما نزل طلحة و الزبير و عائشة بأوطاس من أرض خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له، فأشرف على الناس، و معه المغيرة بن شعبة، فنزل و توكأ على قوس له سوداء، فأتى عائشة، فقال لها: أين تريدين يا أمّ المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة.

قال: و ما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطلب بدم عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، ثمّ أقبل على مروان فقال له: و أنت أين تريد أيضاً؟ قال: البصرة. قال: و ما تصنع بها؟ قال: أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك،

(١). الإمامة و السياسة: ١ / ٦١، العقد الفريد: ٤ / ١٢٤، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٢٥ خطبة ٧٩.

(٢). شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣١٩ خطبة ١٣٧.

ص: ١٥٨

إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان: طلحة و الزبير، و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قالوا: نغسل الدم بالدم، و الحوية بالتوية.

ثم قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أممكم، فارجعوا بها خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان، فرؤسأؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم تقمتم على عليّ شيئاً، فبيئوا ما نقمتم عليه، أنشدكم الله، فنتننن في عام واحد. فأبوا إلا أن يمضوا بالناس.

الإمامة و السياسة «١» (١ / ٥٥).

١٢- لما نزل طلحة و الزبير البصرة، قال عثمان بن حنيف: نعدر إليهما برجلين. فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله، و أبا الأسود الدؤلي، فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا: يا طلحة فأجابهما، فتكلم أبو الأسود الدؤلي، فقال: يا أبا محمد إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، و بايعتم علياً غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، و لم نغضب لعليّ إذ بويع، ثم بدا لكم فأردتم خلع عليّ، و نحن على الأمر الأوّل، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه. ثمّ تكلم عمران، فقال: يا طلحة إنكم قتلتم عثمان و لم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم علياً و بايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً، فمسيركم لما ذا؟ و إن كان خطأ فخطأكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأوفى، فقال طلحة: يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره، و ليس على هذا بايعناه، و ايم الله ليسفكنّ دمه. فقال أبو الأسود: يا عمران أمّا هذا فقد صرح أنّه إنّما غضب للملك. ثمّ أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله إنّنا أتينا طلحة. قال الزبير: إنّ طلحة

(١). الإمامة و السياسة: ١ / ٦٠.

ص: ١٥٩

و إتي كروح في جسدين، و أنّه و الله يا هذان قد كانت منّا في عثمان فلتات، احتجنا فيها إلى المعاذير، و لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه. الحديث.

الإمامة و السياسة «١» (١ / ٥٦).

١٣- من خطبة لعمر بن ياسر خطبها بالكوفة، فقال: يا أهل الكوفة إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أمورنا، إن قتل عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس و لا ينكرون ذلك، و قد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجيهم، فيه أحيا الله من أحيا و أمات من أمات، و إنّ طلحة و الزبير كانا أوّل من طعن و آخر من أمر، و كانا أوّل من بايع علياً، فلمّا أخطأهما ما أملاه نكنا بيعتهما من غير حدث. الحديث.

الإمامة و السياسة «٢» (١ / ٥٩).

١٤- روى البلاذري عن المدائني، قال: ولى عبد الملك علقمة بن صفوان بن المحرث مكة فشتم طلحة و الزبير على المنبر. فلما نزل قال لأبان بن عثمان: أرضيتك في المدهنيين في أمير المؤمنين عثمان؟ قال: لا و الله، و لكن سؤتى بحسبي بليّة أن تكون شركاً في دمه.

أخرج أبو الحسن علي بن محمد المدائني من طريق عبد الله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله: «بايعني هذان الرجلان في أول من بايع، تعلمون ذلك و قد نكتا و غدرا، و نهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، و يلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية، و لا تتعش لهما صرعة،

(١). الإمامة و السياسة: ٦١ / ١.

(٢). الإمامة و السياسة: ٦٤ / ١.

(٣). أنساب الأشراف: ٢٤٩ / ٦.

ص: ١٦٠

و لا تُقل لهما عثرة، و لا تمهلها فوفا، فإنهما يطلبان حقًا تركاه، و دمًا سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك، فإنك قلت و قولك الحق: لمن بغى عليه لينصرته الله، اللهم فأنجز لي موعدك، و لا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير».

شرح ابن أبي الحديد «٤» (١ / ١٠٢).

من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد «٥» (١ / ١٠٢): «فما بال طلحة و الزبير و ليسا من هذا الأمر بسبيل؟ لم يصبرا على حوّل و لا شهراً حتى وثبا و مرقا، و نازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين، يرتضعان أمّا قد فطمت، و يُحييان بدعة قد أميتت، أدم عثمان زعما؟ و الله ما التبعة إلّا عندهم و فيهم، و إنّ أعظم حجّتهم لعلّ أنفسهم، و أنا راضٍ بحجّة الله عليهم و علمه فيهم». الحديث.

١٧- من كلمة لمالك الأشر: لعمرى يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة و الزبير و عائشة علينا بمخيل، و لقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، و فارقا على غير حدث أحدثت، و لا جور صنعت، فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنهما أول من آلب عليه و أغرى الناس بدمه، و أشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرّجا منه لنلحقنهما بعثمان، فإن سيوفنا في عواتقنا، و قلوبنا في صدورنا، و نحن اليوم كما كنا أمس.

شرح ابن أبي الحديد «٦» (١ / ١٠٣).

قال الأُميئي: إنَّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينا درساً ضافياً بأنَّ الرجلين هما أساس النهضة في قصة عثمان، و هما اللذان أسعرا عليه الفتنة

(٤). شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠٧ و ٣٠٨ خطبة ٢٢.

(٥). شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠٧ و ٣٠٨ خطبة ٢٢.

(٦). شرح نهج البلاغة: ١ / ٣١١ خطبة ٢٢.

ص: ١٦١

و أنّهما لم يريا حرجاً في إراقة دمه، و قد استباحا عندئذ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلّا أن يكون مهدور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك، فلم يتركا حتى أوديا به، و كان لطلحة هنالك مواقف مشهودة، فمنع عنه الماء الذي هو شرع سواء بين المسلمين، و أنّه لم يردّ على عثمان لمّا سلّم عليه و من الواجب شرعاً ردّ السلام على كلّ مسلم، و قد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين، و قد أوجبت الشريعة الإسلاميّة المبادرة إلى دفن المسلم، و قد أمر برمي الجنازة و رمى من يتولّى تجهيزها بالحجارة و المسلم حرّمته ميتاً كحرّمته حيّاً، فلم يرض طلحة بالأخير إلّا دفنه في مقبرة اليهود حشّ كوكب. و هل لهذه الأعمال وجه بعد حفظ كرامة صحبتها؟ و القول بعدالة الصحابة كلّهم؟ و يقول ما ورد في الرجلين أنّهما من العشرة المبشّرة؟ إلّا أن يُقال: إنّهما كانا يريان القتل خارجاً عن حوزة المسلمين؛ و إلّا لردعتهما الصحبة و العدالة و البشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقّة المسلمين فضلاً عن خليفتهم.

و نحن في هذا المقام نقف موقف المحايد، و لسنا هاهنا إلّا في صدد بيان آراء الصحابة الأوّلين في عثمان، و ما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتها، و لم يزل كذلك في الأجيال المتأخّرة عنهما حتى العصر الحاضر، إن كانت الآراء تُؤخذ من المصادر الوثيقة، و كانت حرّة غير مشوبة بحكم العاطفة، نزهة عن الميول و الشهوات.

و أمّا ما أظهره من التوبة بعد أن نكنا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدّمنا وجهها في (ص ١٠١) في طلحة و يشاركه في ذلك الزبير أيضاً. فقد قفيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسبا- إن كانا يصدقان- أنّها تمحو السيّئة، بل الحوبة الأخيرة أعظم عند الله، فقد أراقا بها من الصّفين في واقعة الجمل دماءً تعدّ بالآلاف بريئة من دم عثمان.

و هتكا حرمة رسول الله بإخراج حشبيّة من حشاياه من خدرها، و قد

ص: ١٦٢

نهى صلى الله عليه و آله و سلم نساءه عن ذلك، و أوقفها في محتشد العساكر و جبهة القتال الدامي، و قصدا قتل إمام الوقت المفترض طاعته الواجب حفظه، (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) «١» (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) «٢».



٧- حديث عبد الله بن مسعود

الصحابي البدرى العظيم

مرّ في هذا الجزء (ص ٣-٦) شطر من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان و عمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه، و أنّه كان من الناقلين عليه يعيبه و يقدر فيه، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته، و أخذ عثمان بذلك أخذاً شديداً و حبسه و هجره و منعه عطاءه سنين و أمر به و أخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً، و ضرب به الأرض فدفقّ ضلعه و ضربه أربعين سوطاً.

و كان ابن مسعود على اعتقاده السيئ في الرجل مغاضباً له حتى لفظ نفسه الأخير و أوصى أن لا يصلّى عليه، و في الفتنة الكبرى «٣» (ص ١٧١): روى أن ابن مسعود كان يستحلّ دم عثمان أيام كان في الكوفة، و هو كان يخطب الناس، فيقول: إنّ شرّ الأمور محدثاتها، و كلّ محدث بدعة، و كلّ بدعة ضلالة، و كلّ ضلالة في النار «٤». يعرض في ذلك بعثمان و عامله الوليد. انتهى.

هذا رأى ذلك الصحابي العظيم في الرجل، فبأى تمحلّ يتأتى للباحث تقديس

---

(١). آل عمران: ١٦٧.

(٢). البروج: ٢٠.

(٣). المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين: مج ٤ / ٣٦٦.

(٤). راجع: ص ٣ من هذا الجزء: (المؤلف)

ص: ١٦٣

عثمان بعد ما يستحلّ دمه أو يشدّد النكير عليه و يراه صاحب محدثات و بدع مثل ابن مسعود أشبه الناس هدياً و دلاً و ستمتاً بمحمد نبيّ العظمة صلى الله عليه و آله و سلم؟

٨- حديث عمّار بن ياسر

البدرى العظيم الممدوح بالكتاب و السنة

١- من خطبة لعمّار خطبها يوم صفين قال:

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم و لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثة، فقالوا: إنه لم يحدث شيئاً، و ذلك لأنه مكنهم من الدنيا، فهم يأكلونها و يرعونها، و لا يباليون لو انهدمت الجبال، و الله ما أظنهم يطلبون بدم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها و استمروها، و علموا أن صاحب الحق لو وليهم لحال بينهم و بين ما يأكلون و يرعون منها. إن القوم لم يكن لهم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكاً، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، و لولاها ما تابعهم من الناس رجل. إلخ.

و في لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفين: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان... إلى آخره، و له لفظ آخر يأتي بعيد هذا.

و في لفظ الطبري في تاريخه: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبعون دم

ص: ١٦٤

ابن عفان، و يزعمون أنه قتل مظلوماً.

راجع «١»: كتاب صفين لابن مزاحم طبع مصر (ص ٣٦١، ٣٦٩)، تاريخ الطبري (٧/ ٢١)، الكامل لابن الأثير (٣/ ١٢٣)، شرح ابن أبي الحديد (١/ ٥٠٤)، تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٦٦)، جمهرة الخطب (١/ ٨١).

٢- خطب معاوية يوم وفد إليه وفد «٢» بعثه إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

أما بعد؛ فإنكم دعوتكم إلى الطاعة و الجماعة، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمعناها هي، و أما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها، إن صاحبكم قتل خليفةنا، و فرق جماعتنا، و آوى ثأرنا و قتلتنا، و صاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد ذلك عليه، أرايتم قتلة صاحبنا؟ أ لستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة و الجماعة.

فقال له شيبث بن ربعي: أ يسرك يا معاوية أنك أمكنت من عمّار تقتله؟ و في لفظ ابن كثير: لو تمكنت من عمّار أ كنت قاتله بعثمان؟ فقال معاوية: و ما يمنعني من ذلك؟ و الله لو أمكنت «٣» من ابن سمية ما قتلته بعثمان رضي الله عنه، و لكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان.

فقال شيبث: و إله الأرض و إله السماء ما عدلت معتدلاً، لا و الذي لا إله إلا هو، لا تصل إلى عمّار حتى تنذر الهام عن كواهل الأقوام، و تضيق الأرض الفضاء عليك برحبها. إلخ.

(١). وقعة صفين: ص ٣١٩ و ٣٢٦، تاريخ الأمم و الملوك: ٥/ ٣٩ حوادث سنة ١٣٧ هـ، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٨٠ حوادث

سنة ٣٧ هـ، شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢٥٢ خطبة ٦٥، البداية و النهاية: ٧ / ٢٩٦ حوادث سنة ٣٧ هـ، جمهرة خطب العرب: ١ / ٣٥٧ خطبة ٢٤٥.

(٢). كان فيه: عدى بن حاتم، يزيد بن قيس، شيب بن ربيع، زياد بن حفصة. (المؤلف)

(٣). فى لفظ ابن مزاحم: لو أمكننى صاحبكم من ابن سمية. (المؤلف)

ص: ١٦٥

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٢٢٣)، تاريخ الطبرى (٣ / ٦)، الكامل لابن الأثير (٣ / ١٢٤)، شرح ابن أبى الحديد (١ / ٣٤٤)، تاريخ ابن كثير (٧ / ٢٥٧)، جمهرة الخطب (١ / ١٥٨) «١».

-٣-

أرسل أمير المؤمنين ابنه الحسن و عمّار بن ياسر إلى الكوفة، فلما قدماها كان أول من أتاها مسروق بن الأجدع فسلم عليهما، و أقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان رضى الله عنه؟ قال: على شتم أعراضنا، و ضرب أبنائنا «٢». فقال: و الله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به، و لئن صبرتم لكان خيراً للصابرين.

فخرج أبو موسى، فلقى الحسن فضمه إليه، و أقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان أ عدوت «٣» فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجار؟ قال: لم أفعل و لم يسؤنى، فقطع عليهما الحسن، فأقبل على أبى موسى فقال: «يا أبا موسى لم تُنبط الناس عنا؟ فو الله ما أردنا إلّا الإصلاح، و ما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء»، فقال: صدقت بأبى أنت و أمى، و لكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، و القائم خير من الماشى، و الماشى خير من الراكب»، و قد جعلنا الله عزّ و جلّ إخواناً و حرّم علينا أموالنا و دمائنا و قال: (يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) «٤» و قال عزّ و جلّ:

(١). وقعة صفين: ص ١٩٨، تاريخ الأمم و الملوك: ٥ / ٦ حوادث سنة ٣٧ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٤٨ حوادث سنة ٣٧ هـ، شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢١ خطبة ٥٤، البداية و النهاية: ٧ / ٢٨٧ حوادث سنة ٣٧ هـ، جمهرة خطب العرب: ١ / ٣٣٣ خطبة ٢٢٤.

(٢). أبنار جمع البشرة: أعلى جلدة الوجه و الجسد من الإنسان. (المؤلف)

(٣). شرح ابن أبى الحديد: غدوت فيمن غدا. (المؤلف)

(٤). النساء: ٢٩.

(وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) «١» الآية. فغضب عمّار و ساءه، و قام و قال: يا أيها الناس إنّما قال رسول الله له خاصّة: «أنت فيها قاعداً خيراً منك قائماً». و قام رجل من بنى تميم فقال لعمّار: أسكت أيّها العبد أنت أمس مع الغوغاء و اليوم تسافه أميرنا. و نار زيد بن صوحان. الحديث «٢».

تاريخ الطبرى (٥ / ١٨٧)، شرح ابن أبى الحديد (٣ / ٢٨٥)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٩٧) «٣».

٤- قال الباقلانى فى التمهيد (ص ٢٢٠): روى أنّ عمّاراً كان يقول: عثمان كافر. و كان يقول بعد قتله: قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً. و هذا سرف عظيم من خرج إلى ما هو دونه استحقّ الأدب من الإمام. فعمل عثمان انتهره و أدبه لكثرة قوله: قد خلعت عثمان و أنا برىء منه، فأدّى الأدب إلى فتق أمعائه، و لو أدّى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً و لا مستحقاً للخلع، فإمّا أن يكون ضربه باطلاً، و إمّا أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً و تأديباً و نهياً عن الإغراق و السرف، و ذلك صواب من فعل عثمان و هفوة من عمّار.

قال الأمينى: هذه التمحلات تضادّ ما صحّ و ثبت عن النبىّ الأقدس فى عمّار، و نحن لا يسعنا تكذيب النبىّ الصادق الأمين تحفظاً على كرامة أىّ ابن أنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة المنعوتة فى القرآن.

٥- روى أبو مخنف، عن موسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه، قال:

(١). النساء: ٩٣.

(٢). فى هذا الحديث أشياء موضوعة حذف بعضها ابن الأثير فى الكامل و زاد فيه أيضاً، و هو من مكاتبات السرى و كلّها باطل فيها دجل. (المؤلف)

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٨٢ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ١٩ خطبة ١، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٢٧ حوادث سنة ٣٦ هـ.

أقبلنا مع الحسن و عمّار بن ياسر من ذى قار، حتى نزلنا القادسيّة، فنزل الحسن و عمّار، و نزلنا معهما، فاحتبى عمّار بحمائل سيفه، ثمّ جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة و عن حالهم، ثمّ سمعته يقول: ما تركت فى نفسى حزة أهمّ إلىّ من الّا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنار.

شرح ابن أبى الحديد «١» «٣ / ٢٩٢».

٦- جاء في محاوراة وقعت بين عمّار بن ياسر و عمرو بن العاص، فيما أخرجه نصر في كتابه: قال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعلىّ قتلته، قال عمّار: بل الله ربّ علىّ قتلته و علىّ معه. قال عمرو: أ كنت فيمن قتلته؟ قال: كنت مع من قتلته و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلك لقومه ألا تسمعون؟ الحديث.

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٣٨٤)، شرح ابن أبي الحديد (٢/ ٢٧٣) «٢».

٧- إن عمّار بن ياسر نادى يوم صفين «٣»: أين من يبغى رضوان ربّه و لا يثوب إلى مال و لا ولد؟ قال: فأنته عصابة من الناس، فقال: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان و يزعمون أنّه قتل مظلوماً، و الله إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله.

كتاب صفين «٤» (ص ٣٦٩).

(١). شرح نهج البلاغة: ١٤ / ١١ خطبة ١.

(٢). وقعة صفين: ص ٣٣٨، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٢ خطبة ١٢٤.

(٣). في شرح ابن أبي الحديد: ٢ / ٢٦٩ [٨ / ١٠ خطبة ١٢٤]: ناداه في صفين قبل مقتله بيوم أو يومين. (المؤلف)

(٤). وقعة صفين: ص ٣٢٦.

ص: ١٦٨

و في الفتنة الكبرى «١» (ص ١٧١): فقد روى أنّ عمّار بن ياسر كان يكفر عثمان و يستحلّ دمه و يسمّيه نعتلاً.

قال الأميني: هذا الصحابي البطل الذي عرفته في صفحة (٢٠-٢٨) من هذا الجزء؛ عمّار بن ياسر المعنى في عدّة آيات كريمة من الذكر الحكيم، و مصبّ الثناء البالغ المتكرّر المستفيض من صاحب الرسالة، من ذلك: أنّه ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و أنّه مع الحقّ و الحقّ معه يدور معه أينما دار، و أنّه ما عرض عليه أمران إلّا أخذ بالأرشد منهما، و أنّه من نفر تشتاق إليهم الجنّة، و أنّه جلدة بين عينيه صلى الله عليه و آله و سلم، و أنّه تقتله الفئة الباغية، فمعتقد هذا الرجل العظيم، و هو متلفّع بهاتيكي الفضائل كلّها في الخليفة ما تراه يكرّره من أنّه كان ظالماً لنفسه، حاكماً بغير ما أنزل الله، مريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتله، و أنّه قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، إلى ما لهذه من عقائد تركته جازماً بما نطق به، مصرّاً على ما ارتكبه، معترفاً بأنّه كان مع المجهزين عليه، متأسّفاً على ما فاته من نبش قبره و إحراقه بالنار، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بشاره مع قاتليه و خاذليه، مذعناً بأنّ الثائرين له مبطلون يجب قتالهم فلم يفتأ على هذا المعتقد حتى قتلته الفئة الباغية، أصحاب معاوية، و قاتله و سالبه و باغضه في النار نصّاً من النبي المختار صلى الله عليه و آله و سلم.

قال اليعقوبي في تاريخه «٢» (٢/ ١٤٠) في بيعة عثمان و استخلافه: مال قوم مع عليّ ابن أبي طالب، و تحاملوا في القول على عثمان، فروى بعضهم قال: دخلت مسجد

(١). المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين: مج ٤ / ٣٦٦.

(٢). تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٣.

ص: ١٦٩

رسول الله، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف يتلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فسُلبها، و هو يقول: وا عجباً لقريش، و دفعهم هذا الأمر على «١» أهل بيت نبيّهم، و فيهم أول المؤمنين، و ابن عمّ رسول الله، أعلم الناس و أفقههم في دين الله، و أعظمهم عناءً في الإسلام، و أبصرهم بالطريق، و أهداهم للصرّاط المستقيم، و الله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقيّ، و ما أرادوا إصلاحاً للأمة، و لا صواباً في المذهب، و لكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً و سحقاً للقوم الظالمين.

فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله، و من هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو، و هذا الرجل عليّ بن أبي طالب، قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يا ابن أخي إنّ هذا الأمر لا يجزى فيه الرجل و لا الرجلان، ثمّ خرجت، فلقيت أبا ذر، فذكرت له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد، ثمّ أتيت عبد الله بن مسعود، فذكرت ذلك له، فقال: لقد أخبرنا فلم نأل.

و ذكر ابن عبد ربّه في العقد «٢» (٢/ ٢٦٠) في حديث بيعة عثمان: فقال عمّار بن ياسر- لعبد الرحمن-: إنّ أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار إنّ بايعت عليّاً، قلنا: سمعنا و أطعنا. قال ابن أبي سرح: إنّ أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، إنّ بايعت عثمان سمعنا و أطعنا. فشتّم عمّار بن أبي سرح و قال: متى كنت تنصح للمسلمين؟ فتكلّم بنو هاشم و بنو أميّة، فقال عمّار: أيّها الناس إنّ الله أكرمنا بنبيّنا و أعزنا بدينه، فأنّي تُصرفون هذا الأمر عن بيت نبيّكم؟ فقال له رجل من بنى مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سميّة، و ما أنت و تأمير قريش لأنفسها؟ فقال سعد بن أبي وقّاص: أفرغ قبل أن يفتتن الناس، فلا تجعلنّ أيّها الرهط على أنفسكم سبيلاً، و دعا عليّاً فقال: عليك عهد الله و ميثاقه لتعملنّ بكتاب

(١). كذا في المصدر.

(٢). العقد الفريد: ٤ / ١٠٠.

اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ وَسِيرَةَ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ: «أَعْمَلُ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي». ثُمَّ دَعَا عَثْمَانَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ لِتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ. فَقَالَ: نَعَمْ، فَبَايَعَهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ «حَبِوتَهُ مَحَابَاةٌ لَيْسَ ذَا بَأْوَلِّ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا، أَمَا وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتُ عَثْمَانَ إِلَّا لِيَرُدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ، وَاللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ». فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا عَلِيُّ لَا تَجْعَلْ عَلِيَّ نَفْسَكَ سَبِيلًا، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ النَّاسَ، فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدِلُونَ بِعَثْمَانَ أَحَدًا، فَخَرَجَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: «سَبِيلُ الْكِتَابِ أَجْلُهُ»، قَالَ الْمَقْدَادُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، فَقَالَ: يَا مَقْدَادُ وَاللَّهِ لَقَدْ اجْتَهَدْتُ لِلْمُسْلِمِينَ. قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِذَلِكَ اللَّهُ فَأَتَابَكَ اللَّهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ. ثُمَّ قَالَ الْمَقْدَادُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ، وَلَا أَقْضَى مِنْهُمْ بِالْعَدْلِ، وَلَا أَعْرَفَ بِالْحَقِّ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَجِدُ أَعْوَانًا. قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا مَقْدَادُ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ.

وَأَخْرَجَ «١» الطَّبْرِيُّ نَحْوَهُ فِي تَارِيخِهِ (٣٧ / ٥)، وَذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ (٣ / ٢٩، ٣٠)، وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ النَّهْجِ (١ / ٦٥).

وَفِي لَفْظِ الْمَسْعُودِيِّ فِي الْمَرْجِ «٢» (١ / ٤٤٠): فَقَامَ عَمَّارٌ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا إِذَا صَرَفْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ هَاهُنَا مَرَّةً وَهَاهُنَا مَرَّةً فَمَا أَنَا بِأَمْنٍ أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ [مِنْكُمْ] فَيُضِعَّهُ فِي غَيْرِكُمْ كَمَا نَزَعْتُمُوهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَضَعْتُمُوهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ. وَقَامَ الْمَقْدَادُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُودِيَ بِهِ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَمَا أَنْتَ وَ ذَاكَ يَا مَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو؟ فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ لِأُحِبَّهُمْ بِحَبِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَعْجَبَ مِنْ

(١). تَارِيخُ الْأُمَمِ وَ الْمُلُوكِ: ٢٣٢ / ٤ حَوَادِثُ سَنَةِ ٢٣ هـ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ: ٢ / ٢٢٣ حَوَادِثُ سَنَةِ ٢٣، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: ١ / ١٩٣ خُطْبَةٌ ٣.

(٢). مَرْجُ الْذَهَبِ: ٢ / ٣٦٠. وَ مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مِنْهُ.

قُرَيْشٍ - وَ إِنَّمَا تَطَوَّلَهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ - قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى نَزْعِ سُلْطَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بَعْدَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، أَمَا وَ إِيْمَ اللَّهِ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَوْ أَجِدُ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْصَارًا لَقَاتَلْتُهُمْ كَقَاتَلِي إِيَّاهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ. وَ جَرَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ خُطْبٌ طَوِيلٌ قَدْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِهِ فِي كِتَابِنَا أَخْبَارَ الزَّمَانِ فِي أَخْبَارِ الشُّورَى وَ الدَّارِ.

و مرّ في هذا الجزء (ص ١٧): أنّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان و خوفوه ربّه و أعلموه أنّهم موثبه إن لم يقلع. راجع حديث البلاذري «١» المذكور.

قال الأميني: لعلك تعرف المقداد و مبلغه من العظمة، و مبوّاه من الدين، و مثواه من الفضيلة. قال أبو عمر: كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار. هاجر الهجرتين و شهد بدرأ و المشاهد كلها، أول من حارب فارساً في الإسلام. كان فارساً يوم بدر، و لم يثبت أنّه كان فيها على فرس غيره، و هو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام، و أحد النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله و رفقائه «٢» سمّاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أوّاباً، كما في حديث أخرجه أبو عمر في الاستيعاب.

و أنّي يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيّ العظيم من الفضائل، أو يدرك شأوه و بين يديه

قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الثناء عليه: «إنّ الله أمرني بحبّ أربعة، و أخبرني أنّه يحبّهم: عليّ، و المقداد، و أبو ذر، و سلمان» «٣».

---

(١). أنساب الأشراف: ١٦٢ / ٦.

(٢). مستدرک الحاكم: ٣ / ٣٤٨، ٣٤٩ [٣ / ٣٩١ ح ٥٤٨٤ و ٣٩٢ ح ٥٤٨٧]، الاستيعاب: ١ / ٢٨٩ [القسم الرابع / ١٤٨١ رقم ٢٥٦١]، أسد الغابة: ٤ / ٤١٠ [٥ / ٢٥١ رقم ٥٠٦٩]، الإصابة: ٣ / ٤٥٥ [رقم ٨١٨٣]. (المؤلف)

(٣). أخرجه الترمذی في جامعه [٥ / ٥٩٤ ح ٣٧١٨]، و أبو عمر في الاستيعاب: ١ / ٢٩٠ [القسم الرابع / ١٤٨٢ رقم ٢٥٦١]، و ذكره ابن الأثير في أسد الغابة: ٤ / ٤١٠ [٥ / ٢٥٢ رقم ٥٠٦٩]، و ابن حجر في الإصابة: ٣ / ٤٥٥ [رقم ٨١٨٣]. (المؤلف)

ص: ١٧٢

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: عليّ، و عمّار، و سلمان، و المقداد»، أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ١٤٢).

فهذا الرجل الدينيّ الذي يحبّه الله و يأمر نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم بحبّه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوّل يومه، متلهفاً على استخلافه تلهف من كأنّ الدنيا كانت له فسلبها، و كان يثبّط الناس و يُخدّلهم عنه، و يرى إمرة إمراً من الأمر «١» و إذا، يعتقدها ظلماً على أهل بيت العصمة، و يستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه كقتاله إيّاهم يوم بدر، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه، فكيف بعد ما شاهد منه من هنات و هنات؟

١٠- حديث حجر بن عدى الكوفي

سلام الله عليه و على أصحابه



إنَّ معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة (٤١) دعاه فحمد الله و أثنى عليه ثمَّ قال: أمَّا بعد؛ فإنَّ لذى اللحم قبل اليوم ما تُقرَع العصا، و قد قال المتلمّس «٢»:

لذى اللحم قبل اليوم ما تُقرَع العصا      و ما علّم الإنسان إلّا ليعلما

و قد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، و قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضينى، و يسعد سلطانى، و يصلح به رعيّتى، و لست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحمّ «٣» عن شتم علىّ و ذمّه، و الترحّم على عثمان

(١). يقال: أمر إمرأى عجب منكر.

(٢). هو جرير بن عبد المسيح من بنى ضبيعة، توجد ترجمته فى الشعر و الشعراء لابن قتيبة: ص ٥٢ [ص ٩٩]، و فى المؤتلف و المختلف: ص ٧١، ٢٠٢، ٢٠٧. (المؤلف)

(٣). كذا فى المصدر، و الصحيح ظاهراً: لا تتحام، من التحامى و هو التهيّب و التورع.

ص: ١٧٣

و الاستغفار له و العيب على أصحاب علىّ و الإقصاء لهم و ترك الإسماع منهم، و بإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه و الإدناء لهم و الاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جرّبت و جرّبت و عملت قبلك لغيرك فلم يُذمم بى دفع و لا رفع و لا وضع، فستبلو فتحمد أو تذمّ. ثمَّ قال: بل نحمد إن شاء الله.

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين و أشهراً لا يدع ذمّ علىّ و الوقوع فيه، و العيب لقتلة عثمان و اللعن لهم، و الدعاء لعثمان بالرحمة و الاستغفار له و التزكية لأصحابه، فكان حُجر بن عدى إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّم الله و لعن. ثمَّ قام فقال: إنَّ الله عزّ و جلّ يقول: (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) «١»، و أنا أشهد أنّ من تدمون و تعيرون لأحقّ بالفضل، و أنّ من تزكّون و تطهرون أولى بالذمّ. فيقول له المغيرة: يا حجر لقد رُمى بسهمك إذ كنت أنا الوالى عليك، يا حجر ويحك أتق السلطان، أتق غضبه و سطوته، فإنَّ غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً، ثمَّ يكفّ عنه و يصفح، فلم يزل حتى كان فى آخر إمارته، قام المغيرة فقال فى علىّ و عثمان كما كان يقول و كانت مقالته: اللهمّ ارحم عثمان بن عفّان و تجاوز عنه و اجزه بأحسن عمله فإنّه عمل بكتابك و أتبع سنة نبيّك صلى الله عليه و آله و سلم و جمع كلمتنا و حقن دماءنا و قُتل مظلوماً، اللهمّ فارحم أنصاره و أوليائه و محبّيه و الطالبين بدمه، و يدعو على قتلته. فقام حجر بن عدى فنعر نكرة بالمغيرة سمعها كلّ من كان فى المسجد و خارجاً منه و قال: إنك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيها الإنسان، مُر لنا بأرزاقنا و أعطياتنا فإنك قد حبستها عنّا و ليس ذلك لك، و لم يكن يطمع فى ذلك من كان قبلك، و قد أصبحت بدمّ أمير المؤمنين و تقرّبط المجرمين. قال: فقام

معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق و الله حجر و برّ، مُر لنا بأرزاقنا و أعطياتنا، فإنّا لا ننتفع بقولك هذا، و لا يجدى علينا شيئاً، و أكثروا فى مثل هذا القول و نحوه.

(١). النساء: ١٣٥.

ص: ١٧٤

إلى أن هلك المغيرة سنة (٥١)، فجمعت الكوفة و البصرة لزيد بن أبى سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ ذكر عثمان و أصحابه فقرّظهم و ذكر قتلته و لعنهم، فقام حجر ففعل مثل الذى كان يفعل بالمغيرة.

قال محمد بن سيرين: خطب زيد يوماً فى الجمعة فأطال الخطبة و آخر الصلاة فقال له حجر بن عدى: الصلاة. فمضى فى خطبته ثمّ قال: الصلاة. فمضى فى خطبته، فلمّا خشى حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصى و ثار إلى الصلاة و ثار الناس معه، فلمّا رأى ذلك زيد نزل فصلى بالناس، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره و كثر عليه فكتب إليه معاوية: أن شدّه فى الحديد ثمّ احمله إلىّ، فلمّا أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال: لا، و لكن سمع و طاعة. فشدّ فى الحديد ثمّ حُمِل إلى معاوية [ثمّ] ساروا به و بأصحابه و هم:

١- الأرقم بن عبد الله الكندى من بنى الأرقم.

٢- شريك بن شدّاد الحضرمى.

٣- صيفى بن فسيل الشيبانى.

٤- قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسى.

٥- كريم بن عفيف الخنعمى من بنى عامر ثمّ من قحافة.

٦- عاصم بن عوف البجلى.

٧- ورقاء بن سمىّ البجلى.

٨- كدام بن حيّان العنزى.

٩- عبد الرحمن بن حسّان العنزى.

١٠- محرز بن شهاب التميمى من بنى منقر.

١١- عبد الله بن حوية السعدى من بنى تميم.

و أتبعهم زياد برجلين و هما: عتبة بن الأخنس السعدى، و سعيد بن نمران

ص: ١٧٥

الهمداني، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء- بينها و بين دمشق اثنا عشر ميلاً- فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخليّة سنّة و بقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية: إنّنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ و اللعن له فإن فعلتم تركناكم، و إن أبيتم قتلناكم، و إنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنّه قد عفا عن ذلك، فأبرؤوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم، قالوا: اللهمّ إنّنا لسنا فاعلى ذلك. فأمر بقبورهم فحفرت و أدنيت أكفانهم، و قاموا الليل كلّهم يصلّون. فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة و أحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم و عمل بغير الحقّ. فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثمّ قاموا إليهم فقالوا: تبرّءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولّاه و نتبرّأ ممّن تبرّأ منه. فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله و أقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا سنّة و هم:

١- حجر. ٢- شريك. ٣- صيفى. ٤- قبيصة. ٥- محرز. ٦- كدام.

أخذنا من القصّة ما يهّمنا ذكره. راجع: الأغاني لأبى الفرج (١٦ / ٢ - ١١)، تاريخ الطبرى (١٤١ / ٦ - ١٦٠)، تاريخ ابن عساكر (٣٧٠ - ٣٨١)، الكامل لابن الأثير (٢٠٢ / ٣ - ٢١٠)، تاريخ ابن كثير (٤٩ - ٥٥).

قال الأمينى: هذه نظريّة الصحابيّ العظيم حجر و أصحابه العظماء الصلحاء الأخيار في عثمان، فكانوا يرونه أوّل من جار في الحكم و عمل بغير الحقّ، و كان حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة، و قد بلغ هو و زملاؤه الأبرار من ذلك

ص: ١٧٦

حدّا استساغوا القتل دون ما يرونه، و أبوا أن يتحوّلوا عن عقائدهم، و برز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، فاستمرّوا جُرع الموت فى سبيلها زعافاً ممقراً.

١١- حديث عبد الرحمن بن حسان العنزى الكوفى

لمّا قُتل حجر بن عدى سلام الله عليه و خمسة من أصحابه رضوان الله عليهم، قال عبد الرحمن بن حسان و كريم بن عفيف الخنعمى - و كانا من أصحاب حجر -: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: اثنوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزى: لا تبعد يا حجر و لا يبعد مثواك، فنعّم أخو الإسلام كنت. و قال الخنعمى نحو ذلك، ثمّ مضى بهما فالتفت العنزى، فقال متمثلاً:

كفى بشفاة القبر بعداً لهالك

و بالموت قطعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، و مسؤول عمّ أردت بقتلنا و فيم سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أ تتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟ و قام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أنني حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه علي أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

و أقبل علي عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أبا ربيعة ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً و الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر

ص: ١٧٧

و العافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، و أرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي - يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه - فبعث به معاوية إلى زياد، و كتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها، و اقتله شر قتلة. فلما قدم به علي زياد بعث به إلى قس الناطف «١»، فدفنه حياً.

الأغاني لأبي الفرج (١٠٠ / ١٦)، تاريخ الطبري (١٥٥ / ٦)، تاريخ ابن عساکر (٣٧٩ / ٢)، الكامل لابن الأثير (٢٠٩ / ٣) «٢».

قال الأميني: أنظر إلى تصلب الرجل الديني في معتقده في حق الرجلين: علي أمير المؤمنين، و عثمان، و كيف بلغ من ذلك حدّاً استباح فيه أن يراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره، و أخبتت إليه نفسه، و كان يرى من واجبه الإشادة بما ذكر و إن أريق عليه دمه الطاهر، و أسيلت نفسه الزكية.

١٢- حديث هاشم المرقال

خرج يوم صفين - من عسكر معاوية - فتى شابّ و هو يقول:

و الدائنُ اليومَ بدينِ عثمانُ

أنا ابن أرباب الملوك غسانُ

أنّ علياً قتل ابن عفانُ

أنبأنا أقوامنا بما كانُ

(١). هو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. معجم البلدان: ٣٤٩ / ٤.

(٢). الأغاني: ١٧ / ١٥٦، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٧٦ حوادث سنة ٥١ هـ، تاريخ مدينة دمشق: ٨ / ٢٦ - ٢٧ رقم ٥٨٨، و في تهذيب تاريخ دمشق: ٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٩٨ حوادث سنة ٥١ هـ.

ص: ١٧٨

ثم شدّ فلا ينثنى يضرب بسيفه، ثم جعل يلعن علياً و يشتمه و يسهب في ذمّه، فقال له هاشم بن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصام، و إن هذا القتال بعده الحساب. فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به، قال: فإنني أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي، و أنكم لا تصلّون، و أقاتلكم أنّ صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنّما قتله أصحاب محمد و قرأء الناس حين أحدث أحداثاً و خالف حكم الكتاب، و أصحاب محمد هم أصحاب الدين، و أولى بالنظر في أمور المسلمين، و ما أظنّ أنّ أمر هذه الأمة و لا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قطّ. قال الفتى: أجل أجل و الله لا أكذب فإنّ الكذب يضرّ و لا ينفع، و يشين و لا يزين. فقال له هاشم: إن هذا الأمر لا علم لك به فخلّه و أهل العلم به، قال: أظنّك و الله قد نصحتني، و قال له هاشم: و أمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أوّل من صلّى مع رسول الله، و أفقهه في دين الله، و أولاه برسول الله، و أمّا من ترى معه فكلمهم قارئ الكتاب، لا ينامون الليل تهجداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون. قال الفتى: يا عبد الله إنني لأظنّك امرأ صالحاً، و أظنّني مخطئاً آثماً، أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله يتب عليك؛ فإنّه يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات، و يحبّ التوابين و يحبّ المتطهرين. الحديث «١».

قال الأميني: هذا هاشم المرقال الصحابي المقدّس، و بطل الدين العظيم، و هذا رأيه في عثمان و هو يبوح به في موقف قتال حصل من جرّاء قتله، مبرراً فيه عمل المجهزين عليه، و يرى أنّه خالف حكم الكتاب و أحدث أحداثاً أباحت لأصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم قتله و أنّ من قتله هم أهل الدين و القرآن.

(١). كتاب صفين لابن مزاحم طبعة مصر: ص ٤٠٢ [ص ٣٥٤]، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٣ [٥ / ٤٣ حوادث سنة ٣٧ هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ٢ / ٢٧٨ [٨ / ٣٥ خطبة ١٢٤]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ١٣٥ [٢ / ٣٨٤ حوادث سنة ٣٧ هـ]. (المؤلف)

ص: ١٧٩

١٣- حديث جهجاه بن سعيد الغفاري

ممن بايع تحت الشجرة «١»

ورد من طريق أبي حبيبة أنّه قال: خطب عثمان الناس، فقام إليه جهجاه الغفاري: فصاح: يا عثمان ألا إنّ هذه شارف «٢» قد جئنا بها، عليها عباءة و جامعة، فانزل فلندركك العبادة، و لنطرحك في الجامعة و لنحملك على الشارف، ثمّ نطرحك في جبل

الدخان. فقال عثمان: قَبِحَ اللهُ و قَبِحَ ما جئت به. قال أبو حبيبة: و لم يكن ذلك منه إلّا عن ملاً من الناس، و قام إلى عثمان خيرته و شيعته من بنى أمية فحملوه فأدخلوه الدار.

و جاء من طريق عبد الرحمن بن حاطب قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي صلى الله عليه و آله و سلم التي كان [يخطب] «٣» عليها و أبو بكر و عمر، فقال له جهجاه: قم يا نعتل فانزل عن هذا المنبر. و أخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظية منها فيها، فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة فرأيتها تدود، فنزل عثمان و حملوه و أمر بالعصا فشدوها فكانت مضببة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلّا خرجة أو خرجتين حتى حُصر فقتل.

و فى لفظ البلاذرى: خطب عثمان فى بعض أيامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفارى: يا عثمان انزل ندرعك عباءة و نحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيّرت خيار الناس، فقال له عثمان: قَبِحَ اللهُ و قَبِحَ ما جئت به، و كان جهجاه متغيظاً على عثمان، فلمّا كان يوم الدار دخل عليه و معه عصاً كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتخصّر

---

(١). الاستيعاب: [القسم الأول / ٢٦٨ رقم ٣٥٢]، أسد الغابة: [١ / ٣٦٥ رقم ٨١٨]، الإصابة: [١ / ٢٥٣ رقم ١٢٤٥]. (المؤلف)

(٢). الشارف من النوق: المسنة الهرمة.

(٣). من تاريخ الطبرى.

ص: ١٨٠

بها فكسرها على ركبته فوقع فيها الأكلة.

راجع «١»: الأنساب للبلاذرى (٥ / ٤٧)، تاريخ الطبرى (٥ / ١١٤)، الاستيعاب فى ترجمة جهجاه، الكامل لابن الأثير (٣ / ٧٠)، شرح ابن أبى الحديد (١ / ١٦٥)، الرياض النضرة (٢ / ١٢٣)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٧٥)، الإصابة (١ / ٢٥٣)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٦٠).

قال الأمينى: جهجاه من أهل بيعة الشجرة الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه بنصّ الذكر الحكيم و هو يستبيح خلع عثمان و نفيه و تشهيره ملفوفاً بعباءة مكبلاً بالحديد إلى جبل الدخان، و لا يتحرّج من هتكه و كسر مخصرته، و إنّما قال ما قاله و فعل ما فعل بمحضر من المهاجرين و الأنصار، فلم يؤاخذه على ذلك أحد منهم و لا ردّ عليه رادّ، فكانّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم، و أظهر ما أضمره، و جاء بما أحبّوه حتى قضى ما كان مقتضياً.

إنّ حدوث الجرح فى ركة جهجاه لولوج شىء من كسرات العصا فيها المتحوّل أكلة إن صحّ فمن ولائد الانفاق و ليس بكرامة للفتيل، كما أنّ وقوع عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى والى عثمان على اليمن من مركبه و موته و قد جاء لنصرة عثمان لم يكن تقمة و لا نكبة له. قال أبو عمر و غيره: جاء عبد الله المخزومى لينصره لمّا حُصر فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات «٢».

وقال البلاذرى فى الأنساب «٣» (٥ / ٨٧): أقبل عبد الله المخزومى و كان عامله

(١). أنساب الأشراف: ١٦٠ / ٤، تاريخ الأمم و الملوك: ٣٤٤ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، الاستيعاب: القسم الأول / ٢٤٩ رقم ٣٥٢، الكامل فى التاريخ: ٢٨٧ / ٢ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ١٤٩ / ٢ خطبة ٣، الرياض النضرة: ٥٥ / ٣، البداية و النهاية: ١٩٧ / ٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). الاستيعاب: ١ / ٣٥١ [القسم الثالث / ٨٩٧ رقم ١٥٢٨]، أسد الغابة: ٣ / ١٥٥ [٣ / ٢٣٣ رقم ٢٩٣٧]، الإصابة: ٢ / ٣٠٥ [رقم ٤٦٧١]. (المؤلف)

(٣). أنساب الأشراف: ٢٠٧ / ٤.

ص: ١٨١

على مخاليف الجند لينصره، فلما انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله.

١٤- حديث سهل بن حنيف أبى ثابت الأنصارى (بدرى)

١٥- حديث رفاعة بن رافع بن مالك أبى معاذ الأنصارى (بدرى)

١٦- حديث الحجّاج بن غزّية الأنصارى

قال البلاذرى فى الأنساب «١» (٥ / ٧٨): قال أبو مخنف فى روايته: إن زيد بن ثابت الأنصارى قال: يا معشر الأنصار إنكم نصرتم الله و نبيّه فانصروا خليفته. فأجابه قوم منهم، فقال سهل بن حنيف: يا زيد أشبعك عثمان من عضدان المدينة- و العبيدة نخلة قصيرة ينال حملها- فقال زيد: لا تقتلوا الشيخ و دعوه حتى يموت فما أقرب أجله. فقال الحجّاج بن غزّية الأنصارى أحد بنى النجّار: و الله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر و العصر لتقرّبنا إلى الله بدمه.

و جاء رفاعة بن مالك الأنصارى ثمّ الزرقى بنار فى حطب، فأشعلها فى أحد البابين فاحترق و سقط، و فتح الناس الباب الآخر و اقتحموا الدار.

و فى لفظ للبلاذرى «٢» (ص ٩٠): قال زيد للأنصار: إنكم نصرتم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرّتين. فقال الحجّاج بن غزّية: و الله إن تدرى هذه البقرة الصيحاء ما تقول، و الله لو لم يبق من أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرّبنا إلى الله بدمه.

(١). أنساب الأشراف: ١٩٧ / ٤.

(٢). أنساب الأشراف: ٢١١ / ٤.

ص: ١٨٢

و قال ابن حجر فى الإصابة (١/ ٣١٣): روى للحجاج بن غزيرة أصحاب السنن حديثاً صرح بسماعه فيه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحج، قال ابن المدينى: هو الذى ضرب مروان يوم الدار حتى سقط «١».

قال الأمينى: نظرية هؤلاء الثلاثة ليست بأقل صراحة من نظريات إخوانهم المهاجرين و الأنصار فى استباحة دم الخليفة، و إزالته عن منصة الملك الإسلامى الدينى.

١٧- حديث أبى أيوب الأنصارى

من السابقين من جلة الصحابة البدرين

قال فى خطبة له: إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية، و قلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و خير المسلمين و أفضلهم و سيدهم بعده، يفقهكم فى الدين و يدعوكم إلى جهاد المحلّين، فو الله لكأنكم صمّ لا تسمعون، و قلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون. عباد الله أليس إنما عهدكم بالجور و العدوان أمس؟ و قد شمل العباد، و شاع فى الإسلام، فذو حق محروم مشتوم عرضه، و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه، و ملقى بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق، و نشر العدل، و عمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم و لا تتولّوا مجرمين، و لا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا و هم لا يسمعون، اشحذوا السيوف، و جدّدوا آلة الحرب، و استعدّوا للجهاد، فإذا دعيتم فأجيبوا، و إذا أمرتم فأطيعوا، تكونوا بذلك من الصادقين.

الإمامة و السياسة (١/ ١١٢) فى طبع، و فى آخر (ص ١٢٨)، جمهرة الخطب

(١). سيوافيك حديث ضربه مروان. (المؤلف)

ص: ١٨٣

(١/ ٢٣٦) «١».

قال الأمينى: هذا أبو أيوب الأنصارى، عظيم الصحابة الذى اختار الله داره منزلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنصار، و حسبه ذلك شرفاً، و هو من البدرين، و شهد المغازى كلها، و قد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثما أخذ شيئاً من كريمته الشريفة

بقوله: «لا يصيبك سوء يا أبا أيوب» «٢»



، وهذا يعمّ الأسواء الظاهرة من قتل بهوان، و أسر و سجن في مذلة، و أمراض مخزية من جذام و برص و غيرهما و اختلال في العقل، و الأسواء المعنوية من تزحزح عن الإيمان و تضعف في العقيدة، و انحياز عن الدين، فهو رضوان الله عليه مكلوء عن هذه كلها بتلك الدعوة المجابة، و هو مع فضله هذا يعدّ عهد عثمان عهد جور و عدوان، و يعدّد ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الأمة كأبي ذر و عمار و ابن مسعود و غيرهم ممّا مرّ تفصيله، و لو لم يكن إلّا شهادة أبي أيوب لكفت حجة في كلّ مهمّة، فكيف و قد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين و الأنصار؟

١٨- حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

سيد الخزرج، (بدرى)

١- من خطبة له خطبها بمصر، في أخذ البيعة لأمير المؤمنين على صلوات الله عليه، قال: الحمد لله الذي جاء بالحقّ، و أمات الباطل، و كبت الظالمين. أيها الناس؛ إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبيّنا، صلى الله عليه و آله و سلم فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله و سنّة رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٨)، الكامل لابن الأثير (٣/ ١١٥)، شرح ابن أبي

(١). الإمامة و السياسة: ١/ ١٣١، جمهرة خطب العرب: ١/ ٤٢٣ خطبة ٣٢١.

(٢). كنز العمال: ٣/ ٦١٤ ح ٣٧٥٦٨.

ص: ١٨٤

الحديد (٢/ ٢٣) «١».

٢- من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفين: أمّا بعد؛ فإنّكم إن كنتم تقمتم على عثمان بن عفّان رضى الله عنه في أثره رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتيمة رجل، أو في تسييره آخر، أو في استعماله الفتى، فإنّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لم يكن يحلّ لكم، فقد ركبتهم عظيماً من الأمر و جئتم شيئاً إذا، فتب إلى الله عزّ و جلّ يا قيس بن سعد! فإنّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفّان رضى الله عنه إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغنى شيئاً.

فأمّا صاحبك فإنّا استيقنا أنّه الذي أغرى به الناس، و حملهم على قتله حتى قتلوه، و أنّه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا و لك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلني غير هذا ممّا تحبّ فإنّك لا تسألني شيئاً إلّا أوتيته، و اكتب إليّ برأيك فيما كتبت به إليك. و السلام.

فكتب إليه قيس:

أما بعد؛ فقد بلغني كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضى الله عنه، و ذلك أمر لم أقارفه و لم أطف به. و ذكرت صاحبى هو أغرى الناس بعثمان، و دسهم إليه حتى قتلوه، و هذا لم أطلع عليه، و ذكرت عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتى. إلخ.

و فى لفظ: فلعمري إن أولى الناس فى أمره عشيرتى. فلعمري إن أول الناس كان فيه قياماً عشيرتى و لهم أسوة.

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٥٤٩ حوادث سنة ٣٦ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٥٤ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٥٩ خطبة ٦٧.

ص: ١٨٥

تاريخ الطبرى (٥ / ٢٢٧)، كامل ابن الأثير (٣ / ١١٦)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٢٣)، النجوم الزاهرة (١ / ٩٩)، جمهرة الرسائل (١ / ٥٢٤) «١».

٣- تحاور قيس بن سعد و النعمان بن بشير بين الصَّفِين بصفين، فقال النعمان: يا قيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه؟ إنكم يا معشر الأنصار أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار، و قتلتم أنصاره يوم الجمل، و إقحامكم على أهل الشام بصفين، فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم علياً كان هذا بهذا، و لكنكم خذلتهم حقاً، و نصرتم باطلاً، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس، شعلتم الحرب، و دعوتهم إلى البراز، فقد و الله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم، غير أنكاس عن حربكم... الكلام.

فضحك قيس و قال: و الله ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذا المقام، أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه، و أنت و الله الغاش لنفسه، المبطل فيما نصح غيره.

أما ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذ: قتل عثمان من لست خيراً منه، و خذله من هو خير منك، و أما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث، و أما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار، و أما قولك: إنا لسنا كالناس، فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله، نلقى السيوف بوجوهنا و الرماح بنحورنا، حتى جاء الحقّ و ظهر أمر الله و هم كارهون. و لكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابياً، أو يمانياً مستدرجاً؟ و انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان، الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك و صويحبيك «٢»؟

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٥٥٠ حوادث سنة ٣٦ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٥٥ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٦٠ خطبة ٦٧.

(٢). يعنى به عمرو بن العاص. (المؤلف)

ص: ١٨٦

و لستما و الله بدرين و لا عقبين «١» و لا لكما سابقة فى الإسلام و لا آية فى القرآن.

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٥١١)، الإمامة و السياسة (١ / ٩٤)، و فى طبعة (ص ٨٣)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٢٩٨)،  
جمهرة الخطب (١ / ١٩٠) «٢».

٤- قدم المدينة قيس بن سعد، فجاءه حسّان بن ثابت شامتاً به، و كان حسّان عثمانياً، فقال له: نزعك علىّ بن أبى طالب و قد  
قتلت عثمان، فبقى عليك الإثم، و لم يحسن لك الشكر. فقال له قيس: يا أعمى القلب و البصر، و الله لو لا أن ألقى بين رهطى  
و رهطك حرباً لضربت عنقك، أخرج عنى.

تاريخ الطبرى (٥ / ٢٣١)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٢٥) «٣».

قال الأمينى: إن فتى الأنصار و أمير الخزرج و ابن أميرها قيس بن سعد الذى تقدّمت فضائله و فواضله فى الجزء الثانى (ص  
٦٩ - ١١٠)؛ تراه يتبجح فى كتابه إلى معاوية بأنّ عشيرته الأنصار كانوا أوّل الناس قياماً فى دم عثمان، و فى خطبته يرى أنّ  
الحقّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين، و أنّ الباطل الذى أميت كان فى العهد البائد بقتل عثمان، و أنّ المقتولين فى واقعة الدار  
هم الظالمون، و أعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصفين، فالكلّ لهجة واحدة من رضىّ فى الدين و الدنيا واحد.

١٩- حديث فروة بن عمرو بن و دقة البياضى الأنصارى (بدرى)

أخرج مالك فى الموطأ حديثه فى باب العمل فى القراءة، و سكت عن اسمه و لم

---

(١). يعنى ممّن بايعوه صلى الله عليه و آله و سلم فى العقبة. (المؤلف)

(٢). وقعة صفين: ص ٤٤٨، الإمامة و السياسة: ١ / ٩٧، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٨٧ خطبة ١٢٤، جمهرة خطب العرب: ١ /  
٣٦٦ - ٣٦٧ خطبة ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٥٥٥ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٦٤ خطبة ٦٧.

ص: ١٨٧

يسمّه، بل ذكره بلقبه البياضى. و قال ابن وضاح «١» و ابن مزين «٢»: إنّما سكت مالك عن اسمه، لأنّه كان ممّن أعان  
على قتل عثمان.

و عقبه أبو عمر في الاستيعاب فقال: هذا لا يُعرف و لا وجه لما قالاه في ذلك و لم يكن لقائل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار.

الاستيعاب ترجمة فروة، أسد الغابة (١٧٩ / ٤)، الإصابة (٢٠٤ / ٣)، شرح الموطأ للزرقاني (١٥٢ / ١) «٣».

قال الأميني: الذي يشهد ببطلان ما قالاه أن ما حسبه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته فالإخراج عنه باطل سمّاه أو لم يسمّه، و إن كان غير مسقط لها فهو مشمول لما عمّ الصحابة عند القوم من الفضل و العدالة، و إن روايته حجة يُؤخذ بها و لا يضره إذن إلغاء الاسم، ثم إن كانت هذه الجريمة ممّا يُؤاخذ به صاحبه فهي عامّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبو عمر بقوله: لم يكن لقائل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار. فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن أسمائهم جمعاء. و بالجملة: أن هذا الأنصاريّ البدرى عدّ ممن أعان على قتل عثمان، و لم يشذّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيّة الصحابة أجمع.

٢٠- حديث محمد بن عمرو بن حزم أبي سليمان الأنصاري

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم محمداً. قال أبو عمر في الاستيعاب «٤»

(١). أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عليّ بن الواح الأنباري المتوفى: ٣٤٥. (المؤلف)

(٢). كذا في الاستيعاب و أسد الغابة و شرح الموطأ للزرقاني، و في الإصابة: ابن سيرين. (المؤلف)

(٣). الاستيعاب: القسم الثالث / ١٢٦٠ رقم ٢٠٧٤، أسد الغابة: ٤ / ٣٥٧ رقم ٤٢١٣، شرح موطأ مالك: ١ / ١٦٧ ح ١٧٤.

(٤). الاستيعاب: القسم الثالث / ١٣٧٥ رقم ٢٣٣٩.

ص: ١٨٨

في ترجمته: يقال: إنّه كان أشدّ الناس على عثمان المحمّدون: محمد بن أبي بكر، محمد بن أبي حذيفة، محمد بن عمرو بن حزم.

٢١- حديث جابر بن عبد الله أبي عبد الله الأنصاريّ

الصحابيّ العظيم و قوم آخرين من الصحابة لمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة و الدم و أتته ولاية مكة و المدينة، و كان عبد الملك حين بعثه لقتال عبد الله بن الزبير عقد له على مكة و لكنّه أحبّ تجديد ولايته إليها، فشخص الحجّاج إلى المدينة، و استخلف على مكة عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها و استخفّ بهم و قال: إنهم قتلة أمير المؤمنين عثمان، و ختم يد جابر بن عبد الله برصاص و أيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذمّة، منهم: أنس بن مالك

ختم عنقه، و أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان؟ قال: قد فعلت. قال: كذبت. ثم أمر به فختم في عنقه برصاص.

أنساب البلاذري (٣٧٣ / ٥)، تاريخ الطبري (٢٠٦ / ٧)، الكامل لابن الأثير (١٤٩ / ٤) «١».

قال الأميني: تُعطي هذه الرواية أن مؤاخذه الحجاج لبقية الصحابة وفيهم جابر - صاحب الحلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُؤخذ منه العلم كما في الإصابة (٢١٣ / ١) - كانت لتدخلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد

(١). أنساب الأشراف: ١٣٤ / ٧، تاريخ الأمم والملوك: ١٩٥ / ٦، الكامل في التاريخ: ٧٤ / ٣، حوادث سنة ٧٣ هـ.

ص: ١٨٩

عن نصرته، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتثيه، غير أن الحالة تشهد أن تلكم النسبة كانت مشهورة بين الملاء فاحتج بها الحجاج على ما ارتكبه من إهانتهم و لم يظهر من القوم أى إنكار لما رُموا به رداءً لعادية الطاغية، لكنهم صبروا على البلاء و شدة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبه في واقعة الدار.

٢٢- حديث جبلة بن عمرو «١» بن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدرى)

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال: مرَّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي و هو بفناء داره و معه جامعة، فقال: يا نعتل و الله لأقتلنك و لأحملنك على قلوب جرباء، و لأخرجنك إلى حرّ النار، ثم جاء مرة أخرى و عثمان على المنبر فأنزله عنه.

و أخرج من طريق عامر بن سعد؛ قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدي، مرَّ به عثمان و هو جالس في ندى قومه، و في يد جبلة بن عمرو جامعة، فلما مرَّ عثمان سلّم، فردّ القوم، فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا و كذا؟ قال: ثم أقبل على عثمان فقال: و الله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه. قال عثمان: أىّ بطانة؟ فو الله إنى لأتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته! و معاوية تخيّرته! و عبد الله بن عامر بن كريز تخيّرته! و عبد الله بن سعد تخيّرته! منهم من نزل القرآن بدمه و أباح رسول الله دمه «٢» قال: فانصرف عثمان، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم.

(١). قال البلاذري في الأنساب: ٤٧ / ٥ [١٦٠ / ٦]: قال الكلبي: هو رخيطة بن ثعلبة البياضي، بدرى. (المؤلف)

(٢). هو عبد الله بن سعد، راجع ما أسلفناه في: ٢٨٠ / ٨. (المؤلف)

تاريخ الطبرى (٥/ ١١٤)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٧٠)، تاريخ ابن كثير (٧/ ١٧٦) شرح ابن أبى الحديد (١/ ١٦٥) «١».

و أخرج البلاذرى فى الأنساب «٢» (٥/ ٤٧) الحديث الأوّل باللفظ المذكور فقال: ثمّ أتاه و هو على المنبر فأنزله، و كان أوّل من اجترأ على عثمان و تجمّهم بالمنطق الغليظ و أتاه يوماً بجامعة فقال: و الله لأطرحنّها فى عنقك، أو لتتركنّ بطانتك هذه، أطعمت الحارث بن الحكم السوق و فعلت و فعلت، و كان عثمان ولى الحارث السوق فكان يشتري الجلب «٣» بحكمه و يبيعه بسومه، و يجبى مقاعد المتسوقين، و يصنع صنيعاً منكراً، فكلم فى إخراج السوق من يده فلم يفعل.

و قيل لجبلّة فى أمر عثمان و سئل الكفّ عنه، فقال: و الله لا ألقى الله غداً فأقول: إنّنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلّونا السبيل.

و أخرج ابن شبة فى أخبار المدينة «٤» من طريق عبد الرحمن بن أزهر: أنّهم لما أرادوا دفن عثمان، فانتهوا إلى البقيع، فمنعهم من دفنه جبلّة بن عمرو، فانطلقوا إلى حشّ كوكب فدفنوه فيه «٥».

قال الأمينى: إنّك جدّ عليم بما فى هذا الرجل المبجلّ البدرىّ الذى أثنى عليه أبو عمر فى الاستيعاب «٦» بقوله: كان فاضلاً من فقهاء الصحابة. و هو أحد

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٣٦٥ حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢/ ٢٨٧ حوادث سنة ٣٥ هـ، البداية و النهاية: ٧/ ١٩٧ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٤٩ خطبة ٣٠.

(٢). أنساب الأشراف: ٦/ ١٦٠.

(٣). الجلب: ما جلب من خيل و إبل و متاع.

(٤). تاريخ المدينة: ١/ ١١٢، ٤/ ١٢٤٠.

(٥). الإصابة: ١/ ٢٢٣ [رقم ١٠٨٠]. (المؤلف)

(٦). الاستيعاب: القسم الأوّل / ٢٣٦ رقم ٣١٧.

الصحابة العدول الذين يُحتجّ بما رووه أو رأوه من شدّة على عثمان و ثبات عليها، حتى إنه يعدّ المحايدة يومئذٍ من الضلال الذى يأمر به السادة و الكبراء الضالّون، و يهدّد عثمان و يردد و يبرق و ينهى عن ردّ السلام عليه الذى هو تحية المسلمين، و

من الواجب شرعاً ردّها، و ينزله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملاء، ثمّ لم يزل يستخفّ به و يهينه و لا تأخذه فيه هوادة حتى منعه عن الدفن فى البقيع، فدفن فى حشّ كوكب مقابر اليهود، و كلّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنّه به فضلاً عن حسن عقيدته.

نعم، إنّ جبلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهرانى الملاء الدينى الصحابة العدول و هم بين متجمهر معه، و مخذّل عن الخليفة المقتول، و مشبّط عنه، و راض بما دارت على الخليفة من دائرة سوء، ما خلا شذّاداً من الأمويين الذين وصفهم جبلة فى بيانه، و قدّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم فى الجزء الثامن «١»، و لم تقم الجامعة الدينية لهم و لآرائهم وزناً.

٢٣- حديث محمد بن مسلمة أبى عبد الرحمن الأنصارى (بدرى)

أخرج الطبرى؛ من طريق محمد بن مسلمة، قال: خرجت فى نفر من قومي إلى المصريين و كان رؤسائهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوى، و سودان بن حمران المرادى، و عمرو بن الحمق الخزاعى، و ابن النباع «٢»، قال: فدخلت عليهم و هم فى خباء لهم أربعتهم، و رأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظمت حقّ عثمان، و ما فى رقابهم من البيعة، و خوفتهم بالفتنة، و أعلمتهم أنّ فى قتله اختلافاً و أمراً عظيماً، فلا

(١). راجع صفحة: ٢٤٧-٢٤٩، ٢٧٥، ٣١٨. (المؤلف)

(٢). كذا فى تاريخ الطبرى و فيما حكى عنه، و الصحيح: ابن البياع و هو عروة بن شبيب الليثى. (المؤلف)

ص: ١٩٢

تكونوا أوّل من فتحه، و أنّه ينزع عن هذه الخصال التى تقتم منها عليه، و أنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم و هم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلينى. فأخلاقى، فقلت: الله الله يا عثمان فى نفسك، إنّ هؤلاء القوم إنّما قدموا يريدون دمك و أنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقوون عدوك عليك، قال: فأعطانى الرضا، و جزائى خيراً. قال: ثمّ خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال: و قد تكلم عثمان برجوع المصريين، و ذكر أنّهم جاءوا لأمر فيبلغهم غيره فانصرفوا. فأردت أن آتية فأعنفه، ثمّ سكت فإذا قائل يقول: قد قدم المصريون و هم بالسويداء «١» قال: قلت: أحقّ ما تقول؟ قال: نعم. قال: فأرسل إلى عثمان، قال: و إذا الخبر قد جاءه، و قد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب «٢» فقال: يا أبا عبد الرحمن هؤلاء القوم قد رجعوا، فما رأى فيهم؟ قال: قلت: و الله ما أدرى، إلّا أنّى أظنّ أنّهم لم يرجعوا لخير، قال: فارجع إليهم فارددهم، قال: قلت: لا و الله ما أنا بفاعل، قال: و لم؟ قال: لأننى ضمنت لهم أموراً تنزع عنها، فلم تنزع عن حرف منها، قال: فقال: الله المستعان.

قال: و خرجت و قدم القوم و حلّوا بالأسواف و حصروا عثمان. و جاءنى عبد الرحمن بن عديس و معه سودان بن حمران و صاحبا، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن أ لم تعلم أنّك كَلَمْتنا و رددتنا و زعمت أنّ صاحبا نازع عمّا نكره؟ فقلت: بلى، فإذا هم

يُخرجون إلى صحيفة صغيرة، وإذا قصبة من رصاص، فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب. الحديث يأتي بتمامه «٣».

(١). السويداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام [معجم البلدان: ٣ / ٢٨٦]. (المؤلف)

(٢). وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة [معجم البلدان: ٢ / ٣٧٢]. (المؤلف)

(٣). تاريخ الأمم والملوك: ٣٧٢ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٨٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ١٩٣

تاريخ الطبري (٥ / ١١٨)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٧٠) «١».

قال الأميني: إنك تجد محمد بن مسلمة هاهنا لا يشك في أن ما نقمه القوم على الخليفة موبقات يستحل بها هتك الحرمات ممن ارتكبها، لكنه كره المناجزة و حاول الإصلاح حذار الفتنة المستتعبة لطامات و هئابث، و سعى سعيه في رد القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عما فرط في جنب الله، و أن يكون ذلك توبة نصوحاً، فلعل الفورة تهدأ، و لهيب الثورة يخبأ، لكنه لما شاهد الفشل في مسعاه، و أخفق ظنه بعثمان، و رأى منه حث الإل، و عدم النزوع عن أحداثه، تركه و القوم، فارتكبوا منه ما ارتكبوا و لم يجبه حينما استنصره، و لم يُقم لطلبته وزناً، و لم ير له حرمة يدافع بها عنه، و لذلك خاشنه في القول، فكان ما كان مقضياً.

٢٤- حديث ابن عباس

حبر الأمة ابن عم النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم

١- أخرج أبو عمر في الاستيعاب «٢»؛ في ترجمة مولانا أمير المؤمنين على صلوات الله عليه من طريق طارق، قال: جاء ناس إلى ابن عباس، فقالوا: جئناك نسألك، فقال: سلوا عما شئتم، فقالوا: أي رجل كان أبو بكر؟ فقال: كان خيراً كله. أو قال: كالخير كله، على حدة كانت فيه. قالوا: فأى رجل كان عمر؟ قال: كان كالطائر الحذر الذي يظن أن له في كل طريق شركاً. قالوا: فأى رجل كان عثمان؟ قال: رجل ألهته نومته عن يقظته. قال: فأى رجل كان علي؟ قال: كان قد ملئ جوفه حكماً و علماً و بأساً و نجدة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كان يظن أن لا يمد يده إلى

(١). راجع الصحائف ٢٤٣-٢٤٥.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٢٩ رقم ١٨٥٥.



شيء إلا ناله، فما مدّ يده إلى شيء فناله.

٢- من كتاب لمعاوية إلى ابن عباس: لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا، وأن يكون رأياً صواباً، فإنك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، و ما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني ولا بيدك أمان «١».

فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً يقول فيه: و أما قولك: إنني من الساعين على عثمان و الخاذلين له، و السافكين له، و ما جرى بيني و بينك صلح فيمنعك مني؛ فأقسم بالله لأنك المتربص بقتله، و المحب لهلاكه، و الحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، و لقد آتاك كتابه و صريخه يستغيث بك و يستصرخ، فما حفلت به، حتى بعثت إليه معذراً بأجرة، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقتل كما كنت أردت، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا و بينك، فطفقت تنعى عثمان و تُلزمن دمه، و تقول قُتل مظلوماً، فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين، ثم لم تزل مصوباً و مصعداً و جاثماً و رابضاً، تستغوي الجهال، و تنازعنا حقنا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت (وَ إِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) «٢».

قال الأميني: إن حبر الأمة و إن لم يكن له أي تدخل في واقعة الدار، و كان أمير الحاج في سنته تلك، لكنك تراه لا يشذ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة، و لا يقيم له وزناً، و لا يرى له مكانة، و من أجل ذلك أعطى المقام حقه في جواب السائل عن الخلفاء، غير أنه لم يصف عثمان إلا بما يُنبئ عن عدم كفاءته برقدته الطويلة العاشية على يقظته، و سباته العميق الساتر لانتباهته، و من جرأ ذلك الاعتقاد تجده لم يهتم

(١). شرح ابن أبي الحديد: ٥٨ / ٤ [١٦ / ١٥٤ كتاب رقم ٣٧] قال: كتبه إليه عند صلح الحسن عليه السلام يدعو إلى بيعته. (المؤلف)

(٢). الأنبياء: ١١١.

بشيء من أمره لما جاءه نافع بن طريف بكتاب «١» من الخليفة يستنجد الحجاج و يستغيث بهم، على حين أنه محصور، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عباس يخطب، فلما نجزت قراءته أتم خطبته من حيث أفضت إليه، و لم يلو إلى أمر عثمان و حصاره، و لم ينس في أمره بنت شفة، و كان في وسعه أن يستشيرهم لنصرتهم، و هل ذلك كله لسوء رأى منه في الخليفة؟ أو لعدم الاهتمام في أمره؟ أو لحسن ظنه بالثائرين عليه؟ إخترا شئت، و لعلك تختار تحقق الجميع لدى ابن عباس، و كأن عائشة شعرت منه ذلك، فقالت يوم مر بها ابن عباس في منزل من منازل الحج: يا ابن عباس إن الله قد آتاك عقلاً و فهماً و بياناً فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية «٢».

و من جرأ رأيه الذائع الشائع كان يحذر معاوية و يخاف بطشه، و لما

قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها».

قال: إنني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان، أو يحبسني لقرابتي منك، و لكن اكتب معي إلى معاوية فمَنه و عدّه. الحديث «٣».

و في أثر ذلك الرأى كان يسكت عن لعن قتلة عثمان، و لمّا كتب إليه معاوية: أن اخرج إلى المسجد و العن قتله عثمان. أجاب بقوله: لعثمان ولد و خاصّة و قرابة، هم أحقّ بلعنهم مني، فإن شاءوا أن يلعنوا فليلعنوا، و إن شاءوا أن يمسكوا فليمسكوا «٤».

(١). يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان إن شاء الله. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ في هذا الجزء من حديث عائشة. (المؤلف)

(٣). تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٢٨ [٧ / ٢٥٥ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٨٣ [٢ / ٣٠٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلف)

(٤). الإمامة و السياسة لابن قتيبة: ١ / ١٤٨ [١ / ١٥٥]. (المؤلف)

ص: ١٩٦

٢٥- حديث عمرو بن العاصي

الذي عرفناكه في (٢ / ١٢٠ - ١٧٦)

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور، قال: كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج، و استعمله على الصلاة، و استعمل عبد الله ابن سعد على الخراج، ثمّ جمعهما لعبد الله بن سعد، فلمّا قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال: يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل به جربان جيّتك! إنّما عهدك بالعمل عاماً أوّل، أتطعن عليّ و تأتيني بوجه و تذهب عنيّ بآخر؟ و الله لو لا أكلت ما فعلت ذلك. فقال عمرو: إنّ كثيراً ممّا يقول الناس و ينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك، فقال عثمان: و الله لقد استعملتكم على ظلمك و كثرة القالة فيك، فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطّاب، ففارقني و هو عنيّ راض، فقال عثمان: و أنا و الله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت و لكننيّ لنت عليك فاجترأت عليّ، أمّا و الله لأننا أعزّ منك نقرأ في الجاهليّة، و قبل أن ألى هذا السلطان، فقال عمرو: دع عنك هذا، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم و هدانا به، قد رأيت العاصي بن وائل و رأيت أباك عفان؛ فو الله للعاصي كان أشرف من أيّك «١». فانكسر عثمان و قال: مالنا و لذكر الجاهليّة.

و خرج عمرو، و دخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين، و قد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك! فقال عثمان: دع هذا عنك، من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه.

قال: فخرج عمرو من عند عثمان و هو محتقد عليه، يأتي علياً مرةً فيؤلبه على

(١). ليت شعري ما مكانة عفان من الشرف إن كان يفضل عليه العاصي الساقط الشرف بقوله تعالى: (إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) كما مرّ تفصيله في الجزء الثاني: ص ١٢٠. (المؤلف)

ص: ١٩٧

عثمان، و يأتي الزبير مرةً فيؤلبه على عثمان و يأتي طلحة مرةً فيؤلبه على عثمان و يعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأول؛ خرج من المدينة، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع، فنزل في قصر له يقال له: العجلان، و هو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان. قال: فبينما هو جالس في قصره ذلك، و معه ابنه محمد و عبد الله، و سلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب، فناده عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: تركته محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطر العير و المكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر، فناده عمرو. ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: قتل. قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرض عليه حتى إنني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش إنه كان بينكم و بين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل، و أن يكون الناس في الحق شرعاً سواء، و كانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله «١».

٢- لما ركب عليّ و ركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين و الأنصار إلى أهل مصر في أول مجيئهم المدينة ناقمين على عثمان و ردّهم عنه فانصرفوا راجعين، رجع عليّ عليه السلام إلى عثمان و أخبره أنّهم قد رجعوا، حتى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال له: تكلم و أعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، و أنّ ما بلغهم عن إمامهم كان

(١). تاريخ الطبري: ١٠٨ / ٥ و ٢٠٣ [٤ / ٣٥٦] حوادث سنة ٣٥ هـ و ٥٥٨ حوادث سنة ٣٦ هـ، الأنساب للبلاذري: ٧٤ / ٥ [٦ / ١٩٢]، الإمامة و السياسة: ١ / ٤٢ [١ / ٤٧]، الاستيعاب ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح [القسم الثالث / ٩١٩ رقم ١٥٥٣]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ٦٣ [٢ / ١٤٤] خطبة ٣٠، و أوعز إليه ابن كثير في تاريخه: ٧ / ١٧٠ [٧ / ١٩١] حوادث سنة ٣٥ هـ بصورة مصغرة جرياً على عادته فيما لا يروقه. (المؤلف)

ص: ١٩٨

باطلاً، فإنَّ خطبتك تسيير في البلاد قبل أن يتحلَّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه. فأبى عثمان أن يخرج، فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثمَّ قال: أما بعد: إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا أنَّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم «١». فناداه عمرو بن العاصي من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان! فإنَّك قد ركبت نهاير «٢» و ركبناها معك فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان و إنَّك هناك يا ابن النابغة! قملت و الله جبَّتكَ منذ تركتكَ من العمل، فنودي من ناحية أخرى: تب إلى الله و أظهر التوبة يكف الناس عنك. فرفع عثمان يديه مدًّا و استقبل القبلة فقال: اللهمَّ إنِّي أوَّل تائب تاب إليك. و رجع إلى منزله، و خرج عمرو بن العاصي حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول: و الله إن كنت لألقى الراعي فأحرَّضه عليه. و في لفظ البلاذري: يا ابن النابغة و إنَّك ممَّن تؤلَّب على الطغام. و في لفظ: قال عمرو: يا عثمان إنَّك قد ركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر و زغت فراغوا فاعتدل أو اعتزل. و في لفظ: ركبت بهذه الأمة نهاير من الأمور فركبوها منك، و ملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل.

تاريخ الطبري (٥ / ١١٠، ١١٤)، أنساب البلاذري (٥ / ٧٤)، الاستيعاب ترجمة عثمان، شرح ابن أبي الحديد (٢ / ١١٣)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٤٨)، الفائق للزمخشري (٢ / ٢٩٦)، نهاية ابن الأثير (٤ / ١٩٦)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٧٥)، تاريخ ابن خلدون (٢ / ٣٩٦)، لسان العرب (٧ / ٩٨)، تاج العروس (٣ / ٥٩٢) «٣».

(١). ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منير النبيِّ الأعظم و هو بين يدي قبره الشريف، لعلَّه يعتذر بأنَّ مروان حثَّ عليه و لم يكن له منتدح من قبول أمره، و الملك عقيم. (المؤلف)

(٢). النهاير و النهاير: المهالك، الواحدة: نهيرة و نهبور. (المؤلف)

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٥٩ / ٤ و ٣٦٦ حوادث سنة ٣٥ هـ، أنساب الأشراف: ١٩٢ / ٦، الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٤١ رقم ١٧٧٨، شرح نهج البلاغة: ١٤٣ / ٢ خطبة ٣٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٨٣ حوادث سنة ٣٥ هـ، الفائق: ٤ / ٣٥، النهاية: ٥ / ١٣٤، البداية و النهاية: ٧ / ١٩٦ حوادث سنة ٣٥ هـ، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٥٩٧، لسان العرب: ١٤ / ٢٩٩.

ص: ١٩٩

٣- قال ابن قتيبة: ذكروا أنَّ رجلاً من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمرأ يقع في عليّ، فقال له: يا عمرو إنَّ أشياخنا سمعوا

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من كنت مولاة فعليّ مولاة»

، فحقَّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ، و أنا أزيدك أنَّه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال عمرو: إنَّه أفسدها بأمره في عثمان، فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، و لكنه آوى و منع، قال: فهل بايعه الناس

عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال: اتَّهامي إِيَّاهُ في عثمان. قال له: و أنت أيضاً قد اتُّهمت. قال: صدقت، فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنا أتينا قوماً أخذنا الحجَّةَ عليهم من أفواههم، علىَّ على الحقِّ فاتَّبَعوه.

الإمامة و السياسة «١» (١/ ٩٣).

٤- أخرج الطبري في تاريخه «٢» (٥/ ٢٣٤) من طريق الواقدي، قال: لَمَّا بلغَ عمرًا قتلَ عثمان رضى اللهُ عنه قال: أنا أبو عبد الله، قتلته و أنا بوادى السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيِّباً، و إن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلَّا سيستنظف الحقَّ، و هو أكره من يليه إلىَّ.

٥- أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني (ص ١٣٣ - ١٣٦) من

قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمر بن العاصي «و أمَّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سَعَرْت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين، فلَمَّا أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت - أى قشرت - قرحة أدميتها، ثم حبست نفسك إلى معاوية، و بعث دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، و لا نعاتبك على ودِّ، و بالله ما نصرت عثمان حيًّا، و لا غضبت له مقتولًا».

---

(١). الإمامة و السياسة: ٩٧ / ١.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٥٦٠ / ٤.

ص: ٢٠٠

قال أبو عمر في الاستيعاب «١» في ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: كان عمرو بن العاصي يطعن على عثمان و يؤلِّب عليه و يسعى في إفساد أمره، فلَمَّا بلغه قتل عثمان و كان معتزلاً بفلسطين قال: إنِّي إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هذا.

و قال «٢» في ترجمة محمد بن أبي حذيفة: كان عمرو بن العاص مذ عزله عثمان عن مصر يعمل حيلة في التآليب و الطعن على عثمان.

و في الإصابة (٣/ ٣٨١): إنَّ عثمان لَمَّا عزل عمرو بن العاص عن مصر قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان، فبلغ عثمان فزجره، فخرج إلى أرض له بفلسطين فأقام بها.

قال الأميني: لعلَّ ممَّا يستغنى عن الإفاضة فيه مناوأة ابن العاصي لعثمان و رأيه في سقوطه، و تبجَّحه بالتآليب عليه، و مسرَّته على قتله، و قوله بملء فمه: أنا أبو عبد الله قتلته و أنا بوادى السباع. و قوله: إنِّي إذا نكأت قرحة أدميتها. و هل الإحن بينهما استفحلت فتأثرت بها نفسيَّة ابن العاصي حتى أنه اجتهد فأخطأ أو أنه أصاب الحقَّ، فكان اجتهاده عن مقدِّمات صحيحة

مقطوعة عن الضغائن النائرة، معتضدة بآراء الصحابة، وآيا ما كان فهو عند القوم من أعظم الصحابة العدول يرى في الخليفة هذا الرأي!

٢٦- حديث عامر بن واثلة أبي الطفيل

الشيخ الكبير الصحابي

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدومه، فأرسل إليه فاتاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه قال له معاوية: أنت أبو

(١). الاستيعاب: القسم الثالث / ٩١٩ رقم ١٥٥٣.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث ص ١٣٦٩ رقم ٢٣٢٦.

ص: ٢٠١

الطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أ كنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممن شهدته فلم ينصره. قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية أما والله إن نصرته كانت عليهم و عليك حقاً واجباً و فرضاً لازماً، فإذا ضيَعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، و أصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن تنصره و معك أهل الشام؟ قال معاوية: أ و ما ترى طلبى لدمه نصرته له؟ فضحك أبو الطفيل و قال: بلى، و لكنى و إياك «١» كما قال عبيد بن الأبرص «٢»:

و فى حياتى ما زودتني زادى

لأعرفنك بعد الموت تندبنى

فدخل مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحكم، فلما جلسوا نظر إليهم معاوية ثم قال: أ تعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا. فقال معاوية: هذا خليل على بن أبي طالب، و فارس صفين، و شاعر أهل العراق، هذا أبو الطفيل. قال سعيد بن العاص: قد عرفناه يا أمير المؤمنين! فما يمنعك منه؟ و شتمه القوم، فزجرهم معاوية و قال: مهلاً قرب يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتهم به ذرعاً، ثم قال: أ تعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء و لا أعرفهم بخير، و أنشد شعراً:

فشرُّ عداوة المرء السبابُ

فإن تكن العداوة قد أكنت

فقال معاوية: يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ أم موسى، وأشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية و قال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان: أجل والله لا تقول الباطل.

الإمامة والسياسة (١/١٥٨)، مروج الذهب (٢/٦٢)، تاريخ ابن عساكر

(١). كذا والصحيح كما في مروج الذهب [٣/٢٦]: ولكنك وإياه. (المؤلف)

(٢). ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٥٦.

ص: ٢٠٢

(٧/٢٠١)، الاستيعاب في الكنى، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٣٣) «١».

قال الأميني: أ ترى هذا الشيخ الكبير الصالح كيف يعترف بخذلانه عثمان؟ و يحكى مصافقته على ذلك عن المهاجرين و الأنصار الصحابة العدول، غير متندّم على ما فرط هنالك، و لو كان يتحرّج هو و من نقل عنهم موافقتهم له لردعتهم الصحبة و العدالة عمّا ارتكبه من القتل و الخذلان، و لو كان لحقه و إياهم شيء من الندم لباح به و باحوا، لكنهم اعتقدوا أمراً فمضوا على ضوئه، و إنهم كانوا على بصيرة من أمرهم، و ما اعتراهم الندم إلى آخر نفس لفظوه.

٢٧- حديث سعد بن أبي وقاص

أحد العشرة المبشّرة، و أحد الستّة أصحاب الشورى

١- روى ابن قتيبة في الإمامة و السياسة «٢» (١/٤٣)، قال: كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان و من قتله و من تولّى كبره؟ فكتب إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان، و إنّي أخبرك أنّه قتل بسيف سلّته عائشة، و صقله طلحة، و سمّه ابن أبي طالب، و سكت الزبير و أشار بيده، و أمسكنا نحن، و لو شئنا دفعناه عنه، و لكن عثمان غير و تعيّر و أحسن و أساء، فإن كُنّا أحسنًا، فقد أحسنّا و إن كُنّا أسأنا فنستغفر الله. الحديث مرّ بتمامه (ص ٨٣).

-٢

عن أبي حبيبة، قال: نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثمّ خرج من عنده و هو يسترجع ممّا يرى على الباب، فقال له مروان: الآن

(١). الإمامة و السياسة: ١/١٦٥، مروج الذهب: ٣/٢٥، تاريخ مدينة دمشق ٢٦/١١٦-١١٧ رقم ٣٠٦٤، و في مختصر تاريخ دمشق: ١١/٢٩٣، الاستيعاب: القسم الرابع / ١٦٩٧ رقم ٣٠٥٤، تاريخ الخلفاء: ص ١٨٦.

تندم؟ أنت أشعرتة. فأسمع سعداً يقول: أستغفر الله لم أكن أظنّ الناس يجتريون هذه الجرأة و لا يطلبون دمه، و قد دخلت عليه الآن فتكلّم بكلام لم تحضره أنت و لا أصحابك، فنزع عن كلّ ما كره منه، و أعطى التوبة، و قال: لا أتمادى فى الهلكة، إنّ من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق، فأنا أتوب و أنزع. فقال مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه، فعليك بابن أبى طالب فإنّه متستّر و هو لا يُجبه.

فخرج سعد حتى أتى عليّاً و هو بين القبر و المنبر، فقال: يا أبا الحسن قم فداك أبى و أمى جئتك و الله بخير ما جاء به أحد قطّ إلى أحد، تصل رحم ابن عمّك، و تأخذ بالفضل عليه، و تحقن دمه، و يرجع الأمر على ما نحبّ، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضا. فقال عليّ: «تقبّل الله منه يا أبا إسحاق و الله ما زلت أذبّ عنه حتى إنى لأستحي، و لكن مروان و معاوية و عبد الله بن عامر و سعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتة و أمرته أن ينحّيهما استغشّنى حتى جاء ما ترى». قال: فبيناهم كذلك جاء محمد بن أبى بكر، فسارّ عليّاً، فأخذ علىّ بيدي، و نهض علىّ و هو يقول: «و أىّ خير توبته هذه؟» فو الله ما بلغت دارى حتى سمعت الهائعة أن عثمان قد قتل، فلم نزل و الله فى شرّ إلى يومنا هذا.

تاريخ الطبرى «١» (٥/ ١٢١).

قال الأمينى: يترأى للقارئ من هذه الجمل أن سعداً خذل الخليفة على حين أنه مكتور لا يُراد به إلّا القتل و هو على علم منه أنه مقتول لا محالة لما كان يرى أنه غير و تعيّر، و غير عازب عن سعد حينئذ حكم الشريعة بوجود كلاءة النفس المحترمة للمتّمكّن منها و هو يقول: و أمسكنا نحن و لو شئنا دفعناه عنه. حتى أنه بعد هدوء الثورة غير جازم بأنّه ارتكب حوباً فى خذلانه فيقول: إن كُنّا أحسنّا فقد أحسنّا، و إن كُنّا أسأنا فنستغفر الله، و على تقدير كونه إساءة يراها من اللمم الممحوّ

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٧٧ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

بالاستغفار، و لعلّ الشقّ الأخير من كلمته مجاملة مع عمرو بن العاصى لئلا يلحقه الطلب بدم عثمان، و لذلك ألقى المسؤولية على أناس آخرين من عليّة الأمة ذكرهم فى كتابه، و عليه فصميم رأيه هو ما ارتكبه ساعة القتل من الخذلان.



ذكر البلاذرى فى الأنساب «١» (٥/ ٤٦): أن عثمان كتب إلى الأشر و أصحابه مع عبد الرحمن بن أبى بكر، و المسور بن مخرمة يدعوهم إلى الطاعة و يُعلمهم أنّهم أول من سنّ الفرقة، و يأمرهم بتقوى الله و مراجعة الحقّ، و الكتاب إليه بالذى يحبّون.

فكتب إليه الأشر:

من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطى الحائد عن سنة نبيّه، الناى لحكم القرآن وراء ظهره:

أما بعد؛ فقد قرأنا كتابك فانه نفسك و عمالك عن الظلم و العدوان و تسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا، و زعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا، و ذلك ظنك الذى أرداك، فأراك الجور عدلاً، و الباطل حقاً. و أما محبتنا فإن تنزع و تتوب و تستغفر الله من تجنيك على خيارنا، و تسييرك صلحاءنا، و إخراجك إيانا من ديارنا، و توليتك الأحداث علينا، و أن تولّى مصرنا عبد الله بن قيس أبى موسى الأشعري و حذيفة فقد رضيناها، و احبس عنا وليدك و سعيدك و من يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله و السلام.

و خرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرحبى، و مسروق بن الأجدع الهمدانى،

---

(١). أنساب الأشراف: ١٥٩ / ٦.

ص: ٢٠٥

و عبد الله بن أبى سيرة الجعفى، و علقمة بن قيس أبو شبل النخعى، و خارجة بن الصلت البرجمى فى آخرين. فلما قرأ عثمان الكتاب قال: اللهم إنى تائب و كتب إلى أبى موسى و حذيفة: أنتما لأهل الكوفة رضى و لنا ثقة، فتوليا أمرهم و قوما به بالحقّ غفر الله لنا و لكما. فتولّى أبو موسى و حذيفة الأمر، و سكن أبو موسى الناس، و قال عتبة بن الوغل:

تصدّق علينا يا ابن عفان و احتسب  
و أمر علينا الأشعري لياليا

فقال عثمان: نعم و شهوراً إن بقيت.

قال الأمينى: نظريّة مالك الذى عرفته صحيفة (٣٨) فى عثمان صريحة واضحة لا تحتاج إلى تحليل و تعليل، و إنّما أعطى من نفسه الرضا فى كتابه بشرط النزوع و التوبة، لكنّه لما لم يجد للشرط وفاءً بل وجد منه إصراراً على ما نقمه هو و الصحابة كلّهم تنشط للمخالفة، و أجلب عليه خيلاً و رجلاً، و لم يزل مشتتاً فى ذلك حتى بلغ ما أراد.

و سنوقفك على حقيقة أمر الخليفة من توبته بعد توبته فى المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

أخرج ابن سعد و البلاذري؛ بإسنادهما عن عبد الله بن عكيم الجهني - الصحابي -، قال: لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان. ف قيل له: يا أبا معبد و أعنت على دمه؟ قال: إني أعدّ ذكر مساوئه إعانة على دمه.

طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦)، الأنساب للبلاذري (٥/ ١٠١) «١».

قال الأميني: هذا الحديث صريح في أن الرجل كان يعتقد في عثمان مساوئ

---

(١). الطبقات الكبرى: ٦/ ١١٥، أنساب الأشراف: ٦/ ٢٢٦.

ص: ٢٠٦

و مثالب، و قد اطمأن بثبوتها له، فتحدّث بها في الأندية و المحاشد إعانة على دمه، فكان ذلك من موجبات قتله، و لم يزل معترفاً به بعد أن أسيلت نفسه و أريق دمه.

٣٠- حديث محمد بن أبي حذيفة

كان أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة العبشمي من أشدّ الناس تأليباً على عثمان، و ذكر البلاذري في الأنساب قال: كان محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، و محمد بن أبي حذيفة، خرجا إلى مصر عام مخرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها، فأظهر محمد ابن أبي حذيفة عيب عثمان و الطعن عليه و قال: استعمل عثمان رجلاً أباح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دمه يوم الفتح و نزل القرآن بكفره حين قال: سأنزل مثل ما أنزل الله «١».

و كانت غزاة ذات الصواري في المحرم سنة أربع و ثلاثين و عليها عبد الله بن سعد، فصلّى بالناس فكبر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه بها، فقال: لو لا أنك أحمق لقربت بين خطوك، و لم يزل يبلغه عنه و عن ابن أبي بكر ما يكره، و جعل ابن أبي حذيفة يقول: يا أهل مصر إننا خلفنا الغزو و راءنا، يعني غزو عثمان.

إنّ محمد بن أبي حذيفة و محمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر و عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و وافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيد الله و هو مع عبد الله بن سعد، و إنّ ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ففاته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه، فقيل: رجل أبيض و ضيء الوجه. فأمر إذا صلّى أن يؤتى به، فلمّا رآه قال: ما جاء بك إلى بلدي؟ قال: جئت غازياً، قال: و من معك؟ قال: محمد بن أبي بكر. فقال: و الله

(١). يعنى بذلك عبد الله بن سعد بن أبى سرح و هو صاحب يوم الفتح و فيه نزلت الآية كما مرّ فى: ص ٢٨١ من الجزء الثامن. (المؤلف)

ص: ٢٠٧

ما جئتما إلّا لتُفسدا الناس، و أمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبى سرح و غزا ابن أبى سرح إفريقية فأعدّ لهما سفينة مُفردة لئلا يُفسدا عليه الناس، فرض ابن أبى بكر فتخلف و تخلف معه ابن أبى حذيفة، ثمّ إنهما خرجا فى جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلّا و قد أوغرا صدور الناس على عثمان، فلمّا وافى ابن أبى سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه، فشخص إلى المدينة و خلف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبى بكر و ابن أبى حذيفة، فكان ممّن شايعهم و شجّعهم على المسير إلى عثمان.

قالوا: و بعث عثمان إلى ابن أبى حذيفة بثلاثين ألف درهم و بحمل عليه كسوة فأمر فوضّع فى المسجد و قال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعنى عن دينى و يرشونى عليه؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان و طعناً عليه، و اجتمعوا إلى ابن أبى حذيفة فرأسوه عليهم، فلمّا بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به و استغفر الله منه و سأله أن لا يحقده عليه، و قال: بحسبك من سلامتى لك تقتى بك، و سأله الشخصوص إلى مصر لياأتيه بصحّة خير ابن أبى حذيفة، و حقّ ما بلغه عنه من باطله، و أمره أن يقوم بعذره، و يضمن عنه العتبي لمن قدم عليه، فلمّا ورد عمار مصر «١» حرّض الناس على عثمان و دعاهم إلى خلعه، و أشعلها عليه، و قوى رأى ابن أبى حذيفة و ابن أبى بكر و شجّعهما على المسير إلى المدينة، فكتب ابن أبى سرح إلى عثمان يُعلمه ما كان من عمار، و يستأذنه فى عقوبته، فكتب إليه: بسّ الرأى رأيت يا ابن أبى سرح فأحسن جهاز عمار و احمله إلىّ، فتحركّ أهل مصر و قالوا: سيّر عمار، و دبّ فيهم ابن أبى حذيفة و دعاهم إلى المسير فأجابوه «٢».

(١). سنوقفك على أن بعث عمار إلى مصر قطّ لا يصحّ. (المؤلف)

(٢). أنساب البلاذرى: ٥/ ٤٩ - ٥١ [٦/ ١٦٣ - ١٦٥]، تاريخ ابن كثير: ٧/ ١٥٧ [٧/ ١٧٧ حوادث سنة ٣١ هـ]. (المؤلف)

ص: ٢٠٨

و ذكر أبو عمر الكندى فى أمراء مصر: أنّ عبد الله بن سعد أمير مصر كان توجهّ إلى عثمان لمّا قام الناس عليه، فطلب أمراء الأمصار فتوجهّ إليه فى رجب سنة (٣٥) و استتاب عقبه بن عامر، فوثب محمد بن أبى حذيفة على عقبه - و كان يوم ذاك بمصر - فأخرجه من مصر و غلب عليها، و ذلك فى شوال منها، و دعا إلى خلع عثمان، و أسعر البلاد، و حرّض على عثمان «١».

و أخرج من طريق الليث عن عبد الكريم الحضرمي كما في الإصابة (٣/ ٣٧٣): أن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على [السنة] «٢» أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطعن على عثمان، كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم، فيجعلهم على ظهور بيت في الحر، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة، ثم يرسل رسلاً يخبروا بقدمهم فيأمر بتلقيهم، فإذا لقوا الناس قالوا لهم: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب، فيتلقاهم ابن أبي حذيفة و معه الناس، فيقول لهم الرسل: عليكم بالمسجد، فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين: إننا نشكو إليكم يا أهل الإسلام كذا و كذا من الطعن على عثمان، فيضج أهل المسجد بالبكاء و الدعاء، فلما خرج المصريون و وجهوا نحو المدينة على عثمان شيعهم محمد بن أبي حذيفة إلى عجرود ثم رجع.

قال الأميني: أ ترى هذا الصحابي العظيم كيف يجد و يجتهد في إطفاء هذه النائرة و لا يخاف - فيما يعتقد أنه في الله - لومة لائم، غير مكترث لما بهته به العثمانيون من اختلاق الكتب على أمهات المؤمنين، و تسويد الوجوه بمواجهة الشمس، و لم يزل على

---

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ١٠٩ [٤ / ٣٥٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الاستيعاب: ١ / ٢٣٣ [القسم الثالث / ١٣٦٩ رقم ٢٣٢٦]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٦٧ [٢ / ٢٨٠ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الإصابة: ٣ / ٣٧٣ [رقم ٧٧٦٧]. (المؤلف)

(٢). الزيادة من المصدر.

ص: ٢٠٩

دأبه و اجتهاده حتى قضى الأمر، و أزيحت المثالات، و ما نبزوه به من الافتعال و التزوير هو حرفة كل عاجز، و لعله دبر في الأزمنة الأخيرة كما دبرت أمثاله في كل من الثائرين على عثمان سترأ على الحقائق الراهنة.

و هل من المستبعد أن تكتب في التاليب على عثمان صاحبة قول: اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً إنه قد كفر. [و قائلة: وددت و الله أنه في غرارة من غرائر هذه و أنى طوقت حمله حتى ألقيه في البحر] «١» و قائلة: وددت و الله أنك - يا مروان - و صاحبك هذا الذي يعنيتك أمره في رجل كل واحد منكما رحاً و أنكما في البحر. و قائلة: بعداً لنعنل و سحقا. و قائلة: أبعده الله، ذلك لما قدمت يده و ما الله بظلام للعبيد. و قائلة: يا ابن عباس إن الله قد آتاك عقلاً و فهماً و بياناً فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية.

و هي كانت في الرعيل الأول من الثائرين على عثمان بشتى الحيل و الطرق الثائرة.

هب أنهم بهتوا القوم بتلكم الأفائك لكن هل يسعهم إنكار تالبيتهم على الخليفة يومئذ؟ و قد التزموا بعدلتهم، و الصحاح و المسانيد مشحونة بالاحتجاج بهم و الإخراج عنهم، نعم غاية ما يمكنهم من التقول الحكم بالخطأ في الاجتهاد شأن كل متقابلين

فى حكم شرعى؁ و لىس تحكّمهم هذا بأرجح من رأى من ىرى أنّهم أصابوا فى الاجتهاد و إجماع الصحابة يومئذ كان معاضداً لهم؁ و هم يقولون: إنّ أمّة محمد لا تجتمع على خطأ.

٣١- حديث عمرو بن زرارّة النخعى

أدرک عصر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم

قال البلاذرى و غيره: إنّ أوّل من دعا إلى خلع عثمان و البيعة لعلّى عمرو بن زرارّة بن قيس النخعى؁ و كميل بن زياد بن نهيىك النخعى؁ فقام عمرو بن زرارّة

---

(١). ساقط من الطبعة الثانية و أثبتناه من الأولى.

ص: ٢١٠

فقال: أيّها الناس إنّ عثمان قد ترك الحقّ و هو يعرفه؁ و قد أغرى بصلحائكم يولّى عليهم شراركم؁ فبلغ الوليد فكتب إلى عثمان بما كان من ابن زرارّة؁ فكتب إليه عثمان؁ أنّ ابن زرارّة أعرابىّ جلف؁ فسوّره إلى الشام. و شيّعه الأشتر و الأسود بن يزيد بن قيس و علقمة بن قيس بن يزيد و هو عمّ الأسود و الأسود أكبر منه؁ فقال قيس بن قهدان يومئذ:

أقسم بالله ربّ البيت مجتهداً	أرجو الثواب به سرّاً و إعلاناً
لأخلعنّ أبا وهب و صاحبه	كهف الضلالة عثمان بن عفّانا

و قال ابن الأثير: هو ممّن سيّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق.

راجع «١»: الأنساب للبلاذرى (٥/ ٣٠)، أسد الغابة (٤/ ١٠٤)، الإصابة (١/ ٥٤٨ و ٢/ ٥٣٦).

قال الأمينى: لىس على نظريّة هذا الصحابى ستر يماط عنها؁ و لا أنّه كان يلهج بغير المكشوف حتى يُسدل عليه شىء من التمويه؁ فإنّك لا تجد رأيه إلّا فى عداد آراء الصحابة جمعاء يومئذ.

٣٢- حديث صعصعة بن صوحان

سيّد قومه عبد القيس

أخرج ابن عساكر فى تاريخه «٢» (٤/ ٤٢٤) من طريق حميد بن هلال العدوى، قال: قام صعصعة إلى عثمان بن عفان و هو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك، اعتدل يا أمير المؤمنين تعتدل أمتك.

---

(١). أنساب الأشراف: ٤/ ١٣٩، أسد الغابة: ٤/ ٢٢٣ رقم ٣٩٢٠.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٢٤/ ٨٤، ٨٨ رقم ٢٨٨١، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١١/ ٨٥.

ص: ٢١١

قال: و تكلم صعصعة يوماً فأكثر، فقال عثمان: يا أيها الناس إن هذا البجياج النفاج ما يدرى من الله و لا أين الله. فقال: أما قولك: ما أدرى من الله: فإن الله ربنا و رب آبائنا الأولين، و أما قولك: لا أدرى أين الله: فإن الله بالمرصاد، ثم قرأ: (أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا و إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) «١». فقال عثمان: ما نزلت هذه الآية إلّا فى و فى أصحابنا، أخرجنا من مكة بغير حق.

و ذكره الزمخشري فى الفائق «٢» (١/ ٣٥) فقال: البجياج: الذى يهبر الكلام و ليس لكلامه جهة، و روى: الفججاج؛ و هو الصياح المكثار. و قيل: المأفون المختال. و النفاج: الشديد الصلف.

و أوعز إليه ابن منظور فى لسان العرب «٣» (٣/ ٣٢)، و قال: البجياج من البجيجة التى تفعل عند مناغاة الصبى، و بججاج فججاج كثير الكلام، و البججاج: الأحمق، و النفاج: المتكبر.

و كذا ذكره ابن الأثير فى النهاية «٤» (١/ ٧٢)، و الزبيدي فى تاج العروس (٢/ ٤).

قال الأمينى: هذا صعصعة الذى أسلفنا صفحة (٤٣) من هذا الجزء ذكر عظمتة و فضله و بطولته و ثقته فى الدين و الدنيا، يرى أن الخليفة مال عن الحق فمالت أمتة و لو اعتدل اعتدلت، و فى تلاوته الآية الكريمة فى محاورته إيدان بالحرب، و أنه و من شاكلة مظلومون من ناحية عثمان منصورون بالله تعالى، فهو بذلك مستبجح لمنازحته و مناجزته، لقد لهج صعصعة بهذه على رءوس الأشهاد و الخليفة على المنبر يخطب، فلم يسمع إنكاراً أو دفاعاً من أفاضل الصحابة العدول.

---

(١). الحج: ٣٩.

(٢). الفائق: ١/ ٧٨.

(٣). لسان العرب: ١/ ٣١٦.

(٤). النهاية فى غريب الحديث و الأثر: ١/ ٩٦.

## ٣٣- حديث حكيم بن جبلة العبدى

## الشهيد يوم الجمل

كان هذا الرجل العظيم صالحاً دِيناً مطاعاً فى قومه كما وصفه أبو عمر، و أثنى عليه المسعودى بالسيادة و الزهد و النسك. كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة كما يأتى. و قال المسعودى: إنَّ الناسَ لما تقموا على عثمان ما تقموا، سار فيمن سار إلى المدينة حكيم بن جبلة. و قال الذهبي: كان ممن ألَّب على عثمان رضى الله عنه. و جاء فى مقال خفاف الطائى فى الحديث عن عثمان: حصره المكشوح، و حكم فيه حكيم، و وليه محمد و عمّار، و تجرّد فى أمره ثلاثة نفر: عدى بن حاتم، و الأشتر النخعى، و عمرو بن الحمق، و جدّ فى أمره رجلان: طلحة و الزبير. الحديث.

و قال أبو عمر: كان ممن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر و غيره من عمّاله. قال أبو عبيد: قطعت رجل حكيم يوم الجمل فأخذها ثم زحف إلى الذى قطعها، فلم يزل يضربه بها حتى قتله، و قال:

يا نفس لن تراعى	دعاك خير داعى
إن قُطعتُ كراعى	إنّ معى ذراعى «١»

فالباحث يجد لهذا البطل الصالح الدّين الزاهد الناسك قدماً أىّ قدم فى التّأليب على الخليفة، و له خطواته الواسعة فى استئصال دمه و التجمهر عليه، و هو مع ذلك كلّه بعد صالح يُذكر و يُشكر و يُثنى عليه، ما اسودّت صحيفة تاريخه بمنجزته الخليفة

(١). راجع: كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٨٢ [ص ٤٥]، مروج الذهب: ٧ / ٢ [٢ / ٣٦١ و ٣٧٥]، الاستيعاب: ١ / ١٢١ [القسم الأوّل / ٣٦٦ رقم ٥٤٠]، دول الإسلام للذهبي: ١ / ١٨ [ص ٢٣ حوادث سنة ٣٦ هـ]، ابن أبى الحديد: ١ / ٢٥٩ [٣ / ١١١ خطبة ٤٣]. (المؤلف)

و الوقية فيه و مقتنه و النقمة عليه، و لم يتضعض بها أركان صلاحه، و ما اختلّ بها نظام نسكه، و لا شوّهت سمعته الدينيّة، و لا دنّست ساحة قدسه، و هذه كلّها لا تلتئم مع كون الخليفة إمام عدل.

٣٤- حديث هشام بن الوليد المخزومى أخى خالد

مرّ في (ص ١٥) من هذا الجزء قول الرجل لعثمان لما ضرب عمّاراً حتى غشى عليه: يا عثمان أما علىّ فاتّقيته و بنى أبيه، و أمّا نحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتى أشفيت به على التلّف، أما و الله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بنى أميّة عظيم السرة. فقال عثمان: و إنك لها هنا يا ابن القسريّة؟ قال: فإنهما قسريّتان، و كانت أمّه و جدّته قسريّتين من بجيلة، فشتمه عثمان و أمر به فأخرج.

و لهشام أبيات في عثمان ذكرها المرزباني في معجم الشعراء كما قاله ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٠٦) و ذكر منها قوله:

لساني طويل فاحترس من شدائِهِ  
عليك و سيفي من لساني أطولُ

لعلّ الباحث لا يعزب عنه رأى هذا الصحابي - العادل - في الخليفة، و لا يجده شاذّاً عن بقيّة الصحابة في إصفاقهم على مقتته بعد ما يراه كيف يجابهه الرجل بفظاظة و خشونة، و يقابله بالقول القارص، و يهدّده بالهجاء و القتل، غير راع له أيّ حرمة و كرامة، لا يحسب تلکم القوارص زوراً من القول، و فنداً من الكلام، بل يرى الخليفة أهلاً لكلّ ذلك، فهل يجتمع هذا مع كون الرجل إمام عدل عند المخزومي؟

٣٥- حديث معاوية بن أبي سفيان الأموي

-١

من كتاب لأمير المؤمنين إلى معاوية: «فسبحان الله ما أشدّ لزومك

ص: ٢١٤

للأهواء المبتدعة و الحيرة المتبّعة، و مع تضييع الحقائق و أطراح الوثائق التي هي لله طلبية، و على عباده حجّة، فأما إكثارك الحجاج في عثمان و قتله، فإنك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، و خذلتته حيث كان النصر له» «١».

-٢

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية: «فو الله ما قتل ابن عمّك غيرك».

راجع ما مرّ من حديث أمير المؤمنين.

-٣



و من كتاب له عليه السلام إلى الرجل: «قد أسهبت في ذكر عثمان، و لعمرى ما قتله غيرك، و لا خذله سواك، و لقد تربّصت به الدوائر، و تمنّيت له الأمانى، طمعاً فيما ظهر منك، و دلّ عليه فعلك».

شرح ابن أبي الحديد «٢» (٣ / ٤١١).

٤- من كتاب لابن عباس إلى معاوية: أمّا ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفّان، و كراھتنا لسلطان بنى أمّية، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، و بينى و بينك في ذلك ابن عمّك و أخو عثمان: الوليد بن عقبة.

كتاب نصر (ص ٤٧٢)، الإمامة و السياسة (١ / ٩٦)، شرح ابن أبي الحديد (٢ / ٢٨٩) «٣».

٥- من كتاب لابن عباس إلى معاوية: و أمّا قولك: إننى من الساعين على عثمان و الخاذلين له و السافكين دمه، و ما جرى بينى و بينك صلح فيمنعك منى، فأقسم بالله لأنّك المتربّص بقتله، و المحبّ لهلاكه، و الحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من

---

(١). نهج البلاغة: ٢ / ٦٢ [ص ٤١٠ كتاب ٣٧]. (المؤلف)

(٢). شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٨٤ كتاب ١٠.

(٣). وقعة صفين: ص ٤١٥، الإمامة و السياسة: ١ / ١٠٠، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٦٦ خطبة ١٢٤.

ص: ٢١٥

أمره، و لقد أتاك كتابه و صريخه يستغيث و يستصرخ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بأجرة أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقتل كما كنت أردت، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا و بينك فطفقت تنعى عثمان و تلزمن دمه و تقول: قُتل مظلوماً. فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين. مرّ تمام الكتاب في صفحة (١٣٤).

٦- روى البلاذرى في الأنساب «١» قال: لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه، بعث يزيد بن أسد القسرى جدّ خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق و قال له: إذا أتيت ذا خُشب فأقم بها و لا تتجاوزها و لا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فإنّنى أنا الشاهد و أنت الغائب، قال: فأقام بذي خُشب حتى قُتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذى كان أرسل معه، و إنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

راجع شرح ابن أبي الحديد «٢» (٤ / ٥٧).

٧- من خطبة لشبث بن ربعي يخاطب معاوية: إنّه و الله لا يخفى علينا ما تغزو و ما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس، و تستميل به أهواءهم، و تستخلص به طاعتهم، إلّا قولك: قُتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه. فاستجاب له سفهاء طغام، و قد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، و أحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب. الخ.

كتاب صفين لابن مزاحم (ص ٢١٠)، تاريخ الطبري (٥/ ٢٤٣)، الكامل لابن الأثير (٣/ ١٢٣)، شرح ابن أبي الحديد (١/ ٣٤٢) «٣».

(١). أنساب الأشراف: ١٨٨ / ٦.

(٢). شرح نهج البلاغة: ١٥٤ / ١٦ كتاب ٣٧.

(٣). وقعة صفين: ص ١٨٧، تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٥٧٣ حوادث سنة ٣٦ هـ، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٦٥ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ٤ / ١٥ خطبة ٥٤.

ص: ٢١٦

٨- من كتاب لأبي أيوب الأنصاري جواباً لمعاوية: فما نحن و قتلة عثمان، إن الذي تربص بعثمان و ثبّط أهل الشام عن نصرته لأنت، و إن الذين قتلوه غير الأنصار.

الإمامة و السياسة (١/ ٩٣) و في طبعة (ص ٨١)، شرح ابن أبي الحديد (٢/ ٢٨١) «١».

٩- من كتاب لمحمد بن مسلمة الأنصاري جواباً لمعاوية: و لئن كنت نصرت عثمان ميثاً لقد خذلته حيّاً، و نحن و من قبلنا من المهاجرين و الأنصار أولى بالصواب.

الإمامة و السياسة (١/ ٨٧)، شرح ابن أبي الحديد (١/ ٢٦٠) «٢».

١٠- في محاوراة بين معاوية و أبي الطفيل الكنانى: قال معاوية: أكنت فيمن حضر قتل عثمان؟ قال: لا، و لكنى فيمن حضر فلم ينصره، قال: فما منعك من ذلك و قد كانت نصرته عليك واجبة؟ قال: منعتني ما منعك إذ تربصت به ريب المنون و أنت بالشام، قال: أ و ما ترى طلبى بدمه نصرته له؟ قال: بلى و لكنك و إياه كما قال الجعدى «٣»:

و فى حياتى ما زودتني زادى

لألفينك بعد الموت تندبنى

راجع ما مرّ في هذا الجزء (ص ١٣٩)

١١- لما أتى معاوية نعى عثمان وبيعه الناس علياً عليه السلام ضاق صدره بما أتاه و تظاهر بالندم على خذلانه عثمان، و قال كما في كتاب صفين «٤» (ص ٨٨):

أتانى أمرٌ فيه للنفس غمّةٌ  
و فيه بكاءٌ للعيون طويلٌ

(١). الإمامة و السياسة: ٩٧ / ١، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٤٤ خطبة ١٢٤.

(٢). الإمامة و السياسة: ٩١ / ١، شرح نهج البلاغة: ٣ / ١١٥ خطبة ٤٣.

(٣). مرّ في صفحة ٢٠١ أنّ البيت لعبيد بن الأبرص.

(٤). وقعة صفين: ص ٧٩.

ص: ٢١٧

و فيه فناءٌ شاملٌ و خزايةٌ  
مصابٌ أمير المؤمنين و هذه  
فلله عيناً من رأى مثل هالك  
تداعت عليه بالمدينة عصبه  
دعاهم فصمّوا عنه عند جوابه  
ندمت على ما كان من تبعى الهوى  
و فيه اجتداعٌ للأنوف أصيلٌ  
تكاد لها صمّ الجبال تزولُ  
أصيب بلا ذنب و ذاك جليلٌ  
فريقان منها قاتلٌ و خذولُ  
و ذاكم على ما فى النفوس دليلٌ  
و قصرى «١» فيه حسرةٌ و عويلٌ

قال الأمينى: إنّ زبدة مخض هذه الكلمات المعتمدة بعضها ببعض أنّ ابن هند لم يشدّ عن الصحابة فى أمر عثمان، و إنّما يفترق عنهم بأن أولئك كانوا مهاجمين عليه أو خاذلين له، و أمّا معاوية فقد اختصّ بالخذلان و التخذيل اللذين كان يروقه تتاجهما حتى وقع ما كان يحبّه و يتحرّاه، و حتى حسب صفاء الجوّ لما كان يضمّره من التشبّث بثارات عثمان، و الظاهر بعد الأخذ بمجامع هذه النقول عن أعظم الصحابة و بعد تصوير الحادثة نفسها من شتى المصادر أنّ لخذلان معاوية أتمّ مدخليّة فى انتهاء أمر الخليفة إلى ما انتهى إليه، و الخاذل غير بعيد عن المجهر، و من هنا و هنا

يقول له الإمام عليه السلام: «فو الله ما قتل ابن عمك غيرك».

و يقول: «و لعمرى ما قتله غيرك، و لا خذله سواك»

، إلى كلمات آخرين لا تخفى عليهم نوايا الرجل، فلو كان مستعجلاً بكتائبه إلى دخول المدينة، غير متربص قتل ابن عمه لحاموا عنه و نصره، و كان مبلغ أمره عندئذٍ إمّا إلى الفوز بهم، أو تراخى الأمر إلى أن يبلغه بقيّة الأنصار من بلاد أخرى، فيكون النصر بهم جميعاً، لكن معاوية ما كان يريد ذلك و إنّما كان مستبطئاً أجل الرجل، طامعاً في تقلّده الخلافة من بعده، فتركه و القوم، فهو أظلم الظالمين إن كان قُتل مظلوماً كما قاله حبر الأمة، أو أنّه من الصحابة العدول - كما يحسبه القوم - و هذا رأيه في الخليفة المقتول.

---

(١). قصرى: أى حسبى، يقال، قصرك: أى حسبك و كفايتك. كما يقال: قصارك و قصاراك. (المؤلف)

ص: ٢١٨

٣٦- حديث عثمان نفسه

دخل المغيرة بن شعبة على عثمان رضى الله عنه و هو محصور فقال: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فالحق بمكة، و إن أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام، ففيها معاوية و أنصارك من أهل الشام، و إن أبيت فاخرج و نخرج و تحاكم القوم إلى الله. فقال عثمان: أمّا ما ذكرت من الخروج إلى مكة فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «يُلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الإنس و الجن». فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله. الحديث.

و فى لفظ أحمد: «يُلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون أنا إيّاه.

و فى لفظ الخطيب: «يُلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب الأمة»، فلن أكونه.

و فى لفظ الحلبي: إن ابن الزبير لما قال لعثمان رضى الله عنه و هو محاصر: إن عندى نجائب أعدتها لك فهل لك أن تنجو إلى مكة؟ فإنهم لا يستحلّونك بها، قال له عثمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «يُلحد رجل فى الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم»، فلن أكون أنا.

راجع «١»: مسند أحمد (١/ ٦٧)، رجال إسناده كلهم ثقات، الإمامة و السياسة

(١). مسند أحمد: ١ / ١٠٧ ح ٤٨٣، الإمامة و السياسة: ١ / ٤١، الرياض النضرة: ٣ / ٦٢، البداية و النهاية: ٨ / ٣٧٤ حوادث سنة ٣٩ هـ، الصواعق المحرقة: ص ١١١، تاريخ الخلفاء: ص ١٥١، السيرة الحلبية: ١ / ١٧٥.

ص: ٢١٩

لابن قتيبة (ص ٣٥)، تاريخ الخطيب (١٤ / ٢٧٢)، الرياض النضرة (٢ / ١٢٩)، تاريخ ابن كثير (٧ / ٢١٠)، مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٠) قال: و رواه أحمد و رجاله ثقات و له طرق، الصواعق (ص ٦٦)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٠٩)، السيرة الحلبية (١ / ١٨٨)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٦٣)، إزالة الخفاء (٢ / ٣٤٣).

الإنسان على نفسه بصيرة:

تعطينا هذه الرواية أن ثقة عثمان بانطباع ما ذكره عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الرجل الملحد بمكة على نفسه من جرأ ما علم أنه مرتكبه من الأعمال أشدّ و أكثر من ثقته بإيمانه بما رووه له من البشارة بالجنة في العشرة المبشرة إلى فضائل أخرى صنعتها له أيدي الولاء و المحبة، على أن هذه كلها نصوص فيه، و أمّا ما خشى انطباقه عليه فهو وارد في رجل مجهول استقرب الخليفة أن يكونه هو، فامتنع عن الانفلات إلى مكة و آثر عليه بقاءه في الحصار حتى أودى به، و لم يكن يعلم أنه يقتل بمكة لو خرج إليها، و على فرض قتله بها فمن ذا الذي أخبره أنه يكون هو ذلك الرجل؟

كيف يخاف عثمان أن يكون هو ذلك الرجل و قد اشترى الجنة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم مرتين ببيع الحق: حيث حفر بئر رومة، و حيث جهّز جيش العسرة «١»؟

كيف يخاف عثمان و قد عهد إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأنه يُقتل و يُبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخذول، يغبطه أهل المشرق و المغرب، و يشفع في عدد ربيعة و مضر «٢»؟

كيف يخاف عثمان و قد سمع وصية رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أمته به بقوله: عليكم

(١). أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣ / ١٠٧ [٣ / ١١٥ ح ٤٥٧٠] و صحّحه غير معن نظره في إسناده و عقبه الذهبي بتضعيف عيسى بن المسيّب من رجال إسناده و قال، ضعّفه أبو داود و غيره. (المؤلف)

(٢). سنوفايك الحديث بإسناده و متنه كملًا. (المؤلف)

ص: ٢٢٠

بالأمير و أصحابه. و أشار إلى عثمان؟

كيف يخاف عثمان و قد أخبر صلى الله عليه و آله و سلم عن شأنه فى الجنة لما سُئل: أفى الجنة برق؟ فقال: نعم و الذى نفسى بيده إن عثمان ليتحول من منزل إلى منزل فتبرق له الجنة «١».

كيف يخاف عثمان و قد قال صلى الله عليه و آله و سلم بمشهد منه و مسمع: ليس من نبيِّ إلَّا و له رفيق من أمته معه فى الجنة و إن عثمان رفيقى و معى فى الجنة «٢»؟

كيف يخاف عثمان و قد قال له صلى الله عليه و آله و سلم معتقاً إياه: أنت وليّى فى الدنيا و الآخرة. أو قال: هذا جليسى فى الدنيا و وليّى فى الآخرة «٣»؟

كيف يخاف عثمان بعد ما جاء عن جابر أن النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم ما صعد المنبر فنزل حتى قال: عثمان فى الجنة «٤»؟

نعم؛ للباحث أن يجيب بأن هذه كلّها أباطيل و أكاذيب لا يصحّ شيء منها، فما ذنب عثمان؟ و كيف لا يخاف و الإنسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره؟

قريض يؤكّد ما سبق:

ذكر البلاذرى فى الأنساب «٥» (١٠٥ / ٥) للأعور الشنى بشر بن منقذ يكنى أبا منقذ أحد بنى شنّ بن أقصى كان مع أمير المؤمنين يوم الجمل، ترجمه المرزبانى فى معجم الشعراء (ص ٣٩) قوله:

---

(١). راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٣. (المؤلف)

(٢). سيأتيك الحديث بإسناده و أنّه باطل. (المؤلف)

(٣). سنوقفك فى هذا الجزء على أنّه باطل لا يصح. (المؤلف)

(٤). من أكاذيب جاء بها محبّ الطبرى فى رياضه: ٢ / ١٠٤ [٣ / ٣١]. (المؤلف)

(٥). أنساب الأشراف: ٢٢٩ / ٦.

ص: ٢٢١

ثوى تاركاً للحقّ متبّع الهوى  
و أورت حرباً حشّها بطعانِ  
برئت إلى الرحمن من دينِ نعثِ  
و دينِ ابنِ صخرٍ أيّها الرجلانِ  
و يقال: ابن الغريرة النهشلي، و يقال: الحباب بن يزيد المجاشعي «١».

و قال عليّ بن الغدير المضرّس الغنوي، و يقال: إهاب بن همام بن صعصعة المجاشعي:

لعمراً أيبك فلا تكذبي  
لقد ذهب الخيرُ إلّا قليلاً  
لقد فُتنَ الناسُ في دينهم  
و خلّى ابن عفّان شراً طويلاً  
أعاذلُ كلِّ امرئٍ هالكٌ  
فسيرى إلى الله سيراً جميلاً

راجع «٢»: الأنساب (٥/ ١٠٤)، تاريخ الطبري (٥/ ١٥٢)، الاستيعاب (٢/ ٤٨٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٤٣).

و أخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفين «٣» (ص ٤٣٥) من رجز همام بن الأغفل يوم صفين قوله:

قد قرّت العين من الفساقِ  
و من رءوس الكفر و النفاقِ  
إذ ظهرت كتائبُ العراقِ  
نحن قتلنا صاحبَ المُرّاقِ  
و قائدُ البُغاةِ و الشقاقِ  
عثمانَ يومَ الدار و الإحراقِ «٤»

---

(١). في تاريخ ابن عساکر: ٣/ ٢٥٨ [١٠/ ٢٧٥ رقم ٩١٠، و في مختصر تاريخ دمشق: ٥/ ٢١٩]: الحتات بن يزيد. (المؤلف)

(٢). أنساب الأشراف: ٦/ ٢٢٨، تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٤٢٦ حوادث سنة ٣٥ هـ، الاستيعاب: القسم الثالث/ ١٠٥٢ رقم ١٧٧٨.

(٣). وقعة صفين: ص ٣٨٣.

(٤). إشارة إلى إحراق باب دار عثمان كما مرّ حديثه و يأتي. (المؤلف)

بالطعنِ و الضربِ مع العناقِ

لَمَّا لَفَفْنَا سَاقَهُمْ بِسَاقِ

و قال محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي كما في كتاب صفين «١» (ص ٤٣٦):

إِذْ صَدَّ عَنْ أَعْلَامِنَا الْمَنِيرِ

نَحْنُ قَتَلْنَا نَعْتَلًا بِالسَّيْرِ

نَحْنُ قَتَلْنَا قَبْلَهُ الْمَغِيرِ «٢»

يَحْكُمُ بِالْجُورِ عَلَى الْعَشِيرِ

إِنَّا أَنَاسٌ ثَابِتُو الْبَصِيرِ

نَالَتْهُ أَرْمَاحٌ لَنَا مَوْتُورِ

و قال الفضل بن العباس مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن أبيات له:

و أين ابن ذكوان الصفوري من عمرو

أ تطلب ثأراً لست منه و لا له

و تنسى أباهما إذ تُسامى أولى الفخر

كما اتّصلت بنتُ الحمار بأُمّها

وصىُّ النبيِّ المصطفى عند ذى الذكر

ألا إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ محمدٍ

و أوّلُ من أَردى الغِوَاةَ لدى بدرٍ

و أوّلُ من صلّى و صنوُ نبيّه

لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

فلو رأتِ الأَنْصارُ ظلمَ ابنِ عمّكم

و أن يُسلموه للأحاييش من مصر

كفى ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله

تاريخ الطبري «٣» (٥ / ١٥١).

نادى عمرو بن العاص يوم صفين بأعلى صوته:

قوموا قياماً و استعينوا الرحمنُ

يا أيّها الجند الصّليب الايمانُ



إِنِّي أَنَا خَيْرٌ ذُو أَلْوَانٍ «٤»

أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَفَّانٍ

رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا كَمَا كَانَ

(١). وقعة صفين: ص ٣٨٣.

(٢). هو المغيرة بن الأحنس المقتول يوم الدار مع عثمان كما يأتي حديثه. (المؤلف)

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٢٢٦ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤). في كتاب نصر: فأشجان. (المؤلف)

ص: ٢٢٣

فردّ عليه أهل العراق و قالوا:

أبت سيوفٍ مذحجٍ و همدانٍ

خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن

بأن تردّ نعثلاً كما كان

ذلك شأنٌ قد مضى و ذا شأنٌ

ثمّ نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته:

رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلُ

أو لا تكونوا حرزاً من الأسلُ «١»

فردّ عليه أهل العراق:

كيف نردُّ نعثلاً و قد قحلُ

و أبدل الله به خير بدلُ

نحن ضربنا رأسه حتى انجفلُ «٢»

أعلم بالدين و أزكى بالعملُ «٣»

شدّ الأشر مالک بن الحارث يوم صفین علی محمد بن روضة و هو يقول:

لا یبعد الله سوی عثماننا  
و لا یسلّی عنکم الأحزاننا  
و أنزل الله بکم هوانا  
مخالف قد خالف الرحمانا

نصرتموه عابداً شیطاناً «٤»

٣٧- حدیث المهاجرین و الأنصار

-١

من کتاب کتبه مولانا امیر المؤمنین إلى معاویة: «زعمت أنّک إنّما أفسد

---

(١). فی کتاب صفین: جزراً من الأسل. الجزر: قطع اللحم تأکله السباع. الأسل: الرماح. (المؤلف)

(٢). قحل: بیس فهو قاحل. انجفل: انقلب و سقط. (المؤلف)

(٣). کتاب صفین: ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٤٥٤ [ص ٢٢٨، ٢٢٩]، شرح ابن أبی الحدید: ١ / ٤٨٢ [٥ / ١٨٥ خطبة ٤٥]، لسان العرب: ١٤ / ٧٠ [١١ / ٤٦]، تاج العروس: ٨ / ٧٧. (المؤلف)

(٤). کتاب صفین: ص ١٩٩ [ص ١٧٨]، شرح ابن أبی الحدید: ١ / ٣٣٠ [٣ / ٣٢٩ خطبة ٥١]. حذف منها الشطرين الأخيرين. (المؤلف)

ص: ٢٢٤

علیک بیعتی خفری بعثمان، و لعمری ما کنت إلّا رجلاً من المهاجرین، أوردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا، و ما کان الله لیجمعهم علی ضلال، و لا لیضربهم بالعمی، و ما أمرت فلزمتنی خطیئة الأمر، و لا قتلت فأخاف علی نفسی قصاص القاتل «٥».

٢- روى البلاذري، عن المدائني، عن عبد الله بن فائد أنه قال: نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إنني لأبغضهم. فقال سعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك. قال: صدقت، قتل أبي علوج الشام و جفاته و قتل جدك المهاجرون و الأنصار.

أنساب البلاذري «٦» (٥/ ١٩٥، ٣٧٢).

٣- قال ابن قتيبة في الإمامة و السياسة «٧» (١/ ٩٢): ذكروا أن أبا هريرة و أبا الدرداء «٨» قدما على معاوية من حمص و هو بصفيين، فوعظاه و قالوا له: يا معاوية علام تُقاتل عليًّا؟ و هو أحقّ بهذا الأمر منك في الفضل و السابقة. لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين بالإحسان، و أنت طليق، و أبوك من الأحزاب. أما و الله ما نقول لك

(٥). الإمامة و السياسة: ٨٧ / ١ [٩١ / ١]، العقد الفريد: ٢ / ٢٨٤ [٤ / ١٣٧]، الكامل للمبرّد: ١ / ١٥٧ [١ / ٢٧١]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ٢٥٢ [٣ / ٨٩ خطبة ٤٣]. (المؤلف)

(٦). أنساب الأشراف: ٦ / ٣٥٠ و ١٣٤.

(٧). الإمامة و السياسة: ١ / ٩٦.

(٨). كذا في الإمامة و السياسة، و هو لا يتم؛ لأن أبا الدرداء عويمر أو عامر الصحابي المعروف توفّي سنة ٣٢ هـ على الأشهر أي قبل مقتل عثمان بثلاث سنين، و قيل: بسنتين، و قيل: سنة ٣١ هـ. أنظر: المعارف لابن قتيبة: ص ٢٦٨، الاستيعاب: القسم الثالث / ١٢٢٩ و ١٢٣٠ رقم ٢٠٠٦ و القسم الرابع / ١٦٤٦ و ١٦٤٨ رقم ٢٩٤٠، المنتظم: ٥ / ١٨ رقم ٢٥٦، أسد الغابة: ٤ / ٣١٩ رقم ٤١٣٦، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٦٢ حوادث سنة ٣١ هـ، الإصابة: ٣ / ٤٥ رقم ٦١١٧ و غيرها.

ص: ٢٢٥

أن تكون العراق أحبّ إلينا من الشام، و لكنّ البقاء أحبّ إلينا من الفناء، و الصلاح أحبّ إلينا من الفساد، فقال: لست أزعّم أنّي أولى بهذا الأمر من عليّ، و لكنني أقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان. فقالوا: إذا دفعهم إليك ما ذا يكون؟ قال: أكون رجلاً من المسلمين، فأتيا عليًّا، فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شوري. فقدمنا على عسكر عليّ، فأتاها الأشر، فقال: يا هذان إنّه لم ينزلكما الشام حبّ معاوية، و قد زعمتما أنّه يطلب قتلة عثمان، فعمّن أخذتما ذلك فقبلتماه، أ عمّن قتله؟ فصدّقتموهم على الذنب كما صدّقتموهم على القتل؟ أم عمّن نصره؟ فلا شهادة لمن جرّ إلى نفسه، أم عمّن اعتزل إذ علموا ذنب عثمان و قد علموا ما الحكم في قتله؟ أو عن معاوية و قد زعم أن عليًّا قتله؟ اتقيا الله، فإنّا شهدنا و غبّتما، و نحن الحكّام على من غاب. فانصرفا ذلك اليوم.

فلما أصبحا أتيا عليًّا، فقالا له: إن لك فضلًا لا يدفع، و قد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء، و معاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان، فإن فعلت ثمّ قاتلك كنا معك. قال عليّ: «أ تعرفانهم؟» قالوا. نعم. قال: «فخذاهم»

، فأتيا محمد بن أبي بكر و عمّار بن ياسر و الأشر، فقالوا. فخرج إليهما أكثر من عشرة: أنتم من قتلة عثمان و قد أمرنا بأخذكم آلاف رجل، فقالوا: نحن قتلنا عثمان. فقالوا: نرى أمراً شديداً ألبس علينا الرجل.

فانصرف أبو هريرة و أبو الدرداء إلى منزلهما بجمص. فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان «١»، و سأل عن مسيرهما، فقصا عليه القصة، فقال: العجب منكما إنكما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، أما و الله لئن كفتما أيديكما ما كفتما ألسنتكما.

(١). هناك شخصان بهذا الاسم؛ أحدهما عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ابن أخى طلحة التيمي، من مسلمة الفتح، قتل مع ابن الزبير بمكة؛ و ثانيهما عبد الرحمن بن عثمان بن مظعون، و لعله هو الذى لقي أبا هريرة و صاحبه و نصحهما.

ص: ٢٢٦

أ تأتيان علياً و تطلبان إليه قتلة عثمان؟ و قد علمتما أن المهاجرين و الأنصار لو حرّموا دم عثمان نصره و بايعوا علياً على قتلته، فهل فعلوا؟ و أعجب من ذلك رغبتكما عمّا صنعوا و قولكما لعلّى: اجعلها شورى و اخلعها من عنقك! و إنكما لتعلمان أن من رضى بعلّى خير ممّن كرهه، و أن من بايعه خير ممّن لم يبايعه، ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحلّ له الخلافة. فمشا قوله و قولهما، فهمّ معاوية بقتله، ثم راقب فيه عشيرته.

و فى لفظ ابن مزاحم من كتاب صفين «١» (ص ٢١٣): خرج أبو أمامة الباهلى و أبو الدرداء «٢»، فدخلوا على معاوية و كانا معه فقالا: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فو الله لهو أقدم منك سلماً، و أحقّ بهذا الأمر منك، و أقرب من النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فعلام تقاتله؟ فقال: أقاتله على دم عثمان، و أنّه آوى قتلته؛ فقولوا له: فليقدنا من قتلته، فأنا أوّل من بايعه من أهل الشام. فانطلقوا إلى عليّ فأخبروه بقول معاوية، فقال: «هم الذين ترون»، فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين فى الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق فقالوا: كلنا قتله، فإن شاءوا فليروموا ذلك منّا.

٤- مرّ فى صفحة (١٣٩) من حديث أبى الطفيل قول معاوية له: أ كنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، و لكن ممّن شهده فلم ينصره، قال: و لم؟ قال: لم ينصره المهاجرون و الأنصار. الحديث، فراجع.

٥- قال شعبة: ما رأيت رجلاً أوقع فى رجال أهل المدينة من القاضى أبى إسحاق سعد- بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى الزهرى المتوفى سنة (١٢٥)- ما كنت أرفع له رجلاً منهم إلّا كذّبه، فقلت له فى ذلك، فقال: إن أهل المدينة قتلوا عثمان.

(١). وقعة صفين: ص ١٩٠.

(٢). أنظر هامش رقم (١) من الصحيفة السابقة.

تاريخ ابن عساکر «١» (٦ / ٨٣).

٦- ذکر ابن عساکر فی تاریخه «٢» (٧ / ٣١٩) قال: کان أبو مسلم الخولاني التابعی فی المدينة، فسمع مکفوفاً یقول: اللهم العن عثمان و ما ولد، فقال: یا مکفوف أ لعثمان تقول هذا؟ یا أهل المدينة کنتم بین قاتل و خاذل فکلما جزى الله شراً، یا أهل المدينة لأنتم شرّ من ثمود، إن ثمود قتلوا ناقة الله و أنتم قتلتم خليفة الله، و خليفة الله أكرم علیه من ناقته.

قال الأُمینى: غایتنا الوحيدة فی نقل هذا الحديث إيقاف الباحث علی موقف الصحابة من أهل المدينة و أنهم کانوا بین قاتل و خاذل، و أمّا رأى أبى مسلم الخولاني فیهم فتعرف جوابه من قول الأشتر قبیل هذا.

-٧

قال الواقدي فی إسناده: لما كانت سنة أربع و ثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى بعض يتشاکون سيرة عثمان و تغييره و تبدیله، و ما الناس فيه من عمّاله و یكثرّون علیه و یسأل بعضهم أن یقدموا المدينة إن کانوا یريدون الجهاد، و لم یکن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم یدفع عن عثمان و لا یُنکر ما یقال فيه إلّا زید ابن ثابت، و أبو أسید الساعدي، و کعب بن مالک، و حسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون و غیرهم إلى علیّ فسألوه أن یکلّم عثمان و یعظه، فأتاه فقال له: «إنّ الناس ورائی قد کلموني فی أمرک، و و الله ما أدري ما أقول لک، ما أعرفک شيئاً تجهله، و لا أدلک علی أمر لا تعرفه، و إنک لتعلم ما نعلم، و ما سبقناک إلى شيء فنخبرک عنه، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و سمعت و رأيت مثل ما سمعنا و رأينا، و ما ابن أبى قحافة و ابن الخطّاب بأولى بالحقّ منك، و لأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رحماً، و لقد نلت من صهره ما لم ینالا، فالله الله فی نفسك، فإنک لا تبصّر من عمی،

(١). تاریخ مدينة دمشق: ٢٠ / ٢٢٣ رقم ٢٤١١، و فی تهذیب تاریخ دمشق: ٦ / ٨٥.

(٢). تاریخ مدينة دمشق: ٢٧ / ٢٢٠ رقم ٣٢١٣، و فی مختصر تاریخ دمشق: ١٢ / ٦٣.

و لا تُعلم من جهل» فقال له عثمان: و الله لو كنت مکانی ما عنفتک و لا أسلمتک و لا عتبت عليك إن وصلت رحماً «١» و سدّدت خلّة، و آويت ضائعاً، و وّليت من كان عمر یولیّه، نشدتک الله أ لم یولّ عمر المغيرة بن شعبة و لیس هناك؟ قال: نعم. قال: فلم تلومنی إن وّليت ابن عامر فی رحمه و قرابته؟ قال علیّ: «سأخبرک أنّ عمر بن الخطّاب کان کلّ من وّلی فأنما یطأ علی صماخه إن بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى الغایة، و أنت لا تفعل، ضعفت و رفقت علی أقبائک»، قال عثمان: هم أقبأوک أيضاً. فقال علیّ: «لعمری إنّ رحمهم منی لقربیة و لكن الفضل فی غیرهم» قال: أ و لم یولّ عمر معاویة؟

فقال عليّ: «إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً و طاعة لعمر من يرفأ «٢» و هو الآن يبتزّ الأمور دونك و أنت تعلمها و يقول للناس: هذا أمر عثمان. و يبلغك فلا تُغيّر علي معاوية».

راجع «٣»: الأنساب للبلاذرى (٥/ ٦٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٩٧)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٦٣)، تاريخ ابى الفداء (١/ ١٦٨)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٣٩١).

٨- أخرج ابن سعد فى طبقاته «٤» (٣/ ٤٧) طبع ليدن عن مجاهد، قال: أشرف عثمان على الذين حاصروه فقال: يا قوم لا تقتلونى فإننى والٍ و أخ مسلم - إلى أن

(١). أنظر إلى الرجل يحسب كلمته هذه تبرّر أعماله الشاذّة عن الكتاب و السنّة و تجعل أعطياته لأبناء أميّة من الغنائم و الصدقات صلة للرحم، و دفعه القناطير المقتنطرة من الذهب و الفضة إلى رجال الفتن و الثورات المدلهمة سداً للخلّة، و ردّ الحكم و أبنائه مطرودى النبىّ الأعظم إلى المدينة إيواءً للضائع، دعه و حسابانه، لكن العجب كلّ العجب أنّه يروم إفحام مثل أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخزعبلات. (المؤلف)

(٢). هو غلام عمر بن الخطاب.

(٣). أنساب الأشراف: ١٧٤ / ٦، تاريخ الأمم و الملوك: ٣٣٦ / ٤ حوادث سنة ٣٤ هـ، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٧٥ حوادث سنة ٣٤ هـ، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٥٩٣.

(٤). الطبقات الكبرى: ٣ / ٦٧.

ص: ٢٢٩

قال -: فلما أبوا قال: اللهم احصهم عدداً، و اقتلهم بدداً، و لا تُبقِ منهم أحداً. قال مجاهد: فقتل الله منهم من قتل فى الفتنة، و بعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاءوا لمداهنتهم.

و قال حسان بن ثابت فيمن تخلف عن عثمان و خذله من الأنصار و غيرهم، و أعان على قتله من أبيات له:

خذلته الأنصار إذ حضر المو ت و كانت ولاته الأنصارُ»١

من عذيرى من الزبير و من طل -حة إذ جا أمر له مقدارُ»٢

فتولّى محمد بن أبى بكر عياناً و خلفه عمّارُ

و علىّ فى بيته يسأل الننا س ابتداءً و عنده الأخبارُ

باسطاً للذى يريد يديه

و عليه سكينته و وقارُ «٣»

و قال حميد بن ثور أبو المثنى الهلالي فى قتل عثمان، كما فى تاريخ ابن عساكر «٤» (٤/ ٤٥٨):

إِنَّ الْخِلاَفَةَ لَمَّا أُظْعِنَتْ ظَعْنَتْ  
صارت إلى أهلها منهم و وارثها  
السافكى دمه ظلماً و معصيةً  
و الهاتكى سترَ ذى حقٍّ و محرمةٍ  
من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا  
لَمَّا رأى الله فى عثمان ما انتهكوا  
أى دمٍ لا هُدوا من غيِّهم سَفَكوا  
فأى شرٍّ على أشياعهم هتكوا

(١). فى العقد الفريد: ثقاته الأنصار.

(٢). فى العقد الفريد: من عذيرى من الزبير و من ظل حة هاجا أمراً له إعصار (المؤلف)

(٣). مروج الذهب: ١/ ٤٢٢ [٢/ ٣٦٤]، العقد الفريد: ٢/ ٢٦٧ [٤/ ١١٢]. (المؤلف)

(٤). تاريخ مدينة دمشق: ١٥/ ٢٧٣ رقم ١٧٩٠، و فى تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ٤٦١.

ص: ٢٣٠

و الخيلُ عابسةٌ نضج الدماء بها  
من كل أبيض هندی و سابعةٍ  
قد نال جلَّهمُ حصراً بمحصرةٍ  
قرَّت بذاك عيونٌ و اشتفين به  
تنعى ابن أروى على أبطالها الشككُ  
تغشى البنان لها من نسجها حبكُ  
و نال فتاكهم فتكٌ بما فتكوا  
و قد تقرُّ بعين النَّائرِ الدرْكُ

أخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في النغور:

إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ، تطلبون دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ دين محمد قد أفسده من خلفكم وتُرك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وفي لفظ ابن الأثير: فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتم فأقيموه. وفي لفظ ابن أبي الحديد. قد أفسده خليفتم فاخلعوه، فاختلفت عليه القلوب. فأقبلوا من كل أفي حتى قتلوه «١».

وأخرج «٢» من طريق محمد بن مسلمة قال: لما كانت سنة (٣٤) كتب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان و تغييره و تبديله و يسأل بعضهم بعضاً: أن اقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد. و كثر الناس على عثمان و نالوا منه أقبح ما نيل من أحد، و أصحاب رسول الله يرون و يسمعون ليس فيهم أحد ينهى و لا يذب إلّا نُفير: زيد بن ثابت، و أبو أسيد الساعدي، و كعب بن

---

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ١١٥ [٣٦٧ / ٤] حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل لابن الأثير: ٥ / ٧٠ [٢٨٧ / ٢] حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٦٥ [٢ / ١٤٩ خطبة ٣٠]. (المؤلف)

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٣٦ حوادث سنة ٣٤ هـ.

ص: ٢٣١

مالك، و حسان بن ثابت. فاجتمع المهاجرون و غيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان و يعظه، فأتاه فقال له: إن الناس ورائي. إلى آخر ما مرّ في (ص ٧٤).

من المهاجرين الأولين و بقيّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة و التابعين:

أمّا بعد؛ أن تعالوا إلينا و تداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلبها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بُدّل، و سنّة رسول الله قد غيّرت، و أحكام الخليفين قد بُدّلت، فنشد الله من قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب رسول الله و التابعين بإحسان إلّا أقبل إلينا، و أخذ الحقّ لنا و أعطانا، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر، و أقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم و



فارقكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقنا، و استولى على فيثنا، و حيل بيننا و بين أمرنا، و كانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة و رحمة، و هى اليوم ملك عضوض من غلب على شىء أكله «١».

٤٠- كتاب أهل المدينة إلى عثمان

أخرج الطبرى فى تاريخه «٢» (١١٦ / ٥)؛ من طريق عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة و يحتجون و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، فلما خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته. إلى آخر ما يأتى.

(١). الإمامة و السياسة: ١ / ٣٢ [١ / ٣٧]. (المؤلف)

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٦٩ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٢٣٢

الإجماع و الخليفة:

تعلمنا هذه الأحاديث المتضاربة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين و الأنصار أو عامة الفريقين، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتين حديثاً أنه لم يشذ عن النقمة على عثمان منهم أحد ما خلا أربعة و هم: زيد بن ثابت، و حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و أسيد الساعدى. فمن مُجهز عليه إلى محبّد لعمله، إلى محرّض على قتله، إلى ناشر لأحداثه، إلى مؤلّب عليه يسعى فى إفساد أمره، إلى متجاسر عليه بالوقية فيه، إلى مُناقذ فى فعّاله يأمره بالمعروف و ينهاه عن المنكر، إلى خاذل له بترك نصرته لا يرى هنالك فى الناقلين التائرين عليه منكرأ ينهى عنه، أو فى جانب الخليفة حقاً يتحيز إليه، و هم كما مرّ فى (ص ١٥٧)

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ما كان الله ليجمعهم على ضلال، و لا ليضربهم بالعمى»

فكان ذلك إجماعاً منهم أثبت من إجماعهم على نصب الخليفة فى الصدر الأوّل، فإن كانت فيه حجة فهى فى المقامين إن لم تكن فى المقام الثانى أولى بالاتباع.

و من أمعن النظر فيما مرّ و يأتى من النصوص الواردة عن:

١- مولانا أمير المؤمنين.

٢- عائشة أم المؤمنين.

٣- عبد الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشرة و رجالات الشورى.

٤- طلحة بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرة.

٥- الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشرة.

٦- عبد الله بن مسعود صاحب سر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - بدرى.

٧- عمّار جلدة ما بين عيني النبي، النازل فيه القرآن - بدرى.

٨- المقداد بن أبى الأسود، الممدوح بلسان النبي الطاهر - بدرى.

ص: ٢٣٣

٩- حجر بن عدى الكوفى الصالح الناسك.

١٠- هاشم المرقال، الذى كان من الفضلاء الخيار كما فى الاستيعاب «١».

١١- جهجاه بن سعيد الغفارى، من رجالات بيعة الشجرة.

١٢- سهل بن حنيف الأنصارى - بدرى.

١٣- رفاعة بن رافع الأنصارى - بدرى.

١٤- حجّاج بن غزّية الأنصارى.

١٥- أبى أيوب الأنصارى صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - بدرى.

١٦- قيس بن سعد الأنصارى، أمير الخزرج الصالح - بدرى.

١٧- فروة بن عمرو البياضى الأنصارى - بدرى.

١٨- محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى - بدرى.

١٩- جابر بن عبد الله الأنصارى.

٢٠- جبيلة بن عمرو الساعدى الأنصارى - بدرى.

٢١- محمد بن مسلمة الأنصاري - بدرى.

٢٢- عبد الله بن عباس، حبر الأمة.

٢٣- عمرو بن العاصى.

٢٤- عامر بن وائلة أبى الطفيل الكنانى اللبثى.

٢٥- سعد بن أبى وقاص، أحد العشرة المبشرة.

٢٦- مالك بن الحارث الأشتر:

«و هل موجود كمالك؟». قاله أمير المؤمنين.

٢٧- عبد الله بن عكيم.

٢٨- محمد بن أبى حذيفة العبشمى.

٢٩- عمرو بن زرارة بن قيس النخعى.

٣٠- صعصعة بن صوحان، سيد عبد القيس.

---

(١). الاستيعاب: القسم الرابع / ١٥٤٦ رقم ٢٧٠٠.

ص: ٢٣٤

٣١- حكيم بن جبلة العبدى، الشهيد يوم الجمل.

٣٢- هشام بن الوليد المخزومى.

٣٣- معاوية بن أبى سفيان.

٣٤- زيد بن صوحان، من الخيار الأبرار كما فى الحديث.

٣٥- عمرو بن الحمق الخزاعى، المشرف بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

- ٣٦- عدى بن حاتم الطائى الصحابى العظيم.
- ٣٧- عروة بن الجعد الصحابى.
- ٣٨- عبد الرحمن بن حسان العنزى الكوفى.
- ٣٩- محمد بن أبى بكر بن أبى قحافة، الممدوح بلسان مولانا أمير المؤمنين.
- ٤٠- كميل بن زياد النخعى.
- ٤١- عائذ بن حملة الطهوى التميمى.
- ٤٢- جندب بن زهير الأزدى.
- ٤٣- الأرقم بن عبد الله الكندى.
- ٤٤- شريك بن شداد الحضرمى.
- ٤٥- قبيصة بن ضبيعة العبسى.
- ٤٦- كريم بن عفيف الخثعمى العامرى.
- ٤٧- عاصم بن عوف البجلي.
- ٤٨- ورقاء بن سمىّ البجلي.
- ٤٩- كدام بن حيان العنزى.
- ٥٠- صيفى بن فسيل الشيبانى.
- ٥١- محرز بن شهاب التميمى المنقرى.
- ٥٢- عبد الله بن حويرة السعدى التميمى.
- ٥٣- عتبة بن الأحنس السعدى.

- ٥٤- سعيد بن نمران الهمداني.
- ٥٥- ثابت بن قيس النخعي.
- ٥٦- أصغر بن قيس الحارثي.
- ٥٧- يزيد بن المكفكف النخعي.
- ٥٨- الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني.
- ٥٩- الفضل بن العباس الهاشمي.
- ٦٠- عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي.
- ٦١- زياد بن النضر الحارثي.
- ٦٢- عبد الله الأصم العامري.
- ٦٣- عمرو بن الأهتم، نزيل الكوفة.
- ٦٤- ذريح بن عباد العبدى.
- ٦٥- بشر بن شريح القيسي.
- ٦٦- سودان بن حمران السكوني.
- ٦٧- عبد الرحمن بن عديس أبي محمد البلوي.
- ٦٨- عروة بن شبيب بن البياع الكناني الليثي.
- ٦٩- كنانة بن بشر السكوني التجيبي.
- ٧٠- الغافقي بن حرب العكي.
- ٧١- كعب بن عبدة، الزاهد الناسك.
- ٧٢- مننّى بن مخربة العبدى.

٧٣- عامر بن بكير بن عبد ياليل الليثي الكنانى - بدرى.

٧٤- عبيد بن رفاعه بن رافع الزرقى.

٧٥- عبد الرحمن بن عبد الله الجمحى.

٧٦- مسلم بن كريب القابضى الهمدانى.

ص: ٢٣٦

٧٧- عمرو بن عبيد الحارثى الهمدانى.

٧٨- عمرو بن حزم الأنصارى.

٧٩- عمير بن ضابئ التميمى البرجمى.

٨٠- أسلم بن أوس بن بجرة الساعدى.

إلى نظرائهم ممن مرّ حديثه أو يأتى فى هذا الجزء يزداد بصيرةً فى انعقاد هذا الإجماع الذى لا محيد عن مؤداه، و لا منتدح عن الجرى معه، و لا محيص عن أخذه حجة قاطعة، و كيف لا؟ و فيهم عمد الصحابة و دعائمها، و عظماء الملة و أعضادها، و ذوو الرأى و التقوى و الصلاح من البدريين و غيرهم، و فيهم أمّ المؤمنين و غير واحد من العشرة المبشرة، و رجال الشورى، فإذا لم يحتجّ بإجماع منله لا يحتجّ بأى إجماع قطّ، و لو جاءت عن أحد من هؤلاء كلمة واحدة فى حقّ أى إنسان مدحاً أو ذمّاً لاتّخذوه حجة دامغة، فكيف بهم، و قد اجتمعوا على كلمة واحدة.

و بهذه كلّها تظهر قيمة الكلم التافهة التى جاء بها القوم لإغراء الدهماء بالجهل أمثال ما فى تاريخ ابن كثير «١» (٨ / ١٢) من قوله: قال أيوب و الدارقطنى: من قدّم عليّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين و الأنصار. و هذا الكلام حقّ و صدق و صحيح و مليح. انتهى.

إقرأ و اضحك أو ابك. فمن قدّم عثمان على أىّ موحد أسلم وجهه لله و هو مؤمن بعد هذا الإجماع المتسالم عليه فضلاً عن مولى المؤمنين على صلوات الله عليه فقد أزرى بالمهاجرين و الأنصار، و الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان.

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِرِينَ (٢)

(٢). يونس: ٩٤.

ص: ٢٣٧

#### ٤١- قصّة الحصار الأوّل

الاجتماع على عثمان من أهل الأمصار: المدينة، الكوفة، البصرة، مصر

أخرج البلاذري وغيره بالإسناد: التقى أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة و البصرة و مصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، و كان رئيس أهل الكوفة كعب بن عتبة، و رئيس أهل البصرة المثنى بن مخزبة العبدى، و رئيس أهل مصر كنانة بن بشر ابن عتّاب بن عوف السكونى ثمّ التجيبى، فتذكروا سيرة عثمان و تبديله و تركه الوفاء بما أعطى من نفسه و عاهد الله عليه، و قالوا: لا يسعنا الرضا بهذا، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلافة على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده، و أن يوافقوا عثمان في العام المقبل في داره فيستحبوه، فإنّ أعتب، و إلّا رأوا رأيهم فيه ففعلوا ذلك.

فلما حضر الوقت خرج الأشر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين، و قال ابن قتيبة: أقبل الأشر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق، و كان أمراؤهم هو و زيد بن صوحان العبدى، و زياد بن النضر الحارثى، و عبد الله بن الأصم العامرى، و على الجميع عمرو بن الأهتم.

و خرج حكيم بن جبلة العبدى في مائة من أهل البصرة و لحق به بعد ذلك خمسون، فكان في مائة و خمسين و فيهم: ذريح بن عبّاد العبدى، و بشر بن شريح القيسى، و ابن المحرّش - ابن المحترش - و قال ابن خلدون: و كلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات.

و جاء أهل مصر و هم أربعمائة، و يقال: خمسمائة، و يقال: سبعمائة، و يقال: ستمائة، و يقال: ألف، و في شرح ابن أبي الحديد: كانوا ألفين. و كان فيهم: محمد بن

ص: ٢٣٨

أبى بكر، و سودان بن حمران السكونى، و ميسرة - و يقال قتيبة - السكونى، و عمرو ابن الحمق الخزاعى و كان من رءوسهم، و عليهم أمراء أربعة:

١- عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى، على ربع.

٢- عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوى، على ربع.

٣- عروة بن شبيب بن البياع الكنانى الليثى، على ربع.

٤- كنانة بن بشر السكونى التجيبى، على ربع.

و عليهم جميعاً: الغافقى بن حرب العكّى، و كان يصلّى بالناس فى أيام الحصار، قال الطبرى: كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعى، و كان من أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، و إلى عبد الرحمن بن عديس التجيبى.

فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان، و وثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين و الأنصار منهم: عمّار بن ياسر العيسى و كان بدرياً، و رفاعة بن رافع الأنصارى و كان بدرياً، و الحجاج بن غزيرة و كانت له صحبة، و عامر بن بكير و كان بدرياً أحد بنى كنانة.

و فى كتاب لنائلة امرأة عثمان إلى معاوية فى رواية ابن عبد ربّه: و أهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى علىّ و محمد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر و طلحة و الزبير فأمرهم بقتله، و كان معهم من القبائل خزاعة، و سعد بن بكر، و هذيل، و طوائف من جهينة و مزينة و أنباط يثرب، و هؤلاء كانوا أشدّ الناس عليه.

و فى حديث سعيد بن المسيّب فى الأنساب و العقد و الفريد و غيرهما: و قد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود و أبى ذر و عمّار بن ياسر، فكان فى قلوب هذيل و بنى زهرة و بنى غفار و أحلافها من غضب لأبى ذر ما فيها، و حنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر.

ص: ٢٣٩

و فى لفظ المسعودى: و فى الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود، لأنّه كان من أحلافها، و هذيل لأنّه كان منها، و بنو مخزوم و أحلافها لعمّار، و غفار و أحلافها لأجل أبى ذر، و تميم بن مرة مع محمد بن أبى بكر، و غير هؤلاء ممّن لا يحمل ذكره كتابنا. فحصرنا عثمان الحصار الأوّل «١».

كتاب المصريّين إلى عثمان:

أخرج الطبرى فى تاريخه «٢» (١١٦ / ٥) من طريق عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: كتب أهل مصر بالسقيا «٣» أو بذى خُشب «٤» إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، و كان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد؛ فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما يقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فالله الله ثمّ الله

(١). راجع طبقات ابن سعد طبع ليدن: ٣ / ٤٩ [٣ / ٦٦]، الأنساب للبلاذرى: ٥ / ٢٦ و ٥٩ [١٣٤ ١٧٣]، الإمامة و السياسة: ١ /



٣٤ [١ / ٣٥]، المعارف لابن قتيبة: ص ٨٤ [ص ١٩٦]، تاريخ الطبري: ١١٦ / ٥ [٤ / ٣٦٩ حوادث سنة ٣٥ هـ]، مروج الذهب: ١ / ٤٤١ [٢ / ٣٦٢]، العقد الفريد: ٢ / ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٩ [٤ / ١٠٦ و ١٠٨ و ١١٤]، الرياض النضرة: ٢ / ١٢٣ و ١٢٤ [٣ / ٥٦ - ٥٨]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٦٦ [٢ / ٢٨٠ حوادث سنة ٣٥ هـ]، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٩٣ [٢ / ٥٩٣]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٠٢ [٢ / ١٤٠ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٧٠ و ١٧٣، ١٧٤ [٧ / ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]، حياة الحيوان للدميري: ١ / ٥٣ [١ / ٧٧]، الإصابة: ٢ / ٤١١ [رقم ٥١٦٣]، الصواعق المحرقة: ص ٦٩ [ص ١١٦]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٠٦ [ص ١٤٨]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٥٩ [٢ / ٢٦١]. (المؤلف)

(٢). تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٣٦٩ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣). من أسافل أودية تهامة [معجم البلدان: ٣ / ٢٢٨]. (المؤلف)

(٤). وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة كما مرّ. (المؤلف)

ص: ٢٤٠

اللَّهُ، فَإِنَّكَ عَلَى دُنْيَا فَاسْتَمَّ إِلَيْهَا مَعَهَا آخِرَةٌ، وَ لَا تَلْبَسِ «١» نَصِييَكَ مِنَ الْآخِرَةِ، فَلَا تَسُوغْ لَكَ الدُّنْيَا، وَ اعْلَمْ أَنَا وَ اللَّهُ لِلَّهِ نَغْضَبُ وَ فِي اللَّهِ نَرْضَى، وَ إِنَّا لَنْ نَضَعَ سِيوفَنَا عَنْ عَوَاتِقِنَا حَتَّى تَأْتِينَا مِنْكَ تَوْبَةٌ مَصْرُوحَةٌ أَوْ ضَلَالَةٌ مَجْلُوحَةٌ مَبْلُجَةٌ، فَهَذِهِ مَقَالَتُنَا لَكَ وَ قَضَيْتُنَا إِلَيْكَ، وَ اللَّهُ عَذِيرُنَا مِنْكَ. وَ السَّلَامُ.

عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب و السنة و ذلك في سنة (٣٥ هـ):

أخرج البلاذري من رواية أبي مخنف في الأنساب «٢» (٥ / ٦٢): إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ وَرَدُوا الْمَدِينَةَ فَأَحَاطُوا وَ غِيَرَهُمْ بَدَارُ عَثْمَانَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. إِلَى أَنْ قَالَ: وَ أَتَى الْمَغِيرَةَ ابْنَ شَعْبَةَ [عَثْمَانَ] «٣» فَقَالَ لَهُ: دَعْنِي آتِ الْقَوْمَ فَأَنْظِرْ مَا يَرِيدُونَ، فَمَضَى نَحْوَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ صَاحُوا بِهِ: يَا أَعُورَ وَرَاءَكَ، يَا فَاجِرَ وَرَاءَكَ، يَا فَاسِقَ وَرَاءَكَ. فَرَجَعَ، وَ دَعَا عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ لَهُ: آتِ الْقَوْمَ فَادْعِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ الْعَتَبِيِّ مِمَّا سَاءَ لَهُمْ. فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ سَلَّمَ فَقَالُوا لَا سَلَامَ لِلَّهِ عَلَيْكَ، ارْجِعْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، ارْجِعْ يَا ابْنَ النَّابِغَةِ فَلَسْتُ عِنْدَنَا بِأَمِينٍ وَ لَا مَأْمُونٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَمْرٍ وَ غَيْرُهُ: لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. [فَبَعَثَ عَثْمَانَ إِلَى عَلِيٍّ] «٤» فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ آتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَادْعِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ. قَالَ: «نَعَمْ إِنْ أَعْطَيْتُنِي عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ عَلَى أَنَّكَ تَفِي لَهُمْ بِكُلِّ مَا أَضْمَنَهُ عِنْدَكَ»، قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ عَلَى أَوْكَدِ مَا يَكُونُ وَ أَغْلَظَ، وَ خَرَجَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالُوا: وَرَاءَكَ. قَالَ: «لَا، بَلْ أَمَامِي، تُعْطُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ تُعْتَبُونَ مِنْ كُلِّ مَا سَخَطْتُمْ»، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا بَدَلَ عَثْمَانَ، فَقَالُوا: أَتُضْمَنُ ذَلِكَ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالُوا: رَضِينَا. وَ أَقْبَلَ وَجُوهَهُمْ وَ أَشْرَفَهُمْ مَعَ عَلِيٍّ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى

(١). كذا، و لعلّه: لَا تَنْسِ نَصِييَكَ، أَخْذًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. (المؤلف)

(٢). أنساب الأشراف: ٦ / ١٧٩.

(٣). الزيادة من المصدر.

(٤). أنساب الأشراف: ١٧٩ / ٦.

ص: ٢٤١

عثمان و عاتبوه فأعتبهم من كل شيء فقالوا: اكتب بهذا كتاباً. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن تقم عليه من المؤمنين و المسلمين، إن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه، يُعطى المحروم، و يُؤمن الخائف، و يرد المنفى، و لا تجمر «١» البعوث، و يُوفر الفيء، و على بن أبي طالب ضميين المؤمنين و المسلمين على عثمان بالوفاء [بما] «٢» في هذا الكتاب.

شهد: الزبير بن العوام، و طلحة بن عبيد الله، و سعد بن مالك بن أبي وقاص «٣»، و عبد الله بن عمرو «٤»، و زيد بن ثابت، و سهل بن حنيف، و أبو أيوب خالد ابن زيد.

و كتب في ذي القعدة سنة خمس و ثلاثين.

فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا.

و قال على بن أبي طالب لعثمان: «أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس و يحملونه عنك و أشهد الله ما في قلبك، فإن البلاد قد تمخضت عليك، و لا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول: يا على اركب إليهم. فإن لم أفعل قلت: قطع رحمي، و استخف بحقي»، فخرج عثمان فخطب الناس فأقر بما فعل و استغفر الله منه، و قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من زلّ فلينب». فأنا أول من اتعظ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم، فو الله لو ردّني إلى الحقّ عبد

---

(١). تجمر الجيش: تحبس في أرض العدو و لم يقفل. (المؤلف)

(٢). الزيادة من المصدر.

(٣). هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري.

(٤). في المصدر: عبد الله بن عمر.

لا تبتعته و ما عن الله مذهب إلا إليه، فسرّ الناس بخطبته و اجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه.

فخرج إليهم مروان فزبرهم و قال: شأهت و جوهكم ما اجتماعكم؟ أمير المؤمنين مشغول عنكم، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه، فانصرفوا، و بلغ عليًا الخبر فأتى عثمان و هو مُغضب فقال: «أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلا بإفساد دينك، و خديعتك عن عقلك؟ و إنى لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك، و ما أنا بعائدٍ بعد مقامى هذا لمعاتبتك».

و قالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة: قد سمعت قول عليّ بن أبي طالب فى مروان و قد أخبرك أنه غير عائد إليك، و قد أطعت مروان و لا قدر له عند الناس و لا هيبه، فبعث إلى عليّ فلم يأتِه.

و أخرج ابن سعد من طريق أبي عون قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال: قبحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضا و بكى على المنبر حتى استهلّت دموعه، فلم يزل مروان يفتله فى الذروة و الغارب «١» حتى لفته عن رأيه.

قال: و جئت إلى عليّ فأجده بين القبر و المنبر و معه عمّار بن ياسر و محمد بن أبى بكر و هما يقولان: صنع مروان بالناس. قلت: نعم «٢».

صورة أخرى من توبة الخليفة:

أخرج الطبرى من طريق عليّ بن عمر عن أبيه، قال: إن عليًا جاء عثمان بعد

(١). لم يزل يفتل فى الذروة و الغارب. مثل فى المخادعة، أى يدور من وراء خديعته. (المؤلف)

(٢). و أخرج الطبرى [فى تاريخ الأمم و الملوك: ٣٤٣ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ] حديث أبى عون هذا و تبعه ابن الأثير [فى الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٨٥ حوادث سنة ٣٥ هـ] و سيوافيك لفظه، و أوعز إليه الدميرى فى حياة الحيوان: ١ / ٥٣ [١ / ٧٧]. (المؤلف)

انصراف المصريين، فقال له: «تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك، و يشهدون عليه و يشهد الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابة، فإن البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، و لا أقدر أن أركب إليهم و لا أسمع عذراً، و يقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك و

استخففت بحقك». قال: فخرج عثمان و خطب الخطبة التي نزع فيها و أعطى الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد؛ أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، و ما جئت شيئاً إلّا و أنا أعرفه، و لكنني متنتني نفسي و كذبتني، و ضلّ عني رشدي، و لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من زلّ فليتب «١» و من أخطأ فليتب و لا يتمادي في الهلكة، إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أول من اتعظ، أستغفر الله ممّا فعلت، و أتوب إليه، فمثلي نزع و تاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردّني إلى الحقّ عبد لأستننّ بسنة العبد، و لأذللّ ذلّ العبد، و لأكوننّ كالمرقوق، إن ملك صبر، و إن عُتق شكر، و ما من الله مذهب إلّا إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

قال: فرق الناس له يومئذٍ و بكى من بكى منهم، و قام إليه سعيد بن يزيد «٢» فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله في نفسك، فأتمم على ما قلت.

فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان و سعيداً «٣» و نفرأ من بنى أمية و لم يكونوا

---

(١). كذا في تاريخ الطبري: و الصحيح ما مرّ في رواية البلاذري: من زلّ فليتب. (المؤلف)

(٢). في تاريخ الطبري: سعيد بن زيد.

(٣). هو سعيد بن العاص. (المؤلف)

ص: ٢٤٤

شهدوا الخطبة، فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين: أتكلّم أم اصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت فإنهم و الله قاتلوه و مؤثّموه، إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت و ذاك؟ فوالله لقد مات أبوك و ما يحسن يتوضأ. فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي و هو غائب تكذب عليه، و إنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما و الله لو لا أنّه عمّه و أنّه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه. قال: فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم اصمت؟ قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبي أنت و أمي و الله لو ددت أنّ مقاتلتك هذه كانت و أنت مُمنع منبع فكنت أول من رضى بها و أعان عليها و لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين، و خلف السيل الزبي، و حين أعطى الخطبة الذليلة الذليل، و الله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها، و إنك إن شئت تقربت بالتوبة و لم تقرر بالخطيئة، و قد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فأخرج إليهم فكلّمهم فأني استحي أن أكلّمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب و الناس يركب بعضهم بعضاً فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنكم قد جئتم لذهب، شأهت الوجوه، كلّ إنسان آخذ بأذن صاحبه ألا من أريد «١»؟ جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا،

أما والله لئن رُتّمونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما فى أيدينا، قال: فرجع الناس و خرج بعضهم حتى أتى عليّا فأخبره الخبر، فجاء علىّ عليه السلام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلّا بتحرّفك» ٢ عن دينك و عن عقلك مثل جمل الطعينة يُقاد حيث يسار به؟ والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه،

---

(١). كذا فى تاريخ الطبرى، و فى الكامل: شأهت الوجوه إلى من أريد. (المؤلف)

(٢). فى لفظ البلاذرى: إلّا بإفساد دينك، و خديعتك عن عقلك. و فى لفظ ابن كثير: إلّا بتحويلك عن دينك و عقلك، و إن مثلك مثل جمل الطعينة سار حيث يسار به. (المؤلف)

ص: ٢٤٥

و ايم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك، و ما أنا بعائدٍ بعد مقامى هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، و غلبت على أمرك».

فلما خرج علىّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلمى. فقال: قد سمعت قول علىّ لك و أنّه ليس يعاودك، و قد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتقى الله وحده لا شريك له و تتبّع سنّة صاحبك من قبلك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، و مروان ليس له عند الناس قدر و لا هيبه و لا محبة، و إنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علىّ فاستصلحه فإنّ له قرابة منك و هو لا يعصى. قال: فأرسل عثمان إلى علىّ فأبى أن يأتيه، و قال: «قد أعلمته أنّى لست بعائد». فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلم. فقال: إنّ بنت الفرافصة، فقال عثمان: لا تذكرّها بحرف فأسوء لك وجهك فهى و الله أنصح لى منك، فكفّ مروان «٣».

صورة أخرى من التوبة:

من طريق أبى عون، قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قبيح الله مروان، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، و بكى على المنبر و بكى الناس حتى نظرت إلى لحيّة عثمان مخضلة من الدموع و هو يقول: اللهمّ إنى أتوب إليك، اللهمّ إنى أتوب إليك، اللهمّ إنى أتوب إليك، و الله لئن ردّنى الحقّ إلى أن أكون عبداً قنّاً لأرضين به، إذا دخلت منزلى فادخلوا علىّ، فو الله

---

(٣). الأنساب للبلاذرى: ٥ / ٦٤ و ٦ / ١٧٧ و ١٧٩، تاريخ الطبرى: ٥ / ١١١ [٤ / ٣٦٠ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الكامل لابن

الأثير: ٦٨ / ٣ [٢ / ٢٨٥ حوادث سنة ٣٥ هـ]، تاريخ ابن كثير: ١٧٢ / ٧ [٧ / ١٩٣ حوادث سنة ٣٥ هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٦٣ و ١٦٤ [٢ / ١٤٦ - ١٤٧ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٩٦ و ٣٩٧ [٢ / ٥٩٧ - ٥٩٨]. (المؤلف)

ص: ٢٤٦

لا أحتجب منكم ولأعطينكم [الرضا] «١» ولأزيدنكم على الرضا، ولأنحين مروان و ذويه.

قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح، و دخل بيته و دخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة و الغارب حتى فتله عن رأيه، و أزاله عما كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس، و خرج مروان إلى الناس، فقال: شأهت الوجوه إلاً من أريد، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه و إلاً قرّ في بيته. قال عبد الرحمن: فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر و المنبر و أجد عنده عمّار بن ياسر و محمد بن أبي بكر و هما يقولان: صنع مروان بالناس و صنع. قال: فأقبل عليّ عليّ، فقال: «أحضرت خطبة عثمان؟» قلت: نعم. قال: «أحضرت مقالة مروان للناس؟» قلت: نعم. قال عليّ: «عياذ الله يا للمسلمين، إني إن قعدت في بيتي قال لي: تركنتي و قرابتي و حقّي، و إني إن تكلمت فجاه ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ و صحبة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم».

قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان: اثنتي. فقال عليّ بصوت مرتفع عال مغضب: «قل له: ما أنا بداخل عليك و لا عائد». قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً «٢»، فسألت نأتلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال عبد الرحمن بن الأسود: فغدوت فجلست مع عليّ عليه السلام فقال لي: «جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إني غير عائد و إني فاعل، قال: فقلت له: بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، و خرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك و يؤذهم؟ قال:

(١). الزيادة من المصدر.

(٢). في المصدر: خائباً.

ص: ٢٤٧

فرجع و هو يقول: قطعت رحمي و خذلتني و جرأت الناس عليّ. فقلت: و الله إني لأذبّ الناس عنك، و لكنني كلما جئتكم بهنة أظنها لك رضاً جاء بأخرى، فسمعت قول مروان عليّ و استدخلت مروان». قال: ثم انصرف إلى بيته، فلم أزل أرى عليّاً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل «١».

عهد آخر بعد حنث الأول:

أخرج الطبرى من طريق عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، و يحتجّون و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله، فلما خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى على بن أبى طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداده، فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل، و هم محمّلون عهداً و قد كان منى فى قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوكم، و طاولهم ما طاولوك، فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم.

فأرسل إلى علىّ فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا حسن إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، و كان منى ما قد علمت، و لست آمنهم على قتلى، فارددهم عنى، فإنّ لهم الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون، و أن أعطهم الحقّ من نفسى و من غيرى و إن كان فى ذلك سفك دمي.

فقال له علىّ: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، و إنى لأرى قوماً

---

(١). تاريخ الطبرى: ٥ / ١١٢ [٤ / ٣٦٣ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٩٦ [٢ / ٢٨٦ حوادث سنة ٣٥ هـ].  
(المؤلف)

ص: ٢٤٨

لا يرضون إلّا بالرضا، و قد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرنى هذه المرّة من شيء، فإنى معطيهم عليك الحقّ».

قال: نعم، فأعطهم فو الله لأفّين لهم.

فخرج علىّ إلى الناس، فقال: «أيّها الناس إنكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، إن عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه و من غيره، و راجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه و وكّدوا عليه». قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا، فإنّا و الله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم علىّ: «ذلك لكم». ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال عثمان: اضرب بينى و بينهم أجلاً يكون لى فيه مهلة، فإنى لا أقدر على ردّ ما كرهوا فى يوم واحد، قال له علىّ: «ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك»، قال: نعم، و لكن أجّلنى فى ما بالمدينة ثلاثة أيّام. قال علىّ: «نعم». فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، و كتب بينهم و بين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً على أن يردّ كلّ مظلمة، و يعزل كلّ عامل كرهوه، ثمّ أخذ عليه فى الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق، و أشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين و الأنصار، فكفّ المسلمون عنه و رجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه.

فجعل يتأهب للقتال و يستعدّ بالسلاح، و قد كان اتّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلما مضت الأيام الثلاثة و هو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه، و لم يعزل عاملاً، ثار به الناس، و خرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين و هم بذي خُشب، فأخبرهم الخبر و سار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: أ لم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تأب من إحداثك، و راجع عمّا كرهنا منك، و أعطيتنا على ذلك عهد الله و ميثاقه؟ قال: بلى أنا على ذلك. قال: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك؟ الحديث «٢».

(٢). تاريخ الطبري: ٥ / ١١٦ [٤ / ٣٦٩ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٧١ و ٧٢ [٢ / ٢٨٨ - ٢٨٩ حوادث سنة ٣٥ هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٦٦ [٢ / ١٤٩ خطبة ٣٠]. (المؤلف)

ص: ٢٤٩

سياسة ضئيلة:

لما تكلم على مع المصريين و رجّعهم إلى بلادهم و رجع هو إلى المدينة دخل على عثمان و أخبره أنّهم رجعوا، فمكث عثمان ذلك اليوم، حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له: تكلم و أعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، و أنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً فإنّ خطبتك تسيّر في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه، فأبى عثمان أن يخرج، فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أمّا بعد: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم.

فناداه الناس من كلّ ناحية: اتق الله يا عثمان و تب إلى الله. و كان أولهم عمرو ابن العاصي. قال: اتق الله يا عثمان فإنّك قد ركبت نهايير و ركبتها معك فتب إلى الله تنب. إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء صفحة (١٣٧).

٤٣ - قصّة الحصار الثاني «١»

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال: لما شخص المصريون بعد الكتاب

(١). مصادرها: الأنساب: ٥ / ٢٦ - ٦٩ و ٩٥ [٦ / ١٣٣ - ١٨٥ و ٢١٩]، الإمامة و السياسة: ١ / ٣٣ - ٣٧ [١ / ٣٩]، المعارف لابن قتيبة: ص ٨٤ [ص ١٩٤]، العقد الفريد: ٢ / ٢٦٣ [٤ / ١٠٦]، تاريخ الطبري: ٥ / ١١٩ و ١٢٠ [٤ / ٣٧٢ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الرياض النضرة: ٢ / ١٢٣ و ١٢٥ [٣ / ٥٦]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٧٠ و ٧١ [٢ / ٢٨٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٦٥ و ١٦٦ [٢ / ١٥١ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٩٧ [٢ / ٥٩٨]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٧٣، ١٧٤ و ١٨٦ و ١٨٩ [٧ / ١٩٤ - ٢١١ حوادث سنة ٣٥ هـ]، حياة الحيوان للدميري: ١ / ٥٣ [١ / ٧٧]، الصواعق المحرقة: ص ٦٩ [ص



[١١٧]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٠٦ و ١٠٧ [ص ١٤٨ و ١٥١]، السيرة الحلبية: ٢ / ٨٤ و ٨٦ و ٨٧ [٢ / ٧٥ و ٧٧ و ٧٨]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٥٩، و اللفظ للبلاذري و الطبري. (المؤلف)

ص: ٢٥٠

الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة «١» أو بمنزل قبلها رأوا ركباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟ فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، و أنا غلام أمير المؤمنين. و كان أسود، فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه و فتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أما و الله دون أن أنظر في إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أ يكون كتاب في ماء؟ فقال: إن للناس حيلًا. ثم حلّ الإداوة فإذا قارورة مضمومة، أو قال: مضمومة، في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرأ فإذا فيه:

أما بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، و اقطع يدي ابن عديس و كنانة و عروة، ثم دعهم يتشخّطون في دمائهم حتى يموتوا، ثم أوثقهم على جذوع النخل.

فيقال: إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلما عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عثمان مُحلّ. ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا عليًا بالكتاب و كان خاتمه من رصاص، فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه و لا يعرفه و قال: أما الخطّ فخطّ كاتبى، و أما الخاتم فعلى خاتمي، قال عليّ: «فمن تنهم؟» قال: أتهمك و أتهم كاتبى. فخرج عليّ مغضباً و هو يقول: «بل هو أمرك».

قال أبو مخنف: و كان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

و فى لفظ جُهيم النهري قال: أنا حاضر أمر عثمان فذكر كلاماً فى أمر عمّار. فانصرف القوم راضين، ثم وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا و دفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه و لم

---

(١). أيله بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام. و قيل: هى آخر الحجاز و أوّل الشام [معجم البلدان: ١ / ٢٩٢]. (المؤلف)

ص: ٢٥١

يعلم به. فقال له عليّ: «فمن تنهم فيه؟» فقال: أتهم كاتبى و أتهمك يا عليّ! لأنك مُطاع عند القوم و لم تردّهم عنى.

و جاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها و قالوا لعثمان و قد أشرف عليهم: يا عثمان أ هذا كتابك؟ فوجد و حلف، فقالوا: هذا شرّ، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلى أمور المسلمين، فاختلع من الخلافة. فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله، أو قال: سربنيه الله. و قالت بنو أمية: يا عليّ أفسدت علينا أمرنا و دسست و ألّبت، فقال: «يا سفهاء إنكم لتعلمون أنّه لا ناقة

لى فى هذا و لا جمل، و أنى رددت أهل مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى فما حيلتى؟» و انصرف و هو يقول: «اللهم إني برىء مما يقولون و من دمه إن حدث به حدث».

قال: و كتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه: و الله ما كتبت الكتاب و لا أمرت به و لا علمت بقصته و أنتم مُعتَبون من كلِّ ما ساءكم، فأمرُوا على مصركم من أحببتهم، و هذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم. فقالوا: قد اتَّهَمناك بالكتاب فاعتزلنا.

و أخرج ابن سعد «١» من طريق جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: إنَّ عثمان وجَّه إلى المصريِّين لَمَّا أقبلوا يريدونه محمد بن مسلمة فى خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضا و انصرفوا، فلَمَّا كانوا ببعض الطريق رأوا جملًا عليه ميسم الصدقة فأخذوه، فإذا غلام لعثمان ففتشوه، فإذا معه قصبه من رصاص فى جوف إداوة فيها كتاب إلى عامل مصر: أن افعل بفلان كذا، و بفلان كذا، فرجع القوم إلى المدينة فأرسل إليهم عثمان محمد بن مسلمة، فلم يرجعوا و حصروه.

صورة أخرى:

عن سعيد بن المسيَّب قال: إنَّ عثمان لَمَّا ولى كره ولايته نفر من أصحاب

---

(١). الطبقات الكبرى: ٣ / ٦٥.

ص: ٢٥٢

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأنَّ عثمان كان يحبُّ قومه، فولى الناس اثنتى عشرة سنة، و كان كثيراً ما يولّى بنى أمية ممَّن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صحبة، و كان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب محمد، فكان يُستعْتَب فيهم فلا يعزلهم، فلَمَّا كان فى الحجج الآخرة استأثر ببنى عمه فولاهم و ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه و يتظلمون منه، و قد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود و أبى ذر و عمّار بن ياسر، فكان فى قلوب هذيل و بنى زهرة و بنى غفار و أحلافها من غضب لأبى ذر ما فيها، و حنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر، فلَمَّا جاء أهل مصر يشكون ابن أبى سرح، كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمان عنه و ضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد و شكوا ما صنع بهم ابن أبى سرح فى مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد، فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، و أرسلت إليه عائشة رضى الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله، و دخل عليه على بن أبى طالب - و كان متكلم القوم - فقال له: «إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، و قد ادّعوا قبّله دماً فأعزله عنهم و اقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه». فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبى بكر الصديق فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبى بكر. فكتب عهده و ولّاه و وجّه معهم عدّة من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بينهم و بين ابن أبى سرح، فشخص محمد بن أبى بكر و شخصوا جميعاً، فلَمَّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير و هو يخبط البعير خبطاً كأنه رجل

يطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصّتك؟ وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب. فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين، و قال أخرى: أنا غلام مروان، وجّهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئاً و كانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا

ص: ٢٥٣

الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح.

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين و الأنصار و غيرهم ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر و فلان و فلان فاحتل لقتلهم و أبطل كتاب محمد و قرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، و احبس من يجيء إلى متظلماً منك إن شاء الله، فلما قرأوا الكتاب فزعوا و غضبوا و رجعوا إلى المدينة و ختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممّن كان معه و دفعه إلى رجل منهم و قدموا المدينة، فجمعوا عليّاً و طلحة و الزبير و سعداً و من كان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ثم فكّوا الكتاب بمحضر منهم و أخبروهم بقصّة الغلام و أقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان، و زاد ذلك من كان غضب لابن مسعود و عمّار بن ياسر و أبي ذر حنقاً و غيظاً، و قام أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بمنازلتهم ما منهم أحد إلّا و هو مغتمّ لما في الكتاب.

و حاصر الناس عثمان و أجلب عليه محمد بن أبي بكر بنيني تيم و غيرهم، و أعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله، و كانت عائشة تقرصه كثيراً، و دخل عليّ و طلحة و الزبير و سعد و عمّار في نفر من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم كلّهم بدرىّ على عثمان و مع عليّ الكتاب و الغلام و البعير، فقال له عليّ: «هذا الغلام غلامك؟» قال: نعم. قال: «و البعير بعيرك؟» قال: نعم. قال: «و أنت كتبت هذا الكتاب؟» قال: لا، و حلف بالله: ما كتبت هذا الكتاب و لا أمرت به و لا علمت شأنه، فقال له عليّ: «أ فالخاتم خاتمك؟» قال: نعم. قال: «فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك و لا تعلم به؟» فحلف بالله: ما كتبت الكتاب و لا أمرت به و لا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قطّ. و عرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، و كان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم من عنده غضاباً و علموا أنّه لا يحلف بباطل، إلّا أن قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع إلينا مروان

ص: ٢٥٤

حتى نبخته عن الأمر و نعرف حال الكتاب، و كيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، و إن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا في أمر مروان، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان.

فحاصر الناس عثمان و منعه الماء، فأشرف على الناس فقال: أ فيكم عليّ؟ فقالوا: لا. قال: أ فيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت، ثمّ قال ألا أحد يبلّغ عليّاً فيسقيننا ماء؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً فما كادت تصل إليه، و جرح بسببها عدّة من موالى بنى هاشم و بنى أميّة حتى وصلت.

لفظ الواقدي:

من طريق محمد بن مسلمة، و قد أسلفنا صدره في (ص ١٣٢، ١٣٣)، و إليك بقيته: فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة، و احلق رأسه و لحيته، أطل حبسه حتى يأتيك أمرى، و عمرو بن الحمق، فافعل به مثل ذلك، و سودان بن حمران مثل ذلك، و عروة بن اليباع الليثي مثل ذلك. قال: فقلت: و ما يدريكم أن عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيقتات «١» مروان على عثمان بهذا؟ فهذا شر، فيخرج نفسه من هذا الأمر. ثم قالوا: انطلق معنا إليه فقد كلمنا علياً و وعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر، و جئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم، و جئنا سعيد بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا، فقال محمد: فأين وعدكم علي؟ قالوا: وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه. قال محمد: فصليت مع علي، قال: ثم دخلت أنا و علي عليه فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم، قال: و مروان جالس فقال مروان:

(١). لعله: يفتات. مخفف: يفتت، بمعنى: يفتري و يختلق.

ص: ٢٥٥

دعنى جعلت فداك أكلمهم. فقال عثمان: فض الله فاك اخرج عني، و ما كلامك في هذا الأمر؟ فخرج مروان و أقبل علي عليه، قال: و قد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا إلى فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم، فجعل يقسم بالله ما كتب و لا علم و لا شوور فيه، فقال محمد بن مسلمة: و الله إنه لصادق، و لكن هذا عمل مروان، فقال علي: «فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك». قال: ثم أقبل عثمان على علي فقال: إن لى قرابة و رحماً و الله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك، فاخرج إليهم فكلمهم فإنهم يسمعون منك. قال علي: «و الله ما أنا بفاعل و لكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم» قال: فأدخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة، فعرفت أنه الشر بعينه، قالوا: سلام عليكم، فقلنا: و عليكم السلام. قال: فتكلم القوم و قد قدموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر و ذكر تحاملاً منه على المسلمين و أهل الذمة و ذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إلي، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة و ما خالف به صاحبيه، قال: فرحلنا من مصر و نحن لا نريد إلّا دمك أو تنزع، فردنا علي و محمد بن مسلمة و ضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه، ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم. ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز و جلّ عليك و يكون حجة لنا بعد حجة، حتى إذا كنا بالبويب «١» أخذنا غلامك فأخذنا كتابك و خاتمك إلى عبد الله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا، و المثل بنا في أشعارنا، و طول الحبس لنا، و هذا كتابك، قال: فحمد الله عثمان و أثنى عليه ثم قال: و الله ما كتبت و لا أمرت و لا شوورت و لا علمت، قال: فقلت و علي جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قال: أ فبجترأ عليك

(١). البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر [معجم البلدان: ١ / ٥١٢]. (المؤلف)

ص: ٢٥٦

فُيَعْت غلامك و جمل من صدقات المسلمين، و يُنْقَش على خاتمك، و يُكْتَب إلى عاملك بهذه الأمور العظام و أنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا. فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه. قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ و جلّ. قال: و كثرت الأصوات و اللغظ فما كنت أظنّ أنّهم يخرجون حتى يواثبوه قال: و قام علىّ فخرج، فلمّا قام علىّ قمت و قال للمصريين: اخرجوا، فخرجوا، و رجعت إلى منزلي و رجعت علىّ إلى منزله فما برحوا محاصريه حتى قتلوه.

و أخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار أنّ الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي «١» و هو الذي كان يدعو عليه أمير المؤمنين عليه السلام في قنوته مع أناس كما مرّ حديثه في (٢ / ١٣٢)، و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه «٢» (١ / ١٦٥).

و أخرج من طريق عثمان بن محمد الأحنسي قال: كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر، فقدم أهل مصر يوم الجمعة، و قتلوه في الجمعة الأخرى. تاريخ الطبري «٣» (٥ / ١٣٢).

الخليفة تواب عوّاد:

أخرج الطبري من طريق سفيان بن أبي العوجاء، قال: قدم المصريون القدمة الأولى، فكلم عثمان محمد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خشب فردّهم، و رجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا و انتهوا إلى المدينة و قد تخلّف بها من الناس الأشتر

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ١١٥ [٤ / ٣٦٧ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلف)

(٢). شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٥٠ خطبة ٣٠.

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٩٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٢٥٧

و حكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، و قال: هذا مُفْتَعَل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك؟ قال: أجل، و لكنّه كتبه بغير إذني. قالوا: فالجمل جملك؟ قال: أجل، و لكنّه أخذ بغير علمي. قالوا: ما أنت إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقّها، و إن كنت صادقاً فقد استحققت أن تُخلع لضعفك و غفلتك

و خبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُتقطع مثل [هذا] «١» الأمر دونه لضعفه و غفلته، و قالوا له: إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم و غيرهم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك، فأقد من نفسك من ضربته و أنت له ظالم، فقال: الإمام يُخطئ و يُصيب فلا أقيد من نفسي؛ لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطي آتى على نفسي. قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظماً فاستحقت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة، ثمّ عدت إليها و إلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطينا التوبة و الرجوع إلى الحقّ، و لامنا فيك محمد بن مسلمة، و ضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرتة فتبراً منك و قال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك و نبلغ أقصى الأعدار إليك، نستظهر بالله عزّ و جلّ عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل و القلع و الصلب. و زعمت أنّه كتب بغير علمك و هو مع غلامك و على جملك و بخطّ كاتبك و عليه خاتمك، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم و الأثرة في القسم و العقوبة للأمر بالتبسّط من الناس، و الإظهار للتوبة، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة، و لقد رجعنا عنك و ما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك و نستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من لم يحدث مثل ما جربنا منك، و لم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك، فاردد خلافتنا و اعتزل أمرنا، فإنّ ذلك أسلم لنا منك، و أسلم لك منّا، فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم. قال:

(١). من تاريخ الطبرى.

ص: ٢٥٨

الحمد لله أحمدُهُ و أستعينه، و أومن به و أتوكّل عليه، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، و أنّ محمداً عبده و رسوله، أرسله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون، أمّا بعد؛ فإنّكم لم تعدلوا فى المنطق و لم تتصفوا فى القضاء، أمّا قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عزّ و جلّ و أكرمنى به و خصّنى به على غيرى، و لكنى أتوب و أنزع و لا أعود لشيء عابه المسلمون، فإنّى و الله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه و لم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، و أن ننصرف عنك، و لكنّه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، و لقد انصرفنا عنك فى المرّة الأولى و ما نخشى أن تكتب فينا، و لا من اعتللت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك، و كيف نقبل توبتك؟ و قد بلونا منك أنّك لا تُعطى من نفسك التوبة من ذنب إلاّ عُدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نزلك و نستبدل بك، فإن حال من معك من قومك و ذوى رحمك و أهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم، حتى نخلص إليك فنقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أمّا أن أتبراً من الإمارة؛ فإنّ تصليبوني أحبّ إليّ من أن أتبراً من أمر الله عزّ و جلّ و خلافته. و أمّا قولكم: تقاتلون من قاتل دونى؛ فإنّى لا آمر أحداً بقتالكم «١»، فمن قاتل دونى فإنما قاتل بغير أمرى، و لعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد «٢» فقادوا الجنود و بعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق، فالله الله فى أنفسكم

فأبقوا عليها إن لم تُبقوا عليّ؛ فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً. قال: ثم انصرفوا عنه و آذنوه بالحرب، و أرسل إلى محمد بن

(١). لم يكن معه هناك غير بنى أبيه حتى يأمر أحداً بالقتال، و هم ليسوا هناك و قد تحصّنوا يوم قتله بكندوج أم حبيبة كما يأتيك حديثه. (المؤلف)

(٢). كان يتأهب للقتال، و يستعدّ بالسلاح، و يكتب إلى الأجناد، و يجلب إلى المدينة الجنود المجنّدة من الشام و غيرها، غير أنه كان يغفل الناس بكلماته هذه و ستوافيك كتبه. (المؤلف)

ص: ٢٥٩

مسلمة فكلّمه أن يردّهم، فقال: و الله لا أكذب الله في سنة مرتين. تاريخ الطبرى «١» (٥/ ١٢٠، ١٢١).

نظرة في أحاديث الحصارين

أول ما يقع عليه النظر من هذه الأحاديث: أنّ المجهزين على عثمان هم المهاجرون و الأنصار من الصحابة- و لم يشذّ عنهم إلّا أربعة أسلفنا ذكرهم في صفحة (ص ١٦٣)- و هم الذين أصفقوا مع أهل مصر و الكوفة و البصرة على مقت الخليفة و قتله بعد أن أعييتهم الحيل، و أعوزهم السعى في استتابته، و إكفائه عن الأحداث، و نزوعه عمّا هو عليه من الجرائم و إنّ في المقبلين من تلكم البلاد من عظماء الصحابة، و من رجال الفضيلة و الفقه و التقى من التابعين جماعات لا يستهان بعدّتهم، و لا يُعجز في دينهم، و هم رؤساء هاتيك الجماهير و المؤيّن لهم على عثمان:

فمن الكوفيّين:

١- زيد الخير، له إدراك أثنى عليه النبيّ الأعظم، و أنّه من الخيار الأبرار.

٢- مالك بن الحارث الأشتر، له إدراك، أوقفناك على عظمته و فضله و موقفه من الإيمان، و مبلغه من الثقة و الصلاح.

٣- كعب بن عبدة النهدي، و قد سمعت عن البلاذري أنّه كان ناسكاً.

٤- زياد بن النضر الحارثي، له إدراك.

٥- عمرو بن الأهم، صحابيّ خطيب بليغ شريف في قومه، ترجمه «٢» ابن عبد البرّ في الاستيعاب، و ابن الأثير في أسد الغابة، و ابن حجر في الإصابة.

---

(١). تاريخ الأمم والملوك: ٣٧٥ / ٤ و ٣٧٦ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث / ١١٦٣ رقم ١٨٩٢، أسد الغابة: ١٩٦ / ٤ رقم ٣٨٦٢، الإصابة: ٥٢٤ / ٢ رقم ٥٧٧٠.

ص: ٢٦٠

و فى المصرّيين:

٦- عمرو بن الحمق الخزاعى، صحب النبىّ و حفظ عنه أحاديث، و حظى بدعائه صلى الله عليه و آله و سلم له كما مرّ تفصيله (ص ٤٥).

٧- عمرو بن بديل الخزاعى، صحابىّ عادل مترجم فى معاجم الصحابة.

٨- عبد الله بن بديل الخزاعى، قال أبو عمر: كان سيد خزاعة و خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و شهد حنيناً و الطائف و تبوك، و كان له قدر و جلالة، و كان من وجوه الصحابة.

راجع «١»: الاستيعاب، و أسد الغابة، و الإصابة.

٩- عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوى، صحب النبىّ و سمع منه، و كان ممّن بايع تحت الشجرة من الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه.

١٠- محمد بن أبى بكر، و حسبك فيه ما فى الاستيعاب و الإصابة «٢» من أنّ عليّاً - أمير المؤمنين - كان يُثنى عليه و يفضّله و كانت له عبادة و اجتهاد، و كان من أفضل أهل زمانه.

و رئيس البصريين:

١١- حكيم بن جبلة العبدى، قال أبو عمر فى الاستيعاب «٣»: أدرك النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و كان رجلاً صالحاً له دين، مطاعاً فى قومه. و قال المسعودى فى المروج «٤» (٧ / ٢): كان

---

(١). الاستيعاب: القسم الثالث / ٨٧٢ رقم ١٤٨١، أسد الغابة: ١٨٤ / ٣ رقم ٢٨٣٢، الإصابة: ٢٨٠ / ٢ رقم ٤٥٥٩.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث / ١٣٦٧ رقم ٣٢٢٠، الإصابة: ٤٧٢ / ٣ رقم ٨٢٩٤.

(٣). الاستيعاب: القسم الأوّل / ٣٦٦ رقم ٥٤٠.



(٤). مروج الذهب: ٢ / ٣٧٥.

ص: ٢٤١

من سادات عبد القيس و زهادها و نساكها. و أتى عليه مولانا أمير المؤمنين بقوله كما فى الكامل «١» (٣ / ٩٦):

دعا حكيم دعوةً سميعه  
نال بها المنزلة الرفيعه  
يالهل ما نفسى على ربيعه  
ربيعة السامعة المطيعه

قد سبقتنى فيهم الوقيعه

و إن ما جرى فى غضون تلکم المعامع، و تضاعيف ذلك الحوار من أخذ و ردّ و هتاف و قول، كلّها تنمّ عن صلاح القوم و تقواهم، و أنّهم لم يغضبوا إلّا لله، و لا دعوا إلّا إلى أمره، و لا نهضوا إلّا لإقامة الأمت و العوج، و تقويم دين الله و تنزيهه عن المعرّات و الأحداث، و لم يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمع فى إمارة، أو نزوع إلى حكم أو هوى فى مال، و لذلك كان يرضيهم كلّ ما يبديه الخليفة من النزول على رغباتهم، و النزوع عن أحداثه، و الإنابة إلى الله ممّا تقموا به عليه، غير أنّه كان يثيرهم فى الآونة بعد الأخرى ما كانوا يشاهدونه من المقام على الهنات، و نقض العهد مرّة بعد مرّة حتى إذا اطمأنوا إلى أنّ الرجل غير منكفئ عمّا كان يقترفه، و لا مطمئنّ عمّا كان يفعله، فاطمأنوا إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتى قضى من الأمر ما كان مقدوراً.

و لو كان للقوم غاية غير ما وصفناه لما أتى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على المصرّيين منهم

بقوله من كتاب كتبه إلى أهل مصر: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصى فى أرضه، و ذهب بحقه»

، إلى آخر ما مرّ فى صفحة (٧٤). و لما كانوا المذكورين فى المعاجم و الكتب بالثناء الجميل عليهم بعد تلکم المواقف المشهودة، و لو صدر عن أىّ أحد أقلّ ممّا صدر من أولئك الثائرين على عثمان فى حقّ فرد من أفراد المسلمين

---

(١). الكامل فى التاريخ: ٢ / ٣٢٦ حوادث سنة ٣٦ هـ.

ص: ٢٤٢

فضلاً عن الخليفة لعدّ جنایة لا تغفر، و ذنباً لا يبرّر، و سقط صاحبه إلى هوة الضعة، و لا تبقى له بعد حرمة و لا كرامة، غير أن....

الثاني من مواقع النظر في الأحاديث المذكورة: أن الخليفة كانت عنده جرائم يستنكرها المسلمون و ينكرونها عليه و هو يعترف بها فيتوب عنها، ثم يروغ عن التوبة فيعود إليها، و لا أدري أنه في أيّ الحالين أصدق؟ أحين اعترف بالأحداث فتاب؟ أم حين عبث به مروان فرقى المنبر و قال: إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم؟

الثالث: أنه أعطى اليهود و الموثيق المؤكدة على النزوع عما كان يرتكبه مما ينقمونه عليه و سجّل ذلك في صكوك يبثها في البلاد بأيدي الناهضين عليه، إذ كان على علم بأن البلاد قد تمخضت عليه كما مرّ في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ثم لم يلبث حتى نكتها بعد ما ضمن له العمل على ذلك مثل مولانا أمير المؤمنين و محمد ابن مسلمة ذلك الصحابي العظيم، و قد شهدت ذلك الضمان أمة كبيرة من الصحابة، فكأنه ما كان يرى للعهد لزوماً، و لا للضمان حرمة، و لا للضامنين مكانة، و لا لنكث العهد معرّة، و لعله كان يجد مبرراً لتلكم الفجائع أو الفضائح، و على أيّ فالمسلمون - و يقدمهم الصحابة العدول - لم يرقهم ذلك المبرر و لا اعترفوا به، فمضوا إلى ما فعلوه قدماً غير متحوّيين و لا متأثمين.

الرابع: أن التزامه في كتاب عهده في الحصار الأوّل بالعمل بالكتاب و السنّة و هو في حيّز النزوع عما كان يرتكبه قبل ذلك، و قد أعتب بذلك المتجمهرين عليه المنكرين على أحداثه المنحازة عنهما، يرشدنا إلى أنه كان في أعماله قبل ذلك الالتزام حادثاً عن الكتاب و السنّة، و حسب أيّ إنسان من الضعة أن تكون أعماله منتثية عنهما.

الخامس: إن الطريد ابن الطريد، أو قل

عن لسان النبيّ الأمين «١»: «الوزغ ابن

---

(١). راجع ما مرّ في الجزء الثامن: ص ٢٦٠. (المؤلف)

ص: ٢٦٣

الوزغ، اللعين ابن اللعين»

، مروان بن الحكم كان يؤثّر في نفسيّات الخليفة حتى يحوّلته كما قال مولانا أمير المؤمنين «٢» عن دينه و عقله، و يجعله مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به. فلم يزل به حتى أربكه عند منتفض اليهود و منتكث الموثيق، فأورده مورد الهلكة. و عجيب من الخليفة أن يتأثّر بتسويات الرجل و هو يعلم محلّه من الدين و موقفه من الإيمان، و ميوّاه من الصدق و الأمانة، و هو يعلم أنه هو و زبانيته هم الذين جرّوا عليه الويلات و أركبوه النهايبير، و أنّهم سيوردونه ثمّ لا يصدرونه، يعلم ذلك كلّه و هو بين التاب و المخلب و في منصرم الحياة، و مع ذلك كلّه لا يزال مقيماً على هاتيك الوسوس المروانيّة، فيا للعجب.

و أعجب من ذلك أنه مع هذا التأثر يتخذ نصيح الناصحين له كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام و كثير من الصحابة العدول بأعتاب الناس و رفض تمويهات مروان الموبقة له ظهرياً فلا يُعير لهم بعد تمام الحجّة و قطع سبل المعاذير أذناً واعية، و هو يعلم أنّهم لا يعدون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و يدعونه إلى ما فيه نجاته و نجاح الأمة.

لفت نظر:

وقع في عدّ أيام حصار عثمان خلاف بين المؤرّخين فقال الواقدي: حاصروه تسعة و أربعين يوماً. و قال الزبير: حاصروه شهرين و عشرين يوماً. و في رواية أنّهم حاصروه أربعين ليلة. و قال ابن كثير: استمرّ الحصر أكثر من شهر. و قيل: بضعاً و أربعين. و قال الشعبي: كانت مدّته اثنتين و عشرين ليلة. و في رواية للطبري: كان الحصر أربعين ليلة و النزول سبعين. و في بعض الروايات: حاصروه عشرين يوماً بعد قضية جهجاه المذكورة (ص ١٢٣) إلى أقوال أخرى، و لعلّ كلّاً منها ناظر إلى ناحية من مدّة أيام الحصارين أو مدّة أحدهما، و من مدّة نزول المتجمهرين حول داره، و من أيام ضاق عليه الخناق، و مُنع من إدخال الماء عليه،

(٢). راجع ما مضى في هذا الجزء صفحة: ١٧٤. (المؤلف)

ص: ٢٤٤

و حيل بينه و بين اختلاف الناس إليه، و من حصار الثائرين عليه من الأمصار، و من إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار. إلى تأويلات أخرى يتأتى بها الجمع بين تلكم الأقوال.

كتب عثمان أيام الحصار «١»

أخرج الطبري في تاريخه من طريق ابن الكلبي، قال: إنّما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنّه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، و أن يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟ قال: غلامي انطلق بغير علمي، قالوا: جملك؟ قال: أخذه من الدار بغير أمرى. قالوا: خاتمك؟ قال: نقش عليه. فقال عبد الرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر:

خوصاً كأمثال القسيّ عود

أقبلن من بلييس و الصعيد «٢»

يطلبن حقّ الله في الوليد

مُستحقات حلق الحديد

يا ربّ فارجعنا بما نريد

و عند عثمان و في سعيد

فلما رأى عثمان ما قد نزل به و ما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية

(١). الإمامة و السياسة: ٣٢ / ٢ - ٣٣ [١ / ٣٧ - ٣٨]، الأنساب: ٧١ / ٥ و ٧٢ [٦ / ١٨٨ و ١٨٩]، تاريخ الطبري: ١٠٥ / ٥، ١١٥، ١١٦، ١١٩ [٤ / ٣٥١ و ٣٦٧ و ٣٦٩ و ٣٧٣ حوادث سنة ٣٥ هـ]، تاريخ اليعقوبي: ١٥٢ / ٢ [٢ / ١٧٥]، الكامل لابن الأثير: ٦٧ / ٥، ٦٧ [٢ / ٢٨٧ و ٢٨٨ حوادث سنة ٣٥ هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٦٥ [٢ / ١٥٠ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٤ / ٢ [٢ / ٥٩٥]، الفتنة الكبرى: ص ٢٢٦ [المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين: - الفتنة الكبرى: - مج ٤ / ٤٢١]. (المؤلف)

(٢). بلبيس: بكسر الباءين و سكون اللام: مدينة بينها و بين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام [معجم البلدان: ١ / ٤٧٩]، الصعيد: بلاد واسعة كبيرة بمصر يقال: إنها تسعمائة و سبع و خمسون قرية [معجم البلدان: ٣ / ٤٠٨]. (المؤلف)

ص: ٢٦٥

ابن أبي سفيان و هو بالشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا و أخلفوا الطاعة و نكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب و ذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربّص به و كره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز، و إلى أهل الشام يستنفرهم و يعظّم حقّه عليهم، و يذكر الخلفاء و ما أمر الله عزّ و جلّ به من طاعتهم و مناصحتهم، و وعدهم أن يجنّدهم «١» جنداً و بطانة دون الناس، و ذكّره بلاءه عندهم و صنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل؛ فإن القوم معاجلي.

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثمّ القسري، فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ ذكر عثمان فعظّم حقّه، و حضّم على نصره، و أمرهم بالمسير إليه، فتابعه ناس كثير، و ساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى «٢»، بلغهم قتل عثمان رضى الله عنه، فرجعوا.

و أخرج البلاذري من طريق الشعبي قال: كتب عثمان إلى معاوية: أن أمددني، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز «٣» البجلي، فتلّقاه الناس بمقتل عثمان فرجع من الطريق و قال: لو دخلت المدينة و عثمان حيّ ما تركت بها محتملاً إلّا قتلته، لأنّ الخاذل و القاتل سواء.

(١). في تاريخ الطبري: ينجدهم.

(٢). وادى القرى: وادٍ بين المدينة و الشام من أعمال المدينة [معجم البلدان: ٥ / ٣٤٥]. (المؤلف)

(٣). فى المصدر: كُرْز، و هو كما مرَّ قبل قليل.

ص: ٢٦٦

كتابه إلى أهل الشام:

قال ابن قتيبة: و كتب إلى أهل الشام عامّة و إلى معاوية و أهل دمشق خاصّة:

أما بعد؛ فإنّى فى قوم طال فىهم مقامى، و استعجلوا القدر فىّ، و قد خيّرونى بين أن يحملونى على شارف من الإبل إلى دحل «١»، و بين أن أنزع لهم رداء الله الذى كسانى، و بين أن أقيدهم ممّن قتلت. و من كان على سلطان يخطئ و يصيب، فىا غوثاه فىا غوثاه، و لا أمير عليكم دونى، فالعجل العجل فىا معاوية، و أدرك ثمّ أدرك و ما أراك تدرك.

كتابه إلى أهل البصرة:

و كتب إلى عبد الله بن عامر: أن اندب إلى أهل البصرة - نسخة كتابه إلى أهل الشام - فجمع عبد الله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضّونه على نصر عثمان و المسير إليه، فىهم: مجاشع بن مسعود السلمى، و كان أوّل من تكلم و هو يومئذ سيّد قيس بالبصرة، و قام أيضاً قيس بن الهيثم السلمى، فخطب و حضّ الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم، حتى إذا نزل الناس الربذة و نزلت مقدّمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان.

و قال البلاذرى: و كتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كرىز و معاوية بن أبى سفيان يعلمهما أنّ أهل البغى و العدوان من أهل العراق و مصر و المدينة قد أحاطوا بداره فليس يرضيهم بزعمهم شىء دون قتله أو يخلع السربال الذى سربله الله إياه، و يأمرهما بإغاثة رجال ذوى نجدة و بأس و رأى، لعلّ الله أن يدفع بهم عنه بأس من يكيده و يريد، و كان رسوله إلى ابن عامر جبى بن مطعم، و إلى معاوية المسور بن

(١). هى جزيرة بين اليمن و بلاد البجة بين الصعيد و تهامة. معجم البلدان: ٢ / ٤٤٤.

ص: ٢٦٧

مخرمة الزهرى. فأما ابن عامر فوجّه إليه مجاشع بن مسعود السلمى فى خمسمائة أعطاهم خمسمائة درهم، و كان فىمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مائة رجل. و أمّا معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهرى فى ألف فارس،

فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جدّ خالد بن عبد الله بن يزيد القسري من بجيلة، وبلغ أهل مصر و من معهم ممّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر و معاوية، فزادهم ذلك شدّة عليه و جدّاً في حصاره و حرصاً على معاجلته بالقتل.

كتابه إلى أهل الامصار:

أخرج الطبري و غيره و قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فإنّ الله عزّ و جلّ بعث محمداً بالحقّ بشيراً و نذيراً، فبلّغ عن الله ما أمره به ثمّ مضى و قد قضى الذي عليه، و خلف فينا كتابه فيه حاله و حرامه، و بيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحبّ العباد و كرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضى الله عنه و عمر رضى الله عنه، ثمّ أدخلت في الشورى عن غير علم و لا مسألة عن ملأ من الأُمّة، ثمّ أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم و من الناس على غير طلب منى و لا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون و لا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متّبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلّف، فلمّا انتهت الأمور، و انتكث الشرّ بأهله، بدت ضعائن و أهواء على غير إجماع و لا ترة فيما مضى إلّا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً و أعلنوا غيره بغير حجّة و لا عذر، فعابوا على أشياء ممّا كانوا يرضون و أشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسى و كفتها عنهم منذ سنين، و أنا أرى و أسمع، فزادوا على الله عزّ و جلّ جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حرمه و أرض الهجرة، و ثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلّا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

ص: ٢٦٨

فأتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة و الذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، و بعث عبد الله بن سعد معاوية بن خديج السكوني، و خرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو. الحديث.

كتابه إلى أهل مكة و من حضر الموسم سنة (٣٥):

ذكر ابن قتيبة قال: كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة و من حضر الموسم يستغيثهم، فوافى به نافع يوم عرفة بمكة و ابن عباس يخطب، و هو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم، فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحجّ من المسلمين:

أما بعد؛ فإني كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر، و لا آكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا و من معي، لا أدعى إلى توبة أقبلها، و لا تسمع مني حجة أقولها، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليّ فأخذ الحقّ فيّ، و منعني من الظلم و الباطل.

قال: ثمّ قام ابن عباس، فأتمّ خطبته و لم يعرض لشيء من شأنه.

قال الأميني: هذا ما يمكننا أن نؤمن به من كتاب عثمان إلى الحضور في الموسم، و هناك كتاب مفصّل إلى الحاجّ يُنسب إليه يتضمّن آياً من الحكم و الموعظة الحسنة يطفح عن جوانبه الورع الشديد في دين الله، و الأخذ بالكتاب و السنّة، و الاحتذاء بسيرة الشيخين، يبعد جدّاً عن نفسيات عثمان و عمّا عرفته الأمة من تاريخ حياته، و الكتاب أخرجه الطبري في تاريخه «١» (١٤٠-١٤٣)، وراق الدكتور طه حسين ما

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤٠٧ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٢٦٩

وجد فيه من المعاني الراقية و الجمل الراقية، و الفصول القيّمة، فذكره في ملحق كتابه الفتنة الكبرى «١» (ص ٢٢٧ - ٢٣١) ذاهلاً عن أنّ الكتاب لم يرو إلا من طريق ابن أبي سبرة القرشي العامري المدني الوضّاع الكذاب السابق ذكره في سلسلة الوضّاعين في الجزء الخامس، قال الواقدي: كان كثير الحديث و ليس بحجة، و قال صالح بن أحمد عن أبيه: كان يضع الحديث. و قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ليس بشيء كان يضع الحديث و يكذب، و عن ابن معين «٢»: ليس حديثه بشيء، ضعيف الحديث، و قال ابن المديني: كان ضعيفاً في الحديث، و قال مرة: كان منكر الحديث. و قال الجوزجاني: يضع حديثه. و قال البخاري «٣»: ضعيف. و قال مرة: منكر الحديث. و قال النسائي «٤»: متروك الحديث. و قال ابن عدى «٥»: عامّة ما يرويه غير محفوظ، و هو في جملة من يضع الحديث. و قال ابن حبان «٦»: كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات لا يجوز الاحتجاج به. و قال الحاكم أبو عبد الله: يروى الموضوعات عن الأثبات «٧».

نظرة في الكتب المذكورة:

لقد تضمّنت هذه الكتب أشياء هي كافية في إثارة عواطف المؤمنين على من كتبها و لو لم يكن له سابقة سوء غيرها. منها:

قوله عن المهاجرين و الأنصار و ليس في المدينة غيرهم: إنّ أهل المدينة قد

---

(١). المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - الفتنة الكبرى -: مج ٤ / ٤٢١.

(٢). التاريخ: ٣ / ١٥٧ رقم ٦٥٩.

(٣). التاريخ الكبير: مج ٨ / ٩ رقم ٦٥ كتاب الكنى ٥٦.

(٤). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٢٦٢ رقم ٦٩٧.

(٥). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٧ / ٢٩٧ رقم ٢٢٠٠.

(٦). كتاب المجروحين: ٣ / ١٤٧.

(٧). راجع: تاريخ الخطيب: ١٤ / ٣٦٧ - ٣٧٢ [رقم ٧٦٩٧]، تهذيب التهذيب: ١٢ / ٢٧ [١٢ / ٣١]. (المؤلف)

ص: ٢٧٠

كفروا، و أخلفوا الطاعة، و نكنوا البيعة. و قوله: فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد و هو يريد أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم المشهود لهم جمعاء بالعدالة عند قاطبة أهل السنة، و لقد صدّوا و صوّبوا فى إثبات ذلك بما لا مزيد عليه عندهم، و لا يزالون يحتجّون بأقوالهم و ما يؤثر عنهم من قول أو عمل فى أحكام الدين، كما يحتجّون بما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من السنة، ثقة بإيمانهم، و طمأنينة بعدالتهم، و يرون أنّهم لا ينبسون بينت شفة و لا يخطون فى أمر الدين خطوة إلّا بأثر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مسموع أو منقول أو مشاهدة عمل منه صلى الله عليه و آله و سلم يطابق ما يرتثونه أو يعملون به، فهل على مؤمن هذا شأنه قذف أثقل عليه من هذا؟ أو تشويه أمسّ بكرامته من ذلك؟ و لعمر الحقّ إنّ من يغضّ عن مثله فلا يستشيريه خلو عن العاطفة الدينيّة، خلو عن الحماس الإسلامى، خلو عن الشهامة المبدئيّة، خلو عن الغيرة على الحقّ، خلو و خلو و لذلك اشتدّت الصحابة عليه بعد وقوفهم على هذا و أمثاله.

ثمّ إنه ليس لأحد طاعة مفترضة فى أعناق المسلمين بعد الله و رسوله إلّا إمام حقّ يعمل بكتاب الله و سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و المتجهرون على عثمان و هم الصحابة أجمع كانوا يرون أنّه تخطّاهما، و أنّ ما كان ينوء به من فعل أو قول قد عديا الحقّ منهما، فأىّ طاعة واجبة و الحال هذه - و حسابان القوم كما ذكرناه - حتى يُؤاخذوا على الخلف؟

و البيعة إنّما لزمّت إن كان صاحبها باقياً على ما بويع عليه، و القوم إنّما بايعوه على متابعة الكتاب و السنّة و المضىّ على سيرة الشيخين، و بطبع الحال أنّها تنتكث عند نكوص صاحبها عن الشروط. و هو الذى نقمه المسلمون على خليفتهم، فلا موجب لمؤاخذتهم أو منابذتهم، و هاهنا رأى المسلمون أنّ الرجل زاد ضعفاً على إبّالة، فهو على أحداثه الممقوتة طفق يستشير الجنود عليهم، و يحرضهم على القتل و النهب، فتداركوا الأمر فأوردوه حياض المنية قبل أن يجلب إليهم البليّة، و تلافوا

ص: ٢٧١

الأمر قبل أن يمسه الشرّ، و ما بالهم لا تستشيرهم تلكم القذائف؟ و هم يرون أنّهم هم الذين آووا و نصرّوا و لم يألوا جهداً فى جهاد الكفّار حتى ضرب الدين بجرانه، فمن العجيب و الحالة هذه أن يشبّوها بالأحزاب و الكفرة يوم أحد.



و منها: تلوّنه في باب التوبة التي تظاهر بها على صهوة المنبر بملا من الصحابة، و سجّل ذلك بكتاب شهد عليه عدّة من أعيان الأُمّة و في مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام، و كتب ذلك إلى الأمصار النائية كما تقدّم في صفحة (١٧٦) و هو في كلّ ذلك يعترف بالخطيئة و يلتزم بالإقلاع عنها، لكنّه سرعان ما نكث التوبة و أبطل المواثيق المؤكّدة بكتبه هذه، إذ حسب أنّ من يكتب إليهم سينفرون إليه مقانِب و كتائب و هم أولياؤه و مواليه، فنفى عنه المآثم التي شهد عليها أهل المدينة بل و أهل الأمصار من خيرة الأُمّة، و هو يريد أن يقلب عليهم ظهر المجن، فيؤاخذ و ينتقم و كأنّه نسي ذلك كلّ حتى قال في كتابه إلى أهل مكة: لا أدعى إلى توبة أقبليها، و لا تُسمع مني حجّة أقولها.

يقول له المحامى عن المدتيين: أو لم تُدعَ أيّها الخليفة إلى التوبة فتبت على الأعواد و على رءوس الأشهاد مرّة بعد أخرى؟ لكنّهم وجدوك لا تقرّ على قرار، و لا تستمرّ على مبدأ، و شاهدوك تتلونّ تلونّ الحرباء «١» فجزموا بأنّ التوبة لا تردعك عن الأحداث، و أنّ النزوع لا يزعك عن الخطايا، و جئت تماطل القوم بذلك كلّ حتى يوافيك جيوشك فتهلك الحرث و النسل، و تمكن من أهل دار الهجرة مثل يزيد بن كرز الذي يقول: لو دخلت المدينة و عثمان حيّ ما تركت بها محتملاً إلّا قتلته. إلخ.

عرف القوم أيّها الخليفة نواياك السيّئة فيهم، و عرفوا انحرافك عن الطريقة المنلى بإبعاد مروان إيّاك عنها كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و هو يخاطبك: أما

---

(١). الحرباء: ضرب من الزواحف تتلونّ في الشمس ألواناً مختلفة، يضرب بها المثل في التقلّب. (المؤلف).

ص: ٢٧٢

رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرّفك عن دينك و عن عقلك؟ و إنّ مثلك مثل الظعينة يُقاد حيث يُسار به «١»، فنهضوا للدفع عنهم و عن بيضة الإسلام من قبل أن يقعوا بين الناب و المخلب، فوقع ما وقع و كان أمر الله قدراً مقدوراً.

و لنا هاهنا مناقشة أخرى في حساب الخليفة فنقول له: ما بالك تكرر أيّها الخليفة قولك عن الخلافة: إنّها رداء الله الذي كساني، أو أنّها قميص سربنيه الله. أو ما يماثل ذلك؟ تطفح به كتبك أو يطفو على خطبك، و يلوّكها فمك بين كلمك، كأنك قد حفظتها كلمة ناجعة لدينك و دنياك، و اتّخذتها و رداً لك كأنك تحاذر في تركها النسيان غير أنّه عزب عنك محاسبة من تخاطبهم بها إيّاك، فما جواب قومك إن قالوا لك متى سربلك الله بهذا القميص؟ و قد مات من سربلك، و انقلب عليك بعدُ قبل موته و عدده لذلك منافقاً، و أوصى أن لا تصلّي عليه أنت، و كان يقول لعليّ أمير المؤمنين: خذ سيفك و آخذ سيفي إنّّه قد خالف ما أعطاني، و كان يحثّ الناس عليك و يقول: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه، و حلف أن لا يكلمك أبداً، و قد دخلت عليه عائداً في مرضه فتحولّ إلى الحائط و لم يكلمك «٢» و هاجر إلى آخر نفس لفظه. و تبعه على خلافك الباؤون من أهل الشورى.

و كنّا نحسب أنّ نصب الخليفة لا يجب على الله سبحانه إن كنّا مقتفين أثر الشيخين و إنّما هو مفوض إلى الأُمّة تختار عليها من شاءت، و إن حدنا في ذلك عن قول الله تعالى: (و رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) «٣» (و ما كان للمؤمنين

وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (٤) و عن نصوص النبي الأعظم و قد مرّ شرط منها في غضون أجزاء كتابنا هذا.

---

(١). راجع ما مرّ في صفحة: ١٧٤، ١٧٥ من هذا الجزء. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ في هذه الجزء من حديث عبد الرحمن بن عوف: ص ٨٦ - ٩٠. (المؤلف)

(٣). القصص: ٦٨.

(٤). الأحزاب: ٣٦.

ص: ٢٧٣

فهل ترى أيّها الخليفة أنّه كان يجب على الله سبحانه أن يمضى خيرة الأمة؟ أكان في رأى الجليل إعواز في تقييض الإمام بنفسه حتى ينتظر في ذلك مشتبك آراء الأمة أو مرتبك أهوائهم فيمضى ما ارتأوه؟ و بهذه المناسبة تنسب ذلك السريال إليه، لا أظنك أيّها الخليفة يسعك أن تقرّر ما استفهمناه، غير أنّ آخر دعواك بعد العجز عن الجواب: لا أنزع قميصاً البسنية الله.

و على كلّ لقد أوقفنا موقف الحيرة في أمر هذا السريال و من حاكه و النول الذى حيك عليه، فقد وجدنا أوّل الخلفاء تسربله بانتخاب غير دستوري، بانتخاب جرّ الولايات على الأمة حتى اليوم، بانتخاب سوّد صحيفة التاريخ و شوّه سمعة السلف، و قد تقمّصه ابن أبي قحافة و هو يعلم أنّ في الأمة من محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرحي، ينحدر عنه السيل و لا يرقى إليه الطير، كما قاله مولانا أمير المؤمنين ثمّ مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده، فيا عجباً يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته «١» فتقمّصه الثانى بالنصّ ممّن قبله و هو يعلم أنّ في الأمة من هو أولى منه كما قال مولانا أمير المؤمنين «٢» و سربلك إياه أيّها الخليفة عبد الرحمن بن عوف و في لسانه قوله لعلّي: بايع و إلّا ضربت عنقك، و لم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فخرج علىّ مغضباً فلحقه أصحاب الشورى قائلين: بايع و إلّا جاهدناك «٣». فأىّ من هذه السراويل منسوج بيد الحقّ حتى يصحّ عزوه إليه سبحانه؟ و لهذا البحث ذيول ضافية حولها أبحاث مترامية الأطراف، حول خلافة الخلفاء من بنى أميّة و غيرهم يشبه بعضها بعضاً، و لعلك في غنى عن التبسّط في ذلك و الاسترسال حول توثّبهم على عرش الإمامة.

نعم؛ الخلافة التي يصحّ فيها أن يقال: إنّها سريال من الله سبحانه هي التي

---

(١). راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٨١. (المؤلف)

(٢). يأتى حديثه بلفظه. (المؤلف)

(٣). الأنساب للبلاذري: ٥ / ٢٢ [٦ / ١٢٨]. (المؤلف)

ص: ٢٧٤

قيض صاحبها المولى جلّت قدرته، وبلغ عنه نبيّه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، هي التي أخبر به النبيّ الأعظم من أوّل يومه

فقال: «إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (١) فهي إمرة إلهية لا تتمّ إلّا بالنصّ وليس لصاحبها أن ينزعها»

، هي التي قرنت بولاية الله ورسوله في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) «٢» و هي التي أكمل الله بها الدين و أتمّ بها النعمة «٣» و شتّان بينها وبين رجال الانتخاب و إن كان دستورياً.

و أمّا ما ارتآه المتجهرون و عبثت به الميول و الشهوات، فهي سلطة عادية يفوز بها المتغلبون، و بيد الأمة حلّها و عقدها، و الغاية منها عند من يحذو حذو الخليفة في جملة من الصولات: كلاءة الثغور، و اقتصاص القتاتل، و قطع المتلصص، إلى آخر ما مرّ تفصيله في الجزء السابع (صفحة ١٣١ - ١٥٢) و ليس في عهدة المتسلّق على عرشه تبليغ الأحكام، و ترويض النفوس، و تهذيب الأخلاق، و تعليم الملكات الفاضلة، و تربية المألّ في عالم النشوء و الارتقاء، فإنّ تلکم الغايات في تلکم السلطات تحصل بمن هو خلو عن ذلك كلّ كما شوهد فيمن فاز بها عن غير نصّ إلهيّ.

يوم الدار و القتال فيها

أخرج ابن سعد في طبقاته «٤» (٥ / ٢٥) طبع ليدن؛ من طريق أبي حفصة مولى مروان، قال: خرج مروان بن الحكم يومئذ يرتجز و يقول: من يبارز؟ فبرز إليه عروة ابن شبيب بن البياع الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخرّ لوجهه، فقام إليه عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقى بسكين معه ليقطع رأسه، فقامت إليه أمّه التي أرضعته و هي

---

(١). مرّ حديثه في الجزء السابع: ص ١٣٤. (المؤلف)

(٢). راجع ما مضى في الجزء الثاني: ص ٤٧، و الجزء الثالث: ص ١٥٥ - ١٦٢. (المؤلف)

(٣). راجع الجزء الأوّل من كتابنا هذا: ص ٢٣٠ - ٢٣٨. (المؤلف)

(٤). الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٧.

ص: ٢٧٥

فاطمة النقيّة و هي جدّة «١» إبراهيم بن العربيّ صاحب اليمامة فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أن تبضعه؟ فاستحيا عبيد بن رفاعه منها فتركه.

و روى عن عيَّاش بن عبّاس، قال: حدّثني من حضر ابن البيّاع يومئذٍ يبارز مروان بن الحكم، فكأنّي أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفيه في منطقته و تحت القباء الدرع، فضرب مروان على قفاه ضربةً فقطع علابيّ رقبته و وقع لوجهه، فأرادوا أن يذفّفوا عليه فقبل: تبضعون اللحم؟ فترك.

و أخرج البلاذري «٢» من طريق خالد بن حرب قال: لجأ بنو أميّة يوم قتل عثمان إلى أمّ حبيبة «٣» فجعلت آل العاص و آل حرب و آل أبي العاص و آل أسيد في كندوج «٤» و جعلت سائرهم في مكان آخر، و نظرت معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مشيته فقال: بأبي و أمي أمّ حبيبة، ما كان أعلمها بهذا الحيّ حين جعلتكم في كندوج!

قال: و مشى الناس إلى عثمان و تسلّقوا عليه من دار بني حزم الأنصاري، فقاتل دونه ثلاثة من قريش: عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود «٥»، و عبد الله بن عوف

---

(١). كذا في الطبقات الكبرى، و سيأتي في صفحة ٢٧٨ أنّها أم إبراهيم بن عربي الكنانى كما في أنساب الأشراف: ١٩٨ / ٦. إلّا أنّ ما في تاريخ الطبرى: ٣٨١ / ٤ فاطمة بنت أوس جدّة إبراهيم ابن عدى، و ليس إبراهيم بن عربي و هو الصواب حسب الظاهر، إذ إنّ إبراهيم بن عربي هو صاحب ديوان عبد الملك بن مروان، و أمّا إبراهيم بن عدى فهو واليه على اليمامة. راجع: تاريخ الأمم و الملوك: ١٤٤ / ٦، ١٤٦ حوادث سنة ٦٩ هـ، الكامل في التاريخ: ١٧٧ / ٣.

(٢). أنساب الأشراف: ١٩٩ / ٦.

(٣). زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. (المؤلف)

(٤). كندوج: شبه المخزن بالبيت. (المؤلف)

(٥). قال ابن الأثير في أسد الغابة: ٢٧٣ / ٣ [٣ / ٤١٥ رقم ٣٢٤١]: قتل يوم الجمل أو يوم الدار، و قال ابن حجر في الإصابة: ٣٨١ / ٢ [رقم ٥٠٢٧]: قتل يوم الدار. (المؤلف)

ص: ٢٧٦

ابن السبّاق «١»، و عبد الله «٢» بن عبد الرحمن بن العوام، و كان عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام يقول: يا عباد الله بيننا و بينكم كتاب الله. فشدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله الجمحي و هو يقول:

بقيّة الكفّار و الأحزاب

لأضربنّ اليوم بالقرضاب «٣»

ضرب امرئٍ ليس بذي ارتيابٍ

أ أنت تدعونا إلى الكتابِ

نبدته في سائر الأحقابِ

فقتله، و شدّ جماعة من الناس على عبد الله بن وهب بن زمعة، و عبد الله بن عوف بن السباق، فقتلوهما في جانب الدار.

جاء مالك الأشتر حتى انتهى إلى عثمان، فلم ير عنده أحداً فرجع، فقال له مسلم بن كريب القابضي من همدان: أيا أشتر دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتى إذا نظرت إليه نكصت عنه على عقبيك. فقال له الأشتر: لله أبوك أما تراه ليس له مانع و لا عنه وازع؟ فلما ذهب لينصرف قال ناتل مولى عثمان: وا ثكلاه هذا و الله الأشتر الذي سَعَّر البلاد كلَّها على أمير المؤمنين، قتلني الله إن لم أقتله. فشدّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من همدان: وراءك الرجل يا أشتر، فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى و نادى الأشتر: يا عمرو بن عبيد إليك الرجل، فاتبع عمرو ناتلاً فقتله.

(١). هو عبد الله بن أبي مرّة - أبي ميسرة - العبدري، قتل مع عثمان كما في الاستيعاب: ٣ / ٢ [القسم الثالث / ٩٩٨ رقم ١٦٧٢] و الإصابة ٣٦٧ / ٢ [رقم ٤٩٥٠]. (المؤلف)

(٢). ذكر أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثاني / ٨٢٤ رقم ١٤٤٦] و ابن الأثير في أسد الغابة [٣ / ٤٨٠ رقم ٣٣٦٣] في ترجمة عبد الرحمن، و ابن حجر في الإصابة: ٢ / ٤١٥ [رقم ٥١٧٨]: أنه ممّن قتل يوم الدار. (المؤلف)

(٣). الفرضوب و القرصاب: السيف القاطع يقطع العظام.

ص: ٢٧٧

و قال مروان في يوم الدار:

رُويداً و لا اختاروا الحياة على القتلِ

و ما قلت يوم الدار للقوم حاجزوا

بأسيا فكم لا يوصلنَّ إلى الكهلِ

و لكننّي قد قلت للقوم قاتلوا

و في رواية أبي مخنف: تهيأ مروان و عدّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه و حملوا على من دخل الدار فأخرجوهم. و رمى عثمان بالحجارة من دار بني حزم بن زيد الأنصاري و نادوا: لسنا نرميك، الله يرميك، فقال: لو رمانى الله لم يخطئني، و شدّ المغيرة بن الأخنس بالسيف و هو يقول:

قد علمت جاريةً عطبول

لها وشاحٌ ولها جديل

أنى لمن حاربت ذو تنكيل

فشدّ عليه رفاعه بن رافع و هو يقول:

قد علمت خودٌ سحوب للذيلُ

ترخى قروناً مثل أذئاب الخيلُ

أن لقرنى فى الوغى منى الويلُ

فضربه على رأسه بالسيف فقتله. و يقال: بل قتله رجل من عرض الناس، و خرج مروان بن الحكم و هو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل

و الكفّ و الأنامل الطفول

أنى أروع أوّل الرعيل

ثمّ ضرب عن يمينه و شماله فحمل عليه الحجّاج بن غزيرة و هو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل

واضحة الليتين قعساء الكفل

أنى غداة الروح مقدامٌ بطل

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه، و خرّ مروان لوجهه، و جاءت

ص: ٢٧٨

فاطمة بنت شريك الأنصاريّة من بُلى «١»- و هى أمّ «٢» إبراهيم بن عربى الكنانى الذى كان عبد الملك بن مروان ولّاه اليمامة، و هى التى كانت ربّت مروان- فقامت على رأسه ثمّ أمرت به فحمل، و أدخل بيتاً فيه كُنة «٣» و شدّ عامر بن بكير

الكناني و هو بدرى على سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية فضربة بالسيف على رأسه، و قامت نائلة بنت الفرافصة على رأسه ثم احتملته فأدخلته بيتاً و أغلقت بابه «٤».

و فى رواية الطبرى «٥» من طريق أبى حفصة مولى مروان: لَمَّا حُصِرَ عثمان رضى الله عنه شمّرت معه بنو أمية، و دخل معه مروان الدار، فكنت معه فى الدار، فأنا و الله أنشبت القتال بين الناس، رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، و هو نيار الأسلمى فنشب القتال، ثم نزلت فاقتتل الناس على الباب، فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنا من قاتله. قال: و الله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا، فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب فى يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعلة على أثره تتضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب و قد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شىء، قد احترق الخشب و احترقت الأبواب، و من كانت لى عليه طاعة فليمسك داره، ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج. فعصاه مروان، فقال: و الله لا تقتل و لا يخلص إليك و أنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس، فقلت: ما لمولاي مُتْرَك. فخرجت معه أذبّ عنه و نحن قليل، فأسمع مروان يقول:

(١). بُلَى: تلّ قصير أسفل حاذة - موضع بنجد - بينها و بين ذات عرق. معجم البلدان: ١ / ٤٩٤.

(٢). كذا فى أنساب الأشراف: ٦ / ١٩٨. راجع تعليقتنا فى هامش صفحة ٢٧٥.

(٣). كُنّة بالضم: جناح يخرج من الحائط. و السقيفة تشرع فوق باب الدار. و قيل: هو مخدع أو رفّ يشرع فى البيت. (المؤلف)

(٤). الأنساب: ٥ / ٧٨ - ٨١ [٦ / ١٩٧ - ١٩٩]. (المؤلف)

(٥). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٧٩ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٢٧٩

و الكفّ و الأنامل الطفولِ

بفارهٍ مثل قفا الشليلِ

قد علمت ذات القرون الميلى

أنّى أروع أول الرعيلى

و قال أبو بكر بن الحارث: كآنى أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوى و هو مسند ظهره إلى مسجد نبيّ الله صلى الله عليه و آله و سلم و عثمان محصور، فخرج مروان فقال: من يبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان بن عروة «١»: قم إلى هذا

الرجل. فقام إليه غلام شابّ طوال فأخذ رفيف الدرع فغرزته في منطقتة، فأعور له عن ساقه، فأهوى له مروان و ضربه ابن عروة على عنقه، فكأنّي أنظر إليه حين استدار، و قام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليدفّف عليه ... إلى آخر ما مرّ عن ابن سعد.

و من طريق حسين بن عيسى، عن أبيه، قال: لمّا مضت أيّام التشريق أطافوا بدار عثمان رضى الله عنه، و أبى إلّا الإقامة على أمره، و أرسل إلى حشمه و خاصّته فجمعهم. فقام رجل من أصحاب النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يقال له: نيار بن عياض «٢»- و كان شيخاً كبيراً- فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره، فناشده الله و ذكره الله لمّا اعتزلهم، فبينما هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، و زعموا أنّ الذى رماه كثير بن الصلت الكندى، فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع الينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به. فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرنى و أنتم تريدون قتلى، فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، و خرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان فى عصابة، و خرج سعيد بن العاص فى عصابة، و خرج المغيرة بن الأخنس الثقفى فى عصابة، فاقتتلوا

(١). لعل الصحيح: عروة بن شبيب بن البياع الليثى، كما جاء فى رواية الطبرى فى تاريخه: ٥ / ١٣٣ [٤ / ٣٨١ حوادث سنة ٣٥ هـ و فيه: ابن النّباع، و قد تقدّم تصحيح المؤلّف لما ذكره الطبرى فى هامش ص ١٩١]، و مرّ فى: ص ١٩٨ من رواية ابن سعد فى طبقاته. (المؤلّف)

(٢). كذا ذكره الطبرى فى تاريخه: ٤ / ٣٢٨ و أورده فى الصفحة ٣٩٠ باسم: نيار بن عبد الله الأسلمى، و بهذا الاسم أيضاً ذكره ابن حجر العسقلانى فى الإصابة: ٣ / ٥٧٨ رقم ٨٨٣٦، و ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ: ٣ / ١٧٥، و ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٤٣٨.

ص: ٢٨٠

قتالاً شديداً، و كان الذى حداهم على القتال أنّه بلغهم أنّ مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صرّاراً- و هى من المدينة على ليلة-، و أنّ أهل الشام قد توجّهوا مقبلين، فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفى على القوم و هو يقول مرتجزاً:

قد علمت جاريةً عطبولُ لها وشاحٌ و لها حُجولُ

أنّى بنصل السيف خنشليلُ

فحمل عليه عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعى، و هو يقول:

إن تكُ بالسيف كما تقولُ فائبت لقرنٍ ماجدٍ يصولُ



بمشرفىً حدُّه مصقولُ

فضربه عبد الله فقتله، و حمل رفاعه بن رافع الأنصارى ثم الزرقى على مروان ابن الحكم، فضربه فصرعه، فنزع عنه و هو يرى أنه قد قتله، و جرح عبد الله بن الزبير جراحات و انهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر، فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً، فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري «١» في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره و هو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس، فأقبلوا عليهم «٢» من داره، فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا، و خلّى لهم عن باب الدار فخرجوا هُرَّاباً في طرق المدينة، و بقي عثمان في أناس من أهل بيته و أصحابه فقتلوا معه، و قُتل عثمان رضى الله عنه «٣».

(١). عدّه من قتلى يوم الدار: أبو عمر فى الاستيعاب [القسم الثانى / ٥٣٤ رقم ٨٣٥]، و ابن حجر فى الإصابة [١ / ٥٥٩ رقم ٢٨٤٧]. (المؤلف)

(٢). فى الطبرى: فأقبلوا عليه.

(٣). تاريخ الطبرى: ١٢٢ / ٥ - ١٢٥ [٤ / ٣٧٩ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الكامل لابن الأثير: ٧٣ / ٣، ٧٤ [٢ / ٢٩٣، ٢٩٤ حوادث سنة ٣٥]. (المؤلف)

ص: ٢٨١

و فرّ خالد بن عقبة بن أبى معيط أخو الوليد يوم الدار، و إليه أشار عبد الرحمن ابن سيحان «١» بقوله:

يلوموننى أن جُلْتُ فى الدار حاسراً  
و قد فرّ منها خالدٌ و هو دارعٌ «٢»

فإن كان نادى دعوةً فسمعتها  
فشلّت يدي و استكّ منى المسامعُ

فقال خالد:

لعمرى لقد أبصرتهم فتركتهم  
بعينك إذ ممشاك فى الدار واسعٌ «٣»

و قال أبو عمر: قتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان رحمه الله و له يوم الدار أخبار كثيرة، و منها: أنه قال لعثمان حين أحرقوا بابه: و الله لا قال الناس عنا إنا خذلناك، و خرج بسيفه و هو يقول:

لما تهدمت الأبوابُ و احترقتُ  
يَمَّمْتُ منهنَّ باباً غيرَ محترقِ  
حقاً أقولُ لعبدِ اللهِ أمره  
إن لم تقا تل لدى عثمانَ فانطلقِ  
و الله لا أتركه ما دام بي رمقُ  
حتى يُزائِلَ بين الرأسِ و العنقِ  
هو الإمامُ فلست اليومَ خاذلُهُ  
إن الفرارَ على اليومِ كالسرقِ

و حمل على الناس فضربه رجل على ساقه فقطعها، ثم قتله. فقال رجل من بني زهرة لطلحة بن عبيد الله: قُتل المغيرة بن الأخنس، فقال: قُتل سيّد حلفاء قريش.

(١). كذا في الأنساب، و في الاستيعاب، و الإصابة: أزهر بن سحبان. (المؤلف)

(٢). الأنساب للبلاذري: يلومونني في الدار أن غبت عنهم و قد فرّ عنهم خالد و هو دارع (المؤلف)

(٣). الأنساب: ٥ / ١١٧ [٢٤٦ / ٦]، الاستيعاب: ١ / ١٥٥ [القسم الثاني / ٤٣٢ رقم ٦٠٩]، الإصابة: ١ / ١٠٣ [رقم ٤٤٢]، ٤١٠ [رقم ٢١٨٣]. (المؤلف)

ص: ٢٨٢

راجع الاستيعاب «١» ترجمة المغيرة.

و قال ابن كثير في تاريخه «٢» (٧ / ١٨٨): و من أعيان من قتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهري، و المغيرة بن الأخنس بن شريق، و نيار بن عبد الله الأسلمي، في أناس وقت المعركة.

قال الأُميني: لقد حدثني إلى سرد هذه الأحاديث الدلالة بها منضمّة إلى ما سبقها من الأخبار على أنه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويين و مواليتهم و حثالة ممن كان ينسج على نولهم تجاه هياج المهاجرين و الأنصار فقتل من أولئك من قتل، و ضمّ إليه كندوج أمّ حبيبة آخرين، و تفرّق شذاذ منهم هاربين في أزقة المدينة، فلم يبق إلّا الرجل نفسه و أهله حتى انتهت إليه نوبة القتل من دون أيّ مُدافع عنه، فتحفظ على هذا؛ فإنّه سوف ينفك فيما يأتي من البحث عن سلسلة الموضوعات.

لفت نظر:

عدّ نيار بن عبد الله من أصحاب عثمان كما فعله ابن كثير غلط فاحش دعاه إليه حبّه إكثار عدد المدافعين عن الخليفة، المقتولين دونه، وقد عرفت أنّه كان شيخاً كبيراً حضر ذلك الموقف للنصيحة و الموعدة الحسنة لعثمان فقتله مولى مروان بسهم، فشبّ به القتال، و طولب عثمان بقاتله ليقصّ منه و امتنع عن دفعه فهاج بذلك غضب الأنصار عليه.

٤٣- حديث مقتل عثمان

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

أخرج الطبري في تاريخه و غيره؛ من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام، قال:

(١). الاستيعاب: القسم الرابع / ١٤٤٤ رقم ٢٤٧٩.

(٢). البداية و النهاية: ٧ / ٢١٠ حوادث سنة ٣٥ هـ

ص: ٢٨٣

أشرف عثمان على الناس و هو محصور و قد أحاطوا بالدار من كلّ ناحية، فقال: أنشدكم بالله جلّ و عزّ هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخير لكم، و أن يجمعكم على خيركم؟ فما ظنكم بالله؟ أ تقولونه «١»: لم يستجب لكم، وهنتم على الله سبحانه؟ و أنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه، و جميع أموركم لم تتفرّق، أم تقولون: هان على الله دينه فلم يُيال من و لاه؟ و الدين يومئذ يُعبد به الله و لم يتفرّق أهله، فتكولوا أو تخذلوا و تعاقبوا، أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة؟ و إنّما كابرتم مكابرة، فوكل الله الأمة إذا عصته، لم تشاوروا فى الإمام، و لم تجتهدوا فى موضع كراهته، أم تقولون: لم يدر الله ما عاقبة أمرى؟ فكنت فى بعض أمرى مُحسناً و لأهل الدين رضى فما أحدثت بعد فى أمرى ما يسخط الله و تسخطون ممّا لم يعلم الله سبحانه يوم اختارنى و سربلنى سربال كرامته، و أنشدكم بالله هل تعلمون لى من سابقة خير و سلف خير قدّمه الله لى، و أشهديه من حقّه و جهاد عدوّه، حقّ على كلّ من جاء من بعدى أن يعرفوا لى فضلها؟ فمهلاً لا تقتلونى فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها، فإنّكم إن قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثمّ لم يرفعه الله عزّ و جلّ عنكم إلى يوم القيامة، و لا تقتلونى فإنّكم إن قتلتمونى لم تصلّوا من بعدى جميعاً أبداً، و لم تقتسموا بعدى شيئاً جميعاً أبداً، و لن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أمّا ما ذكرت من استخارة الله عزّ و جلّ الناس بعد عمر رضى الله عنه فيمن يولّون عليهم ثمّ ولّوك بعد استخارة الله، فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة، و لكنّ الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده.

و أمّا ما ذكرت من قدمك و سبقك مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فإنك قد كنت ذا قدم و سلف و كنت أهلاً للولاية و لكن بدلت بعد ذلك و أحدثت ما قد علمت.

---

(١). كذا فى المصدر، و لعله: أ تقولون.

ص: ٢٨٤

و أمّا ما ذكرت ممّا يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فإنه لا ينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً.

و أمّا قولك: إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة فإننا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت: قتل من سعى فى الأرض فساداً، و قتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، و قتل من حال دون شىء من الحقّ و منعه ثمّ قاتل دونه و كابر عليه، و قد بغيت، و منعت الحقّ و حُلت دونه و كابرته عليه، تأبى أن تقيّد من نفسك من ظلمت عمداً، و تمسّكت بالإمارة علينا، و قد جرت فى حكمك و قسمك، فإن زعمت أنّك لم تُكابرنا عليه و أنّ الذين قاموا دونك و منعوك ممّا إنّما يقاتلون بغير أمرك فإنّما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة، فلو أنّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك.

قال البلاذرى و غيره: لمّا بلغ أهل مصر و من معهم ممّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر و معاوية فزادهم ذلك شدّة عليه و جدّاً فى حصاره و حرصاً على معاجلته بالقتل.

و كان طلحة قد استولى على أمر الناس فى الحصار، و أمرهم بمنع من يدخل عليه و الخروج من عنده، و أن يدخل إليه الماء، و أتت أمّ حبيبة بنت أبى سفيان بأداة و قد اشتدّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول، فقالت: إنّه كان المتولّى لوصايانا و أمر أيتامنا و أنا أريد مناظرته فى ذلك، فأذنوا لها فأعطته الأداة.

و قال جبیر بن مطعم: حصر عثمان حتى كان لا يشرب إلّا من فقير «١» فى داره فدخلت على علىّ فقلت: أرضيت بهذا أن يُحصر ابن عمّتك حتى و الله ما يشرب إلّا من فقير فى داره؟ فقال: سبحان الله أو قد بلغوا به هذه الحال؟ قلت: نعم، فعمد إلى روایا ماء فأدخلها إليه فسقاه.

---

(١). الفقير: البئر القليلة الماء.

ص: ٢٨٥

و لمّا وقعت الواقعة، و قام القتال، و قتل فى المعركة زياد بن نعيم الفهرى فى ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره و هو إلى جنب دار عثمان بن عفّان ثمّ نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره

فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا و خلى لهم عن باب الدار فخرجوا هرباً في طرق المدينة. و بقي عثمان في أناس من أهل بيته و أصحابه فقتلوا معه و قتل عثمان رضى الله عنه.

أخرج ابن سعد و الطبرى من طريق عبد الرحمن بن محمد قال: إن محمد بن أبى بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم و معه كنانة بن بشر بن عتاب، و سودان ابن حمران، و عمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة و هو يقرأ فى المصحف سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبى بكر فأخذ بلحية عثمان فقال: قد أخزاک الله يا نعثل، فقال عثمان: لست بنعثل، و لكن عبد الله و أمير المؤمنين. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية و فلان و فلان. فقال عثمان: يا ابن أخى دع عنك لحيتى، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه، فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك. فقال عثمان: أستنصر الله عليك و أستعين به، ثم طعن جبينه بمشقص «١» فى يده.

و فى لفظ البلاذرى: تناول عثمان المصحف و وضعه فى حجره و قال: عباد الله لكم ما فيه، و العتبى ممّا تكرهون، اللهم اشهد، فقال محمد بن أبى بكر: الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين! ثم رفع جماعة قدام كانت فى يده فوجأ بها فى خُششائه «٢» حتى وقعت فى أوداجه فحزّت و لم تقطع، فقال: عباد الله لا تقتلونى فتندموا و تختلفوا.

و فى لفظ ابن كثير: جاء محمد بن أبى بكر فى ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، و ما أغنى عنك ابن

---

(١). المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض. (المؤلف)

(٢). الخششاء: العظم الدقيق العارى من الشعر الناتئ خلف الأذن. (المؤلف)

ص: ٢٨٦

عامر، و ما أغنت عنك كتبتك.

و فى لفظ ابن عساکر: قال محمد بن أبى بكر: على أى دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الاسلام، و لست بنعثل و لكنى أمير المؤمنين. قال: غيرت كتاب الله. فقال: كتاب الله بينى و بينكم. فتقدم إليه و أخذ بلحيته و قال: إننا لا يُقبل منا يوم القيامة أن نقول: ربنا إننا أطعنا ساداتنا و كبراءنا فأضلونا السبيل، و شحطه بيده من البيت إلى باب الدار و هو يقول: يا ابن أخى ما كان أبوك ليأخذ بلحيتى.

قال ابن سعد و الطبرى: و رفع كنانة بن بشر مشاقص كانت فى يده فوجأ بها فى أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت فى حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله.

و فى رواية ابن أبى عون ضرب كنانة بن بشر التجيبى جبينه و مقدم رأسه بعمود حديد فخرّ لجنبه، قال الوليد بن عقبة أو غيره:

و ضربه سودان بن حمران المرادى بعد ما خرّ لجنبه فقتله، و أمّا عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره و به رمق فظعنه تسع طعنات، و قال: أمّا ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ لله، و أمّا ستّ فإنّي طعنت إياهنّ لما كان فى صدرى عليه.

و أقبل عمير بن ضائبى عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، و فى الإصابة: لمّا قتل عثمان وثب عمير بن ضائبى عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. و قال المسعودى: و كان فيمن مال عليه عمير بن ضائبى البرجمى و خضخض بسيفه بطنه. و سيوافيك حديث

(١). من المستغرب جداً أنّ أبا عمر بن عبد البر ذكر هذا البيت فى الاستيعاب فى ترجمة مولانا أمير المؤمنين بعد ذكر قتله و قال: قال شاعرهم: علاه بالعمود أخو تجوب فأوهى الرأس منه و الجبينا (المؤلف)

ص: ٢٨٧

آخر عنه لدة هذا.

و فى لفظ الطبرى و ابن عبد ربّة و ابن كثير: ضربه على رأسه ثلاث ضربات، و طعنوه فى صدره ثلاث طعنات، ضربه على مقدّم العين فوق الأنف ضربة أسرع فى العظم و قد أثخنوه و به حياة و هم يريدون قطع رأسه، فألقت نائلة و ابنة شيبية بن ربيعة زوجته بنفسهما عليه. فقال ابن عديس: اتركوه. فتركوه و وطئنا وطئاً شديداً. و فى لفظ ابن كثير: فى رواية: إنّ الغافقى بن حرب تقدّم إليه بعد محمد بن أبى بكر فضربه بحديدة فى فيه.

و ذكر البلاذرى من طريق الحسن عن وثاب، و كان مع عثمان يوم الدار و أصابته طعنتان كأنهما كيتان، قال: بعثنى عثمان فدعوت الأشر له، فقال: يا أشر ما يريد الناس منّى؟ قال: يخبرونك أن تخلع لهم أمرهم، أو تقصّ من نفسك و إلّا فهم قاتلوك. قال: أمّا الخلع فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيّه الله، و أمّا القصاص فو الله لقد علمت أنّ صاحبيّ كانا يعاقبان، و ما يقوم بدنّى للقصاص، و أمّا قتلى فو الله لئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبداً و لا تقاتلون عدواً جميعاً أبداً.

و قال وثاب: أصابتنى جراحة فأنا أنزف مرّة و أقوم مرّة، فقال لى عثمان: هل عندك وضوء؟ قلت: نعم. فتوضّأ ثمّ أخذ المصحف فتحرمّ به من الفسقة، فبينما هو كذلك إذ جاء رويجل كأنّه ذئب فاطلع ثمّ رجع، فقلنا لقد ردّهم أمر و نهاهم، فدخل محمد بن أبى بكر حتى جثا على ركبتيه، و كان عثمان حسن اللحية، فجعل يهزّها حتى سمع نقيض أضراره ثمّ قال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر؟ فقال: يا ابن أخى مهلاً فو الله ما كان أبوك ليجلس منّى هذا المجلس، قال: فأشعره «١» و تعاونوا عليه فقتلوه.

(١). الإشعار: الإدماء بطعن أو رمى أو وجء.

ص: ٢٨٨

و أخرج من طريق ابن سيرين، قال: جاء ابن بديل إلى عثمان - و كان بينهما شحناء - و معه السيف و هو يقول: لأقتلنه، فقالت له جارية عثمان: لأنت أهون على الله من ذلك، فدخل على عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه.

راجع «١»: طبقات ابن سعد طبع ليدن (٣ / ٥١)، أنساب البلاذري (٥ / ٧٢، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٧، ٩٨)، الإمامة و السياسة (١ / ٣٩)، تاريخ الطبري (٥ / ١٢٥، ١٣١، ١٣٢)، العقد الفريد (٢ / ٢٧٠)، مروج الذهب (١ / ٤٤٢)، الاستيعاب (٢ / ٤٧٧، ٤٧٨)، تاريخ ابن عساکر (٤ / ٣٧٢)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٧٢، ٧٥)، شرح ابن أبي الحديد (١ / ١٦٦، ١٦٨)، تاريخ ابن خلدون (٢ / ٤٠١)، تاريخ أبي الفداء (١ / ١٧٠)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨)، حياة الحيوان للدميري (١ / ٥٤)، مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٢)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٦٣)، السيرة الحلبية (٢ / ٨٥)، الإصابة (٢ / ٢١٥)، إزالة الخفاء (٢ / ٢٣٩ - ٣٤٣).

تجهيز الخليفة و دفنه

أخرج الطبري؛ من طريق أبي بشير العابدی، قال: نُبذ عثمان رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يُدفن، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بنى أسد بن عبد العزى، و جبير ابن مطعم كلما عليًا في دفنه و طلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل و أذن لهم عليّ،

(١). الطبقات الكبرى: ٣ / ٧٣، أنساب الأشراف: ٦ / ١٨٩ و ٢٠٢ و ٢١٣ و ٢٢٠، الإمامة و السياسة: ١ / ٤٤، تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٩٥ حوادث سنة ٣٥ هـ، العقد الفريد: ٤ / ١١٣، مروج الذهب: ٢ / ٣٦٢، الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٣٧ رقم ١٧٧٨، تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٤٠٣ رقم ٤٦١٩، و في مختصر تاريخ دمشق: ١٦ / ٢٢٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٩٣ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٥٥ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٣٠٠، البداية و النهاية: ٧ / ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢١٠، ٢١١ حوادث سنة ٣٥ هـ، حياة الحيوان: ١ / ٧٨، السيرة الحلبية: ٢ / ٧٦.

ص: ٢٨٩

فلما سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، و خرج به ناس يسير من أهله و هم يريدون به حائطاً بالمدينة يُقال له: حُشّ كوكب «١» كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس رجما سريره و هموا بطرحه، فبلغ ذلك عليًا، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفنَّ عنه، ففعلوا، فانطلق به حتى دفن رضى الله عنه في حشّ كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين.

و من طريق أبي كرب - و كان عاملاً على بيت مال عثمان - قال: دفن عثمان رضى الله عنه بين المغرب و العتمة، و لم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم و ثلاثة من مواليه و ابنته الخامسة فتاحت ابنته و رفعت صوتها تندبه، و أخذ الناس الحجارة و قالوا: نعتل نعتل، و كادت ترجم، فقالوا: الحائط الحائط، فدفن فى حائط خارجاً.

و من طريق عبد الله بن ساعدة، قال: لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثمّ حملة أربعة: حكيم بن حزام، و جبير بن مطعم، و نيار بن مكرم، و أبو جهم بن حذيفة، فلما وضع ليصلى عليه، جاء نفر من الصحابة يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم: أسلم بن أوس بن بجرة الساعدى، و أبو حية المازنى فى عدّة و منعوهم أن يُدفن بالبقيع، فقال أبو جهم: ادفنوه فقد صلى الله عليه و ملائكته، فقالوا: لا و الله لا يُدفن فى مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه فى حشّ كوكب، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحشّ فى البقيع، فهو اليوم مقبرة بنى أمية.

و من طريق عبد الله بن موسى المخزومى، قال: لما قُتل عثمان رضى الله عنه أرادوا حزّ رأسه، فوَقعت عليه نائلة و أمّ البنين فمنعنهم و صحن و ضربن الوجوه و خرقتن ثيابهنّ، فقال ابن عديس: اتركوه، فأخرج عثمان و لم يُعسل إلى البقيع، و أرادوا أن يصلّوا عليه

---

(١). قال أبو عمر فى الاستيعاب [القسم الثالث / ١٠٤٨ رقم ١٧٧٨]، و ياقوت فى المعجم [٢ / ٢٦٢]، و المحبّ الطبرى فى الرياض [٣ / ٦٥]: كوكب: رجل من الأنصار، و الحشّ: البستان. (المؤلف)

ص: ٢٩٠

فى موضع الجنائز فأبت الأنصار، و أقبل عمير بن ضابى و عثمان موضوع على باب، فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه و قال: سجت ضابئاً حتى مات فى السجن.

و أخرج ابن سعد و الطبرى من طريق مالك بن أبى عامر، قال: كنت أحد حملة عثمان رضى الله عنه حين قتل، حملناه على باب، و إنّ رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، و إنّ بنا من الخوف لأمرأ عظيماً حتى واريناه فى قبره فى حشّ كوكب.

و أخرج البلاذرى من رواية أبى مخنف: أنّ عثمان رضى الله عنه قتل يوم الجمعة، فترك فى داره قتيلاً، فجاء جبير بن مطعم، و عبد الرحمن بن أبى بكر، و مسور بن مخزومة الزهرى، و أبو جهم بن حذيفة العدوى ليصلّوا عليه و يجنّوه «١»، فجاء رجال من الأنصار فقالوا: لا ندعكم تصلّون عليه، فقال أبو جهم: إلاً تدعوننا نصلى عليه فقد صلّت عليه الملائكة، فقال الحجّاج بن غزّية: إنّ كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله، قال: نعم حشرنى الله معه، قال ابن غزّية: إنّ الله حاشرك معه و مع الشيطان، و الله إنّ ترك إلحاقك به لخطأ و عجز. فسكت أبو جهم، ثمّ إنّ القوم أغفلوا أمر عثمان و شغلوا عنه، فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه و دفنوه، و أمّهم جبير بن مطعم و حملت أمّ البنين بنت عبيّنة بن حصن امرأة عثمان لهم السراج، و حمل على باب صغير من جريد قد خرجت عنه رجلاه، و أخرج حديث منع الصلاة عليه أبو عمر فى الاستيعاب من طريق هشام بن عروة عن أبيه.



و قال: إنَّه لقيهم قوم من الأنصار فقاتلوهم حتى طرحوه، ثمَّ توطَّأ عمير بن ضابئ بن الحارث بن أُرطاة التميمي ثمَّ البرجمي بطنه، و جعل يقول: ما رأيت كافراً أَلينَ بطناً منه، و كان أشدَّ الناس على عثمان، فكان يقول يومئذ: أرني ضابئاً، أحى لي ضابئاً ليرى ما عليه عثمان من الحال. و قال ابن قتيبة في الشعر و الشعراء «٢» (ص ١٢٨):

---

(١). الإيجان: الدفن.

(٢). الشعر و الشعراء: ص ٢١٩.

ص: ٢٩١

جاء عمير بن ضابئ فرسه برجله.

قال البلاذري: و دفن عثمان في حشٍّ كوكب و هو نخل لرجل قديم يقال له: كوكب، ثمَّ أقبل الناس حين دفن إلى عليّ فبايعوه. و أرادوا دفن عثمان بالبقيع فمنعهم من ذلك قوم فيهم أسلم بن بجرة الساعدي، و يقال: جبلة بن عمرو الساعدي، و قال ابن داب: صلَّى عليه مسور بن مخرمة.

و قال المدائني عن الواقصي عن الزهري: امتنعوا من دفن عثمان، فوقفَت أمُّ حبيبة بباب المسجد، ثمَّ قالت: لتخلنَّ بيننا و بين دفن هذا الرجل أو لأكشفنَّ ستر رسول الله. فخلَّوا بينهم و بين دفنه.

و أخرج من طريق أبي الزناد، قال: خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دُفن و معها سراج و قد شقَّت جيبيها و هي تصيح: وا عثماناه، وا أمير المؤمنيناه، فقال لها جبير بن مطعم: اطفتي السراج فقد ترين من بالباب، فأطفأت السراج و انتهوا إلى البقيع، فصلَّى عليه جبير و خلفه حكيم بن حزام، و أبو جهم، و نيار بن مكرم، و نائلة و أم البنين امرأته و نزل في حفرة نيار و أبو جهم و جبير، و كان حكيم و الامرأتان يدلونه على الرجال حتى قبر و بنى عليه و غمّوا «١» قبره و تفرَّقوا. و في لفظ أبي عمر: فلما دفنوه غيَّبوا قبره، و ذكره السمهودي في وفاء الوفا (٢/ ٩٩) من طريق ابن شبة «٢» عن الزهري.

و أخرج ابن الجوزي، و المحبّ الطبري، و الهيثمي «٣»، من طريق عبد الله بن فروخ، قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه و لم يغسّل. و قال المحبّ: خرَّجه البخاري و البغوي في معجمه. و ذكر ابن الأثير في الكامل و ابن أبي الحديد في

---

(١). غما البيت يغموه غموا إذا غطّاه.

(٢). تاريخ المدينة: ٤/ ١٢٤٠.

(٣). مجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٣.

الشرح؛ أنه لم يغسّل وكفن في ثيابه.

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب من طريق مالك، قال: لما قُتل عثمان رضى الله عنه ألقى على المذبلة ثلاثة أيام، فلما كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً «١»، فيهم حويطب بن عبد العزى، و حكيم بن حزام، و عبد الله بن الزبير [و جدى] «٢» فاحتملوه، فلما صاروا به إلى المقبره ليدفونه ناداهم قوم من بنى مازن: و الله لئن دفنتموه هاهنا لنخبرن الناس غداً، فاحتملوه و كان على باب، و إن رأسه على الباب ليقول: طق طق، حتى صاروا به إلى حشّ كوكب، فاحتفروا له، و كانت عائشة بنت عثمان معها مصباح فى جرّة، فلما أخرجوه ليدفونه صاحت، فقال لها ابن الزبير: و الله لئن لم تسكتى لأضربن الذى فيه عيناك، قال: فسكتت، فدفن.

و ذكره المحبّ الطبرى فى الرياض نقلًا عن القلعى، و ذكر عن الخجندى أنه أقام فى حشّ كوكب ثلاثاً مطروحاً لا يصلّى عليه.

و ذكر الصفدى فى تمام المتون «٣» (ص ٧٩) عن مالك أن عثمان ألقى على المذبلة ثلاثة أيام.

و قال اليعقوبى: أقام ثلاثاً لم يُدفن، و حضر دفنه حكيم، و جبير، و حويطب، و عمرو بن عثمان ابنه، و دُفن ليلاً فى موضع يُعرف بحشّ كوكب، و صلّى عليه هؤلاء الأربعة و قيل: لم يصلّ عليه، و قيل: أحد الأربعة قد صلّى عليه، فدفن بغير صلاة.

و قال ابن قتيبة: ذكروا أن عبد الرحمن بن أذهر قال: لم أكن دخلت فى شىء من أمر عثمان لا عليه و لا له، فإننى لجالس بفناء دارى ليلاً بعد ما قتل عثمان بليلة إذ

(١). أحاديث الباب مطلقة على أن الذين تولّوا إيجانه كانوا أربعة. و قال المحبّ الطبرى [٣/ ٤٥]: و قد قيل: إن الذين تولّوا تجهيزه كانوا خمسة أو ستة، أربعة رجال و امرأتان: نائلة و أمّ البنين. (المؤلف)

(٢). الزيادة من المصدر.

(٣). تمام المتون: ص ١٩١.

جاءنى المنذر بن الزبير، فقال: إن أخى يدعوك فقمتم إليه، فقال لى: إننا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك؟ قلت: و الله ما دخلت فى شىء من شأنه و ما أريد ذلك، فانصرفت عنه ثم أتبعته، فإذا هو فى نفر فيهم جبير بن مطعم، و أبو الجهم، و المسور، و عبد الرحمن بن أبى بكر، و عبد الله بن الزبير، فاحتملوه على باب و إن رأسه ليقول: طق طق، فوضعه فى موضع الجنائز، فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم: لا و الله لا تصلّون عليه، فقال أبو الجهم: ألا تدعوننا نصلى عليه؟ فقد صلّى الله تعالى

عليه و ملائكته. فقال له رجل منهم: إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله، فقال له: حشرنى الله معه، فقال له: إن الله حاشرك مع الشياطين، و الله إن تركناكم به لعجز منا. فقال القوم لأبى الجهم: اسكت عنهم و كفّ، فسكت، فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كأنى أسمع وقع رأسه على اللوح، حتى وضعوه فى أدنى البقيع فأتاهم جبلة ابن عمرو الساعدى من الأنصار فقال: لا و الله لا تدفنوه فى بقيع رسول الله و لا تترككم تصلون عليه، فقال أبو الجهم: انطلقوا بنا إن لم نصل عليه فقد صلى الله عليه، فخرجوا و معهم عائشة بنت عثمان معها مصباح فى حُقّ، حتى إذا أتوا به جسر «١» كوكب حفروا له حفرة، ثم قاموا يصلون عليه و أمهم جبير بن مطعم، ثم دلّوه فى حفرته، فلما رأته ابنته صاحت، فقال ابن الزبير: و الله لئن لم تسكتى لأضربن الذى فيه عيناك فدفنوه، و لم يلحدوه بلين، و حثوا عليه التراب حثواً.

و قال ياقوت الحموى: لما قتل عثمان ألقى فى حشّ كوكب ثم دفن فى جنبه.

و ذكر ابن كثير بعض ما أسلفناه نقلًا عن البلاذرى فقال: ثم أخرجوا بعبدى عثمان اللذين قتلا فى الدار و هما: صبيح و نُجيع فدفنا إلى جانبه بحشّ كوكب،

---

(١). كذا فى النسخة: و الصحيح: حش. (المؤلف)

ص: ٢٩٤

و قيل: إن الخوارج لم يمكّنوا من دفنهما، بل جرّوهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط «١» فأكلتهما الكلاب، و قد اعتنى معاوية فى أيام إمارته بقبر عثمان، و رفع الجدار بينه و بين البقيع و أمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله.

و ذكر الحلبي فى السيرة، عن ابن الماجشون، عن مالك: أن عثمان بعد قتله ألقى على المزبلة ثلاثة أيام، و قيل، أغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام، لا يستطيع أحد أن يدفنه .. إلى آخر ما مرّ من حديث مالك. و لما دفنوه عفوا قبره خوفاً عليه أن يُنبش، و أمّا غلاماه اللذان قتلا معه فجرّوهما برجليهما و ألقوهما على التلال، فأكلتهما الكلاب.

و ذكر ابن أبى الحديد و ابن الأثير و الدميرى أنه أقام ثلاثة أيام لم يُدفن و لم يصل عليه، و قيل لم يغسّل و لم يكفّن، و قيل: صلى عليه جبير بن مطعم و دفن ليلاً.

و ذكر السمهودى فى وفاء الوفا عن عثمان بن محمد الأحنسى عن أمّ حكيمه قالت: كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفّان: جبير، حكيم، أبو جهم، نيار الأسلمى و حملوه على باب اسمع قرع رأسه على الباب كأنه دبة و يقول: دب دب. حتى جاءوا به حشّ كوكب فدفن به ثم هدم عليه الجدار و صلى عليه هناك.

راجع «٢»: طبقات ابن سعد طبع ليدن (٣/ ٥٥)، أنساب البلاذرى (٨٣- ٨٤).

(١). البلاط من الأرض: وجهها، أو منتهى الصلب منها. و في لفظ الحلبي كما يأتي: التلال، و لعله الصحيح. (المؤلف)

(٢). الطبقات الكبرى: ٧٨ / ٣، أنساب الأشراف: ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٢٢، الإمامة و السياسة: ٤٦ / ١، تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، تاريخ يعقوبى: ١٧٦ / ٢، الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٤٧ - ١٠٤٩. رقم ١٧٧٨، صفة الصفوة: ١ / ٣٠٥ رقم ٤، الكامل فى التاريخ: ٢ / ٢٩٥ حوادث سنة ٣٥ هـ، الرياض النضرة: ٣ / ٦٥ - ٦٦، معجم البلدان: ٢ / ٢٦٢، شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٥٨ خطبة ٣٠، البداية و النهاية: ٧ / ٢١٣ حوادث سنة ٣٥ هـ، حياة الحيوان: ١ / ٧٨، وفاء الوفا: ٣ / ٩١٣، السيرة الحلبية: ٢ / ٧٦.

ص: ٢٩٥

(٩٩)، الإمامة و السياسة (١ / ٤٠)، تاريخ الطبرى (٥ / ١٤٣، ١٤٤)، تاريخ يعقوبى (٢ / ١٥٣)، الاستيعاب (٢ / ٤٧٨، ٤٧٩) صفة الصفوة (١ / ١١٧)، الكامل لابن الأثير (٣ / ٧٦)، الرياض النضرة (٢ / ١٣١، ١٣٢)، معجم البلدان (٣ / ٢٨١)، شرح ابن أبى الحديد (١ / ١٦٨)، تاريخ ابن كثير (٧ / ١٩٠، ١٩١)، حياة الحيوان للدميرى (١ / ٥٤)، وفاء الوفا للسهمودى (٢ / ٩٩)، السيرة الحلبية (٢ / ٨٥)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٦٥).

و قال الشاعر المفلق أحمد شوقى بك فى دول العرب (ص ٤٩).

من لقتيل بالسفا «١» مكفن  
تعرضه نوادباً أرامله  
قد حيل بين الأرض و ابن آدما  
مرت به ثلاثة لم يُدفن  
و يشفق النعش و أبى حامله  
و نوزعت دار البقاء قادما

قال الأمينى: إن هاهنا صحيفة غامضة أقف تجاهها موقف السادر لا تطاوعنى النفس على الركون إلى أى من شقى الاحتمال اللذين يختلجان فى الصدر، و ذلك أن ما ارتكب من الخليفة فى التضيق عليه و قتله بتلكم الصور المشددة، ثم ما نبيل منه بعد القتل من المنع عن تجهيزه و تغسيله و دفنه و الصلاة عليه و الوقعة فيه بالسباب المقذع و تحقيره برمى جنازته بالحجارة و كسر بعض أضلاعه، يستدعى إما فسق الصحابة أجمع فإنهم كانوا بين مباشر لهاتيك الأحوال، و بين خاذل للمودى به، و بين مؤلّب عليه، إلى مثبّط عنه، إلى راض بما فعلوا، إلى مجبّد لتلكم الأحوال، و كان يرنّ فى مسامعهم قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) «٢». و قوله تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) «٣». و قوله

---

(١). السفا: الغبار. (المؤلف)

(٢). الأنعام: ١٥١.

(٣). المائة: ٣٢.

ص: ٢٩٦

تعالى: (وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) «١».

و ما جاء فى ذلك من السنّة أكثر، و ما يؤثر عن نبىّ العظمة صلى الله عليه و آله و سلم من وجوب دفن موتى المؤمنين و تغسيلهم و تكفينهم و الصلاة عليهم، و أنّ حرمة المؤمن ميّناً كحرمة حيّاً، فالقوم إن كانوا متعمّدين فى مخالفة هذه النصوص فهم فسّاق إن لم نقل إنّهم مرّاق عن الدين بخروجهم على الإمام المفترض طاعته.

أو أنّ هذه الأحوال تستدعى انحراف الخليفة عن الطريقة المثلى، و أنّ القوم اعتقدوا بخروجه عن مصاديق تلکم الأوامر و المناهى المؤكّدة التى تطابق عليها الكتاب و السنّة. و ليس من السهل الهين البخوع إلى أىّ من طرفى التريديد. أمّا الصحابة فكّلهم عدول عند القوم يُركن إليهم و يُحتجّ بأقوالهم و أفعالهم و يوثق بإيمانهم، و قد كهربتهم صحبة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فأخرج درن نفوسهم، و كان فى المعمة منهم بقايا العشرة المبشّرة كطلحة و الزبير، و لطلحة خاصّة فُظاظات حول ذلك الجلاذ، إلى أناس آخرين من ذوى المآثر نظراء عمّار بن ياسر، و مالك الأشتر، و عبد الله بن بُديل، و كان بين ظهرانيهم إمام المسلمين أمير المؤمنين علىّ عليه السلام و هو المرموق يومئذ للخلافة، و قد انثنت إليه الخناصر، و الأُمّة أطوع له من الظلّ لذيه. أفتراه و الحالة هذه سكت عن تلکم الفظائع و هو مطلّ عليها من كتب و هو أعلم الناس بنواميس الشريعة، و أهداهم إلى طريقها المهيع، و هو يعلم أنّ من المحظور ارتكابها؟ لاها الله.

أو أنّه عليه السلام أخذ الحياد فى ذلك المأزق الحرج و هو مستبّيح للحياد أو لما يعملون به؟ أنا لا أدرى.

---

(١). النساء: ٩٣.

ص: ٢٩٧

و ليس من المستطاع القول بأنّ معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلکم الوقائع، أو أنّهم ما كانوا يحسبون أنّ الأمر يبلغ ذلك المبلغ، أو أنّهم كانوا غير راضين بهاتيك الأحداث، فإنّ الواقعة ما كانت مُباغته و لا غيلة حتى يعزب عن أحد علمها، فإنّ الحوار استدام أكثر من شهرين، و طيلة هذه المدّة لم يكن للمتجمهرين طلبه من الخليفة إلّا الإقلاع عن إحداثه، أو التنازل عن عرش الخلافة، و كانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين، و كانت نعرات القوم فى ذلك تتموّج بها الفضاء، و عقيرة

عثمان في التوبة تارة و عدم التنازل أخرى و تخويفهم بمغبات القتل ثالثة تتسرّب في فجوات الجو، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أو الموعظة، لكن بالرغم ممّا يزعم عليهم لم يُؤثّر عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يُقرّبه، و ما أسلفناه من الأحاديث الجمّة النائمة عن معتقدات الصحابة في الخليفة و في التوثّب عليه تُفند هذه المزعمة الفارغة، إن لم نقل إنّها تثبت ما يعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة و التصافق على ما تقموا عليه و الرضا بما نبيل منه، حتى إنّ أحداً لم يُرو عنه أنّه ساءه نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً: أنا قاتل نعتل «١».

و أمّا ثاني الاحتمالين فمن المستصعب أن يبلغ سوء الظن بالخليفة هذا المدى، و إن كانت الصحابة جزموا بذلك، و الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، و قد أوقفناك على قول السيّد عائشة: اقتلوا نعتلًا قتله الله فقد كفر.

و قولها لمروان: وددت و الله أنّه في غرارة من غرائري هذه و أنّي طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر. و قولها لابن عباس: إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية.

و قول عبد الرحمن بن عوف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي، إنّهُ قد خالف ما أعطاني. و قوله: عاجلوه قبل أن يتمادي في ملكه. و قوله له: لله علىّ أن لا أكلمك أبداً.

---

(١). الاستيعاب: ٢/ ٤٧٨ [القسم الثالث / ١٠٤٦ رقم ١٧٧٨]. (المؤلف)

ص: ٢٩٨

و قول طلحة لمجمع بن جارية - لما قال له: أظنكم و الله قاتليه -: فإن قتل فلا ملك مقرب و لا نبيّ مرسل. و قد مرّ أنّ طلحة كان أشدّ الناس على عثمان في قتله يوم الدار، و قتل دون دمه.

و قول الزبير: اقتلوه فقد بدّل دينكم.

و قوله: إنّ عثمان لجيفة على الصراط غدأ.

و قول عمّار يوم صفّين: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله. و قوله: ما تركت في نفسي حزة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقتاه بالنار. و قوله: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. و قوله: و الله إن كان إلّا ظالمًا لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله. و قوله: إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان.

و قول حجر بن عدى و أصحابه: و هو أوّل من جار في الحكم و عمل بغير الحقّ.

و قول عبد الرحمن العنزي: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، و أرّجح أبواب الحقّ.

و قول هاشم المرقال: إنَّما قتله أصحاب محمد و قرآء الناس حين أحدث أحداثاً و خالف حكم الكتاب، و أصحاب محمد هم أصحاب الدين، و أولى بالنظر فى أمور المسلمين.

و قول عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرص عليه حتى إنى لأحرص عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل. و قوله له: ركبت بهذه الأمة نهاير من الأمور فركبوها معك، و ملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل. و قوله: أنا أبو عبد الله قتلته و أنا بوادى السباع.

و قول سعد بن أبى وقاص: إنَّه قُتل بسيف سلَّته عائشة، و صقله طلحة، و سمَّه

ص: ٢٩٩

ابن أبى طالب، و سكت الزبير و أشار بيده، و أمسكنا نحن و لو شئنا دفعناه عنه. إلخ.

و قول جهجاه الغفارى: قم يا نعتل فانزل عن هذا المنبر، ندرِّعك عباءةً، و لنطرحك فى الجامعة، و لنحملك على شارف من الإبل ثم نطرحك فى جبل الدخان.

و قول مالك الأشتر: إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنَّة نبيِّه، الناخذ لحكم القرآن وراء ظهره.

و قول عمرو بن زرارة: إنَّ عثمان قد ترك الحقَّ و هو يعرفه. إلخ.

و قول الحجاج بن غزيرة الأنصارى: و الله لو لم يبق من عمره إلَّا بين الظهر و العصر لتقرَّبنا إلى الله بدمه.

و قول قيس بن سعد الأنصارى: أوَّل الناس كان فيه - قتل عثمان - قياماً عشيرتى و لهم أسوة.

و قول جبلة بن عمرو الأنصارى: يا نعتل و الله لأقتلنك و لأحملنك على قلوب جرباء و لأخرجنك إلى حرَّة النار. و قوله و قد سئل الكفَّ عن عثمان: و الله لا ألقى الله غداً فأقول: إنَّا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلَّونا السبيل.

و قول محمد بن أبى بكر له: على أى دين أنت يا نعتل؟ غيَّرت كتاب الله. و قوله له: الآن و قد عصيت قبلُ و كنت من المفسدين.

و قول الصحابة مجيبين لقوله: لا تقتلونى فإنَّه لا يحلُّ إلَّا قتل ثلاثة: إنَّا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت، قتل من سعى فى الأرض فساداً، و قتل من بغى ثم قاتل على بغيه، و قتل من حال دون شىء من الحقَّ و منعه ثم قاتل دونه و كابر عليه، و قد بغيت، و منعت الحقَّ، و حلت دونه و كابرته عليه. إلخ.

و قول عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث من أبيات مرَّت (٨ / ٢٨٨):

شبيهاً بكسرى هديه و ضرائبه

و شَبَّهتَه كسرى و قد كان مثله

إلى كلمات آخرين محكمات و آخر متشابهات، يشبه بعضها بعضاً.

إنَّ في هذا المأزق الحرج لا بدَّ لنا من ركوب إحدى الصعبتين، و الحكم هو الفطرة السليمة مهما دار الأمر بين تخطئة إنسان واحد محتفّ بالأحداث، و بين تضليل آلاف مؤلّفة فيهم الأئمّة و العلماء و الحكماء و الصالحون و قد ورد في فضلهم ما ورد كما نرتبته نحن، أو أن كلهم عدول يُحتجّ بأقوالهم و أفعالهم كما يحسبه أهل السنّة، و إن كان في البين اجتهاد كما يحسبونه في أمثال المقام فهو في الطرفين، و التحكّم بإصابة إنسان واحد و خطأ تلك الأئمّة الكبيرة في اجتهادها، تهوّر بحت، و تمحلّ لا يُصار إليه (وَ إِن حَكَمْتَ فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) «١».

(١). المائة: ٤٢.

ص: ٣٠١

سلسلة الموضوعات في قصّة الدار و تبرير الخليفة و النظر فيها

١- قال الطبري في تاريخه «١» (٥ / ٩٨): فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممّن يزعم أن عيسى يرجع، و يكذب بأنّ محمداً يرجع، و قد قال الله عزّ و جلّ: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) «٢». فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، و وضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ و لكلّ نبيّ وصيّ و كان عليّ وصيّ محمّد. ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء و عليّ خاتم الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وثب عليّ وصيّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تناول أمر الأئمّة، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ و هذا وصيّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فانفضوا في هذا الأمر فحرّكوه، و ابدأوا بالظعن على أمراتكم و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس، و ادعوهم إلى

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٤٠ حوادث سنة ٣٥ هـ.



هذا الأمر. فبثّ دعائه، و كاتب من كان استفسد في الأمصار و كاتبوه، و دعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و جعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولا تهم، و يكتاتهم إخوانهم بمثل ذلك، و يكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم و هؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة و أوسعوا الأرض إذاعة، و هم يريدون غير ما يظهر، و يُسرّون غير ما يُبدون، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية ممّا ابتلى به هؤلاء، إلّا أهل المدينة فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس، و جامعه محمد و طلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أ يأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا و الله ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنّنا قد أتانا ... و أخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأتتم شركائي و شهود المؤمنين فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممّن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، و أرسل أسامة ابن زيد إلى البصرة، و أرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، و أرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، و فرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمّار، فقالوا: أيّها الناس ما أنكرنا شيئاً و لا أنكره أعلام المسلمين و لا عوامّهم، و قالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلّا أن أمراءهم يُقسطون بينهم و يقومون عليهم، و استبطأ الناس عمّاراً حتى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلّا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أنّ عمّاراً قد استماله قوم بمصر و قد انقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، و خالد بن مُلجم، و سودان بن حمران، و كنانة بن بشر.

قال الأميني: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاء الفتن، و شقّ عصا المسلمين و قد علم به و بعينه أمراء الأمة و ساستها في البلاد، و انتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلما ذا لم يقع عليه الطلب؟ و لم يبلغه القبض عليه، و الأخذ بتلكم الجنايات الخطرة، و التأديب بالضرب و الإهانة، و الزجّ إلى أعماق السجون؟ و لا آل أمره إلى

الإعدام المريح للأمة من شرّه و فساده، كما وقع ذلك كلّ على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، و هتاف القرآن الكريم يرنّ في مسامع الملأ الديني: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) «١».

فهلاً اجتاح الخليفة جرثومة تلكم القلائق بقتله، و هل كان تجمّمه و غلظته قصراً على الأبرار من أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم؟ ففعل بهم ما فعل ممّا أسلفنا بعضه في هذا الجزء و الجزء الثامن.

هب أنّ ابن سبأ هو الذي أمال الأمصار على مناوأة الخليفة فهل كان هو مختلقاً تلكم الأنباء من دون انطباقها على شيء من أعمال عثمان و ولاته؟ فنهضت الأمة و فيهم وجوه المهاجرين و الأنصار على لا شيء؟ أو أنّ ما كان يقوله قد انطبق على ما

كانوا يأتون به من الجرائم والمآثم، فكانت نهضة الأمة لاكتساحها نهضةً دينيةً يخضع لها كل مسلم، وإن كان ابن اليهودية خلط نفسه بالناهضين لأى غاية راقته، و ما أكثر الأخلاط فى الحركات الصحيحة من غير أن يمس كونهم مع الهائجين بشيء من كرامتهم!

و لو كان ما أنهاه إليهم ابن سبأ عزواً مختلقاً فهلاً - لما قدمت وفود الأمصار المدينة - قال لهم المدنيون: إن الرجل برىء من هذه القذائف والهتات و هو بين ظهرانهم يرون ما يفعل، و يسمعون ما يقول؟ لكنهم بدلاً من ذلك أصفقوا مع القادمين، بل صاروا هم القدوة و الأسوة فى تلك النهضة، و كانوا قبل مقدمهم ناقلين عليه.

و نحن نوافق الدكتور طه حسين عند رأيه هاهنا، حيث قال فى كتابه الفتنة

---

(١). المائة: ٣٣.

ص: ٣٠٤

الكبرى «١» (ص ١٣٤): و أكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذا - إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً - إنما قال ما قال و دعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة و عظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة و لم يثرها، و أكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين و العباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا، ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان و ولاته من ناحية، و ليشنعوا على على و شيعته من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيداً للمسلمين، و ما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة! و ما أكثر ما شنع الشيعة على خصومهم فى أمر عثمان و فى غير أمر عثمان!

فلنقف من هذا كله موقف التحفظ و التحرج و الاحتياط، و لنكبر المسلمين فى صدر الإسلام عن أن يعيب بدينهم و سياستهم و عقولهم و دولتهم رجل أقبل من صنعاء و كان أبوه يهودياً و كانت أمه سوداء، و كان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً و لا رهباً و لكن مكرراً و كيداً و خداعاً، ثم أتيح له من النجاح ما كان يبتغى، فحرص المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه، و فرقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً و أحزاباً.

هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل، و لا تثبت للنقد، و لا ينبغى أن تقام عليها أمور التاريخ، و إنما الشىء الواضح الذى ليس فيه شك هو أن ظروف الحياة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأى و افتراق الأهواء و نشأة المذاهب السياسية المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن و سنة النبى و سيرة صاحبيه كانوا يرون أموراً تطراً ينكرونها و لا يعرفونها، و يريدون أن تواجهه كما كان عمر يواجهها فى حزم و شدة و ضبط للنفس و ضبط للرعية، و الشباب الناشئون فى قريش و غير قريش من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأمور الجديدة بنفوس جديدة، فيها الطمع، و فيها الطموح، و فيها الأثرة، و فيها الأمل البعيد، و فيها الهم الذى لا يعرف

حدًا يقف عنده، و فيها من أجل هذا كله التنافس و التزاحم لا على المناصب وحدها بل عليها و على كل شيء من حولها. و هذه الأمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ و الشباب إلى ما دفعوا إليه، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح عليهم، و هذه أموال لا تحصى تُجبي لهم من هذه الأقطار، فأى غرابة فى أن يتنافسوا فى إدارة هذه الأقطار المفتوحة و الانتفاع بهذه الأموال المجموعة؟ و هذه بلاد أخرى لم تفتح و كل شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها، فما لهم لا يستبقون إلى الفتح؟ و ما لهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد و الغنيمة إن كانوا من طلباب الدنيا، و من الأجر و المثوبة إن كانوا من طلباب الآخرة؟ ثم ما لهم جميعاً لا يختلفون فى سياسة هذا الملك الضخم و هذا الثراء العريض؟ و أى غرابة فى أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش إلى هذه الأبواب التى فُتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد و السلطان و الثراء؟ و أى غرابة فى أن يهجم بمنافستهم فى ذلك شباب الأنصار و شباب الأحياء الأخرى من العرب؟ و فى أن تمتلئ قلوبهم موجدة و حفيظة و غيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم و بين هذه المنافسة، و يؤثر قريشاً بعظائم الأمور، و يؤثر بنى أمية بأعظم هذه العظائم من الأمور خطراً و أجلها شأنًا.

و الشيء الذى ليس فيه شك هو أن عثمان قد ولى الوليد و سعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً، و ولى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى. و جمع الشام كلها لمعاوية و بسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك فى إدارتها قريش و غيرها من أحياء العرب، و ولى عبد الله بن أبى سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، و كل هؤلاء الولاة من ذوى قرابة عثمان، منهم أخوه لأُمّه، و منهم أخوه فى الرضاعة، و منهم خاله، و منهم من يجتمع معه فى نسبه الأدنى إلى أمية بن عبد شمس.

كل هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها، و ما نعلم أن ابن سبأ قد أغرى عثمان بتولية من ولى و عزل من عزل، و قد أنكر الناس فى جميع العصور على الملوك

و القياصرة و الولاة و الأمراء إيتار ذوى قرابتهم بشؤون الحكم، و ليس المسلمون الذين كانوا رعية لعثمان بدعاً من الناس، فهم قد أنكروا و عرفوا ما ينكر الناس و يعرفون فى جميع العصور. انتهى حرفياً.

على أن ما تضمنته هذه الرواية من بعث عمّار إلى مصر و غيره إلى بقية البلاد ممّا لا يكاد أن يُدعى به، أو أن يكون له مقيل من الصحة، و لم يُذكر فى غير هذه الرواية الموضوعة المكذوبة على السنة روايتها المتراوحيين بين زندقة و كذب و جهالة، فإن ما يعطيه النظر فى مجموع ما روى حول مشكلة عثمان أن عمّاراً و محمد بن مسلمة لم يفارقا المدينة طيلة أيامها و منذ مبدئها إلى غايتها المفضية إلى مقتل عثمان، و عمّار هو الذى كان فى مقدّم النافرين عليه من أول يومه الناقلين على أعماله، و قد أراد

نفيه إلى الربذة منفى أبي ذر بعد وفاته فيها رضوان الله عليهما فمنعته المهاجرون والأنصار كما مرّ حديثه، وكم وقع عليه في تضايف تلکم الأحوال تعذيب و ضرب و تعنيف، و كان عثمان يعلم بکراهة عمّار إيّاه منذ يومه الأوّل، فمتى كان يستنصح عمّاراً حتى يبعثه إلى البلاد فيحكى له أخبارها، أو يستميله ابن سبأ و أصحابه؟ و هذا ممّا لا يعزب علمه عن أيّ باحث كما تنبّه له الدكتور طه حسين في الفتننة الكبرى «١» (ص ١٢٨) حيث قال: أكاد أقطع بأنّ عمّاراً لم يُرسل إلى مصر و لم يشارك هذين الفتیین «٢» فيما كانا بسبيله من التحريض، و إنّما هي قصّة اخترعها العاذرون لعثمان فيما كان بينه و بين عمّار قبل ذلك أو بعده، ممّا سنراه بعد حين. انتهى.

٢- قال الطبري «٣» (ص ٩٩): كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد و طلحة و عطية، قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار:

(١). المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - الفتننة الكبرى -: مج ٤ / ٣٢٤.

(٢). يعنى بهما: محمد بن أبي بكر و محمد بن أبي حذيفة. (المؤلف)

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٤٢ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣٠٧

أما بعد؛ فإنني آخذ العمّال بموافاتي في كلّ موسم، و قد سلّطت الأُمّة منذ وليت على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فلا يُرفع عليّ شيء و لا على أحد من عمّالي إلّا أعطيتهم، و ليس لي و لعيالي حقّ قبل الرعيّة إلّا متروك لهم، و قد رفع إليّ أهل المدينة أنّ أقواماً يُسْتَمون، و آخرون يُضربون، فيا من ضُرب سراً و شتم سراً، من ادّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم فليأخذ بحقّه حيث كان منّي أو من عمّالي أو تصدّقوا فإنّ الله يجزي المتصدّقين.

فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس و دعوا لعثمان و قالوا: إنّ الأُمّة لتَمخض بشرّاً، و بعث إليّ عمّال الأمصار فقدموا عليه: عبد الله بن عامر، و معاوية، و عبد الله بن سعد، و أدخل معهم في المشورة سعيداً و عمراً، فقال: و يحكم ما هذه الشكاية و ما هذه الإذاعة؟ إنّني و الله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم و ما يُعصب هذا إلا بي، فقالوا له: أ لم تبعث؟ أ لم نرجع إليك الخبر عن القوم؟ أ لم يرجعوا و لم يشافههم أحد بشيء؟ لا و الله ما صدقوا و لا برّوا و لا نعلم لهذا الأمر أصلاً، و ما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، و ما هي إلا إذاعة لا يحلّ الأخذ بها و لا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا عليّ، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السرّ فيلقى به غير ذى المعرفة، فيخبر به فيتحدّث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثمّ قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

و قال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنّه خير من أن تدعهم.

قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما.

قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب. قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، و تراخيت عنهم، و زدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة

ص: ٣٠٨

صاحبك فتشدد في موضع الشدة و تلين في موضع اللين، إن الشدة تنبغى لمن لا يألو الناس شراً، و اللين لمن يخلف الناس بالنصح، و قد فرشتها جميعاً اللين.

و قام عثمان فحمد الله و أتى عليه و قال: كل ما أشرت به عليّ قد سمعت، و لكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، و إن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين و المؤاناة و المتابعة إلا في حدود الله تعالى ذكره التي لا يستطيع أحد أن ييادى بعبث أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك و الله ليفتحن، و ليست لأحد على حجة حق، و قد علم الله أني لم آل الناس خيراً و لا نفسي، و و الله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات و لم يحركها، كفكفوا الناس و هبوا لهم حقوقهم و اغتفروا لهم، و إذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها.

فلما نفر عثمان أشخص معاوية و عبد الله بن سعد إلى المدينة، و رجع ابن عامر و سعيد معه، و لما استقل عثمان رجز الحادى:

و ضمرات عوج القسيّ

قد علمت ضوامر المطيّ

و فى الزبير خلف رضىّ

أن الأمير بعده عليّ

و طلحة الحامى لها وليّ

فقال كعب و هو يسير خلف عثمان: الأمير بعده صاحب البغلة، و أشار إلى معاوية.

٣- و أخرج «١» (ص ١٠١) بالإسناد الشعبي المذكور:

كان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه و خرج: يا أمير المؤمنين انطلق معى إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبيل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشيء و إن كان فيه قطع خيط عنقى. قال:

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٤٥ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لئلا ينابذ المدينة أو إياك. قال: أنا أقترب على جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأرزاق بجندٍ تُساكنهم، وأُضيق على أهل دار الهجرة والنصرة؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لتُغتالنَّ ولتُغزَيْنَّ. قال: حسبي الله ونعم الوكيل. وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور. الحديث بطوله.

٤- وأخرج «١» (ص ١٠٣) بالإسناد الشعبي:

لَمَّا كَانَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ (٣٥) خَرَجَ أَهْلُ مِصْرَ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أُمَرَاءِ الْمَقْلَلِ يَقُولُ: سَتَمَائَةٌ. وَالمَكْشَرُ يَقُولُ: أَلْف. عَلَى الرَّفَاقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَدِيسِ الْبَلَوِيِّ، وَكِنَانَةَ بْنِ بَشْرِ اللَّيْثِيِّ، وَسُودَانَ بْنَ حِمْرَانَ السَّكُونِيَّ، وَقَتِيرَةَ بْنَ فُلَانَ السَّكُونِيَّ «٢»، وَعَلَى الْقَوْمِ جَمِيعاً الْغَافِقِيُّ بْنُ حَرْبِ الْعَكِّيِّ. وَ لَمْ يَجْتَرِئُوا أَنْ يَعْلَمُوا النَّاسَ بِخُرُوجِهِمْ إِلَى الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا كَالْحِجَّاجِ وَمَعَهُمُ ابْنُ السُّودَاءِ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرَّفَاقِ: زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ، وَالْأَشْثَرُ النَّخَعِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ وَعَلَيْهِمْ جَمِيعاً عَمْرُو بْنُ الْأَصَمِ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرَّفَاقِ: حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ، وَذَرِيحُ بْنُ عَبَّادِ الْعَبْدِيُّ، وَبَشْرُ بْنُ شَرِيحِ الْحَطْمِ بْنِ ضَبِيعَةَ الْقَيْسِيِّ، وَابْنُ الْمَحْرَسِ بْنِ عَبْدِ عَمْرٍو الْحَنْفِيُّ، وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَأَمِيرُهُمْ جَمِيعاً حَرْقُوصُ بْنُ زَهْرِبِ السَّعْدِيِّ، سِوَى مَنْ تَلَّحِقَ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ، فَأَمَّا أَهْلُ مِصْرَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَهُونَ عَلِيًّا، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَهُونَ طَلْحَةَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ [فَإِنَّهُمْ] «٣» كَانُوا يَشْتَهُونَ الزُّبَيْرَ، فَخَرَجُوا وَهُمْ

(١). تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٣٤٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). كذا في الطبعة المعتمدة عند المؤلف. وفي الطبعة المعتمدة عندنا: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شبيب الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبغي، وزرع بن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيبة بن فلان السكوني.

(٣). الزيادة من المصدر.

على الخروج جميع و في الناس شتى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأمرها سيتم دون الأخرين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشب «١»، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص «٢»، وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذي المروة «٣»، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم وقالوا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة و نرتاد، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا و استحلوا قتالنا و لم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد، وإن أمرنا هذا لباطل، و إن لم يستحلوا

قتالنا و وجدنا الذى بلغنا باطلاً لترجعنَّ إليكم بالخير. قالوا: اذهبا، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و عليّا و طلحة و الزبير «٤» و قالوا: إنّما نأتّم هذا البيت و نستعفى هذا الوالى من بعض عمّالنا، ما جئنا إلّا لذلك و استأذنا للناس بالدخول، فكلمهم أبى و نهى و قال: بيض ما يفرخن. فرجعا إليهم، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليّا، و من أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، و من أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، و قال كلّ فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا و إلّا كدناهم و فرقنا جماعتهم، ثمّ كررنا حتى نبغتهم. فأتى المصريّون عليّا و هو فى عسكر عند أحجار الزيت «٥» عليه حلّة أفوافٍ معتمّ بشقيقة حمراء يمانيّة متقلّد السيف ليس عليه قميص، و قد سرّح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان و علىّ عند أحجار الزيت، فسلمّ عليه المصريّون و عرضوا له فصاح بهم و اطردهم و قال: لقد علم الصالحون أنّ جيش ذى المروة و ذى خُشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه و آله و سلم فارجعوا

(١). ذو خُشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة.

(٢). الأعوص: موضع على أميال من المدينة يسيرة [معجم البلدان: ١ / ٢٢٣]. (المؤلف)

(٣). ذو المروة: قرية بين خُشب و وادى القرى.

(٤). لا تنس هاهنا ما أسلفنا لك فى هذا الجزء من حديث أمّ المؤمنين و علىّ أمير المؤمنين و طلحة و الزبير. (المؤلف)

(٥). أحجار الزيت: موضع بالمدينة داخلها قريب من الزوراء [معجم البلدان: ١ / ١٠٩]. (المؤلف)

ص: ٣١١

لا صحبتكم الله «١». قالوا: نعم. فانصرفوا من عنده على ذلك.

و أتى البصريّون طلحة و هو فى جماعة أخرى إلى جنب علىّ و قد أرسل ابنه إلى عثمان، فسلمّ البصريّون عليه و عرضوا له، فصاح بهم و اطردهم و قال: لقد علم المؤمنون أنّ جيش ذى المروة و ذى خُشب و الأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه و آله و سلم «٢».

و أتى الكوفيّون الزبير و هو فى جماعة أخرى، و قد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلمّوا عليه و عرضوا له، فصاح بهم و اطردهم و قال: لقد علم المسلمون أنّ جيش ذى المروة و ذى خُشب و الأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه و آله و سلم «٣».

فخرج القوم و أروهم أنّهم يرجعون، فانفشوا «٤» عن ذى خُشب و الأعوص، حتى انتهوا إلى عساكرهم و هى ثلاث مراحل، كى يفترق أهل المدينة ثم يكرّوا راجعين. فافترق أهل المدينة لخروجهم. فلما بلغ القوم عساكرهم كرّوا بهم فبغثوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلّا و التكبير فى نواحي المدينة، فنزلوا فى مواضع عساكرهم و أحاطوا بعثمان و قالوا: من كفّ يده فهو آمن. و

صلى عثمان بالناس أياماً، و لزم الناس بيوتهم و لم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلموهم و فيهم على، فقال: ما ردكم بعد ذهابكم و رجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا، و أتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، و أتاهم الزبير فقال الكوفيون [مثل ذلك، و قال الكوفيون] «٥» و البصريون: فنحن ننصر إخواننا و نمنعهم جميعاً، كأنما كانوا على

(١). راجع ما مضى من حديث عليّ أمير المؤمنين تعرف جليّة الحال. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ من حديث طلحة و صولته و جولته في تلك الثورة تعلم صدق الخبر. (المؤلف)

(٣). راجع ما أسلفنا من حديث الزبير حتى يتبيّن لك الرشد من الغي. (المؤلف)

(٤). انفسوا: تفرّقوا.

(٥). الزيادة من المصدر.

ص: ٣١٢

ميعاد، فقال لهم عليّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة و يا أهل البصرة بما لقي أهل مصر و قد سرتهم مراحل ثمّ طويتم نحونا؟ هذا و الله أمر أبرم بالمدينة، قالوا: فضعه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا و هو في ذلك يُصلى بهم و هم يصلون خلفه، و يغشى من شاء عثمان و هم في عينه أدقّ من التراب، و كانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، و كانوا زمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع ... إلخ.

قال الأميني: تُعطي هذه الرواية أنّ الذي ردّ الكتائب المقبلة من مصر و البصرة و الكوفة هم زعماء جيش أحجار الزيت: أمير المؤمنين عليّ و طلحة و الزبير يوم صاحوا بهم و طردوهم و رووا رواية اللعن عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و فيهم البدريون و غيرهم من أصحاب محمد العدول، فما تمكّنت الكتائب من دخول المدينة و قد أسلفنا إصفاق المؤرّخين على أنّهم دخلوها و حاصروا الدار مع المدتيين أربعين يوماً أو أكثر أو أقلّ حتى توسّل عثمان بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فكان هو الوسيط بينه و بين القوم، و جرى هنالك ما مرّ تفصيله من توبة عثمان على صهوة المنبر، و من كتاب عهده إلى البلاد على ذلك، فانكفأت عنه الجماهير النائرة بعد ضمان عليّ عليه السلام و محمد بن مسلمة بما عهد عثمان على نفسه، لكنّهم ارتجعوا إليه بعد ما وقفوا على نكوصه و كتابه المتضمّن لقتل من شخص إليه من مصر فوقع الحصار الثاني المفضى إلى الإجهاز عليه، و أنت إذا عطفّت النظرة إلى ما سبق من أخبار الحصارين و أعمال طلحة و الزبير فيهما و قبلهما و بعدهما نظرة معنّة لا تكاد أن تستصحّ دفاعهما عنه في هذا الموقف، و كان طلحة أشدّ الناس عليه، حتى منع من إيصال الماء إليه، و من دفنه في مقابر المسلمين، لكن رواية السوء المتسلسلة في هذه الأحاديث راقهم إخفاء مناوأة القوم لعثمان فاختلفوا له هذه و أمثالها.

٥- و أخرج «١» (ص ١٢٦) بالإسناد الشيعي:



آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا

(١). تاريخ الأمم والملوك: ٣٨٤ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣١٣

لتطلبوا بها الآخرة و لم يُعطيكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تفتنى و الآخرة تبقى، فلا تبطننكم الفانية، و لا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، و إن المصير إلى الله، اتقوا الله جل و عز فإن تقواه جنة من بأسه، و وسيلة عنده، و احذروا من الله الغير، و الزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، (وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) «١».

قالوا: لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته، و عزم له المسلمون على الصبر و الامتناع عليهم بسلطان الله، قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب، و ليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنى، و أرسل إلى طلحة و الزبير و على و عده: أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم، فقال: يا أيها الناس اجلسوا، فجلسوا جميعاً، المحارب الطارئ، و المسالم المقيم، فقال: يا أهل المدينة إنى أستودعكم الله و أسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى، و إنى و الله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله فى قضاءه، و لأدعن هؤلاء وراء بابى غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً فى دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز و جل الصانع فى ذلك ما أحب، و أمر أهل المدينة بالرجوع و أقسم عليهم، فرجعوا إلّا الحسن و محمد و ابن الزبير و أشباهاً لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، و ثاب إليهم ناس كثير، و لزم عثمان الدار.

٦- و روى «٢» (ص ١٢٦) بالإسناد الشعبى:

قالوا: كان الحصر أربعين ليلة و النزول سبعين، فلما مضت من الأربعين ثمانى عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، و معاوية من مصر، و القعقاع من الكوفة، و مجاشع من البصرة، فعندها حالوا بين الناس و بين عثمان، و منعه كل شىء حتى الماء، و قد كان يدخل على بالشىء مما

(١). آل عمران: ١٠٣.

(٢). تاريخ الأمم والملوك: ٣٨٥ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣١٤

يريد، و طلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة، فعثروا فى داره بالحجارة ليرموا فيقولوا: قوتلنا و ذلك ليلاً، فناداهم: ألا تتقون الله؟ ألا تعلمون أن فى الدار غيرى؟ قالوا: لا و الله ما رميتاك. قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله. قال: كذبتم إن الله عز و جل لو

رمانا لم يخطئنا و أنتم تخطئوننا، و أشرف عثمان على آل حزم و هم جيرانه، فسرح ابناً لعمرو إلى عليّ بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا، و إلى طلحة و الزبير و إلى عائشة و أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فكان أولهم إنجاداً له عليّ و أمّ حبيبة، جاء عليّ في الغلس فقال: يا أيها الناس إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين و لا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة، فإن الروم و فارس لتأسر فتطعم و تسقى، و ما تعرّض لكم هذه الرجل، فبم تستحلّون حصره و قتله؟ قالوا: لا و الله و لا نعمة عين، لا نتركه يأكل و لا يشرب، فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني، فرجع.

و جاءت أمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أمّ المؤمنين أمّ حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام و أرامل. قالوا: كاذبة و أهوا لها و قطعوا حبل البغلة بالسيف، فندّت بأمّ حبيبة فتلقاها الناس و قد مالت رحالتها، فتعلقوا بها و أخذوها و قد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها.

و تجهّزت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة، و استتبت أخاها، فأبى، فقالت: أما و الله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن. و جاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر، فقال: يا محمد تستتبعك أمّ المؤمنين فلا تتبعها و تدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم؟ فقال: ما أنت و ذاك يا ابن التميمية؟ فقال: يا ابن الخثعمية إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف، و انصرف و هو يقول:

ص: ٣١٥

عجبتُ لما يخوضُ الناس فيه	يرومون الخلافة أن تزولا
و لو زالت لزال الخير عنهم	و لاقوا بعدها ذلّاً ذليلاً
و كانوا كاليهود أو النصارى	سواءً كلّهم ضلّوا السبيلا

و لحق بالكوفة، و خرجت عائشة و هي ممثلة غيظاً على أهل مصر، و جاءها مروان بن الحكم فقال: يا أمّ المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل. فقالت: أ تريد أن يُصنع بي كما صنع بأمّ حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني، لا و الله و لا أعير و لا أدري إلى ما يسلم أمر هؤلاء، و بلغ طلحة و الزبير ما لقي عليّ و أمّ حبيبة، فلزموا بيوتهم، و بقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء، فأشرف عثمان على الناس فقال: يا عبد الله بن عباس، فدعى له، فقال: اذهب فأنت على الموسم. و كان ممن لزم الباب فقال: و الله يا أمير المؤمنين، لجهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحجّ، فأقسم عليه لينطلقنّ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة، و رمى عثمان إلى الزبير بوصيته فانصرف بها، و في الزبير اختلاف أ أدرك مقتله أو خرج قبله؟ و قال

عثمان: (وَا يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ) «١» الآية. اللَّهُمَّ حُلِّ بَيْنَ الْأَحْزَابِ وَ بَيْنَ مَا يَأْمَلُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ.

قال الأمينى: هذه الرواية مفتعلة من شيعة عثمان المصطفين فى إسنادهما تجاه ما ثبت عن عائشة و طلحة و الزبير و غيرهم من جهودهم المتواصلة فى التضييق على الرجل، و إسعار نار الحرب و الإجهاز عليه بما أسلفناه فى هذا الجزء لكن أكدى الظن و أخفق الأمل أن هاتيك الروايات أخرجها الأثبات من حملة التاريخ، و أصفق عليها المؤرخون و هذه تفرّد بها هؤلاء الوضّاعون، و من ذا الذى يعير سمعاً لها بعد الإخبات إلى التاريخ الصحيح، و ملء أذنه هتاف عائشة: اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر. إلى كلمات أخرى لها مرّ مجملها فى هذا الجزء (ص ٢١٥) و فصلناها فى (ص ٧٧ - ٨٦).

(١). هود: ٨٩.

ص: ٣١٦

و إن تهالك طلحة دون التشديد عليه و قتله بكلّ ما تسنى له ممّا لا يجهله ملّم بالحديث و التاريخ، و كان يوم الدار مقنّعاً بثوب يرميها بالسهم، و هو الذى منع منه الماء، و هو الذى حمل الناس إلى سطح دار ابن حزم فتسوّروا منها دار عثمان، و هو الذى منعه من أن يدفن فى مقابر المسلمين، و هو الذى أقعد لمجهّزيه فى الطريق ناساً يرمونهم بالحجارة، و هو الذى قتله مروان ثمّ قال لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، و هو الذى

قال فيه و فى صاحبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف «١»، و أرفق حدائهما العنيف».

و لو كان طلحة كما زعمه الوضّاعون فما معنى هتاف عثمان: اللَّهُمَّ اكْفِنِي طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ حَمَلَ عَلَيَّ هَوْلَاءَ وَ أَلْبَهُمْ. و قوله: وَ يَلِي عَلِيَّ ابْنَ الْحِزْمِيِّ - يعنى طلحة - أعطيته كذا و كذا بهاراً ذهباً و هو يروم دمي يحرض على نفسى، اللَّهُمَّ لا تمتعه به و لقه عواقب بغيه.

و إلى الآن يرنّ فى الأسماع قول الزبير يومئذ: اقتلوه فقد بدل دينكم. و قوله: ما أكره أن يُقتل عثمان و لو بُدئ بابنى، إن عثمان لجيفة على الصراط غداً. و قوله لعثمان: إن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جماعة يمنعون من ظلمك، و يأخذونك بالحقّ. إلخ.

و إلى الآن فى صفحات التاريخ قول سعد بن أبى وقاص: قتله سيف سلّته عائشة و شحّذه طلحة، و سمّه على. قيل: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده و صمت بلسانه. إلى كلمات آخرين مرّت فى هذا الجزء.

و لو كان ابن عبّاس كما اختلق عليه هؤلاء فلما ذا لم يكثر بكتاب عثمان و استغاثته به لما ألقى على الحجيج و هو أميرهم و هو على منصّة الخطابة، فمضى فى خطبته من حيث انقطعت، و لم يتعرّض لذلك بشيء، و لا اعتدّ بخطابه حتى جرى

(١). الوجيف: ضرب من السير السريع.

ص: ٣١٧

المقدور المحتّم؟ و لما ذا كان يحاذر بطش معاوية به على مقتل عثمان لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسله إلى الشام.  
راجع مصادر هذه كلّها فيما مرّ من صفحات هذا الجزء.

٧- و أخرج «١» (ص ١٢٨) بالإسناد الشعبي:

قالوا: فلما بويح الناس السابق «٢» فقدم بالسلامة فأخبرهم من الموسم أنّهم يريدون جميعاً المصريين و أشياعهم، و أنّهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان و قالوا: لا يخرجنا ممّا وقعنا فيه إلّا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنّا، و لم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلّا قتله، فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن و ابن الزبير و محمد بن طلحة و مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و من كان من أبناء الصحابة أقام معهم، و اجتلدوا فناداهم عثمان: الله الله أنتم في حلّ من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب و خرج معه الترس و السيف لينهتهم، فلما رأوه أدبر البصريّون و ركبهم هؤلاء و نهتهم فتراجعوا و عظم على الفريقين، و أقسم على الصحابة ليدخلنّ فأبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، و قد كان المغيرة بن الأحنس بن شريق فيمن حجّ ثمّ تعجّل في نفر حجّوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل و شهد المناوشة و دخل الدار فيمن دخل و جلس على الباب من داخل، و قال: ما عذرنا عند الله إن تركناك و نحن نستطيع إلّا ندعهم حتى نموت؟ فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نجباً يصلّي و عنده المصحف فإذا أعيأ جلس فقراً فيه، و كانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة، و كان القوم الذين كفّفهم بينه و بين الباب، فلما بقى المصريّون لا يمنعهم أحد من الباب و لا يقدرّون على الدخول جاءوا بنار فأحرقوا الباب و السقيفة، فتأجّج

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٨٧ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). كذا في الطبعة المعتمدة لدى المؤلّف، و في الطبعة المعتمدة لدينا: فلما بويح الناس جاء السابق.

ص: ٣١٨

الباب و السقيفة، حتى إذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب، فنار أهل الدار و عثمان يصلّي حتى منعوهم الدخول، و كان أوّل من برز لهم المغيرة بن الأحنس و هو يرتجز:

ذاتٌ وشاحٌ و لها جديلاً

لأمنعنّ منكم خليلي

قد علمت جاريةً عَطْبُولُ

أنّي بنصلِ السيفِ خنْشَلِيلُ

بصارم ليس بذي فلول

و خرج الحسن بن علي و هو يقول:

حتى أسير إلى طمارِ شمام

لا دينهم ديني و لا أنا منهمُ

و خرج محمد بن طلحة و هو يقول:

و ردَّ أحزاباً على رغم معد

أنا ابن من حامى عليه باحد

و خرج سعيد بن العاص و هو يقول:

بأسياقنا دون ابن أروى نُضاربُ

صبرنا غداة الدار و الموتُ واقبُ

نُشافهم بالضرب و الموت ثاقبُ

و كُنَّا غداة الروع في الدار نصرَةً

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، أمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد و أمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم فما زال يدعى و يحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه.

٨- و أخرج «١» (ص ١٢٩) بالإسناد الشعبي:

قالوا: و أحرقوا الباب و عثمان في الصلاة، و قد افتتح (طه\* ما أنزلنا عليك

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٨٩ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

الْقُرْآنَ لِنَشْقِي) «١»، و كان سريع القراءة، فما كرثه ما سمع، و ما يُخطئ و ما يتستع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه، ثم عاد فجلس إلى عند المصحف و قرأ: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). و ارتجز المغيرة بن الأخنس و هو دون الدار في أصحابه: «٢»

و الحلبي و الأنامل الطفول

قد علمت ذات القرون الميل

بصارم ذي رونق مصقول

لتصدقن بيعتي خليلي

لا أستقيل إن أقلت قبلي

و أقبل أبو هريرة و الناس محجمون عن الدار إلّا أولئك العصابة، فدرسوا «٣» فاستقتلوا، فقام معهم و قال: أنا أسوتكم. و قال: هذا يوم طاب امضرب - يعنى أنه حل القتال و طاب، و هذه لغة حمير - و نادى: يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة و تدعونني إلى النار، و بادر مروان يومئذ و نادى: رجل رجل. فبرز له رجل من بنى ليث يدعى النباع «٤»، فاختلفا ضربتين، فضربه مروان أسفل رجله و ضربه الآخر على أصل العنق فقلبه، فانكب مروان و استلقى، فاجتر هذا أصحابه، و اجتر الآخر أصحابه، فقال المصريون: أما و الله لا أن «٥» تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير. فقال المغيرة: من بارز؟ فبرز له رجل فاجتلدا و هو يقول:

أضربهم باليابس

ضرب غلام بئس

من الحياة آيس

---

(١). سورة طه: ١ - ٢.

(٢). آل عمران: ١٧٣.

(٣). درسوا: دفعوا.

(٤). كذا و الصحيح: البياع، و هو عروة بن شبيب الليثي كما مر. (المؤلف)

(٥). في الطبعة المعتمدة لدينا من تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٣٩٠: لو لا أن تكونوا.

فأجابه صاحبه... و قال الناس: قُتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذى قتله: إنا لله. فقال له عبد الرحمن بن عديس: مالك؟ قال: إني أتيت فيما يرى النائم، فقيل لى: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به. و قتل قبات الكنانى نيار بن عبد الله الأسلمى، و اقتحم الناس الدار من الدور التى حولها حتى ملؤوها، و لا يشعر الذين بالباب، و أقبلت القبائل على أبنائهم، فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم، و ندبوا رجلاً لقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت، فقال: اخلعها و ندعك. فقال: ويحك و الله ما كشفت امرأة فى جاهليّة و لا إسلام و لا تغنيّت و لا تمنّيت، و لا وضعت يمينى على عورتى مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لست خالماً قميصاً كسانيه الله عزّ و جلّ، و أنا على مكاني حتى يُكرم الله أهل السعادة و يُهين أهل الشقاء.

فخرج و قالوا: ما صنعت؟ فقال: علقنا و الله، و الله ما ينجينا من الناس إلّا قتله و ما يحلّ لنا قتله، فأدخلوا عليه رجلاً من بنى ليث، فقال: ممّن الرجل؟ فقال: ليثى. فقال: لست بصاحبى. قال: و كيف؟ فقال: أ لست الذى دعا لك النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى نفر أن تحفظوا يوم كذا و كذا؟ قال: بلى. قال: فلن تضيع. فرجع و فارق القوم، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش، فقال: يا عثمان إني قاتلك. قال: كلّاً يا فلان لا تقتلنى. قال: و كيف؟ قال: إن رسول الله استغفر لك يوم كذا و كذا، فلن تقارف دمأ حراماً، فاستغفر و رجع و فارق أصحابه، فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله، و قال: يا قوم لا تسلّوا سيف الله عليكم فو الله إن سلّتموه لا تغمدوه، ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقيم إلّا بالسيف، ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله، و الله لئن قتلتموه لتتركنّها. فقالوا: يا ابن اليهوديّة و ما أنت و هذا؟ فرجع عنهم.

قالوا: و كان آخر من دخل عليه ممّن رجع إلى القوم محمد بن أبى بكر، فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لى إليك جُرم إلّا حقّه أخذته منك، فنكل و رجع. قالوا: فلمّا خرج محمد بن أبى بكر و عرفوا انكساره ثار قتيبة و سودان بن حمران

ص: ٣٢١

السكونيّان و العافقى فضربه العافقى بحديدة معه، و ضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقرّ بين يديه و سالت عليه الدماء، و جاء سودان بن حمران ليضربه، فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة و اتّقت السيف بيدها، فتمعّدها و نفع أصابعها، فأطنّ أصابع يدها و ولّت فغمز أوراكها، و قال: إنّها لكبيرة العجيزة. و ضرب عثمان فقتله، و دخل غلّمة لعثمان مع القوم لينصروه، و قد كان عثمان أعتق من كفّ منهم، فلمّا رأوا سودان قد ضربه، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، و وثب قتيبة على الغلام فقتله، و انتهبوا ما فى البيت و أخرجوا من فيه، ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلمّا خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله، و دار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء، و أخذ رجل ملاءة نائلة و الرجل يدعى كلثوم بن تجيب فتنحّت نائلة، فقال: ويح أمك من عجيزة ما أتمك! و بصر به غلام لعثمان فقتله و قُتل، و تنادى القوم: أبصر رجل من صاحبه، و تتادوا فى الدار: أدركوا بيت المال لا تُسبّقوا إليه، و سمع أصحاب بيت المال أصواتهم و ليس فيه إلّا غرارتان «١»، فقالوا: النجاء، فإنّ القوم إنّما يحاولون الدنيا فهربوا، و أتوا بيت المال فانتهبوه، و ماج الناس فيه، فالتانى «٢» يسترجع و يبكى، و الطارئ يفرح، و ندم القوم، و كان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكّة لئلا يشهد مقتله، فلمّا أتاه الخبر بمقتل عثمان و هو بحيث هو قال: إنا لله و إنا إليه راجعون، رحم الله عثمان و انتصر له. و قيل: إنّ القوم نادمون. فقال: دبّروا

دَبَرُوا: (وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) «٣» الآية. و أتى الخبر طلحة فقال: رحم الله عثمان و انتصر له و للإسلام و قيل له: إن القوم نادمون. فقال: تبا لهم و قرأ: (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) «٤». و أتى على ققيل: قُتِلَ

(١). ذكره ابن كثير فى تاريخه: ٧ / ١٨٩ [٧ / ٢١٠ حوادث سنة ٣٥ هـ] و حرّفه و بدّله بقوله: فأخذوا بيت المال و كان فيه شيء كثير جداً. (المؤلف)

(٢). التانى: المقيم.

(٣). سبأ: ٥٤.

(٤). سورة يس: ٥٠.

ص: ٣٢٢

عثمان، فقال: رحم الله عثمان و خلف علينا بخير. و قيل: ندم القوم. فقراً: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) «١» الآية. و طُلب سعد، فإذا هو فى حائطه، و قد قال: لا أشهد قتله. فلما جاءه قتله قال: فررنا إلى المدينة فديننا و قرأ: (الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) «٢». اللهم أندمهم ثم خذهم.

٩- و أخرج «٣» (ص ١٣١) بالإسناد الشيعي:

قال المغيرة بن شعبة لعلّى: إن هذا الرجل مقتول، و إنّه إن قُتل و أنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فأخرج فكن بمكان كذا و كذا، فإنّك إن فعلت و كنت فى غار باليمن طلبك الناس. فأبى و حُصر عثمان اثنين و عشرين يوماً ثمّ أحرقوا الباب، و فى الدار أناس كثير؛ فيهم عبد الله بن الزبير و مروان، فقالوا: ائذن لنا. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عهد إلىّ عهداً فأنا صابر عليه، و إن القوم لم يحرقوا باب الدار إلّا و هم يطلبون ما هو أعظم منه، فأحرّج على رجل يستقتل و يقاتل، و خرج الناس كلّهم و دعا بالمصحف يقرأ فيه و الحسن عنده، فقال: إن أباك الآن لفى أمر عظيم، فأقسمت عليك لمّا خرجت. و أمر عثمان أبا كُرب - رجلاً من همدان - و آخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال، و ليس فيه إلّا غرارتان من ورق، فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابن الزبير و مروان و توعّد محمد بن أبى بكر ابن الزبير و مروان، فلما دخل على عثمان هرباً، و دخل محمد ابن أبى بكر على عثمان؛ فأخذ بلحيته، فقال: أرسل لحيتى فلم يكن أبوك ليتناولها، فأرسلها، و دخلوا عليه، فمنهم من يجؤه بنعل سيفه و آخر يلكره، و جاءه رجل بمشاقص معه، فوجأه فى ترقوته، فسال الدم على المصحف و هم فى ذلك يهابون فى قتله، و كان كبيراً، و غشى عليه و دخل آخرون، فلما رأوه مغشياً عليه

(١). الحشر: ١٦.



(٢). الكهف: ١٠٤.

(٣). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٩٢ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣٢٣

جرّوا برجله، فصاحت نائلة و بناته، و جاء التجيبي مخترباً سيفه ليضعه في بطنه، فوقته نائلة، فقطع يدها، و اتكأ بالسيف عليه في صدره، و قتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس، و نادى منادٍ ما يحلّ دمه و يخرج ماله، فانتهبوا كلّ شيء، ثمّ تبادروا بيت المال، فألقى الرجلان المفاتيح و نجوا، و قالوا: الهرب الهرب، هذا ما طلب القوم.

١٠- و أخرج «١» (ص ١٣٥) بالإسناد الشيعيبي:

لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين، و ليدنوا من العرب، فمنهم من أتى البصرة، و منهم من أتى الكوفة، و منهم من أتى الشام. فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة، إلّا ما كان من أبناء الشام، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلّا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان في الناس خطيباً، فقال:

يا أهل المدينة أنتم أصل الإسلام، و إنّما يفسد الناس بفسادكم، و يصلحون بصلاحكم، و الله و الله و الله لا يبلغنى عن أحد منكم حدثٌ أحدثه إلّا سيّرتّه، ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أولئك بكلام و لا طلب، فإنّ من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلّم أحد منهم بما عليه و لا له. و جعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شهّر سلاح عصاً فما فوقها إلّا سيّره. فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنّهم يقولون: ما أحدث التسيير إلّا أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سيّر الحكم بن أبى العاص، فقال: إنّ الحكم كان مكياً، فسیره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منها إلى الطائف، ثمّ ردّه إلى بلده، فرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سيّره بذنبه و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ردّه بعفوه، و قد سيّره الخليفة من بعده، و عمر رضى الله عنه من بعد الخليفة، و ايم الله لاخذنّ العفو من أخلاقكم، و لأبدلنّ لكم من خلقى، و قد دنت أمور، و لا أحبّ أن تحلّ بنا و بكم و أنا على وجلّ و حذر، فاحذروا و اعتبروا.

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٣٩٨ / ٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣٢٤

قال الأميني: هذه سلسلة بلاء و حلقة أكاذيب جاء بها أبو جعفر الطبرى فى تاريخه بإسناد واحد أبطلناه و زيفناه و أوقفناك عليه و على ترجمة رجاله فى الجزء الثامن (ص ٨٤، ١٤٠، ١٤١، ٣٣٣)، أضف إليها ما ذكره المحبّ الطبرى ممّا أسلفنا صدره فى هذا الجزء صفحة (١٧٩) من طريق سعيد بن المسيب ممّا اتّفق الرواة و الحفاظ و المؤرّخون على نقله و جاء بعض بزيادة مفتعلة و تبعه المحبّ الطبرى و إليك نصّها:

ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان، فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا. و قال للحسن و الحسين: اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، و بعث الزبير ابنه، و بعث طلحة ابنه، و بعث عدّة من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان و يسألونه إخراج مروان، فلمّا رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن عليّ بدمائه و أصاب مروان سهم و هو فى الدار و كذلك محمد بن طلحة، و شجّ قنبر مولى عليّ، ثمّ إنّ بعض من حصر عثمان خشى أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن و الحسين فتنشر الفتنة، فأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاء بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان و بطل ما تريدون، و لكن اذهبوا بنا نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسوّروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان، و ما يعلم أحد ممّن كان معه، لأنّ كلّ من كان معه كان فوق البيت و لم يكن معه إلّا امرأته، فقتلوه و خرجوا هاربين من حيث دخلوا، و صرخت امرأته فلم يُسمع صراخها من الجليلة، فصعدت إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قتل. فدخل عليه الحسن و الحسين و من كان معهما فوجدوا عثمان مذبحاً فانكبّوا عليه يبكون، و دخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ علياً و طلحة و الزبير و سعداً و من كان بالمدينة فخرجوا و قد ذهب عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، و قال عليّ لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب؟ و رفع يده فلطم الحسن و ضرب صدر الحسين، و شتم محمد بن طلحة، و لعن عبد الله بن الزبير، و خرج عليّ و هو

ص: ٣٢٥

غضبان، فلقيه طلحة فقال: مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن و الحسين؟ و كان يرى أنّه أعان على قتل عثمان. فقال: عليك كذا و كذا، رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بدرى لم تقم عليه بيّنة و لا حجّة. فقال طلحة: لو دفع مروان لم يُقتل. فقال عليّ: لو أخرج إليكم مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة. و خرج على فأتى منزله و جاء الناس كلّهم إلى عليّ ليبياعوه، فقال لهم: ليس هذا إليكم إنّما هو إلى أهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو الخليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا قال: ما نرى أحقّ لها منك، فلمّا رأى عليّ ذلك جاء المسجد فصعد المنبر، و كان أوّل من صعد إليه و بايعه طلحة و الزبير و سعد و أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و طلب مروان فهرب، و طلب نقرأ من ولد مروان و بنى أبى معيط فهربوا «١».

و فى لفظ المسعودى فى مروج الذهب «٢» (١/ ٤٤١): لمّا بلغ علياً أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، و أمرهم أن يمنعوه منهم، و بعث الزبير ابنه عبد الله، و بعث طلحة ابنه محمداً، و أكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداءً بمن ذكرنا، فصدّوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، و اشتبك القوم، و جرح الحسن، و شجّ قنبر، و جرح محمد بن طلحة، فخشى القوم أن يتعصّب بنو هاشم و بنو أميّة، فتركوا القوم فى القتال على الباب، و مضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوّروا عليها، و كان ممّن وصل إليه محمد بن أبى بكر و رجلا ن آخران، و عند عثمان زوجته، و أهله و مواليه مشاغيل بالقتال، فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته، فقال: يا محمد و الله لو رآك أبوك لساءه مكانك، فتراخت يده و خرج عنه إلى الدار، و دخل رجلا ن فوجداه فقتلاه، و كان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت

(١). الرياض النضرة: ٢ / ١٢٥ [٣ / ٥٧]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٠٨ [ص ١٤٩]، نقلًا عن ابن عساكر [تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٤١٨ - ٤١٩ رقم ٤٦١٩]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٦١، ٢٦٢، نقلًا عن الرياض. (المؤلف)

(٢). مروج الذهب: ٢ / ٣٦٢.

ص: ٣٢٤

امراته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين.

فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية، فوجدوه وقد فاضت نفسه رضى الله عنه فبكوا. فبلغ ذلك عليًا وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل عليّ الدار وهو كالواله الحزين، فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب، ولطم الحسن وضرب الحسين و شتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير، فقال له طلحة: لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن، ولو دفع مروان [إليهم] «١» ما قتل، و هرب مروان وغيره من بنى أمية، و طلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا. وقال عليّ لزوجته نائلة بنت الفرافصة: من قتله وأنت كنت معه؟ فقالت: دخل إليه رجلان، وقصّت خبر محمد بن أبي بكر، فلم ينكر ما قالت، وقال: والله لقد دخلت [عليه] «٢» وأنا أريد قتله، فلما خاطبني بما قال خرجت، ولا أعلم بتخلف الرجلين عنّي، والله ما كان لي في قتله [من] «٣» سبب، ولقد قُتل وأنا لا أعلم بقتله.

وروى ابن الجوزي في التبصرة «٤» من طريق ابن عمر، قال: جاء عليّ إلى عثمان يوم الدار وقد أغلق الباب ومع الحسن بن عليّ وعليه سلاحه فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين فأقرأه السلام و قل له: إنّما جئت لنصرتك فمرني بأمر، فدخل الحسن ثم خرج فقال لأبيه: إنّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: لا حاجة لي بقتال وإهراق الدماء، قال: فنزع عليّ عمامة سوداء ورمى بها بين يدي الباب وجعل ينادى: (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ) «٥».

وعن شداد بن أوس - نزيل الشام والمتوفى بها في عهد معاوية - أنه قال: لما اشتدّ الحصار بعثمان رضى الله عنه يوم الدار رأيت عليًا خارجاً من منزله معتماً بعمامة رسول الله

(١). الزيادة من المصدر.

(٢). الزيادة من المصدر.

(٣). الزيادة من المصدر.

(٤). راجع تلخيصه قرّة العيون المبصرة: ١ / ١٨٠. (المؤلف)

(٥). يوسف: ٥٢.

ص: ٣٢٧

متقلداً سيفه و أمامه ابنه الحسن و الحسين و عبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين و الأنصار، فحملوا على الناس و فرّقوهم ثم دخلوا على عثمان.

فقال عليّ: السلام عليك يا أمير المؤمنين إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبّل المدبر، و إنّى و الله لا أرى القوم إلّا قاتليكم فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان: أنشد الله رجلاً رأى لله عزّ و جلّ عليه حقاً و أقرّ أنّ لى عليه حقاً أنّ يهريق في سببى ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيّ. فأعاد عليّ رضى الله عنه القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب، فرأيت عليّاً خارجاً من الباب و هو يقول: اللهمّ إنّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود. ثمّ دخل المسجد و حضرت الصلاة فقالوا له: يا أبا الحسن تقدّم فصلّ بالناس، فقال: لا أصلى بكم و الإمام محصور و لكن أصلى وحدى، فصلّى وحده و انصرف إلى منزله فلقه ابنه و قال: و الله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار، قال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، هم و الله قاتلوه، قالوا: أين هو يا أبا الحسن؟ قال: في الجنّة و الله زلفى، قالوا: و أين هم يا أبا الحسن؟ قال: في النار و الله - ثلاثاً.

الرياض النضرة «١» (٢ / ١٢٧)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٤٢).

و من طريق محمد بن طلحة عن كنانة «٢» مولى صفية، قال: شهدت مقتل عثمان فأخرج من الدار أمامى أربعة من شباب قريش مضرجين بالدم محمولين كانوا يدرءون عن عثمان و هم: الحسن بن عليّ و عبد الله بن الزبير و محمد بن حاطب و مروان، فقلت له: هل تدرى محمد بن أبى بكر بشيء من دونه «٣»؟ قال: معاذ الله، دخل عليه فقال له عثمان: يا ابن أخى لست بصاحبى. و كلمه بكلام فخرج «٤».

(١). الرياض النضرة: ٣ / ٦٠.

(٢). كذا في بعض النسخ، و الصحيح: كنانة. (المؤلف)

(٣). كذا في تهذيب التهذيب، و فى الاستيعاب: هل ندى محمد بن أبى بكر بشيء من دمه؟

(٤). الاستيعاب: ٢ / ٤٧٨ [القسم الثالث / ١٠٤٦ رقم ١٧٧٨]، تهذيب التهذيب: ٧ / ١٤١ [٧ / ١٢٩]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٤٤. (المؤلف)

ص: ٣٢٨

فى الإسناد كنانة: ذكره الأزدى فى الضعفاء، و قال: لا يقوم إسناد حدِيثه. و قال الترمذى: ليس إسناده بذاك. و قال أيضاً: ليس إسناده بمعروف «١».

و روى البخارى فى تاريخه (٤ قسم ١ ص ٢٣٧)، من طريق كنانة مولى صفية، قال: كنت أقود بصفية لتردد عن عثمان، فلقيها الأشر ف ضرب وجهه بغلته حتى قالت: ردونى و لا يفضحنى هذا الكلب، و كنت فىمن حمل الحسن جريحاً، و رأيت قاتل عثمان من أهل مصر يقال له: جبلة.

و قال سعيد المقبرى عن أبى هريرة: كنت محصوراً مع عثمان فى الدار، فرمى رجل منّا، فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب، قتلوا رجلاً منّا. قال: عزمت عليك يا أبى هريرة إلّا رميت بسيفك، فإنّما تراد نفسى، و سأقى المؤمنين بنفسى اليوم، قال أبو هريرة: فرميت بسيفى، فلا أدرى أين هو حتى الساعة «٢».

لم أقف على رجال إسناد هذه الأسطورة غير سعيد المقبرى، و هو سعيد بن أبى سعيد أبو سعد المدنى، و المقبرى نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها. قال يعقوب بن شيبه و الواقدى و ابن حبان «٣»: إنه تغير و كبر و اختلط قبل موته بأربع سنين. راجع تهذيب التهذيب «٤» (٣٨ / ٤)، و متن الرواية أقوى شاهد على اختلاط الرجل، فإنّ أول من رمى يوم الدار هو رجل من أصحاب عثمان، رمى نيار بن عياض الأسلمى و كان شيخاً كبيراً فقتله الرجل، كما مرّ فى (ص ٢٠١) و مضى فى (ص ٢٠٠): أنّ أبى حفصة مولى مروان هو الذى أنشب القتال و رمى نياراً الأسلمى، و لعلك تعرف أبى هريرة و مبلغه من الصدق و الأمانة على ودائع العلم و الدين، و إن

---

(١). تهذيب التهذيب: ٨ / ٤٥٠ [٨ / ٤٠٣]. (المؤلف)

(٢). الاستيعاب: ٢ / ٤٧٨ [القسم الثالث / ١٠٤٦ رقم ١٧٧٨]، تهذيب التهذيب: ٧ / ١٤٢ [٧ / ١٢٩]، تاريخ الخميس: ٢ / ٢٦٣. (المؤلف)

(٣). الثقات: ٤ / ٢٨٤.

(٤). تهذيب التهذيب: ٤ / ٣٤.

ص: ٣٢٩

كنت فى جهل من هذا فراجع كتاب أبى هريرة لسيّدنا الحجّة شرف الدين العاملى حيّاه الله و بيّاه، و لعلّ تقاعد أبى هريرة عن نصرة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام فى حروبه الدامية كان لأنّه لم يك يدرى أين سيفه.

و عن أشعب بن حنين مولى عثمان: أنّه كان مع عثمان فى الدار، فلمّا حصر جردّ مماليكه السيوف فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حرّ. فلمّا وقعت فى أذنى كنت و الله أول من أغمد سيفه، فأعتقت.

قال الذهبي: هذا الخبر باطل لأنه يقتضى أن لأشعب صحبة وليس كذلك. لسان الميزان «١» (١٢٦/٤).

#### صورة مفصلة

عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه، قال: كنا مع عثمان رضى الله عنه وهو محصور فى الدار، فقال: و بم يقتلونى؟

وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير حق فيقتل بها»

، فوالله ما أحببت لدينى بدلاً منذ هدانى الله تعالى، ولا زنيت فى جاهليّة ولا إسلام، ولا قتلت نفساً بغير حقّ، فبم يقتلونى؟ فلما اشتدّ عطشه أشرف على الناس فقال: أ فيكم على؟ فقالوا: لا. فقال: أ فيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت ثمّ قال: ألا أحد يبلغ علياً فيسقيناً ماء؟ فبلغ ذلك علياً، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً، فما وصل إليه حتى جرح بسببها عدّة من بنى هاشم و بنى أمية، فلما بلغ علياً أنّ عثمان محاصر يراد قتله قام خارجاً من منزله معتمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقلداً سيفه وأمامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من الصحابة والمهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، ودخلوا على عثمان وهو محصور فقال له علىّ كرم الله وجهه: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إنك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى، وإننى أعرض عليك خصالاً ثلاثاً

(١). لسان الميزان: ١٤٦/٤ رقم ٥٤٨٧.

ص: ٣٣٠

اختر إحداهن: إمّا أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحقّ وهم على الباطل، وإمّا أن تتخرق باباً سوى الباب الذى هم عليه، فتركب رواحلك وتلحق بمكة فإنّهم لن يستحلوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بالشام فإنّهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: إمّا أن أخرج إلى مكة

فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم».

فلن أكون أنا، وأمّا أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فأذن لنا أن نقاتلهم ونكشفهم عنك، قال: فلا أكون أوّل من يأذن فى محاربة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج علىّ وهو يسترجع وقال للحسن والحسين: اذها بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدّة من أصحاب محمد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان. فلما رأى ذلك محمد بن أبى بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره، فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان، فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره، لأنّ كلّ من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن فى الدار عند عثمان إلا امرأته، فثقبوا الحائط فدخل عليه محمد

بن أبي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته، فقال له عثمان: و الله لو رآك أبوك لساءه فعلك، فتراخت يده و دخل الرجلان عليه فقتلاه، و خرجوا هاربين من حيث دخلوا، قيل: جلس عمرو بن الحمق على صدره و ضربه حتى مات، و وطئ عمير بن ضائب على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه، و صرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس، و صعدت امرأته فقالت: إن أمير المؤمنين قد قُتل، فدخل الناس فوجدوه مذبحاً، و انتشر الدم على المصحف على قوله تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) «١»، و بلغ الخبر علياً و طلحة

(١). البقرة: ١٣٧.

ص: ٣٣١

و الزبير و سعداً و من كان بالمدينة، فخرجوا و قد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، و قال علي لابنيه: كيف قُتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب؟ و رفع يده فلطم الحسن، و ضرب على صدر الحسين، و شتم محمد بن طلحة و عبد الله بن الزبير، و خرج و هو غضبان حتى أتى منزله، و جاء الناس يهرعون إليه فقالوا له: نبايعك فمد يدك فلا بد لنا من أمير. فقال علي: و الله إنني لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان، و إنني لأستحي من الله تعالى أن أبايع و عثمان لم يُدفن بعد، فافترقوا ثم رجعوا فسألوه البيعة، فقال: اللهم إنني مشفق مما أقدم عليه، ثم قال «١» لهم: ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر حتى أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك، مد يدك نبايعك. فبايعوه، فهرب مروان و ولده، و جاء عليّ و سأل امرأة عثمان، فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري دخل عليه محمد بن أبي بكر و معه رجلان لا أعرفهما، فدعا محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان، فقال محمد: لم تكذب، و الله دخلت عليه و أنا أريد قتله، فذكر لي أبي فقمتم عنه و أنا تائب إلى الله تعالى، و الله ما قتلته و لا أمسكته. فقالت امرأته: صدق و لكنه أدخلهما عليه.

راجع أخبار الدول للقرماني «٢» - هامش الكامل لابن الأثير - (١ / ٢١٠ - ٢١٣).

نظرة في الموضوعات

هذه الموضوعات اختلقت تجاه التاريخ الصحيح المتسالم عليه المأخوذ من مئات الآثار الثابتة المعتمد بعضها ببعض، فيضادها ما أسلفناه في البحث عن آراء أعظم الصحابة في عثمان و ما جرى بينهم و بينه من سيئ القول و الفعل، و فيهم بقيّة

(١). في الطبعة التي اعتمدها المؤلف من أخبار الدول: فقال لهم.

(٢). أخبار الدول: ١ / ٢٩٨ - ٣٠١.

ص: ٣٣٢

أصحاب الشورى و غير واحد من العشرة المبشّرة و عدّة من البدريّين، و قد جاء فيه ما يربو على مائة و خمسين حديثاً  
راجع (ص ٦٩ - ١٥٧) من هذا الجزء.

و تكذّبها أحاديث جمّة ممّا قدمنا ذكرها (ص ١٥٧ - ١٦٣) من حديث المهاجرين و الأنصار و أنّهم هم قتلة عثمان.

و من حديث كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور من أنّ الرجل أفسد دين محمد فهلمّوا و أقيموا دين محمد صلى الله  
عليه و آله و سلم.

و من حديث كتاب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة و يقسمون له باللّه أنّهم لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه أو  
يعطيهم ما يلزمه من اللّه.

و من حديث كتاب المهاجرين إلى مصر أنّ تعالوا إلينا و تداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلّبها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بدّل  
و سنّة رسوله قد غيّرت. إلى آخر ما مرّ في (ص ١٦١، ١٦٢).

و من حديث الحصار الأوّل المذكور في صفحة (١٦٨ - ١٧٧).

و من حديث كتاب المصريّين إلى عثمان: إنّنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة، أو ضلالة مجلحة  
مبلجة. إلى آخر ما مرّ (ص ١٧٠).

و من حديث عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب و السنّة سنة (٣٥) كما مرّ (ص ١٧٠ - ١٧٢).

و من حديث توبته مرّة بعد أخرى كما فصلناه (ص ١٧٢ - ١٧٧).

و من حديث الحصار الثاني الذي أسلفناه (ص ١٧٧ - ١٨٩).

و من حديث كتاب عثمان إلى معاوية في أنّ أهل المدينة قد كفروا و أخلفوا الطاعة. إلى آخر ما سبق في صفحة (١٩٠).

و من حديث كتابه إلى الشام عامة: إنّى فى قوم طال فيهم مقامى و استعجلوا

ص: ٣٣٣

القدر فى. و خيرونى بين أن يحملونى على شارف من الإبل الدحيل، و بين أن أنزع لهم رداء اللّه. إلى آخر ما مرّ (ص  
١٩٠).

و من حديث كتابه إلى أهل البصرة المذكور صفحة (١٩١).



و من حديث كتابه إلى أهل الأمصار مستنجداً يدعوهم إلى الجهاد مع أهل المدينة و اللحوق به لنصره كما مرّ (ص ١٩١).

و من حديث كتابه إلى أهل مكة و من حضر الموسم ينشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابه إلّا قدم عليه. إلخ.

و من حديث يوم الدار و القتال فيه، و حديث من قُتل في ذلك المعترك ممّا مضى في (ص ١٩٨ - ٢٠٣).

و من حديث مقتل عثمان و تجهيزه و دفنه بحش كوكب بدير سلع مقابر اليهود المذكور (ص ٢٠٤ - ٢١٧).

و ممّا ثبت من أحوال هؤلاء الذين زعموا أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان، و إنّهم لم يفتنوا مناوئين له إلى أن قُتل، و بعد مقتله إلى أن قُبر في أشنع الحالات. أمّا على أمير المؤمنين فمن المتسالم عليه أنّه لم يحضر مقتل الرجل في المدينة فضلاً عن دخوله عليه قبيل ذلك و استئذانه منه للذبّ عنه و بعد مقتله و بكائه عليه و صفعه و دفعه و سبّه و لعنه و حواراه حول الواقعة، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٠) ردّاً على الحديث: الظاهر أنّ هذا ضعيف لأنّ عليّاً لم يكن بالمدينة حين حصر عثمان و لا شهد قتله.

و قد سأله عثمان أن يخرج إلى ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة، و كان ذلك مرّة بعد أخرى، و في إحداهما قال لا بين عباس: قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أعتّم به و لا يعتّم بي. فأتى ابن عباس عليّاً فأخبره

فقال عليه السلام: «يا ابن عباس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملًا ناضحاً بالغرب أقبل و أدبر، بعث إليّ أن اخرج، ثمّ

ص: ٣٣٤

بعث إليّ أن اقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن اخرج.»

و علىّ عليه السلام هو الذي مرّ حديث رأيه في عثمان، فراجع حتى يأتيك اليقين بأنّه صلوات الله عليه لم يكن كالواله الحزين، و لم يكن ذاهباً عقله يوم الدار، و لا يقذفه بهذه الفرية الشائنة إلّا من ذهب به الخيلاء، و تخبّطه الشيطان من المسّ، و خبل حبّ آل أميّة قلبه و اختبله، فلا يبالي بما يقول، و لا يكثر لما يتقول.

و أما طلحة فحدّث عنه و لا حرج، كان أشدّ الناس على عثمان نقمة، و له أيام الحصارين و في يومى الدار و التجهيز خطوات واسعة و مواقف هائلة خطيرة نائرة على الرجل كما مرّ تفصيل ذلك كلّه، و إن كنت في ريب من ذلك فاسأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتسمع منه

قوله: «و الله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته، و لم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط ممّا أجلب فيه ليلبس الأمر و يقع الشكّ»

و قوله: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل.»

إلى أقواله الأخرى التي أوقفناك عليها.

و سل عنه عثمان نفسه و قد مرّت فيه كلماته المعربة عن جليّة الحال، و سل عنه مروان لما ذا قتله؟ و ما معنى قوله حين قتله لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك؟ و سل عنه سعداً و محمد بن طلحة و غيرهما ممّن مرّ حديثهم.

و أمّا الزبير فإن سألت عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فعلى الخبير سقطت

قال عليه السلام له: «أ تطلب منى دم عثمان و أنت قتلتته؟ سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره»

، و قال فيه و فى طلحة: «إنهم يطلبون حقاً هم تركوه، و دمأ هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه، و إن كان ولوه دونى فما الطلبة إلا قبلهم».

إلى آخر ما أسلفناه من كلماته عليه السلام.

و قد مرّ قول ابن عباس: أمّا طلحة و الزبير فإنهما أجلبا عليه و ضيقا خناقه. و قول عمّار بن ياسر فى خطبة له: إن طلحة و الزبير كانا أول من طعن و آخر من أمر.

ص: ٣٣٥

و قول سعيد بن العاص لمروان: هؤلاء قتلة عثمان معك إن هذين الرجلين قتلا عثمان: طلحة و الزبير، و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قالوا: نغسل الدم بالدم و الحوبة بالحوبة.

و أمّا سعد بن أبى وقاص فهو القائل كما مرّ حديثه: و أمسكنا نحن و لو شئتنا دفعنا عنه و لكن عثمان غير و تغير، و أحسن و أساء فإن كنا أحسنّا فقد أحسنّا، و إن كنا أسانّا فنستغفر الله.

و اعطف على هؤلاء بقيّة الصحابة الذين حسب واضعو هذه الروايات أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان، و قد أسلفنا إجماعهم عدا ثلاثة رجال منهم على مقتله المفضى إلى قتله، و هل ترى من المعقول أن يمقتة الآباء إلى هذا الحدّ الموصوف ثمّ يبعثوا أبناءهم للمجالدّة عنه؟ إن هذا إلا اختلاق.

و هل من المعقول أن القوم كانوا يمحصون له الولاء، و حضروا للمناضلة عنه، فباغتتهم الرجلان اللذان أجهزا عليه و فرأ و لم يعلم بهما أحد إلى أن أخبرتهم بهما بنت الفرافصة و لم تعرفهما هى أيضاً، و كانت إلى جنب القتييل تراهما و تبصر ما ارتكباها منه؟

و هل عرف مختلق الرواية التهافت الشائن بين طرفى ما وضعه من تحريه تقليل عدد المناوئين لعثمان المجهزين عليه حتى كاد أن يخرج الصحابة الآباء منهم و الأبناء عن ذلك الجمهور، و ممّا عزاه إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لمّا انثال إليه القوم ليبايعوه: و الله إننى لأستحى أن أبايع قوماً قتلوا عثمان. إلخ. و هو نصّ على أن مبايعيه أولئك هم كانوا قتلوا عثمان و

هم هم المهاجرون و الأنصار الصحابة الأولون الذين جاء عنهم يوم صفين لما طلب معاوية من الإمام عليه السلام قتلة عثمان و أمر عليه السلام بتبرزهم فنهض أكثر من عشرة آلاف قائلين: نحن قتلته، يقدمهم عمّار بن ياسر، و مالك الأشتر، و محمد بن أبى بكر، و فيهم البدريون. فهل الكلمة المعزوة إلى الإمام عليه السلام

ص: ٣٣٦

لمبايعيه عبارة أخرى عن الرجلين المجهولين اللذين فرّا و لم يعرف أحد خبرهما؟ أو هما و أخلاط من الناس الذين كانت الصحابة تضادّهم فى المرمى؟ و هل فى المعقول أن يلهج بهذا إلّا معتوه؟

و هل نحت هذا الإنسان الوضّاع إن صدق فى أحلامه عذراً مقبولاً لأولئك الصحابة العدول الذائبين عن عثمان بأنفسهم و أبنائهم الناقمين على من ناوأه فى تأخيرهم دفنه ثلاثاً و قد ألقى فى المزبلة حتى زجّ بجثمانه إلى حشّ كوكب، دير سلع، مقبرة اليهود، و رمى بالحجارة، و شُيع بالمهانة، و كُسر ضلع من أضلاعه، و أودع الجذث بأثيابه من غير غسل و لا كفن، و لم يشيّعهُ إلّا أربعة، و لم يمكنهم الصلاة عليه؟ فهل كلّ هذا مشروع فى الإسلام، و الصحابة العدول يرونه و يعتقدون بأنّه خليفة المسلمين، و أنّ من قتله ظالم، و لا ينبسون فيه ببنت شفة، و لا يجرون فيه أحكام الإسلام؟ أو أنّهم ارتكبوا ذلك الحوب الكبير و هم لا يتحوّون متعمدين؟ معاذ الله من أن يقال ذلك. أو أنّ هذا الإنسان زحزحته بوادره عن مجارى تلكم الأحكام، و حالت شوارده بينه و بين حرّمات الله، و شرشرت منه جلابب الحرمة و الكرامة و مزّقته تمزيقاً، حتى وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة؟

و من الكذب الصريح فى هذه الروايات عدّ سعد بن أبى وقاص فى الرعيّل الأوّل ممّن بايع عليّاً عليه السلام، و هو من المتقاعدین عن بيعته إلى آخر نفس لفظه، و هذا هو المعروف منه و المتسالم عليه عند رواة الحديث و رجال التاريخ، و قد نحتت يد الافتعال فى ذلك له عذراً أشنع من العمل، راجع مستدرک الحاكم «١» (٣/ ١١٦).

و من المضحك جدّاً ما حكاه البلاذرى فى الأنساب «٢» (٥/ ٩٣) عن ابن سيرين من قوله: لقد قتل عثمان و إنّ فى الدار لسبعمائة منهم الحسن و ابن الزبير، فلو أذن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة.

---

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١٢٦ ح ٤٦٠١.

(٢). أنساب الأشراف: ٦/ ٢١٥.

ص: ٣٣٧

و عن الحسن البصرى «١» قال: أتت الأنصار عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين نصر الله مرتين، نصرنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نصرک. قال: لا حاجة لى فى ذلك ارجعوا. قال الحسن: و الله لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه.

أىّ عذر معقول أو مشروع هذا؟ يُقتل خليفة المسلمين فى عُقر داره بين ظهرائى سبعمائة صحابى عادل و هم ينظرون إليه، و محمد بن أبى بكر قابض على لحيته عال بها حتى سمع وقع أضراسه، و شحطه من البيت إلى باب داره، و عمرو بن الحمق يشب و يجلس على صدره، و عمير بن ضابئ يكسر أضلاعه، و جبينه موجوء بمشقص كنانة بن بشر، و رأسه مضروس بعمود التجيبى، و العاققى يضرب فمه بحديد، و ترد عليه طعنة بعد أخرى حتى أثنخته الجراح و به حياة، فأرادوا قطع رأسه فألقت زوجته بنفسهما عليه، كلّ هذه بين يدى أولئك المئات العدول أنصار الخليفة غير أنّهم ينتظرون حتى اليوم إلى إذن القتل و إلّا كانوا أخرجوهم من أقطار المدينة، و لو أرادوا أن يمنعوهم بأرديتهم لمنعوه!! أين هذه الأضحوكة من الإسلام و الكتاب و السنّة و العقل و العاطفة و المنطق و الإجماع و التاريخ الصحيح؟

نظرة فى المؤلّفات

إنّ ما سطرناه فى عثمان إلى هذا الحدّ أساس ما علّوا عليه بنيان فضله، و تبرير ساحته عن لوث أفعاله و تروكه، و تعذيره فى النهاير التى ركبها و الدفاع عنه، و قد أوقفناك على الصحيح الثابت ممّا جاء فيه، و على المزيف الباطل ممّا وضع له، و من جنائيات المؤرّخين ضربهم الصفح عن الأوّل، و ركونهم إلى الفريق الثانى من الروايات فبنوا ما شادوه على شفا جُرف هار، فلم يأت بغيرها أىّ عثمانى فى العقيدة، أموىّ فى النزعة، ضع يدك على أىّ كتاب لأحدهم فى التاريخ و الحديث مثل تاريخ الأمم و الملوك للطبرى، و التمهيد للباقلانى، و الكامل لابن الأثير، و الرياض النضرة

(١). راجع إزالة الخفاء: ٢ / ٢٤٢. (المؤلف)

ص: ٣٣٨

للمحبّ الطبرى، و تاريخ أبى الفداء، و تاريخ ابن خلدون، و البداية و النهاية لابن كثير، و الصواعق لابن حجر، و تاريخ الخلفاء للسيوطى، و روضة المناظر لابن الشحنة الحنفى، و تاريخ أخبار الدول للقرمانى، و تاريخ الخميس للديار بكرى، و نزهة المجالس للصفورى، و نور الأبصار للشبلنجى، تجده مشحوناً بتلكم الموضوعات المسلسلة، أتوا بها مرسلين إيّاها إرسال المسلم، و شوّوها بها صحيفة التاريخ بعد ما سوّدوا صحائفهم، و موّوها بها على الحقائق الراهنة.

و جاء بعد هؤلاء المحدثون المتسرّعون و هم يحسبون أنّهم يمحصّون التاريخ و الحديث تمحيصاً، و يحلّلون القضايا و الحوادث تحليلاً صحيحاً، متجرّدين عن الأهواء و النزعات غير متحيّزين إلى فئة، و لا جانحين إلى مذهب، لكنّهم بالرغم من هاتيك الدعوى وقعوا فى ذلك و هم لا يشعرون، فحملوا إلينا كلّ تلكم الدسائس فى صور مبهجة رجاء أن تنظلى عند الرجرجة الدهماء، لكن قلم التنقيب أمارط الستار عن تمويهمهم، و عرف الملاء الباحث أنّهم إنّما ردّوا ما هنالك من بوائق و مخازى.

كما ردّها يوماً بسوائته عمرو

و أثبتوا فضائل بنيت على أساس منهدم، و ربطوها بعرى متفككة.

فهلّمّ معي نقرأ صحيفة من الفتوحات الإسلامية تأليف مفتي مكة السيّد أحمد زيني دحلان ممّا ذكره في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء الأربعة (ص ٣٥٤ - ٥١٧) قال «١» في (ص ٤٩٢) تحت عنوان: ذكر ما كان لسيّدنا عثمان من الاقتصاد في الدنيا و حسن السيرة: كان عثمان رضى الله عنه زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، عادلاً في بيت المال «٢» لا يأخذ لنفسه منه شيئاً «٣» لأنّه كان غنياً، و غناه كان مشهوراً في حياة

---

(١). الفتوحات الإسلامية: ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٥.

(٢). فلما ذا تقم عليه الصحابة أجمع؟ و لما ذا قتلوا ذلك الزاهد الراغب العادل. (المؤلف)

(٣). راجع الجزء الثامن: ص ٢٨١، ٢٨٢. (المؤلف)

ص: ٣٣٩

النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و بعد وفاته، و كان كثير الإنفاق، في نهاية الجود و السماحة و البذل في القريب و البعيد «١» و أنزل الله فيه: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) «٢» و قوله تعالى: (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) «٣». و قوله تعالى: (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) «٤».

و كان يخطب الناس و عليه إزار غليظ عدنيّ ثمنه أربعة دراهم «٥» و كان يطعم الناس طعام الإمارة و يدخل بيته يأكل الخلّ و الزيت. قال الحسن البصرى: دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متكئاً على رداءه فأتاه سقاءن يختصمان إليه فقضى بينهما، و عن عبد الله بن شدّاد قال: رأيت عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة و هو يومئذ أمير المؤمنين و عليه ثوب قيمته أربعة دراهم. و سئل الحسن البصرى ما كان رداء عثمان؟ قال: كان قطرياً. قالوا: كم ثمنه؟ قال: ثمانية دراهم. و كان رضى الله عنه شديد التواضع، قال الحسن البصرى: رأيت عثمان و هو أمير المؤمنين نائماً في المسجد و رداؤه تحت رأسه فيجىء الرجل فيجلس إليه، ثمّ يجىء الرجل فيجلس إليه، فيجلس هو كأنّه أحدهم، و روى خيشمة قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد و هو أمير المؤمنين، و في رواية أخرى لخيشمة أيضاً: رأيت عثمان يقبل في المسجد و يقوم و أثر الحصة في جنبه فيقول الناس: يا أمير المؤمنين، و كان يلى وضوءه في الليل بنفسه

---

(١). إلّا من كان يمتّ للبيت الهاشمى و يحمل ولاء العترة كأبى ذر و عمار و ابن مسعود و نظرائهم. (المؤلف)

(٢). مرّ في الجزء الثامن: ص ٥٧ بطلان هذا التقول على الله. (المؤلف)

(٣). أسلفنا في هذا الجزء في ترجمة عمّار القول الصحيح في نزول الآية. (المؤلف)

(٤). مرّ في الجزء الثاني: ص ٥١ نزولها في عليّ و حمزة و عبيدة بن الحرث. و أخرج البخارى في صحيحه في التفسير: ٧/ ٩١ [٤/ ١٧٩٥ ح ٤٥٠٥] نزولها في أنس بن النضر، و ذكر ابن حجر نزولها في جماعة و لم يذكر فيهم عثمان، راجع فتح البارى: ٨/ ٤٢٠ [٨/ ٥١٨]. (المؤلف)

(٥). راجع ما روينا في الجزء الثامن: ص ٢٨٥. (المؤلف)

ص: ٣٤٠

فقيل له: لو أمرت بعض الخدم لكفوك، قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه، و كان رضى الله عنه يعتقد في كلّ جمعة رقبة منذ أسلم إلّا أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها في الجمعة الأخرى.

قال العلامة ابن حجر في الصواعق «١»: إن جملة ما أعتقه عثمان رضى الله عنه ألفان و أربعمئة. و من تواضعه: أنه كان يردف غلامه خلفه أيام خلافته و لا يعيب ذلك، و كان يصوم النهار و يقوم الليل إلّا هجعة من أوّله، و كان يختم القرآن كلّ ليلة في صلاته، و كان كثيراً ما يختمه في ركعة، و كان إذا مرّ على المقبرة يبكى حتى تبتلّ لحينته، و كان من العشرة المبشرين بالجنة، و من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم توفّى و هو عنهم راض، و كان من السابقين للإسلام، فإنّه أسلم بعد أبى بكر و علىّ و زيد بن حارثة، و شهد له النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بالجنة و الزهد في الدنيا، فقد صحّ عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا و لا أصابت منك «٢». و كثرت الفتوحات في زمن خلافته فقد فتح في زمنه إفريقية و سواحل الأردن و سواحل الروم و إصطخر و فارس و طبرستان و سجستان و غير ذلك، و كثرت أموال الصحابة في خلافته حتى بيعت جارية بوزنها، و فرس بمائة ألف، و نخلة بألف، و عن الحسن البصرى قال: كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرة و كان الخير كثيراً، و أصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر.

و أخرج أبو يعلى «٣»، عن جابر عن النبيّ، صلى الله عليه و آله و سلم قال: عثمان في الجنة، و قال: لكلّ نبيّ خليل في الجنة و إنّ خليلي عثمان بن عفان. و في رواية: لكلّ نبيّ رفيق في

---

(١). الصواعق المحرقة: ص ١١٢.

(٢). هل تؤيد هذه الصحيحة المزعومة و ما قبلها سيرة الرجل؟ (ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرّصون) [الزخرف: ٢٠]. (المؤلف)

(٣). مسند أبى يعلى: ٢/ ٢٨ ح ٦٦٥.

ص: ٣٤١

الجنة و رقيقى فيها عثمان بن عفان. و قال صلى الله عليه و آله و سلم: ليدخلنَّ بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم استحقوا النار الجنة بغير حساب. و أخرج أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه: أوّل من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: صحبهما الله إن عثمان لأوّل من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوط «١»، و لما زوج النبي صلى الله عليه و آله و سلم بنته أمّ كلثوم لعثمان قال لها: إن بعلك لأشبهه الناس بجدك إبراهيم و أبيك محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و قال صلى الله عليه و آله و سلم أشدّ أمتي حياءً عثمان بن عفان. و قال صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله أوحى إلى أن أزوج كريمتي يعنى رقيّة و أمّ كلثوم من عثمان. و قال صلى الله عليه و آله و سلم: إن عثمان حبيبي تستحي منه الملائكة، و قال صلى الله عليه و آله و سلم: إنّما يشبهه عثمان بأبينا إبراهيم. و قال صلى الله عليه و آله و سلم: و ما زوجت عثمان بأمّ كلثوم إلّا بوحي من السماء. و قال صلى الله عليه و آله و سلم لعثمان: يا عثمان هذا جبريل يخبرني أنّ الله زوجك أمّ كلثوم بمثل صدق رقيّة و على مثل صحبتها.

و أخرج الترمذى «٢»، عن عبد الرحمن بن خباب، قال: شهدت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو يحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها و أقتابها فى سبيل الله، ثمّ حضّ على الجيش فقال عثمان: يا رسول الله: علىّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها و أقتابها فى سبيل الله، فنزل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول: ما على عثمان ما فعل «٣» بعد اليوم. و عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بألف دينار حين جهّز جيش العسرة فنثره فى حجره، فجعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقلّبها و يقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم. و فى رواية عن حذيفة: إنّها عشرة آلاف دينار فجعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقلّبها و يقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررتَ و ما أعلنتَ و ما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما عمل بعدها، و أخرج

(١). أنظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٢٢٥، الدر المنثور: ٦ / ٤٠٩.

(٢). سنن الترمذى: ٥ / ٥٨٤ ح ٣٧٠٠.

(٣). فى سنن الترمذى: ما عمل.

ص: ٣٤٢

الواحدى «١»: أنّ الله أنزل بسبب ذلك فى حقّ عثمان: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ) و عن أبى سعيد الخدرى قال: ارتقت النبي صلى الله عليه و آله و سلم ليلة من أوّل الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول: اللهم عثمان بن عفان رضيتُ عنه فارض عنه، فما زال رافعاً يديه حتى طلع الفجر. و عن جابر بن عطية قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: غفر الله لك يا عثمان ما قدّمتَ و ما أخّرتَ، و ما أسررتَ و ما أعلنتَ، و ما أخفيتَ و ما أبديتَ، و ما هو كائن إلى يوم القيامة... إلخ.

هذه بلايا تمتتها يد الغلو في الفضائل، مُنيت بها الأمة، وطمست تحت أطباقها حقائق العلم والدين، وانطمست بها أنوار الهداية، وستعرف أنّها روايات مختلفة نظارة التنقيب ولا يصحّ منها شيء، غير أنّ المفتى دحلان على مطمار «٢» قومه أرسلها لإرسال المسلم، وموهها على أعرار الملاء الديني، ولا يجد عن سردها متدحاً، ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلّا يظنون، (و لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) «٣».

الفتنة الكبرى:

واقراً صحيفة من الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين: قال في بدء كتابه «٤»: هذا حديث أريد أن أخلصه للحقّ ما وسعني إخلاصه للحقّ وحده، وأن أتحرّى فيه الصواب ما استطعت إلى تحرّى الصواب سبيلاً، وأن أحمل نفسي فيه على الإنصاف لا أحمده ولا أوالي فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب، ولا أشايح فيه

(١). أسباب النزول: ص ٥٥.

(٢). يقال: جاء الرجل على مطمار أبيه أي جاء يشبهه في خلقه وخلقته.

(٣). الإسراء: ٣٦.

(٤). المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - الفتنة الكبرى - مج ٤ / ١٩٩.

ص: ٣٤٣

فريقاً من الذين اختصموا في قضية عثمان دون فريق، فليست عثمانى الهوى، وليست شيعة لعلّي، وليست أفكر في هذه القضية كما كان يفكر فيها الذين عاصروا عثمان واحتلموا معه ثقلها وجنوا معه أو بعده نتائجها.

وأنا أعلم أنّ الناس ما زالوا ينقسمون في أمر هذه القضية إلى الآن كما كانوا ينقسمون فيها أيام عثمان؛ فمنهم العثمانيّ الذي لا يعدل بعثمان أحداً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد الشيخين، ومنهم الشيعيّ الذي لا يعدل بعليّ رحمه الله بعد النبيّ أحداً، لا يستنني الشيخين ولا يكاد يرجو لمكانهما وقاراً، ومنهم من يتردد بين هذا وذاك، يقتصد في عثمانيتته شيئاً، أو يقتصد في تشييعه لعلّيّ شيئاً، فيعرف لأصحاب النبيّ كلّهم مكانتهم، ويعرف لأصحاب السابقة منهم سابقتهم، ثم لا يفضل بعد ذلك أحداً منهم على الآخر، يرى أنّهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحووا لله ولرسوله وللمسلمين، فأخطأ منهم من أخطأ، وأصاب منهم من أصاب، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنّهم لم يتعمدوا خطيئة ولم يقصدوا إلى إساءة، وكلّ هؤلاء إنّما يرون آراءهم هذه يستمسكون بها ويزودون عنها ويتفانون في سبيلها، لأنّهم يفكرون في هذه القضية تفكيراً دينياً، يصدر عن الإيمان، ويتفنون به ما يتبعى المؤمن من المحافظة على دينه والاستمسك بيقينه وابتغاء رضوان الله بكلّ ما يعمل في ذلك أو يقول.



و أنا أريد أن أنظر إلى هذه القضية نظرة خالصة مجردة لا تصدر عن عاطفة ولا هوى، و لا تتأثر بالإيمان و لا بالدين، و إنما هي نظرة المؤرّخ الذى يجرد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات و العواطف و الأهواء مهما تختلف مظاهرها و مصادرها و غاياتها... إلخ.

هكذا يحسب الدكتور و بيدى أنه لا يروقه النزول على حكم العاطفة و لا التحيز إلى فئة أو جنوح إلى مذهب، و قد تجرّد فيما كتب عن كل ذلك حتى عن الإيمان و الدين، و زعم أنه قصر نظره فى قضايا عثمان على البساطة ليتسنى له الحكم

ص: ٣٤٤

الطبيعى، و القول فى تلكم الحوادث على الحقائق المحضة، هكذا يحسب الدكتور، لكنّه سرعان ما انقلب على عقبيه كراً على ما فرّ منه، فلم يسعه إلّا الركون إلى العواطف و متابعة النزعات، فلم يرتد إلّا تلكم السفساف التى اختلقتها سماسرة العثمانيين، و لم يسرح فى مسيره إلّا مقبداً بسلاسل أساطير الأتولين التى سردها الطبرى و من شايعه أو سبقه بتلك الأسانيد الواهية و المتون المزيفة التى أوقفناك عليها فى هذا الجزء و فيما سبقه من الأجزاء، فلم نجد مائزاً بين هذا الكتاب و بين غيره من الكتب التى حسب الدكتور أنّ مؤلفيها حدث بهم الميول و النزعات، فما هو إلّا فتنة كبرى كما سمّاه هو بذلك!

ترى الدكتور يحايد حذراً من أن يحيد عن مهيع الحقّ و يجور فى الحكم، و زعم الحياد أسلم فى اليوم الحاضر كما كان فى الأمس الدابر، فذهب مذهب سعد بن أبى وقاص الحائد فى القضية و اتبع أثره، قال فى ديباجة كتابه «١»: عاش قوم من أصحاب النبىّ حين حدثت هذه القضية و حين اختصم المسلمون حولها أعنف خصومة عرفها تاريخهم فلم يشاركوا فيها و لم يحتملوا من أعبائها قليلاً و لا كثيراً، و إنما اعتزلوا المختصمين و فروا بدينهم إلى الله، و قال قائلهم سعد بن أبى وقاص رحمه الله: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف يعقل و يبصر و ينطق فيقول: أصاب هذا و أخطأ ذاك.

فأنا أريد أن أذهب مذهب سعد و أصحابه رحمهم الله، لا أجادل عن أولئك و لا عن هؤلاء، و إنما أحاول أن أتبيّن لفسى و أبين للناس الظروف التى دفعت أولئك و هؤلاء إلى الفتنة، و ما استتبعت من الخصومة العنيفة التى فرقتهم و ما زالت تفرّقهم إلى الآن، و سنتظّل تفرّقهم فى أكبر الظنّ إلى آخر الدهر، و سيرى الذين يقرؤون هذا الحديث أنّ الأمر كان أجلاً من عثمان و علىّ و ممّن شايعهما و قام من دونهما، و أنّ غير عثمان لو ولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى وليها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من

(١). الفتنة الكبرى: ٤ / ٢٠٠.

ص: ٣٤٥

ضروب المحن و الفتن، و من اختصام الناس حوله و اقتتالهم بعد ذلك فيه. انتهى.

هاهنا نجد الدكتور جارياً على ما عهد إلى نفسه تجرّد عن العواطف، و جانب المبادئ الدينيّة، و حايد الدين الحنيف حقاً، و نظر إلى القضية بالحرية المحضة، و حسبها فتنةً يحقّ للعاقل أن يكون فيها كابن لبون لا ظهر فيركب و لا ضرع فيحلب، و نعم الرأى هذا لو لا الإسلام المقدّس، لو لا ما جاء به نبيّ العظمة، لو لا ما نطق به كتاب الله العزيز، لو لا ما تقتضيه فروض الإنسانيّة و العواطف البشريّة القاضية بخلاف ما ذهب إليه الدكتور، و إنّي لست أقضى العجب منه، و لست أدري كيف يُقدّس مذهب ابن أبي وقاص؟ أ يسوغ للباحث المسلم أن يصفح في تلکم القضايا عن حکم الدين المقدّس، و يشذّ عمّا قرره نبيّ الإسلام، و يسحق العواطف كلّها حتى ما يستدعيه الطبع الإنساني و الغريزة العادلة في كسح الفساد و التفانى دون صالح المجتمع العام؟ أم لم يكن هنالك كتاب ناطق أو سنّة محكمة أو شريعة حاكمة أو عقل سليم يبعث الملاء الدينيّ إلى الدفاع عن كلّ مسلم مُدّت إليه يد الظلم و الجور فضلاً عن خليفة الوقت الواجب طاعته؟

ما الذى أحوج المتمسك بعري الدين الحنيف إلى سيف يعقل و يبصر و ينطق و الله يقول: (فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) «١». (أ و لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) «٢». (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) «٣»؟

ما الذى أذهل الدكتور عن قول الصحابي العظيم حذيفة بن اليمان: لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقّ و الباطل؟ و كيف يشتهبه الحكم

---

(١). النساء: ٥٩.

(٢). العنكبوت: ٥١.

(٣). النحل: ٦٤.

ص: ٣٤٦

فى القضية على المسلم النابه و هى لا تخلو عن وجهين، فإنّ عثمان إن كان إماماً عادلاً قائماً بالقسط عاملاً بالكتاب و السنّة مرضياً عند الله، فالخروج عليه معلوم الحكم عند جميع فرق المسلمين لا يختلف فيه اثنان، و لا تشذّ فئة عن فئة، و إن لم يكن كذلك و كان كما حسبه أولئك العدول من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و مرّت آراؤهم و معتقداتهم فيه فالحكم أيضاً بين مبرهن بالكتاب العزيز كما استدللّ بذلك الثائرون عليه لما قال لهم: لا تقتلونى فإنه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها. فقالوا: إنّنا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت: قتل من سعى فى الأرض فساداً، و قتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، و قتل من حال دون شىء من الحقّ و منعه ثمّ قاتل دونه و كابر عليه، و قد بغيت، و منعت الحقّ، و حلت دونه و كابرته عليه. الحديث. راجع (ص ٢٠٥).

فنحن لا نعرف وجهاً للحيداد كما ذهب إليه ابن أبي وقاص في القضية و في المواقف الهائلة بعدها، فالحيداد - وإن راق الدكتور - تقاعد عن حكم الله، و تقاعس عن الواجب الديني، و خروج عمّا قرّرتة الحنيفيّة البيضاء، نعم، الحيداد حيلة أولئك المتشاعبين المتقاعدين عن بيعة إمام المتّقين أمير المؤمنين، المتقاعسين عن نصرته، المتحايدين عن حكم الكتاب و السنّة في حروبه و مغازيه، و عذر تترسّ به سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمر و أبو هريرة و أبو موسى الأشعري و محمد بن مسلمة السابقون الأوّلون من رجال الحيداد الزائف، و الإنسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره.

كتاب: عثمان بن عفان

و اعطف على كتاب عثمان بن عفان للمدرّس في كليّة اللغة العربيّة بمصر الأستاذ صادق إبراهيم عرجون نظرة مفعنة حيث يقول في فاتحته: فهذا طراز من البحث في سيرة ثالث الراشدين عثمان رضى الله عنه، صوّرت به حياته صورة لا أعيدها من

ص: ٣٤٧

إجمال غير مجحف بحق، و لا أعضها عن تفصيل يظهر حجّة أو يدفع شبهة.

و قد احتفلت فيه بتحقيق ما احتفّ بهذه السيرة الأسيقة من عوامل اجتماعيّة و سياسيّة، دفعت المجتمع الإسلامي دفعاً عاصفاً إلى أخطر انقلاب عرفه التاريخ في الإسلام.

و سيرة عثمان رضى الله عنه حريّة بالبحث المخصّص الهادئ، ليكشف منها ما سترته الأفاصيص العابثة من فضائل، و ما شوّهته الروايات الغالطة من محاسن، و يصحّح ما غالطت فيه من حقائق، و يزيّف ما بهرجه المتقولون من أكاذيب مزوّرة و حكايات باطلة.

و قد حاولت جهدى أن أتبع الخطوط الأصيلة في حياة عثمان رضى الله عنه، فلاءمت بينها حتى ارتسمت منها هذه الصورة التي أرجو أن تكون لبنة بين لبنات متساندة في دراسة حياة رجال الإسلام، و سير أبطاله الغرّ الميامين، تبصرة و ذكرى للمؤمنين. و الله ولىّ التوفيق. انتهى.

ثمّ ألقى نظرة أخرى على مواضيع كتابه تجدها غير منطبقة على ما تقول في شيء منها، و إنّما هي نعرات طائفية ممقوتة، و فضائل مفتعلة دستّها يد الغلو فيها، و سفاسف موضوعة حبّذت الشهوات اختلاقها. كلّ أساطير السلف بزخرف القول، و زخرف أباطيل الأوّلين بالبيان المزور، لم نجد له فحصاً عن حال الأسانيد، و تهافت المتون، و فقه الحديث، و طرق مواضيع مهمّة من فقه عثمان و أغاليطه و أحداثه و هو يروقه التنصّي عنها، فلم يتفصّل إلّا بالتأفّهات لا سيّما في المسائل الفقهيّة التي هو بمجنب عنها، فنحت لها أعداراً باردة، أو أنّها أعظم من تلکم المآثم، فلنمرّ عليها كراماً.

و ما ظنّك بكتاب يكون من مصادره كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ذلك المتحدلق المختلق، و كتاب الخضرى ذلك الأموىّ المباحث، و محاضرات كرد على

العثماني الشامي المناوي لأهل بيت الوحي، و أمثال هذه من كتب السلف و الخلف ممّا لا يعرّج عليه؟ و فيه الخلط و الخبط، و وضوء الدجالين، و لغط المستأجرين.

و من أعجب ما رأيت قوله في (ص ٤١) من الكتاب تحت عنوان: الكذب على رسول الله: و في هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بدأت أكاذيب الفرق و الأحزاب فيما يكيد به بعضها لبعض، حتى أخذت تلك الأكاذيب صورة الحجاج بأحاديث يتقولها زعماء الفرق و رؤساء الأحزاب على سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و قد كثر من هذه الأكاذيب ما زعموه كان في حق الأئمة و الخلفاء، و قالت كل شعبة فيمن شايسته و في منافسيه عندها ما شاء لها الهوى، و تجاذب هذا النوع طرفي الإفراط و التفريط مدحاً و ذمّاً، و اختلاقاً و تقوّلًا، حتى غشى سير هؤلاء الأجلّاء بغشاء من الغموض حجب الحقائق عن كثير من الناظرين.

و ليس بأقلّ خطراً من ذلك ما اقترفوه في جنب القرآن الكريم من تأويلات محرّفة لآيات الله تعالى عن مواضعها، و من هنا و هناك تألّفت سلسلة الموضوعات و الخرافات و الأساطير التي ابتلى بها المسلمون، و انتشرت بينهم التلبيسات الملتوية و الشبّه الغامضة، فسوّت جمال الشريعة المطهّرة، و حُسى بها كثير من كتب المؤلّفين المتقدّمين و المتأخرين، حتى أصبحت وبألاً على الدين، و شراً على المسلمين، و حائلاً دون نهضتهم و تقدّمهم، و سلاحاً في أيدي خصوم الإسلام، و عائقاً عن الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخية و العلميّة و الدينيّة، و لولا توفيق الله تعالى رحمةً بهذه الأمة، و رعاية لهذا الدين الكريم، لطانقة من أئمة المسلمين المصطفيين الأخيار، انتهضوا لنقد الأسانيد و تنقيح الروايات، و بهرجة الزائف منها، و حظر الرواية عن كل صاحب بدعة في الإسلام، لما بقيت للإسلام صورته النيرة التي جاء بها القرآن الحكيم، و أداها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أصحابه نقيّة صافية. انتهى.

هذه نفنات الأستاذ الصادق، و هذه حسراته و زفراته المتصاعدة وراء ضياع التاريخ الإسلامي، وراء طمس الحقائق تحت أطياف الظلمات، وراء تشويه الأساطير

و المخاريق و الأباطيل جمال الشريعة المطهّرة، و لعمر الحقّ لقد أحسن و أجاد، و الرائد لا يكذب، غير أنّ المسكين هو من أساء تلك السلاسل المتسلسلة من الموضوعات و الخرافات التي أبتلى بها المسلمون، و عاقته الأغشية المدلهمة عن الوصول إلى الحقائق التاريخية و العلميّة و الدينيّة، و تَبَطَّته التلبيسات الملتوية عن نبيل الصحيح الناصع من التاريخ و الحديث، فما أصاب من الحقّ نبلاً، و ما أسعفته فكرته هذه على الطامّات و لا قدر شعرة، و ما أوضحت له سبل النجاح، و ما هدته إلى المهيع اللائح، فليته ثمّ لبيته كان يأخذ بأقوال أولئك الأئمة المصطفيين الأخيار في نقد الأسانيد في الجرح و التعديل، و كان يعمل بها و يتخذها دستوراً لنفسه، مقياساً فيما سطره من الأكاذيب و الأفائك، و لبيته كان يرحم هذه الأمة، و يرعى هذا الدين الكريم مثلما هم رحموا و رعوا، و ما زرّف «١» في تأليفه، و ما أعاد لأساطير الأولين الخلقة جدّتها بعد ألف و ثلاثمائة عامٍ من عمرها.

و هل هو بعد ما وقف على هذا الجزء و وجد كتابه مؤلفاً من سلسلة بلايا و حلقة أباطيل زيّفها أولئك الأئمة الذين هو اصطفاهم و اختارهم و أثنى عليهم يقرع سنّ الندم و يتّبع سنن الحقّ اللاحب؟ أو أنّه يلج فيما سوّد به صحائف كتابه أو صحيفة تاريخه و يتمادى في عيّه وليّه؟ و ما التوفيق إلّا باللّه.

كتاب: إنصاف عثمان

تأليف الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك:

هذا الكتاب أخذ من السراب، صفر من شواهد الإنصاف، شرجه الأستاذ من سلسلة أخبار مدسوسة و روايات مختلقة، و إن درس هو بزعمه تاريخ عثمان دراسة الحذر منها فقال في ديباجته (ص ٤): درسنا تاريخ عثمان و عصره و الثورة عليه دراسة الحذر من الأخبار المدسوسة، اليقظ لمواطن العبرة، المرجع كلّ حدث إلى

---

(١). يقال: زرّف في الحديث إذا زاد فيه.

ص: ٣٥٠

بواعثه الأصليّة و إن رانت عليها الشبهات.

و لم نكتف بما قال المؤرخون، بل مددنا بصرنا إلى أبعد من ذلك، فحللنا شخصيّته، و بينّا ما لها من صلة بالثورة عليه، و درسنا حال المسلمين و قد نعموا بالراحة و الثراء و انساحوا في الأصقاع يخالطون الأعاجم و يصهرون إليهم و يتخلّقون بعاداتهم، و حال قريش و ما انتابها من تفرّق و تنازع على الرئاسة، و بينّا صلة ذلك بالتجنّي على الخليفة، و جلونا الفتننة التي أرّتها في الأمصار أعداء عثمان و أعداء الإسلام، و نخلنا ذلك كله و صفّيناه، و استخلصنا منه الأسباب الصريحة للفتنة.

و لم نغفل أن نعرض لما أخذ على عثمان، و لا أن نتنصف له حيث يستحقّ الإنصاف.

و من حقّ عثمان أن تُخصّص لدراسته و دراسة عصره عشرات الكتب، فإنّه الخليفة المهضوم الحقّ، المظلوم في الحكم عليه، على ما له من سابقة و فضل و إصلاحات، و عصره عصر انتقال و اضطراب و ثورات سياسيّة و اجتماعيّة.

و نحن و إن بالغنا في الإحاطة و توقّى الزلل عرضة للتقصير، و لكنّا اجتهدنا رأينا، فترجو أن نكون قد وفّقنا لإبراز صورة واضحة لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين ففيها عظات و عبر. و اللّه المستعان. انتهى.

هذه لفاظته، و هذا حسن طويّته و حرصه على النجاح، غير أنّك تجده في جمعه و تأليفه كحاطب ليل رزم في حزمته كلّ رطب و يابس، و جاء يخبط خبط عشواء من دون أيّ فحص و تنقيب، لا يفقه و لا ينقه، لا يستصحب دراية في الحديث توقفه على الصحيح الثابت، و تعرفه الزائف البهرج، و لا بصيرة تميّز له الحوّ من اللوّ «١»، و لا علماً ناجعاً يجعجه و يهديه إلى الفوز و

النجاح، ولا فقهاً ينجيه من غمرات تلکم المعارك الوبيّلة، ولا تنبئاً يرشده إلى ما يُنقذه من تلکم التلبيسات الملتوية، جوّل في مضمار تلکم الطامّات التي جاء بها الطبرى وغيره وحسبها أصولاً مُسلّمة، واستند في آرائه

---

(١). أى: لا يعرف الحقّ من الباطل.

ص: ٣٥١

إلى فضائل مفتعلة نتاج أيدي الأمويّين نسباً ونزعة، ومن المأسوف عليه جدّاً أنّه أكدى وإن اجتهد رأيه، ولم يظفر بأمله وإن بالغ في الإحاطة بزعمه، وأبرز لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين صورة معقّدة معضلة تخلو عن كلّ عظة و عبرة.

بسط القول في عبد الله بن سبأ و عزا إليه كل تلکم المعامع و الثورات، و حسبه مادّة الفكرة الناقمة على الخليفة و أساسها الوحيد في البلاد، و رأى معظم الصحابة أتباع نعرات ذلك المبتدع الغاشم، و طوع تلبيس ذلك اليهوديّ المهتوك، قال في (ص ٤٢): عند ذلك يجد ابن سبأ منفذاً إلى هذا الشيخ الزاهد - يعنى أبا ذر - في عرض الدنيا فينشر آراءه في مجلسه و يغيره بالحكومة و يحرضه على الأغنياء، و صار يقول له: يا أبا ذر ألا تعجب لمعاوية يقول: المال مال الله، ألا كلّ شيء لله؟ كأنّه يريد أن يحتججه دون المسلمين و يمحو اسم المسلمين. ظلّ أبو ذر يدعو إلى الاشتراكية المتطرّفة بإرغام الأغنياء أن يساعدوا الفقراء و يتركوا أموالهم لهم، و اتخذ برّ الإسلام بالفقراء سبيلاً إلى ذهاب المال من أربابه، و ما قصد الإسلام هذا بل كما قال الله تعالى: (وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَ الْمَحْرُومِ) «١». زيادة على الزكاة الشرعيّة. إلخ.

و قال في (ص ٦١): أمّا عمّار فقد توجّه إلى مصر و كان حاكمها مُبغضاً من المصريّين لا يجدون حرجاً في رميه بكلّ نقيصة، و استطاع أتباع ابن سبأ بحذقهم و مهارتهم في ذلك المكفهر أن يخدعوه بزخرف القول و زوره، و كان مع هذا في نفس عمّار شيء من عثمان لأنّه نفذ فيه حكم الله لما تقاذف هو و العباس بن عتبة بن أبي لهب، و لهذا لم يعد إلى الخليفة، و لم يطلعه على شيء ممّا رأى، و مال إلى اتباع ابن سبأ. انتهى.

هذه صفحة من تلك الصورة الواضحة التي وفق الأستاذ لإبرازها، هذه هي

---

(١). المعارج: ٢٤-٢٥.

ص: ٣٥٢

الغاية المتوخّاة التي بزعمه فيها عطات و عبر، هل يدري القارئ عن أيّ أبي ذر و عمّار يحدث هذا الثرثار المجازف حتى لا يبالي بما يقول و لا يكثرث لما أسرف فيهما من القول؟ و لست أدري لما ذا اقتحم الرجل في هذه الأبحاث الغامضة الخطرة التي يتيه فيها الناقد البصير؟ لما ذا اقتحم فيها مع ضئولة رأيه و جهله بأحوال الرجال و مقادير أفاذ الأمة، و عدم عرفانه

نفسيات خيرة البشر و صلحاء الصحابة و مبلغهم من الدين؟ لما ذا اقتحم فيها مع بعده عن دراية الحديث، و علم الدين، و فقه التاريخ؟

تراه تشزّر و تعباً للدفاع عمّن شغفه حبّه بكل ما تيسّر له و لو بالوقية في عدول الصحابة أو في الصحابة العدول، و قد بينا في الجزء الثامن (ص ٣٤٩) حديث الرجل في أبي ذر و أنّه موضوع عنعنه أناس لا يعول عليهم عند مهرة الفنّ، و فصلنا القول في هذا الجزء في حديث عمّار و أنّه قطّ لم يتوجّه إلى مصر، و أنّ ما ركن إليه الأستاذ لا يصحّ إسناده، و نحاشي عمّاراً عن أن يحمل ضغينة على أحد لإنفاذه حكم الله فيه، و هل الأستاذ طبّق المفصل في رأيه هذا و بين يديه الذكر الحكيم و آيه النازلة في عمّار؟ و في صفحات الكتب

قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ملئ عمّار إيماناً إلى أخص قدميه».

و قوله: «إن عمّاراً مع الحقّ و الحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار».

و قوله: «ما خيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما»

إلى أحاديث أخرى مرّت في هذا الجزء (ص ٢٠ - ٢٨) تضادّ تلكم الخزعبلات.

و للأستاذ في تبرير الخليفة كلمات ضخمة موجزة في طيّها دسائس مطمورة، و تمويه على الحقائق التاريخية، يتلقاها الدهماء بالقبول و لا يرى عن الصفح عنها مندوحة قال في (ص ٣٥): من المسلّم به أنّ الوليد هذا عيّن سنة (٢٥) هجرية و هي السنة الأولى من حكم عثمان، و قد أجمع الناقدون و المؤرّخون على أنّه لم يقع منه خلال الستّ سنوات الأولى ما يسوّغ توجيه النقد إليه، إذ كانوا يرون رائده تحرّي المصلحة العامة، و إسناد المناصب إلى الجديرين بها لا فرق بين قريب و بعيد. انتهى.

دعوى الإجماع و الاتّفاق و الإصفاق المكذوبة سيرة مطّردة عند القوم جيلاً بعد

ص: ٣٥٣

جيل سلفاً و خلفاً، و كتب الفقه و الكلام و الحديث و التاريخ مشحونة بهذه السيرة الممقوتة، و من أمعن النظر في كتاب المحلّي لابن حزم، و كتابه الفصل في الملل و النحل، و منهاج السنّة لابن تيميّة، و البداية و النهاية لابن كثير، يجد مئات من الإجماعات المدّعاة المشمجة، و الأستاذ اقتفى أثر أولئك الأمناء على ودائع العلم و الدين و حذا حذوهم، كأنّه لم يكُ يحسب أن يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب الحساب، أو أنّه غير مكترث لأيّ تبعه و مغبّة.

أنّي من المتسالم عليه تولية الوليد سنة (٢٥)؟ و إن هو إلّا قول سيف بن عمر كما نصّ عليه الطبري في تاريخه «١» (٧ / ٤٧) و زيّفه، و عزاه ابن الأثير في الكامل «٢» إلى البعض، و قد عرفناك سيقاً في الجزء الثامن (ص ٨٤) و أنّه ضعيف متروك، ساقط، وضاع، اتّهم بالزندقة، فالمعتمد عند المؤرّخين أن تولية الوليد كانت سنة (٢٦).

ثم أتى يصحّ كون السنة ال (٢٥) هي السنة الأولى من حكم عثمان؟ و إنما توفّي عمر في أواخر ذى الحجة سنة (٢٣) و بويع عثمان بعد ثلاثة أيام من موت عمر، فالسنة الأولى من حكم عثمان هي (٢٤).

و أين و أتى يسع لناقد أو مؤرّخ فضلاً عن إجماع الناقدين و المؤرّخين أن يحسب صفو الجوّ من بوائق عثمان و بواده و نواده خلال الستّ سنوات الأولى، و هذه صفحات تاريخه في تلكم السنين مسوّدّة بهنات و هنات؟ بل التاريخ سجّل له من أوّل يوم تسنّم عرش الخلافة، و قام نافجاً حضنيه بين ثثيله و معتلفه، صرعة و عثرةً لا تُستقال، منها:

١- أبطل القصاص لما استخلف و لم يقدر عبید الله بن عمر و قد أتى عظيماً و قتل الهرمزان و الجفينة و ابنة أبي لؤلؤة، و أجمع رأى المهاجرين و الأنصار على كلمة واحدة

---

(١). تاريخ الأمم و الملوك: ٢٥١ / ٤ / حوادث سنة ٢٦ هـ.

(٢). الكامل في التاريخ: ٢٣٠ / ٢ / حوادث سنة ٢٦ هـ.

ص: ٣٥٤

يشجّعون عثمان على قتل ابن عمر أخذاً بالكتاب و السنّة، غير أنّ عمرو بن العاص فتلّه عن رأيه، فذهب دم أوّلئك الأبرياء هدرًا. و كانت أوّل قارورة كُسرت في الإسلام بيد عثمان يوم ولى الأمر.

٢- لما استخلف سعد المنبر و جلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يجلس أبو بكر و عمر فيه، و جلس أبو بكر دونه بمرقاة، و جلس عمر دون أبي بكر بمرقاة، فتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ «١».

٣- ردّ الحكم بن أبي العاص طريد النبيّ الأقدس و لعينه إلى المدينة لما ولى الخلافة، و بقى فيها حتى لعق لسانه، و هذا الإيواء ممّا نُقم به على عثمان كما مرّ حديثه في (٨ / ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٨).

٤- ولى الوليد بن عقبة سنة (٢٥، ٢٦) و عزل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشّرة، و كان هذا في طليعة ما تقموا على عثمان «٢» ثمّ وقع ما وقع من الوليد من شرب الخمر و تقاعد الخليفة عن حدّه. راجع الجزء الثامن (ص ١٢٥-١٢٥).

٥- هبته الوليد ما استقرض عبد الله بن مسعود من مال المسلمين لما قدم الوليد الكوفة و كان ابن مسعود على بيت المال، حتى تقم الخليفة على ابن مسعود و عزله و حبس عطاءه أربع سنين إلى أن مات سنة (٣٢) و جرى بينه و بين الخليفة ما مرّ حديثه في هذا الجزء، و هذا ممّا أخذت الأمة خليفتهم به.



٦- زاد الأذان الثالث في أوليات خلافته كما في تاريخ ابن كثير، و قد فصلنا القول في أحوالته هذه في الجزء الثامن (ص ١٢٥-١٢٨).

٧- وسَّع المسجد الحرام سنة (٢٤) و ابتاع من قوم منازلهم، و أبي آخرون فهدم

---

(١). تاريخ اليعقوبى: ٢ / ١٤٠ [٢ / ١٦٢]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٤٨ [٧ / ١٦٧] حوادث سنة ٢٥ هـ. (المؤلف)

(٢). دول الإسلام: ١ / ٩ [ص ١٣]، البداية و النهاية: ٢ / ١٥١ [٧ / ١٦٩] حوادث سنة ٢٥ هـ. (المؤلف)

ص: ٣٥٥

عليهم و وضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس و قال: ما جرّاكم علىّ إلّا حلمي. راجع الجزء الثامن (ص ١٢٩).

٨- أعطى خمس الغنائم في غزوة إفريقية الثانية مروان بن الحكم و هو من عمدة مآثم الخليفة، و كان ذلك سنة (٢٧) من الهجرة الشريفة. راجع (٨ / ٢٥٧ - ٢٦٠).

٩- حجّ سنة (٢٩) و أتمّ الصلاة في مكان القصر في عامه هذا كما في تاريخ ابن كثير «١» (٧ / ١٥٤)، و هذه الأحدثة مرّت على تفصيلها في (٨ / ٩٨ - ١١٩).

١٠- أعطى خمس إفريقية عبد الله بن سعد بن أبي سرح في غزوتها الأولى. راجع الجزء الثامن (ص ٢٧٩).

إلى بوادر و عثرات أخرى صدرت من الخليفة خلال الست سنوات الأولى كل منها يسوّغ توجيه النقد إليه، و كان من أوّل يومه مهما قرع سمعه نقد ناقد أو نصح ناصح لا يصيح إليه، بل كان يؤاخذ من أغمز فيه، و يسومه سوء العذاب، و كان يُلقى العرى إلى بنى أمية في البلاد، و يفوض إليهم مقاليد الأمور، و يحسبه العلاج الوحيد في حلّ تلکم المشاكل، و تقصير خطى أولئك الناقدین الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنکر، حتى تمخّضت عليه البلاد و وعرت القلوب، و اتّسع الخرق على الرّاقع.

و في ظلّتي الغالب أن تقدّم ثقافة مصر اليوم هو الذي بعث أساتذتها إلى الإكتثار في التّأليف حول عثمان و تدعيم فضائله و فواضله، و شططوا في إطرائه و بالغوا في الذّبّ عنه بتلفيق الكلام و تزويره، و تسطير الحدد من القول، و سرد المبوّق البهرج، و ذلك روما لتقدیس ساحتهم عمّا اقترفته أيدي سلفهم النائر المتجمهر على الخليفة، إذ حسبوه وصمة شوّهت سمعة الخلف منهم و السلف، و سوّدت صحيفة تاريخ مصر و المصريّين، فهل يتأتّى أمل الخلف بهذه الكتيبات المزخرقة؟ لعلّه يتأتّى مثلما رام

---

(١). تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٧٣ حوادث سنة ٢٩ هـ.

السلف تحقّق توبيتهم بالحوية (لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) «١».

نظرة في كتب أخرى:

وقس على هذه الكتب كتاب تاريخ الخلفاء تأليف الأستاذ عبد الوهاب النجار المشحونة صفحاته بمرمّعات «٢» الرواية و سقطات التاريخ، و كتاب عثمان للأستاذ عمر أبي نصر، ليس فيه إلّا إعادة لما سبق إليه الشيخ محمد الخضري من نفسيّاته الأمويّة جدّتها، فما ينقّمه الباحث من مواضع جار فيما بهرجه اللاحق في كتابه.

و كتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للأستاذ السيّد على فكرى و هو الجزء الثالث من كتابه أحسن القصص و هذا أهدأ ما أُلّف في الموضوع، ينمّ عن سلامة نفس المؤلّف و نزاهة قلمه، و هو و إن أُلّفه من تلّكم السلاسل الوبيّلة من الموضوعات، غير أنّه لا يتطرّق إلى الأبحاث الخطرة، و لا يقتحم المعارك المدلّهمة، ممّا نُقّم به على الخليفة من الطامّات و الأحداث، و ما قيل في براءته عن لوثها، و كأنّه ترجم لخليفة خضعت الرقاب لعظمته، و تسالمت الأمة عليه من جميع نواحيه، و لم يطرق سمعه ما هنالك من حوار و أخذ و ردّ، و نقد و دفاع، و كأنّ ما سطره في فضل الخليفة، و كرم طباعه، و سلامة نفسه، أصول موضوعة لا يتوجّه إليها غمز و لا انتقاد، و ستعرف حالها و محلّها من الاعتبار، فلا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه.

ذكر السيّد الأستاذ ما جاء في مناقب عثمان من الحديث المختلق من دون أىّ بحث و تنقيب، من دون أىّ تقض و إبرام، إلى أن تخلّص من البحث عنه بقوله في (ص ١٦٣): بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم و اطمأنّوا و كثرت عندهم الخيرات و الأموال، أخذوا ينقّمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للأمة عزل بعض الولاة

(١). البقرة: ٧٨.

(٢). يقال: دعه يترمّع في طمّته، أى: يتسكّع في ضلّالته.

فعرّهم، و ولى من فيه الكفاية من أقاربه و ذوى رحمته، فظنّ الناس به ظنوناً هو برىء منها، و فشت الفتنة و استفحل أمرها، حتى ظهرت وفود من الكوفة و البصرة و مصر في وقت واحد طالبين تولية غير عثمان، أو عزل من ولّاهم على الأمصار.

و أخيراً استقرّ الحال على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمّال، و على ذلك اختار أهل مصر أن يوّلّى عليهم محمد بن أبى بكر الصّدّيق، فكتب عثمان لهم بذلك عهداً و رحلوا من المدينة مع واليهم الجديد، و بينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثّها فأوقفوه و فتشوه، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبد الله بن أبى سرح مضمونه: إذا قدم عليك ابن أبى بكر و من معه فاحتل في قتلهم.

فأخذوا الكتاب و رجعوا إلى المدينة، و أطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم أنه ما فعل و لا أمر و لا علم فقالوا: هذا أشدّ، يؤخذ خاتمك، و بعير من إبلك، و عبد من عبيدك و أنت لا تعلم! ما أنت إلّا مغلوب على أمرك، فطلبوا منه الاعتزال أو تسليم الكاتب فأبى، فأجمعوا على محاصرته، فحاصروه فى داره و منعوا عنه الزاد و الماء أيّاماً عديدة، و هاجت الثوّار، و كثر القيل و القال، فطلب منه بعض الصحابة الإذن بالمدافعة عنه فلم يقبل، و لم يأذن لأحد حتى إنّه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه: من أغمد منكم سيفه فهو حرّ. استسلاماً للقضاء فتسلّق بعض الأشرار الدار، و دخلوا عليه و قتلوه، و المصحف بين يديه يتلو فيه سورة البقرة فنزلت فطرة من دمه على: (فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ). و كان يومئذٍ صائماً. انتهى.

و لعلّ الأستاذ بعد الوقوف على هذا الجزء من كتابنا ينتبه لمواقع النظر فى تأليفه فيميّز الحىّ من اللىّ، و يعرف الصحيح من المعلول، و يتبع الحقّ و الحقّ أحقّ أن يتّبع.

و فى مقدّم هؤلاء الأساتذة أستاذ تاريخ الأمم الإسلاميّة بالجامعة المصريّة و وكيل مدرسة القضاء الشرعى الشيخ محمد الخضرى صاحب المحاضرات، و قد

ص: ٣٥٨

قدّمنا فى الجزء الثالث (ص ٢٤٩ - ٢٤٥) شيئاً ممّا يرجع إليه و إلى كتابه، و عرفناك موقفه من الدجل و الجناية على التاريخ الصحيح، و بعده عن أدب الدين، عن أدب العلم، عن أدب الإنسانيّة، و أنّ كتابه غلبة السفساف، و عيبة السقطات، و صحائفه مشحونة بالأكاذيب و الأفائك و النسب المفتعلة، و الآراء الساقطة، فإن كان الإسلام هذا تاريخه فعلى الإسلام السلام.

عهد النبى الأقدس صلى الله عليه و آله و سلم إلى عثمان

١- أخرج إمام الحنابلة أحمد فى المسند «١» (٦ / ٨٦، ١٤٩)، قال: حدّثنا أبو المغيرة الحمصى، حدّثنا الوليد بن سليمان الدمشقى، حدّثنى ربيعة بن يزيد الدمشقى، عن عبد الله بن عامر الدمشقى، عن النعمان بن بشير - قاضى دمشق -، عن عائشة، قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلمّا رأينا إقبال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمته أن ضرب منكبه و قال: يا عثمان إنّ الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى. ثلاثاً. فقلت لها: يا أمّ المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته و الله، ما ذكرته. قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرضَ بالذى أخبرته حتى كتب إلى أمّ المؤمنين: أن اكتبى إلىّ به، فكتبت إليه به كتاباً.

رجال الإسناد كلّهم شاميّون عثمانيون، و فى مقدّمهم النعمان بن بشير الخارج على إمام زمانه و محاربه تحت راية الفئة الباغية، و جاء فيه عن قيس بن سعد الأنصارى الصحابىّ العظيم أنّه ضالّ مضلّ. و متن الرواية كما يأتى بيانه يكذب نفسها.

٢- أخرج أحمد فى المسند «٢» (٦ / ١١٤)، من طريق محمد بن كناسة الأسد

---

(١). مسند أحمد: ٧/ ١٢٦ ح ٢٤٠٤٥ و ٢١٤ ح ٢٤٦٣٦.

(٢). مسند أحمد: ٧/ ١٦٥ ح ٢٤٣١٦.

ص: ٣٥٩

أبى يحيى، عن إسحاق بن سعيد الأموى حفيد العاص-، عن أبيه سعيد- ابن عمّ عثمان الذى كان بدمشق-، قال: بلغنى أنّ عائشة قالت: ما استمعت على رسول الله إلا مرة فإنّ عثمان جاءه فى نحر الظهر فظننت أنّه جاءه فى أمر النساء، فحملتنى الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعتة يقول: إنّ الله ملبسك قميصاً تريدك أمّتى على خلعه فلا تخلعه، فلمّا رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلّا خلعه علمت أنّه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى عهد إليه.

عمد رجال الإسناد أمويون أبناء بيت عثمان بنى أبيه، ينتهى إلى عائشة و قد أوقفناك على حديثها فى هذا الجزء، و هو مع ذلك مرسل لا يُعلم من بلّغه سعيد بن العاص و لعلّه أحد الكذّابين الوضّاعين.

٣- أخرج الطبرانى «١»، عن مطلب بن شبيب الأزدي، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن ربيعة بن سيف، قال: كنّا عند شفى الأصبغى، فقال: حدّثنا عبد الله بن عمر قال: التفت رسول الله، فقال: يا عثمان إنّ الله كساك قميصاً فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فو الله لئن خلعتة لا ترى الجنّة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط.

ذكره ابن كثير فى تاريخه «٢» (٧/ ٢٠٨) فقال: و قد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أمّ المؤمنين. و فى سياق متنه غرابة و الله أعلم.

رجال الإسناد:

١- عبد الله بن صالح أبو صالح المصرى كاتب الليث، قال أحمد «٣»: كان أوّل

---

(١). المعجم الأوسط: ٣/ ٣٩٨ ح ٢٨٥٤.

(٢). البداية و النهاية: ٧/ ٢٣٣ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣). العلل و معرفة الرجال: ٣/ ٢١٣ رقم ٤٩١٩.

ص: ٣٦٠

أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشيء. و قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي ذكره يوماً فذمّه و كرهه. و قال صالح بن محمد: كان ابن معين يوثقه، و عندي أنّه كان يكذب في الحديث. و قال ابن المديني: ضربت على حديثه و ما أروى عنه شيئاً. و قال أحمد بن صالح: متّهم ليس بشيء. و قال النسائي «١»: ليس بثقة، و قال أبو زرعة: كذاب. و قال أبو حاتم «٢»: الأحاديث التي أخرجها أبو صالح في آخر عمره فأنكروها عليه أرى أنّ هذا ممّا افتعل خالد بن نجيح، و كان أبو صالح يصحبه... إلخ. و قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. و قال ابن حبان «٣»: منكر الحديث جداً يروى عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات، و كان صدوقاً في نفسه و إنّما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له كان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح، و يكتب بخطّ يشبه خطّ عبد الله، و يرميه في داره بين كتبه، فيتوهم عبد الله أنّه خطّه فيحدث به.

تهذيب التهذيب «٤» (٥ / ٢٥٦ - ٢٦٠).

٢- سعيد بن أبي هلال المصري، قال أحمد: ما أدري أيّ شيء يخلط في الأحاديث. و قال ابن حزم: ليس بالقوى. و قال ابن حجر: لعلّه اعتمد على قول الإمام أحمد فيه.

تهذيب التهذيب «٥» (٤ / ٩٥).

٣- ربيعة بن سيف الإسكندراني، قال ابن حبان «٦»: يُخطئ كثيراً. و قال ابن يونس: في حديثه مناكير. و قال البخاري «٧»: روى أحاديث لا يُتابع عليها. و قال

---

(١). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٤٩ رقم ٣٥١.

(٢). الجرح و التعديل: ٥ / ٨٧ رقم ٣٩٨.

(٣). كتاب المجروحين: ٢ / ٤٠.

(٤). تهذيب التهذيب: ٥ / ٢٢٥.

(٥). تهذيب التهذيب: ٤ / ٨٣.

(٦). الثقات: ٦ / ٣٠١.

(٧). التاريخ الكبير: ٣ / ٢٩٠ رقم ٩٨٧ و فيه: عنده مناكير.

تهذيب التهذيب «١» (٣ / ٢٥٦).

٤- أخرج أحمد «٢»؛ من طريق سنان بن هارون، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففتنه، فقال: يُقتل فيها هذا المقنع يومئذٍ مظلوماً. فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان.

تاريخ ابن كثير «٣» (٧ / ٢٠٨).

سنان بن هارون: كوفي، قال النسائي: ضعيف. و قال الساجي: ضعيف منكر الأحاديث. و قال ابن حبان «٤»: منكر الحديث جداً يروى المناكير عن المشاهير «٥»، و كليب بن وائل ضعفه أبو زرعة كما في تهذيب التهذيب «٦» (٨ / ٤٤٧).

٥- أخرج أحمد في المسند «٧» (٢ / ٣٤٥) من طريق موسى بن عقبة، قال: حدثني جدّي أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار و عثمان محصور فيها، و أنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله و أثني عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنكم تلقون بعدى فتنة و اختلافاً- أو قال: اختلافاً و فتنة-، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين و أصحابه، و هو يشير إلى عثمان بذلك. و ذكره ابن كثير في تاريخه «٨» (٧ / ٢٠٩) فقال:

---

(١). تهذيب التهذيب: ٣ / ٢٢١.

(٢). مسند أحمد: ٢ / ٢٦١ ح ٥٩١٧.

(٣). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤). كتاب المجروحين ١ / ٣٥٤.

(٥). تهذيب التهذيب: ٤ / ٢٤٣ [٤ / ٢١٣]. (المؤلف)

(٦). تهذيب التهذيب: ٨ / ٤٠١.

(٧). مسند أحمد: ٣ / ١٨ ح ٨٣٣٦.

(٨). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣٦٢

تفرّد به أحمد و إسناده جيّد حسن، و لم يخرجوه من هذا الوجه.

نحن لا نعرف جودة هذا الإسناد و حسنه و فيه جدُّ أم موسى و هو نكرة لا يُعرف و لا يوجد له قطُّ ذكر في المعاجم. و هل من المعقول عزو هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو جدُّ عليهم بأن أصحاب عثمان هم مروان و من يشاكله في العيب و الفساد حشوة بنى أمية، حثالة أمته صلى الله عليه و آله و سلم؟ أ فمن الجائر أن يوصى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمته باتِّباع أولئك الخابليين خلاف وجوه صحابته و عدولهم المتجمهرين على عثمان؟ حاشا نبيّ العظمة عن هذه الأفاك.

٦- أخرج الترمذى «١»: عن طريق سعيد الجريرى «٢»، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن حوالة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: كيف أنت و فتنة تكون في أقطار الأرض؟ قلت: ما خار الله لى و رسوله. قال: اتَّبِعْ هذا الرجل فإنَّه يومئذ و من اتَّبعه على الحقِّ قال: فاتَّبعته، فأخذت بمنكبه ففتلته، فقلت: هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم. فإذا هو عثمان بن عفان.

و أخرجه أحمد في المسند «٣» (١٠٩ / ٤)، من طريق سعيد الجريرى، بالإسناد المذكور و لفظه: كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنها صياصى بقر «٤»؟ قلت: لا أدري ما خار الله لى و رسوله، قال: و كيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كأن الأولى فيها انتفاحة أرنب؟ قلت: لا أدري ما خار الله لى و رسوله، قال: اتَّبِعُوا هذا. قال: و رجل مقفَى حينئذٍ، قال: فانطلقت فسعيت و أخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقلت: هذا؟ قال: نعم. قال: و إذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

قال الأمينى: ستوافيك ترجمة سعيد الجريرى فى حديث (٢٥) من مناقب عثمان

(١). سنن الترمذى: ٥ / ٥٨٦ ح ٣٧٠٤.

(٢). زاد ابن كثير [٧ / ٢٣٥ حوادث سنة ٣٥ هـ] هاهنا فى الإسناد: عبد الله بن سفيان. (المؤلف)

(٣). مسند أحمد: ٥ / ٨٢ ح ١٦٥٥٦.

(٤). صياصى البقر: قرونها.

ص: ٣٦٣

و أن روايته لا تصحّ لاختلاله ثلاث سنين. و أمّا عبد الله بن شقيق المنتهى إليه أسانيد الرواية فهو من تابعى أهل البصرة، قال ابن سعد فى الطبقات «١»: كان عثمانياً و كان ثقة. و قال يحيى بن سعيد: كان سليمان التيمي سببى الرأى فى عبد الله. و قال أحمد بن حنبل: ثقة و كان يحمل على على. و قال ابن معين: ثقة من خيار المسلمين، و قال ابن خراش: كان ثقة و كان عثمانياً يبغض علياً «٢».

ألا تعجب من توثيق الحفاظ هذا الرجل المتحامل على على أمير المؤمنين و مبغضه و عدّه من خيار المسلمين و بين أيدينا

قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيح الثابت: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن»، و «لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»

، و قول عليّ أمير المؤمنين الوارد في الصحيح: «و الذي فلق الحبة و برأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأميّ إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن و لا يبغضني إلا منافق»

، و قوله: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، و لو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني». الحديث.

و ثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغض عليّ بن أبي طالب «٣».

و جاء في الصحيح مرفوعاً: «لو أنّ رجلاً صَفَنَ بين الركن و المقام فصلى و صام ثم لقي الله و هو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار» «٤».

و في حديث: «لو أنّ عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة ثم أتى الله عزّ و جلّ ببغض عليّ جاحداً لحقّه ناكثاً لولايته لأتّعس الله خيره و جدع أنفه».

و في حديث: «لو أنّ عبداً عبد الله عزّ و جلّ مثل ما قام نوح في قومه و كان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله و مدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه ثم قُتل

---

(١). الطبقات الكبرى: ٧ / ١٢٤.

(٢). تهذيب التهذيب: ٥ / ٢٥٤ [٥ / ٢٢٣ و انظر أيضاً تهذيب الكمال: ٥ / ٨٩ رقم ٣٣٣٣]. (المؤلف)

(٣). راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: ص ١٨٢ - ١٨٧. (المؤلف)

(٤). راجع ما مرّ في الجزء الثاني: ص ٣٠١. (المؤلف)

ص: ٣٦٤

بين الصفا و المروة مظلوماً ثمّ لم يُوالِك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة و لم يدخلها».

و في حديث: «لو أنّ عبداً من عباد الله عزّ و جلّ عبد الله ألف عام بين الركن و المقام ثمّ لقي الله عزّ و جلّ مبغضاً لعليّ و عترتي أكبه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنّم».



و فى حديث: «يا علىّ لو أنّ أمّتى صاموا حتى يكونوا كالحنايا و صلّوا حتى يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكبهم الله فى النار»  
«٥».

و فى الصحيح على شرط الشيخين مرفوعاً: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّنى و من أبغض عليّاً فقد أبغضنى» «٦».

و فى المستدرک على الصحيحين للحاكم «٧» (٣ / ١٣٥) مرفوعاً: «يا علىّ طوبى لمن أحبّك و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب فيك».

و فى حديث مرفوعاً: أرسل رسول الله الأنصار، فأتوه، فقال لهم: «يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا علىّ فأحبّوه بحبّى، و أكرموه بكرامتى، فإنّ جبريل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عزّ و جلّ» «٨».

و فى حديث مرفوعاً: «إنّ عليّاً راية الهدى، و إمام أوليائى، و نور من أطاعنى، و هو الكلمة التى ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّنى، و من أبغضه أبغضنى» «٩».

---

(٥). مرّت هذه الأحاديث بمصادرها فى الجزء الثانى: ص ٣٠١، ٣٠٢. (المؤلف)

(٦). المستدرک للحاكم: ٣ / ١٣٠ [٣ / ١٤١ ح ٤٦٤٨]. (المؤلف)

(٧). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٤٥ ح ٤٦٥٧.

(٨). حلية الأولياء لأبى نعيم: ١ / ٦٣. (المؤلف)

(٩). حلية الأولياء: ١ / ٦٧. (المؤلف)

ص: ٣٦٥

و فى مرفوع: «ألا من أبغض هذا - يعنى عليّاً - فقد أبغض الله و رسوله، و من أحبّ هذا فقد أحبّ الله و رسوله».

و فى حديث مرفوعاً: «هذا جبريل يخبرنى أنّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليّاً فى حياته و بعد موته، و أنّ الشقى كلّ الشقى من أبغض عليّاً فى حياته و بعد موته».

إلى أحاديث مرّت فى الجزء الثالث (ص ٢٦).

و قبل هذه كلها قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) «١». وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) «٢». وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) «٣». راجع الجزء الثانى فيما ورد فى هذه الآيات الكريمة.

و لا تنسَ دعاء النبىِّ الأعظم يوم الغدير فى ذلك المحتشد الرحيب

بقوله: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً، و من أبغضه فكن له مبغضاً».

و فى لفظ: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و أحب من أحبه، و ابغض من أبغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله».

و فى لفظ: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و أعن من أعانه، و أحب من أحبه».

و فى لفظ: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و أحب من أحبه، و ابغض

---

(١). الشورى: ٢٣.

(٢). مريم: ٩٦.

(٣). البينة: ٧.

ص: ٣٦٦

من أبغضه، و انصر من نصره، و أعز من أعزه، و أعن من أعانه».

و هناك ألفاظ أخرى مرّت فى الجزء الأوّل من كتابنا هذا.

فعبداً لله بن شقيق أخذاً بمجامع تلکم النصوص شهادة الله و رسوله، منافق شقى عدوّ لله و لرسوله يبغضه المولى سبحانه، لا خير فيه و لا فى حديثه، لا يقبل قوله و لا يصدق فى روايته، أتعس الله خيره و جدع أنفه، و أكبه على منخره يوم القيامة فى نار جهنّم. دع الحفاظ يقولون: ثقة من خيار المسلمين.

٧- أخرج أحمد فى المسند «٤» (٣٥، ٣٣ / ٥) من طريق عبد الله بن شقيق البصرى، قال: حدّثنى هرم بن الحارث و أسامة بن خزيم، عن مرّة البهزى، قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى طريق من طرق المدينة، فقال: كيف تصنعون فى فتنة تنور فى أقطار الأرض كأنها صياصى بقر؟ قالوا: نصنع ما ذا يا رسول الله؟ قال: عليكم هذا و أصحابه - أو: اتبعوا هذا و أصحابه - قال: فأسرعت حتى عييت فأدرکت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا. فإذا هو عثمان بن عفان. فقال: هذا و أصحابه.

عرفت عبد الله بن شقيق، وأنه منافق لا يُؤخذ بحديثه ولا يُعول عليه إن صدقنا النبي الأقدس فيما جاء به.

٨- أخرج أحمد في المسند «٥» (٧٥ / ٦)؛ من طريق فرج بن فضالة، بإسناده عن عائشة، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا عائشة لو كان عندنا من يحدثنا، قالت: قلت: يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت، ثم قال: لو كان عندنا من يحدثنا، فقلت: ألا أبعث إلى عمر، فسكت، قالت: ثم دعا وصيفاً بين يديه فسارّه فذهب،

(٤). مسند أحمد: ٦ / ١٠ ح ١٩٨٤٠ و ١٣ ح ١٩٨٥٩.

(٥). مسند أحمد: ٧ / ١١١ ح ٢٣٩٤٥.

ص: ٣٦٧

قالت: فإذا عثمان يستأذن، فأذن له، فدخل فواجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم قال: يا عثمان إن الله عزّ وجلّ ممصك قميصاً فإن أرداك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة. يقولها له مرتين أو ثلاثاً. وأخرجه الحاكم في المستدرک «١» (١٠٠ / ٣) من طريق فرج بن فضالة وقال: هذا حديث صحيح على الإسناد ولم يخرجاه. وعقبه الذهبي في تلخيصه فقال: أنى له الصحة ومداره على فرج بن فضالة؟

أقول: فرج بن فضالة متفق على ضعفه وعدم الاحتجاج به، وستوافيك ترجمته في الحديث ال (١٧) من مناقب عثمان في هذا الجزء إن شاء الله.

وأخرج أحمد في مسنده «٢» (٥٢ / ٦) من طريق قيس بن أبي حازم، عن أبي سهلة مولى عثمان، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ادعوا لى بعض أصحابى، قلت: أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر، قال: لا، قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا، قلت: عثمان، قال: نعم، فلما جاء قال: تنحى، جعل يسارّه و لون عثمان يتغيّر، فلما كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلىّ عهداً وإنى صابر نفسى عليه.

وأخرجه «٣» أبو نعيم في الحلية (٥٨ / ١)، و الحاكم في المستدرک (٩٩ / ٣)، و أبو عمر في الاستيعاب (٢ / ٤٧٧)، و ذكره ابن كثير في تاريخه (٢٠٥ / ٦) نقلًا عن أحمد و الأسانيد كلّها تنتهى إلى قيس بن أبي حازم، قالوا: كان يحمل على على صلى الله عليه وآله وسلم، و قال ابن حجر: و المشهور عنه أنه كان يقدم عثمان و لذلك تجنّب كثير من قدماء الكوفيين الرواية عنه، و كبر قيس حتى جاوز المائة بسنين كثيرة حتى خرف و ذهب عقله.

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٠٦ ح ٤٥٤٤، و كذا في تلخيصه.

(٢). مسند أحمد: ٧ / ٧٨ ح ٢٣٧٣٢.

(٣). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ١٠٦ ح ٤٥٤٣، الاستیعاب: القسم الثالث / ١٠٤٣ رقم ١٧٧٨، البداية و النهاية: ٧ / ٢٠٢ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٣٤٨

تهذيب التهذيب «١» (٨ / ٣٨٨).

لنا أن نوافق الكوفيّين على تجنّب الرواية عن قيس المتحامل على مولانا أمير المؤمنين إن أتبعنا الرسول الأمين في النصوص المذكورة قبيل هذا (ص ٢٦٧ - ٢٦٩) ولا يسوغ لأىّ باحث أن يعول على رواية منافق شقىّ خرف و ذهب عقله، و قد مرّ عن ابن أبى الحديد في صفحة (ص ٧٣) من هذا الجزء قوله: و قد طعن مشايخنا المتكلّمون في قيس و قالوا: إنه فاسق و لا تُقبل روايته.

٩- أخرج ابن عدى «٢»؛ عن أبى يعلى، عن المقدّمى محمد بن أبى بكر، عن أبى معشر يوسف بن يزيد البراء البصرى، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن عثمان: أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أسرّ إليه أنّه يُقتل ظلماً «٣».

زيّفه ابن عدى كما فى لسان الميزان، و عدّه من أحاديث عمر بن أبان التى كلّها غير محفوظة، و أبان بن عثمان لم يسمع من أبيه كما قاله أحمد بن حنبل فكيف بعمر بن أبان، و سنوقفك على ترجمة أبى معشر و إبراهيم بن عمر فى المنقبة الثالثة من مناقب عثمان و أنّهما لا يعول عليهما و لا يصحّ حديثهما.

١٠- ذكر الذهبى فى الميزان «٤» (١ / ٣٠٠) من طريق أنس مرفوعاً: يا عثمان إنك ستلى الخلافة من بعدى و سيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها، و صمّ ذلك اليوم فطفر عندى.

قال الذهبى: فى سنده خالد بن أبى الرحال الأنصارى عنده عجائب، قال ابن حبان «٥»:

---

(١). تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٤٦.

(٢). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٥ / ٥٧ رقم ١٢٣٢.

(٣). لسان الميزان: ٤ / ٢٨٢ [٤ / ٣٢٥ رقم ١٦٦٢]. (المؤلف)

(٤). ميزان الاعتدال: ١ / ٦٣٩ رقم ٢٤٥٩.

(٥). كتاب المجروحين ١ / ٢٨٤.

ص: ٣٤٩

لا يجوز الاحتجاج به. وفي لسان الميزان «١» (٦/ ٧٩٤) قال: أبو حاتم «٢»: ليس بالقوى.

نظرة في أحاديث العهد

هذه سلسلة روايات أصفق على وضعها دجالون تتراوح أسانيدھا بين أموى و شامى و بصرى، و بين عثمانى متحامل على سيّد العترة، و بين أناس آخرين من ضعيف إلى كذاب إلى متروك إلى ساقط. على أن متونها أكثر علماً من أسانيدھا فإنّ الخضوع لصحّتها يستدعى الوقعة في الصحابة كلّهم؛ لأنّ المنصوص عليه في غير واحد منها أن الذين أجلبوا على عثمان و أرادوا خلعه أناس منافقون، و في بعضها: فإنّ عثمان يومئذٍ و أصحابه على الحقّ، و عليكم بالأمين و أصحابه. و قد علمت أن المتجمهرين عليه هم الصحابة كلّهم المهاجرون منهم و الأنصار ما خلا ثلاثة: زيد بن ثابت، حسان بن ثابت، أسيد الساعدى. أو: هم و كعب بن مالك، و أناس من زعانفة الأمويين، و أين هذا من الاعتقاد بعدلهم جمعاء كما عند القوم؟ و من الخضوع لجلالة كثيرين منهم الذين علمت منهم نواياهم الصالحة، و أعمالهم البارّة، و النصوص النبويّة الصادرة فيهم، و ثناء الله تعالى عليهم فى كتابه الكريم كما عند الأمة أجمع؟

ثمّ إنّ عثمان و إن كان يتظاهر بامتنال الأمر الموجود فى هذه الروايات و غيرها بالصبر و عدم القتال، غير أن عمله كان مبيناً لذلك لمكاتبته إلى الأوساط الإسلاميّة يستجلب منها الجيوش لمقاتلة أهل المدينة، و يرى قتالهم قتال الأحزاب يوم بدر، و ينصّ على أن القوم قد كفروا، فلو اتّصلت به كتاب الأمداد يومئذٍ لألقحها حرباً زبوناً و فتنة عمياء، و إنّما كان ينكص عن النضال لإعواز الناصر لإصفاق الصحابة عليه عدا أولئك الثلاثة و ما كانوا يغنون عنه شيئاً، و لا سيّما حسان بن ثابت الذى لم يكن يجسر أن يأخذ سلب القتييل الذى قتلتته امرأة «٣».

(١). لسان الميزان: ٧/ ٤٦٩ رقم ٥٤٥٤.

(٢). الجرح و التعديل: ٧/ ٢٤٢ رقم ١٣٢٧.

(٣). راجع الجزء الثانى من كتابنا هذا: ص ٦٤. (المؤلف)

ص: ٣٧٠

على أنّه لم يتقاعد عن المقاتلة أيضاً بمن كان معه من حنالة بنى أميّة فقد بذلوا كلّ ما حووه من بسالة و شجاعة، غير أنّ القضاء الحاتم أخزاهم و حال بينهم و بين النجاح، إلى أن لجأوا إلى أمّ حبيبة فجعلتهم فى كندوج ثمّ خرجوا من المدينة هاربين.

ثمّ هبّ أن عائشة كانت نسيت ما روته حين ألّبت الجماهير على عثمان و أمرت بقتله و سمّته نعتاً كافراً، فهل بقيّة الرواة و هم: عبد الله بن عمر و أبو هريرة و مرّة البهزى و عبد الله بن حوالة و أبو سهلة و أنس أصفقوا معها على النسيان؟ أو أنّهم ما كانوا يروونها يومئذٍ ثمّ اقتضت الظروف أن يرووها؟ أو أنّها اختلقت بعدهم على ألسنتهم؟

و لو كان لهذه الكلمات المعزوة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - من قوله: عليكم بالأمين وأصحابه، وقوله: أتبعوا هذا وأصحابه، وقوله: أتبع هذا الرجل فإنه يومئذٍ ومن أتبعه على الحق - مقيلاً من الصحة لاستدعى أن يفيضها على الصحابة كلهم، لأن قضيتها أن تلك الفتنة الموعود بها من الفتن المضلة، وأن عثمان عندئذٍ في جانب الحق، وما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالذي يشح على أمته بالإرشاد إلى ما فيه هدايتهم وصلاحهم الديني، وهو مقيض لذلك ومبعوث لأجله، فلما ذا لم يروها غير هؤلاء؟ ولا عرفها غيرهم ولو بوساطتهم؟ وهل كان إلقاؤها عليهم مسارة لا يطلع عليها أحد؟ و لما ذا ترك هؤلاء الاحتجاج بها يوم الدار؟ وفي القوم - وهم الأكثرون - من إن يسمع بها لا يتباطأ عن الخضوع للأمر النبوي المطاع.

(أ) فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (١)، (إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) «٢».

(١). المؤمنون: ٦٨.

(٢). سورة ص: ٧.

ص: ٣٧١

نظرة في مناقب عثمان

الواردة في الصحاح والمسائيد

إلى هنا سبرنا صحيفة من حياة عثمان ولا أدري أهي بيضاء أم غيرها؟ لكن الباحث الممعن فيها يوقفه التنقيب على نفسياته و مقداره، والغاية من هذا الإسهاب أن نجعل نتيجة هذا الخوض والبحث مقياساً في أمره نرد إليه كل ما يؤثر في حقه فإن ساوى المقياس أثبتناه، وإن طاله أو قصر عنه عرفنا أنه من الغلو في الفضائل.

وما سردنا إلى هنا من دعارة في الخلق، و عرامة في الطباع، و عرارة في الشكيمة، و شرّة في الغرائز، و فظاظّة في الأعمال، و تعسف في الحكم، و أتباع للشهوات، و ميل عن الحق، و دناءة في النفس، و سقطّة في الرأي، و سرف في القول، إلى الكثير المتوفر من أمثال هذه ممّا لا تحمد فعليته و لا عقباه، لا يدع الباحث أن يخضع لشيء ممّا قيل أو تقوّل فيه من الفضل قويت أسانيده أو وهنت.

كما أن آراء الصحابة الأولين التي زفناها إلى مناظرک في هذا الجزء من صفحة (٦٩ - ١٦٨) لا تدع مجالاً للبحث عن صحّة تلکم المفتعلات فضلاً عن إثباتها، و أنّک تجد في مرسلها أو مسندها لفائف من زبانية الميول و الأهواء من بصرى أو شامى أنهموا أسانيدهم في الغالب إلى موالى عثمان أو إلى رجال بيته الساقط، و ذلك ممّا يُعطى أنّها من صنائع معاوية للخليفة المقتول الذى اتخذ أمره سلماً إلى ما كان يبتغيه من المرتقى، و كان معاوية يهب القناطير المقطرة لوضع الأحاديث في فضائل أبناء بيته

الشجرة المنعوتة في القرآن، من بنى أمية عامة، و من آل أبي العاص خاصة، أضف إلى ذلك ما يكتنف أغلب تلك المتون من الموهنات التي لا يقاومها أيّ تمحلّ في تصحيحها.

ص: ٣٧٢

و إليك نبذة من تلکم الموضوعات:

١- أخرج مسلم و أحمد من طريق عُقيل الأمويّ، عن الليث العثماني «١»، عن يحيى بن سعيد الأمويّ، عن سعيد بن العاص ابن عمّ عثمان، عن عائشة و عثمان قالا: إنّ أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو مضطجع على فراشه، لابس مرط «٢» عائشة، فأذن لأبي بكر و هو كذلك، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف، ثمّ استأذن عمر، فأذن له و هو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف، قال عثمان: ثمّ استأذنت عليه فجلس و قال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك. فقضيت إليه «٣» حاجتي ثمّ انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله؟ ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر و عمر كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ عثمان رجل حيي «٤» و إنّى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته «٥».

٢- أخرج مسلم و غيره من طريق عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له و هو على تلك الحال فتحدّث. ثمّ استأذن عمر فأذن له و هو كذلك فتحدّث. ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و سوى ثيابه، فلمّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتس له و لم تُباله، ثمّ دخل عمر فلم تهتس له و لم تُباله، ثمّ دخل عثمان فجلست

---

(١). ورد سند الحديث في صحيح مسلم، و مسند أحمد هكذا: عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن سعيد بن العاص ....

(٢). المرط: كساء من صوف أو كتان.

(٣). و في أحد ألفاظ أحمد: فقضى إليّ حاجتي.

(٤). حيي كغنى: ذو حياء. و في شرح مسلم: أي كثير الحياء. (المؤلف)

(٥). صحيح مسلم: ٧/ ١١٧ [٥/ ١٨ ح ٢٧ كتاب فضائل الصحابة]، مسند أحمد: ١/ ٧١ و ٦/ ١٥٥، ١٦٧ [١/ ١١٤ ح ٥١٦ و ٧/ ٢٢٢ ح ٢٤٦٩ و ٢٣٩ ح ٢٤٨١١]. (المؤلف)

ص: ٣٧٣

و سوّيت ثيابك.

فقال: ألا أستحيى من رجل تستحي منه الملائكة «١».

و أخرج البخارى «٢» فى مناقب عثمان حديثاً، و قال فى ذيله: زاد عاصم: أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان قاعداً فى مكان فيه ماء، قد كشف «٣» عن ركبتيه أو ركبته - فلما دخل عثمان غطّاهما. قال ابن حجر فى فتح البارى «٤» (٧/ ٤٣): قال ابن التين: أنكر الداودى هذه الرواية و قال: هذه الرواية ليست من هذا الحديث بل دخل لرواتها حديث فى حديث، و إنّما ذلك الحديث: إنّ أبا بكر أتى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و هو فى بيته قد انكشف فخذه فجلس أبو بكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل عثمان فغطّاهما. الحديث.

قال الأمينى: الحياء هو انقباض النفس عمّا لا يلائم خطّة الشرف من الناحية الدينيّة أو الإنسانيّة، و أصله فطرى للإنسان، و كماله اكتسابى يتأتّى بالإيمان، فهو يتدرّج فى الرقىّ بتدرّج الإيمان و المعرفة، فتنتهى إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبهما التورّط فى المخازى كلّها، فيكون بها الإنسان محدوداً فى أفعاله و تروكه و شهواته و ميوله، و تنبسط تلکم الحدود على الأعضاء و الجوارح و على النفس و العقل فلا يسع أيّاً منها الخروج عن حدّه،

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الاستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس و ما وعى، و البطن و ما حوى، و تذكر الموت و البلى» «٥».

فكلّ عمل خارج عن حدود الدين و الإنسانيّة منافٍ للحياء، و هو الرادع الوحيد عن الفحشاء

---

(١). مسند أحمد: ٦/ ٤٢ [٧/ ٩٢ ح ٢٣٨٠٩]، صحيح مسلم: ٧/ ١١٦ [٥/ ١٨ ح ٢٤ كتاب فضائل الصحابة]، مصابيح السنّة: ٢/ ٢٧٣ [٤/ ١٦٤ ح ٤٧٤٨]، الرياض النضرة: ٢/ ٨٨ [٣/ ١٢]، تاريخ ابن كثير: ٧/ ٢٠٢ [٧/ ٢٢٧ حوادث سنة ٣٥ هـ].  
(المؤلف)

(٢). صحيح البخارى: ٣/ ١٣٥١ ح ٣٤٩٢.

(٣). فى المصدر: قد انكشف.

(٤). فتح البارى: ٧/ ٥٥.

(٥). أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح [٤/ ٥٥٠ ح ٢٤٥٨] و المنذرى فى الترغيب و التهيب: ٣/ ١٦٦ [٣/ ٤٠٠ ح ١٣].  
(المؤلف)



و المنكر، و عن كلِّ ما يلوّث ذيل الإنسانيّة و العفّة و الإيمان من صغيرة أو كبيرة، و من لم يستحّ فله أن يفعل ما يشاء، و

جاء في النبويّ على المحدثّ به و آله السلام: «إذا لم تستحّ فاصنع - فافعل - ما شئت» «١».

و على هذا فكلّ من الفحش و البذاء و الكذب و الخيانة و الغدر و المكر و نقض العهد و التخلّع و المجون و ما يجرى مجراها أزداد للحياء، و قد وقع التقابل بينها و بينه في لسان المشرّع الأعظم منها

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «الحياء من الإيمان و الإيمان في الجنّة، و البذاء من الجفاء و الجفاء في النار» «٢».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «الحياء و العيّ من الإيمان و هما يقربان من الجنّة و يباعدان من النار، و الفحش و البذاء من الشيطان و هما يقربان من النار و يباعدان من الجنّة».

أخرجه الطبراني «٣» كما في الترغيب و الترهيب (٣/ ١٦٥).

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا عائشة لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً، و لو كان الفحش رجلاً كان رجلاً سوء».

رواه «٤» الطبراني و أبو الشيخ كما في الترغيب و الترهيب (٣/ ١٦٦).

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما كان الفحش في شيء إلّا شأنه، و ما كان الحياء في شيء إلّا زانه».

---

(١). أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه [٥/ ٢٢٤٨ ح ٥٧٦٩]. (المؤلف)

(٢). قال المنذري في الترغيب و الترهيب: ٣/ ١٦٥ [٣/ ٣٩٨ ح ٥]: أخرجه أحمد [في مسنده: ٣/ ٢٩٤ ح ١٠١٣٤] و رجاله رجال الصحيح، و الترمذي [في سننه: ٥/ ١٢ ح ٢٦١٥]، و ابن حبان في صحيحه [٢/ ٣٧٣ ح ٦٠٨]، و قال الترمذي: حديث حسن صحيح. (المؤلف)

(٣). المعجم الكبير: ١٨/ ١٧٨ ح ٤٠٩، الترغيب و الترهيب: ٣/ ٣٩٨ ح ٦.

(٤). المعجم الصغير: ١/ ٢٤٠، الترغيب و الترهيب: ٣/ ٣٩٩ ح ٨.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقْتًا مَمَقَّتًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقْتًا مَمَقَّتًا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ، فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مَخُونًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مَخُونًا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ، فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا نَزَعَتْ مِنْهُ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ».

أخرجه «٢» ابن ماجة كما فى الترغيب و الترهيب (١٦٧ / ٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحياء لا يأتى إلّا بخير» «٣».

وقال المناوى فى شرحه فى فيض القدير (٣ / ٤٢٧): لأنّ من استحيا من الناس أن يروه يأتى بقييح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربّه أشدّ فلا يضيع فريضة، و لا يرتكب خطيئة، قال ابن عربى: الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنّه فعله، و المؤمن يعلم بأنّ الله يرى كلّ ما يفعله، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، و بأنّه لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤدّيه إلى ترك ما يخجل منه، و ذلك هو الحياء فمن ثمّ لا يأتى إلّا بخير.

وقال: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، و يمنع من التقصير فى حقّ الغير، و قال بعض الحكماء: من كسا «٤» الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

---

(١). سنن ابن ماجة: ٢ / ١٤٠٠ ح ٤١٨٥، سنن الترمذى: ٤ / ٣٠٧ ح ١٩٧٤.

(٢). سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٤٧ ح ٤٠٥٤، الترغيب و الترهيب: ٢ / ٤٠٠ ح ١٤.

(٣). أخرجه البخارى [فى صحيحه: ٥ / ٢٢٤٧ ح ٥٧٦٤]، و مسلم [فى صحيحه: ١ / ٩٣ ح ٦٠ كتاب الإيمان]، و ابن ماجة، و المنذرى [فى الترغيب الترهيب: ٣ / ٣٩٧ ح ٢]. (المؤلف)

(٤). لعل الصحيح: من كساه الحياء ثوبه. (المؤلف) [و صحيح أيضاً ما ذكر فى المتن، فيكون الضمير العائد على الاسم الموصول محذوفاً - أى الهاء - فهو من قبيل: (فمنهم من هدى الله)].

ص: ٣٧٤

إذن هلمّ معى لنسبر حياة الخليفة - عثمان - علنا نجد فيها ما يصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يُكفّتنا الإياس منها بخفى حنين، فارجع البصر كرّتين فيما سردناه من أفعال الخليفة و تروكه و محاوراته و أقواله، ثمّ انظر هل تجد فى شيء منها ما يدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحيا الناس، أو أشدّ الأُمَّة حياءً، أو تستحيى منه الملائكة؟

أ يصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: واللّه ما أنت عندى أفضل من مروان؟ هلّا كان يعلم أنّ اللّه عدّ عليّاً فى كتابه نفس النّبىّ الأقدس و قد طهّره بنصّ الذكر الحكيم، و مروان طريد ابن طريد، وزغ ابن وزغ، لعين ابن لعين؟ راجع الجزء الثامن (ص ٢٦٠).

أو اتّهامه ذلك الإمام الطاهر سيّد العترة بكتاب كتبه هو فى قتل محمد بن أبى بكر و أصحابه و تعذيبهم و تنكيلهم، فينكر ما كتب و يقول له عليه السلام: اتّهمك و اتّهم كاتبى مروان؟!

أو قوله للإمام عليه السلام: لئن بقيت لا أعدم طاعياً يتّخذك سلماً و عضداً و يعدّك كهفاً و ملجأً؟ أو قوله له عليه السلام لمّا كلفه فى أمر عمّار و نفيه إيّاه: أنت أحقّ بالنفى منه؟

أو قوله لأصحابه مروان و من كان على شاكلته يستشيرهم فى أمر أبى ذر: أشيروا عليّ فى هذا الشيخ الكذاب إمّا أن أضربه أو أحبسّه أو أقتله؟ و ملء مسامع الصحابة

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما أظلت الخضراء، و ما أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر»

، إلى كلمات أخرى له صلى الله عليه و آله و سلم فى الثناء عليه. راجع الجزء الثامن (ص ٣١٢).

أو قوله لعمار لمّا سمع منه - رحم الله أبا ذر من كلّ أنفستا-: يا عاضّ أير أبيه أ ترانى ندمت على تسييره؟! و أمر فدفع فى قفاه، و عمّار كما عرفته فى هذا الجزء

ص: ٣٧٧

(ص ٢٠ - ٢٨) جلدة ما بين عيني رسول الله و أنفه، و هو الطيب المطيب، ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، اختلط الإيمان بلحمه و دمه، يدور مع الحقّ حيث دار، و قد جاء الثناء عليه فى الذكر الحكيم.

إذا كان حقّاً ما يدّعيه عثمان لنفسه «١» من أنّه لم يمسّ فرجه قطّ بيمينه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تشريفاً ليد النّبىّ الكريمة. فليت شعرى لما ذا طفق يلوك بلسانه اسم أير ياسر أبى عمّار؟ و طالما لهج بأحاديث النبوّة به، و رتل كتاب الله ترتيلاً، أما كان عليه أن يكفّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب و السنّة، كما ادّعى كلاءة نفسه عن مسّ فرجه كرامة ليد النبوّة؟ إن لم يُداحمنا «٢» هنالك من يُنكر دعواه فى اليد قياساً على ما شوهد منه فى اللسان مرّة بعد أخرى.

أ يصلح شاهداً لذلك قوله على صهوة المنبر بين ملأ المسلمين فى ابن مسعود لمّا قدم المدينة: ألا إنّّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشى على طعامه يقىء و يسلمح؟ و ابن مسعود أحد الذين أطراهم الكتاب العزيز، و كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هدياً و دلاً و سمتاً. راجع ما مرّ فى هذا الجزء (ص ٣ - ١١).

أو قوله لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق «٣»؟ و هو أحد العشرة المبشرة فيما يحسبون.

أو قوله لصعصعة بن صوحان: البجياج النفاج؟ و هو ذلك السيّد الخطيب الفصيح الدّين. كما مرّ في (ص ٤٣) من هذا الجزء.

أو شتمه المغيرة بن الوليد المخزومي لما دافع عن عمّار حينما ضربه عثمان حتى غُشى عليه؟

---

(١). يأتي حديثه بتمامه. (المؤلف)

(٢). الدحم: الدفع الشديد، و داحمه: دافعه بشدة.

(٣). السيرة الحلبية: ٨٧ / ٢ [٧٨ / ٢]، الصواعق: ص ٤٨ [ص ١١٤]. (المؤلف)

ص: ٣٧٨

أو قوله في كتابه إلى معاوية: إنّ أهل المدينة قد كفروا؟ أو قوله في كتاب آخر له: فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد؟ و هو يريد الأنصار الذين آووا و نصروا، و المهاجرين الذين صدّقوا و اتّبَعوا، و هم الذين يحسب أتباع الخليفة أنّ كلّهم عدول، و لم يكن بينهم متخلّف عن النعمة عليه إلّا ثلاثة أو أربعة حفظ التاريخ ترجمة حياتهم الموصومة.

أو قوله في كتابه إلى الأشتر و أصحابه: إنّني قد سبّرتكم إلى حمص، فإنّكم لستم تألون الإسلام و أهله شرّاً؟

أو قوله المائن على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا أنّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم؟ يقول ذلك بعد ما عهد على نفسه أن يعمل بالكتاب و السنّة، و كتب بهذا كتاباً و شهد عليه أمة من الصحابة بعد ما اعترف بهناته بين المالأ أو أظهر الندامة منها و تاب عنها و لذلك كلّ رجع المصريون و غيرهم من التائرین عليه إلى بلادهم، و كان يحنث عهده و ينقض توبته بتبليس أبالسته مروان و نظرائه، فهل يفعل مثل هذا من تردّى بأبراد الحياء؟

أو مقارفته ليلة وفاة أمّ كلثوم كريمة النبيّ الأقدس؟ و كان ذلك ممقوتاً جدّاً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى إنّهُ ألمح إليه

بقوله: «هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟»

فمنعه بذلك عن دفن حليلته، و ألصق به هوان الأبد.

أو ترّبعه على صهوة منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما استخلف؟ و كان أبو بكر يجلس دون مقامه صلى الله عليه و آله و سلم بمرقاة ثمّ عمر دونه بمرقاة، و كان من حقّ عثمان الذي كان أشدّ حياءً من صاحبيه أن لا يظأ ذلك المرتقى، و أن يتّبع - و لا أقلّ - سيرة الشيخين في الحياء و الأدب، لكنّه....

أو مخالفته الكتاب و السنّة؟ كما كتب المهاجرون الأوّلون و بقيّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة و التابعين: أن تعالوا إلينا و تداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلبها أهلها فإنّ كتاب الله قد بُدّل، و سنّة رسوله قد غُيّرت «١». و كتبوا إلى الصحابة فى الثغور: إنّ دين محمد قد أفسده من خلفكم و ترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و رفعت عائشة نعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هى تقول: تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل. و تقول: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبل بعد. و تقول: عثمان قد أبلى سنّة رسول الله. و تقول: اقتلوا نعتلًا، قتل الله نعتلًا إنّه قد كفر. إلى كلمات أخرى لها و لغيرها فى مخالفة الرجل الكتاب و السنّة.

أو إعرابه عن تلکم الآراء الشاذّة عن الكتاب و السنّة فى الصلاة و الصلّات و الصدقات و الأخماس و الزكوات و الحجّ و النكاح و الحدود و الديات بلهجة شديدة بمثل قوله: هذا رأى رأيته؟ و قوله: لناخذنّ حاجتنا من هذا الفىء و إن رغمت أنوف أقوام، هذا مال الله أعطيه من شئت و أمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم.

فقال له على: «إذن تُمنع من ذلك و يحال بينك و بينه».

و قال عمّار: أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك. أو قال: أنا و الله أول من رغم أنفه من ذلك.

راجع صفحة (١٥) من هذا الجزء.

أو حتّاه الناس على الأخذ بتلکم الآراء المنتهية عن ناموس الإسلام المقدّس حتى

قال له أمير المؤمنين، لمّا قال له عثمان: لا ترانى أنهى الناس عن شىء و تفعله أنت، «و لم أكن لأدع سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقول أحد من الناس» أو قال له: «لم أكن لأدع قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقولك»

و كاد أمير المؤمنين يُقتل من جرّاء تلك الأحذوثة؟ مرّ حديثه فى (٦/ ٢١٩ و ٨/ ١٣٠).

و قد فتح بذلك باب الجرأة على الله و التقوّل عليه بمصراعيه، فجاء بعده معاوية

(١). راجع ما مرّ: ص ١٦٢ من هذا الجزء. (المؤلف)

و مروان و أبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدوامة «١».

أو إيواؤه عبيد الله بن عمر لما قتل نفوساً أبرياء ولم يقتص منه و نقم عليه بذلك جل الصحابة - لو لم نقل كلهم - ممن يأبه به و برأيه؟

أو تعطيله الحدّ على الوليد بن عقبة لرحمه و قرابته منه و قد شرب الخمر و قاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة، حتى وقع التحاوور و التحارش بين المسلمين، و احتدم الحوار و المكالمة و تضاربوا بالنعال؟ مرّ في الجزء الثامن (ص ١٢٠ - ١٢٥).

أو تسليطه بنى أمية رجال العيث و الفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس و نواميس الإسلام المقدّسة و توطيده لهم الملك العضوض، و تأسيسه بهم حكومة أموية غاشمة في الحواضر الإسلامية؟ كما فصلنا القول فيه في الجزء الثامن (ص ٢٨٨ - ٢٩٢).

أو رده إلى المدينة و إيواؤه عمّه و أبناءه و كان قد طردهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من أولئك الأدناس الأرجاس؟

أو تفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك، و تطوره في سياسة العباد بتقلباته؟ كأن بيده مقاليد أمور الأمة حتى

قال له مولانا أمير المؤمنين: «أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحويلك عن دينك و عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به؟». و قال: «ما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بإفساد دينك و خديعتك عن عقلك، و إنى لأراه سيوردك ثمّ لا يُصدرك».

أو كتابه إلى ولاته في قتل صلحاء الأمة و حبسهم و تنكيلهم و تعذيبهم؟

أو تسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان من

---

(١). لعبة من خشب يلفّ الصبيّ عليها خيطاً ثمّ ينفذه بسرعة فتدوم أى تدور على الأرض. و فى اللغة الدارجة: مرصع، و شاختة. (المؤلف)

ص: ٣٨١

معتقل إلى معتقل، و نفيهم عن عقر دورهم من المدينة و البصرة و الكوفة، و إيذاؤهم بكلّ ما يمكنه من ضرب و وقيعه و تنكيل؟

كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

مشردّين نفوا عن عقر دارهمُ

حتى هلك في تسييره سيّد غفار أبو ذر الصديق المصدق بعد ما تسلّخ لحم أفخازه من الجهد في تسييره.

هذه نبذ يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطى الباحث الممعن فيها للنصفة حقّها، فيصدق السائل في جوابه، فهل يجد في شيء منها دلالة على تلعّف الرجل بشيء من أبراد الحياء؟ أو يجدها أدلّة واضحة على فقدته لهاتيک الملكة الفاضلة، و يجده متردياً بضدّ هذه الغريزة في كلّ تلکم الأحوال؟ و على هذه فقس ما سواها.

على أنّ أبا بكر كان أولى بالاستحياء منه إن صحّ ما مرّ في الجزء السابع (ص ٢٤٨) من رواية استحياء اللّٰه منه، و تكذيبه نبيّه استحياء من أبي بكر «١»، فكيف لم يهتسّ صلى الله عليه و آله و سلم له و لم يُيال به و يهتسّ لعثمان؟

لنا كرتة ثانية لرواية الحياء من ناحية أخرى، فإنّ مختلق هذه الأفيكة أعشاه الحبّ المعمي و المصمّ حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أنّ لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم - و العياد باللّٰه - حيث نسب إليه صلى الله عليه و آله و سلم الكشف عن أفخازه بمنتديّ من صحابته غير مكترث لحضورهم حتى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحي منه و سترها، و نحن نقول أوّلًا: إنّ هذا الفعل ممّا لا يرتكبه عظماء الناس و رجالات الأمم و إنّما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذئاب الأعراب، فنبىّ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره، و يُزرى بالبحر في

---

(١). من المخازي المفتعلة كما مرّ تفصيله. (المؤلف)

ص: ٣٨٢

معارفه، و كان كما وصفه أبو سعيد الخدرى أشدّ حياءً من العذراء في خدرها «١» و كان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. و قد أدّبه اللّٰه تعالى فلم يدع فيه من شائنة، و هدّبه حتى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) «٢»، لا يستسيغ ذو لبّ مؤمن به و بفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن.

على أنّ الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة و أمرت بسترها:

-١-

أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده «٣» (٥/ ٢٩٠)، بالإسناد عن محمد بن جحش ختن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم مرّ على معمر «٤» بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «خمر فخذك يا معمر فإنّ الفخذ عورة».

و في لفظ بإسناد آخر من طريق ابن جحش، قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و أنا معه على معمر و فخذه مكشوفتان، فقال: «يا معمر غطّ فخذك فإنّ الفخذ [ين] «٥» عورة».

و أخرجه البخارى «٦» بهذا الطريق و طريقى ابن عباس و جرهد فى صحيحه باب ما يذكر فى الفخذ (١ / ١٣٨) ثم ذكر من طريقى أنس أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم حسر عن فخذة، فقال: حديث أنس أسند، و حديث جرهد أحوط، و أخرجه من طريق ابن جحش فى تاريخه (١ قسم ١ / ١٢)، و أخرجه البيهقى فى سننه (٢ / ٢٢٨)، و الحاكم فى المستدرک «٧» (٤ / ١٨٠).

---

(١). أخرجه الشيخان: البخارى فى صحيحه باب صفة النبى: ٥ / ٢٠٣ [٣ / ١٣٠٦ ح ٣٣٦٩]، و مسلم فى صحيحه: ٧ / ٧٨ [٤ / ٤٨٨ ح ٦٧ كتاب الفضائل]. (المؤلف)

(٢). القلم: ٤.

(٣). مسند أحمد: ٦ / ٣٩٢ ح ٢١٩٨٨ و ٢١٩٨٩.

(٤). هو معمر بن عبد الله بن نضلة القرشى العدوى.

(٥). من المصدر.

(٦). صحيح البخارى: ١ / ١٤٥ باب ١١.

(٧). المستدرک على الصحيحين: ٤ / ٢٠٠ ح ٧٣٦١.

ص: ٣٨٣

قال ابن حجر فى الإصابة (٣ / ٤٤٨): أخرجه أحمد و الحاكم و صحّحه، و أخرجه ابن قانع من وجه آخر عن الأعرج عن معمر أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مرّ به و هو كاشف عن فخذة. الحديث.

و قال العسقلانى فى فتح البارى «١» (١ / ٣٨٠): رجاله رجال الصحيح غير أبى كثير، فقد روى عنه جماعة لكن لم أجد فيه تصريحاً بتعديل، و قد أخرج ابن قانع هذا الحديث من طريقه أيضاً. و وقع لى حديث محمد بن جحش مسلسلاً بالمحمدين من ابتدائه إلى انتهائه و قد أمليته فى الأربعين المتباينة.

و ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢ / ٥٢) عن أحمد و الطبرانى فى الكبير «٢»

فقال: رجال أحمد ثقات.



عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تُبرز فخذك - فخذيك - ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت».

أخرجه «٣»: البيهقي في سننه (٢/ ٢٢٨)، و الحاكم في المستدرک (٤/ ١٨٠)، و البزار كما في نيل الأوطار (٢/ ٤٨).

-٣-

عن جرهد الأسلمي قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عليّ بردة و قد انكشفت فخذى، فقال: «غَطَّ فخذك فإنّ الفخذ عورة».

أخرجه «٤»: البخارى في صحيحه كما سمعت تعليقا، و رواه مالك في الموطأ و أبو داود و أحمد و الترمذى و قال: حسن. و ذكره القسطلانى في إرشاد السارى عن مالك

---

(١). فتح البارى: ١/ ٤٧٩.

(٢). المعجم الكبير: ٢/ ٢٧١ ح ٢١٣٨.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ٤/ ٢٠٠ ح ٧٣٦٢، نيل الأوطار: ٢/ ٦٩.

(٤). صحيح البخارى: ١/ ١٤٥ باب ١١، سنن أبى داود: ٤/ ٤٠ ح ٤٠١٤، مسند أحمد: ٤/ ٥٢٦ ح ١٥٤٩٩، سنن الترمذى: ٥/ ١٠٣ ح ٢٧٩٨، إرشاد السارى: ٢/ ٣٢، الإحسان فى صحيح ابن حبان: ٤/ ٦٠٩ ح ١٧١٠، نيل الأوطار: ٢/ ٧١، المستدرک على الصحيحين: ٤/ ٢٠٠ ح ٧٣٦٠.

ص: ٣٨٤

و الترمذى فقال: و صحّحه ابن حبان، و ذكر الشوكانى فى نيل الأوطار (٢/ ٥٠) تصحيح ابن حبان إياه، و أخرجه البيهقى فى سننه (٢/ ٢٢٨) من طريقين، و الحاكم فى المستدرک (٤/ ١٨٠).

-٤-

عن ابن عباس: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل و فخذة خارجة، فقال: «غَطَّ فخذك، فإنّ فخذ الرجل من عورته».

أخرجه «١»: البخارى تعليقا كما مرّ، و رواه الترمذى و أحمد فى مسنده (١/ ٢٧٥)، و البيهقى فى سننه (٢/ ٢٢٨) فقال: قال الشيخ: و هذه «٢» أسانيد صحيحة يُحتجّ بها، و أخرجه الحاكم فى المستدرک (٤/ ١٨١).

أخرج الدارقطني في سننه «٣» من طريق عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوج أحدكم أمته عبده أو أجيده فلا ينظر إلى ما دون السرة و فوق الركبة، فإن ما تحت السرة إلى الركبة من العورة».

و أخرجه «٤»: أحمد في مسنده (١٨٧ / ٢) و لفظه: «فلا ينظرن إلى شيء من عورته فإنما أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته» و ذكره الزيلعي في نصب الراية (٢٩٦ / ١) نقلًا عن الدارقطني و أبي داود و أحمد و العقبلي فقال: و له طريق آخر عند

(١). التاريخ الكبير: ١ / ١٢ رقم ٢، سنن الترمذي: ٥ / ١٠٣ ح ٢٧٩٦ مسند أحمد: ١ / ٤٥٤ ح ٢٤٨٩، المستدرک علی الصحیحین: ٤ / ٢٠٠ ح ٧٣٦٣.

(٢). یعنی أسانید حدیث ابن جحش و جرهد و ابن عباس. (المؤلف)

(٣). سنن الدارقطني: ١ / ٢٣٠ ح ٢.

(٤). مسند أحمد: ٢ / ٣٨٧ ح ٦٧١٧، سنن أبي داود: ١ / ١٣٣ ح ٤٩٥، الضعفاء الكبير: ٢ / ١٦٨ رقم ٦٨٢، الكامل في ضعفاء الرجال: ٣ / ٦٠ رقم ٦١٠، إرشاد الساري: ٢ / ٣٣.

ص: ٣٨٥

ابن عدی فی الكامل. و أخرجه البيهقي في سننه (٢ / ٢٢٩) من أربعة طرق، و ذكره القسطلاني في إرشاد الساري (١ / ٣٨٩).

أخرج الدارقطني في سننه «١» (ص ٨٥)، و البيهقي في سننه (٢ / ٢٢٩) من طريق أبي أيوب مرفوعاً: «ما فوق الركبتين من العورة و ما أسفل من السرة من العورة».

و ذكره الزيلعي في نصب الراية (١ / ٢٩٧).

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمة الفقه و الفتيا و ذهبوا إلى أن الفخذ عورة، و هو رأى أكثر العلماء كما قال النووي «٢»، و الجمهور كما قاله القسطلاني و الشوكاني «٣»، قال ابن رشد في بداية المجتهد «٤» (١ / ١١١): ذهب مالك و الشافعي إلى أن حدّ العورة من الرجل ما بين السرة إلى الركبة، و كذلك قال أبو حنيفة. و قال قوم: العورة هما السواتان فقط من الرجل، و سبب الخلاف في ذلك أثران متعارضان كلاهما ثابت، أحدهما:

حديث جرهد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الفخذ عورة»

، والثاني: حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسر عن فخذيه وهو جالس مع أصحابه، ثم ذكر قول البخاري المذكور.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري «٥» (١ / ٣٨٩): قال الجمهور من التابعين وأبو حنيفة ومالك في أصح أقواله، والشافعي وأحمد في أصح روايته، وأبو يوسف ومحمد: الفخذ عورة. وذهب ابن أبي ذئب وداود وأحمد في إحدى روايته،

(١). سنن الدارقطني: ١ / ٢٣٠ ح ٥.

(٢). فتح الباري: ١ / ٣٨٢ [١ / ٤٨١]، نيل الأوطار: ٢ / ٤٩ [٢ / ٧٠]. (المؤلف) [و انظر شرح صحيح مسلم للنووي: ٩ / ٢١٩].

(٣). إرشاد الساري: ١ / ٣٨٩ [٢ / ٣٣]، نيل الأوطار: ٢ / ٥٠ [٢ / ٧١]. (المؤلف)

(٤). بداية المجتهد: ١ / ١١٧.

(٥). إرشاد الساري: ٢ / ٣٣.

ص: ٣٨٦

و الإصطخري من الشافعية وابن حزم إلى أنه ليس بعورة.

و في الفقه على المذاهب الأربعة «١» (١ / ١٤٢): أمّا عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سرّته وركبته، فيحلّ النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند أمن الفتنة. وفيه: قال المالكية والشافعية: إنّ عورة الرجل خارج الصلاة تختلف باختلاف الناظر إليه، فبالنسبة للمحارم والرجال هي ما بين سرّته وركبته، وبالنسبة للأجنبيّة منه هي جميع بدنه، إلّا أنّ المالكية استثنوا الوجه والأطراف وهي الرأس واليدان والرجلان، فيجوز للأجنبيّة النظر إليها عند أمن التلذّذ، وإلّا منع، خلافاً للشافعية فإنهم قالوا: يحرم النظر إلى ذلك مطلقاً.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار «٢» (٢ / ٤٩) بعد ذكر حديث عليّ أمير المؤمنين المذكور مرفوعاً: والحديث يدلّ على أنّ الفخذ عورة، وقد ذهب إلى ذلك العترة والشافعي وأبو حنيفة، قال النووي: ذهب أكثر العلماء إلى أنّ الفخذ عورة. وعن أحمد ومالك في رواية: العورة القبل والدبر فقط. إلى أن قال: والحق أنّ الفخذ من العورة، وحديث عليّ هذا، وإن كان غير منتهض على الاستقلال، ففي الباب من الأحاديث ما يصلح للاحتجاج به على المطلوب. وقال بعد ذكر حديث جرهد: الحديث من أدلّة القائلين بأنّ الفخذ عورة وهم الجمهور. انتهى.

هب أن النهى عن كشف الأفخاذ تنزيهياً إلا أنه لا شك في أن سترها أدب من آداب الشريعة، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهة، و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أولى برعاية هذا الأدب الذى صدع به هو. قال ابن رشد فى تمهيدات المدونة الكبرى (١/ ١١٠): و الذى أقول به أن ما روى عن النبى عليه الصلاة و السلام فى الفخذ ليس باختلاف تعارض، و معناه أنه ليس بعورة يجب سترها فرضاً كالقبل و الدبر و أنه عورة يجب

---

(١). الفقه على المذاهب الأربعة: ١/ ١٩٢.

(٢). نيل الأوطار: ٢/ ٧٠ - ٧١.

ص: ٣٨٧

سترها فى مكارم الأخلاق و محاسنها، فلا ينبغى التهاون بذلك فى المحافل و الجماعات و لا عند ذوى الأقدار و الهيئات، فعلى هذا تستعمل الآثار كلها و استعمالها كلها أولى من أطراح بعضها. انتهى.

فعلى كلا التقديرين نحاشى نبى العظمة و الجلال أن يكشف عن فخذه فى الملاء غير مكترث للحضور - و هو أشد حياءً من العذراء - و لا يأبه بهم حتى يأتى رضيع ندى الحياء، و ربيب بيت القداسة، وليد آل أمية، أشد الأمة حياءً، و قد قتلته أفعاله النائبة عن تلك الملكة الفاضلة.

و لا يهولنك وجود الرواية فى، الصحيحين فإنهما - كما قلنا عنهما - علبتا السفاسف و عيبتا السقطات و فيهما من المخازى و المخاريق ما شوّه سمعة التأليف، و فتّ فى عضد علم الحديث، و لعلنا سوف ندعم ما ادّعيناه بالبرهنة الصادقة إن شاء الله تعالى، و ليتهما اقتصرنا من الخزية على رواية كشف الفخذ فحسب و لم يُخرجنا تعريه صلى الله عليه و آله و سلم بين الناس. أخرج البخارى فى صحيحه باب بنيان الكعبة «١» «١٣/٦»، و مسلم فى صحيحه «٢» «١/ ١٨٤» من طريق جابر بن عبد الله، قال: لمّا بُنيت الكعبة ذهب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عبّاس ينقلان حجارة، فقال العباس للنبى صلى الله عليه و آله و سلم: اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة. ففعل، فخرّ إلى الأرض و طمحت عيناه إلى السماء، ثمّ قام فقال: إزارى إزارى، فشدّ عليه إزاره.

و فى لفظ لمسلم «٣»: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة و عليه إزاره، فقال له العباس عمّه: يا ابن أخى لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة. قال: فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه، قال: فما روى بعد ذلك اليوم عرباناً.

---

(١). صحيح البخارى: ٢/ ٥٧٣ ح ١٥٠٥.

(٢). صحيح مسلم: ١/ ٣٤٠ ح ٧٦ كتاب الحيض.

(٣). صحيح مسلم: ١ / ٣٤٠ ح ٧٧ كتاب الحيض.

ص: ٣٨٨

و في قصّة لابن هشام في السيرة «١» (١ / ١٩٧) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما ذكر لي يُحدّث عمّا كان [الله] يحفظه به في صغره و أمر جاهليّته أنّه قال: لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرّى و أخذ إزاره فجعله على رقبتيه يحمل عليه الحجارة، فإنّي لأقبل معهم كذلك و أدبر، إذ لکمني لا کم ما أراه، لكمة و جبعة ثمّ قال: شدّ عليك إزارك، قال: فأخذته و شدّته علىّ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتى، و إزارى علىّ من بين أصحابى.

هلمّوا معي أيّها المسلمون جميعاً نسائل هذين الرجلين - صاحبي الصحيحين - أ هذا جزاء نبيّ العظمة على جهوده، و حقّ شكره على إصلاحه؟ أ هذا من إكباره و تعظيمه؟ أ صحيح أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشى بين ملأ العمّال عارياً قد نضا عنه ثيابه، و ألقى عنه إزاره، غير ساتر عن الحضور عورته؟ و كان عمره صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ خمساً و ثلاثين سنة كما قال ابن إسحاق «٢».

هب أن رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة، لكن ما المبرر للرجلين أن يستصحاّهُ و يُثبتاه في صحيحهما كأثر ثابت؟ أ يحسبان أن هذا العمل الفاضح من مصاديق ما أثبتاه له صلى الله عليه وآله وسلم - و هو الصحيح الثابت - من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان أشدّ حياءً من العذراء؟ «٣» و هل تجد في العذراء من يستبيح هذه الخلاعة؟ لاها الله، لاها الله.

أو يحسبان صاحب هذا المجون غير نبيّ الإسلام الذي نهى جرهداً و معمرأ عن كشف فخذيهما لأنّهما عورة؟ أو ينهى صلى الله عليه وآله وسلم عن كشف الفخذ يوماً و يكشف هو عمّا

---

(١). سيرة ابن هشام: ١ / ١٩٤، و ما بين المعقوفين منه.

(٢). راجع سيرة ابن هشام: ١ / ٢٠٩ [١ / ٢٠٤]، الروض الأنف: ١ / ١٢٧ [٢ / ٢٢٨]، عيون الأثر: ١ / ٥١ [١ / ٧٥]، و ما في فتح الباري: ٧ / ٥ [٧ / ١٤٥] نقلًا عن ابن إسحاق من أن عمره كان خمساً و عشرين سنة فغير صحيح، و الذي صحّ عنه خمس و ثلاثون. (المؤلف)

(٣). راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة ٢٨١. (المؤلف)

ص: ٣٨٩

فوقها يوماً آخر؟ أو من الهين أن نعتقد أن الفخذ عورة لكن ما يعلوها من السوأة ليس بعورة؟ هلمّ معي نعطف النظرة بين ما أثبتته الصحيحان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بين ما جاء به أحمد في مسنده «١» (١ / ٧٤) عن الحسن

البصرى؛ أنه ذكر عثمان و شدة حياته فقال: إن كان ليكون في البيت و الباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه «٢» أنظر إلى حياء نبيّ العصمة و القداسة، و حياء وليد الشجرة المنعوتة في القرآن، و شتان بينهما!!

أ و ليس هذا النبيّ الأعظم هو الذي

سأله معاوية بن حيدة فقال له: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها و ما نذر؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: «احفظ عورتك إلّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» قال: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يربّنها». قال: فإذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «فإن الله تبارك و تعالى أحقّ أن يُستحيا منه» «٣».

لقد أغرق صلى الله عليه و آله و سلم نزعاً في ستر العورة حتى إنه لم يرض بكشفها و المرء خال حياءً من الله تعالى، و استدّل به من قال: إن التعرّي في الخلاء غير جائز مطلقاً «٤». لكن من عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان أنه صلى الله عليه و آله و سلم كشفها بملا من الأَشهاد؟ و الله من فوقهم رقيب. و على فرضه - و هو فرض محال - فأين الحياء المربي

---

(١). مسند أحمد: ١ / ١١٨ ح ٥٤٤.

(٢). و ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: ١ / ١١٧ [١ / ٣٠٤ رقم ٤]، و المحبّ الطبري في الرياض: ٢ / ٨٨ [٣ / ١٢]. (المؤلف)

(٣). قال ابن تيمية في المنتقى: رواه الخمسة إلّا النسائي [صحيح البخارى: ١ / ١٠٧ باب ٢٠، سنن ماجة: ١ / ٦١٨ ح ١٩٢٠، سنن الترمذى: ٥ / ٩٠ ح ٢٧٦٩، سنن أبي داود: ٤ / ٤١ ح ٤٠١٧]، نيل الأوطار: ٢ / ٤٧ [٢ / ٦٨]. (المؤلف)

(٤). راجع نيل الأوطار: ٢ / ٤٧ [٢ / ٦٩]. (المؤلف)

ص: ٣٩٠

على حياء العذراء؟ و أين الحياء من الله؟ غفرانك اللهم هذا بهتان عظيم.

هل يحسب الشيخان أن ذلك الحياء فاجأه صلى الله عليه و آله و سلم بعد هذه الوقائع أو الفظائع، و ما كان غريزة فيه منذ صيغ في بوتقة القداسة؟ إن كانا يزعمان ذلك فبئس ما زعما، و إن الحقّ الثابت أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان نبياً و آدم بين الروح و الجسد «١» و قد اكتنفته الغرائز الكريمة كلّها منذ ذلك العهد المتقادم، شرع سواء في ذلك و هو في عالم الأنوار، أو في عالم الأجنة، و في أدوار كونه رضيعاً و طفلاً و يافعاً و غلاماً و كهلاً و شيخاً، صلى الله عليه و آله و سلم يوم ولد و يوم مات و يوم يُبعث حياً.

أ و ليس

مسلم هو الذى يروى من طريق المسور بن مخرمة أنه قال: أقبلت بحجر ثقيل أحمله و على إزار خفيف فأنحل إزارى و معى الحجر لم أستطع أن أمنعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ارجع إلى إزارك فخذة و لا تمشوا عراة» «٢»؟

أ فمن المستطاع أن يقال: إنه صلى الله عليه و آله و سلم ينهى مسوراً عن المشى عارياً و يزره عن حمل الحجر كذلك و يرتكب هو ما نهى عنه؟ إن هذا لشيء عجاب.

و أعجب منه أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان يرى أن المشرك إذا شاهد الناظر المحترم لم يكشف

---

(١). لهذا الحديث عدة ألفاظ من طريق ميسرة و أبى هريرة و ابن سارية و ابن عباس و أبى الجداء، و أخرجه ابن سعد [فى الطبقات الكبرى: ١ / ١٤٨]، و أحمد بن حنبل [فى مسنده: ٥ / ١١٠ ح ١٦٧٠٠]، و البخارى فى التاريخ الكبير [مج ٦ / ٦٨ رقم ١٧٣٦]، و البغوى [فى تفسيره: ٣ / ٥٠٨]، و ابن السكن، و الطبرانى [فى المعجم الكبير: ١٢ / ٧٣ ح ١٢٥٧١]، و أبو نعيم فى الحلية [٧ / ١٢٢ رقم ٣٩٥] و الدلائل، و صححه الحاكم [فى المستدرک: ٢ / ٤٥٣ ح ٣٥٦٦]، و الترمذى [فى سننه: ٥ / ٥٤٥ ح ٣٦٠٩] حسنه و صححه، و ابن حبان فى صحيحه [١٤ / ٣١٢ ح ٦٤٠٤]، و ابن عساکر، و ابن قانع، و الدارمى فى السنن، راجع كشف الخفاء للعجلونى: ٢ / ١٢٩، و الجامع الكبير كما فى ترتيبه ج ٦ [كنز العمال: ١١ / ٤٤٩ - ٤٥٠ ح ٣٢١١٤] [٣٢١١٨]. (المؤلف)

(٢). صحيح مسلم: ١ / ١٠٥ و فى طبعة مشكول: ١ / ١٧٤ [١ / ٣٤١ ح ٧٨ كتاب الحيض]. (المؤلف)

ص: ٣٩١

عن عورته، فكيف هو بنفسه؟

جاء فى السير فى قصّة الغار، أن رجلاً كشف عن فرجه و جلس يبول، فقال أبو بكر: قد رأنا يا رسول الله، قال: «لو رأنا لم يكشف عن فرجه». فتح البارى «١» (٧ / ٩).

و أعجب من الكلّ أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان يرى لعورة الصغير حرمة كما

جاء فى صحيح أخرجه الحاكم فى المستدرک «٢» (٣ / ٢٥٧) من طريق محمد بن عياض، قال: رفعت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى صغرى و على خرقة و قد كشفت عورتى، فقال: «غطوا حرمة عورته فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير، و لا ينظر الله إلى كاشف عورة».

وَأَنِّي يَصِحُّ حَدِيثُ الشَّيْخِينَ إِنْ صَحَّ مَا مَرَّ عَنِ ابْنِ هِشَامٍ (ص ٢٨٦) مِنْ قِصَّةِ لَعْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْغُلَّامَانِ فِي صُغْرِهِ وَ قَدْ حَلَّ إِزَارَهُ وَ جَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِذْ لَكُمَا لَكُمْ فَأَوْجَعَهُ، وَ هَتَفَ بِقَوْلِهِ: شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ. أْبَعْدَ تَلَكُّمِ اللَّكْمَةِ وَ ذَلِكَ الْهَتَافِ عَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ لَمَّا كَبُرَ وَ بَلَغَ مِبلَغَ الرِّجَالِ؟

وَ كَيْفَ يَتَّفَقُ حَدِيثُ الشَّيْخِينَ مَعَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ وَرَاءَ الْحِجْرَاتِ وَ مَا رَأَى أَحَدَ عَوْرَتِهِ قَطًّا. وَ قَالَ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ «٣». وَ أْبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الشِّفَا «٤» (١ / ٩١) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ فَرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ قَطًّا.

كُونِي أَنْتِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَكَمًا عَدْلًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ رِوَاةِ السِّفَاسَفِ، وَ احْكُمِي

(١). فتح الباري: ١١ / ٧.

(٢). المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٢٨٨ ح ٥١١٩.

(٣). راجع فتح الباري: ٦ / ٤٥٠ [٥٧٧ / ٦]، شرح المواهب للزرقاني: ٤ / ٢٨٤. (المؤلف)

(٤). الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٥٩.

ص: ٣٩٢

قَسَطًا فَيَمُنُ يَعْزُو إِلَى بَعْلِكَ الْمَقْدَسِ مِمَّا يُرْبِي بِنَفْسِهِ عَنْهُ كُلَّ سَافِلٍ سَاقِطٍ، وَ يَقُولُونَ: إِنْ رَجُلًا لَمْ يَرِ عَوْرَتَهُ قَطًّا أَحَدٌ حَتَّى حَلِيلَتِهِ، وَ أَنْتِ مِنْ أَطْلَعِ النَّاسَ عَلَى خُلُواتِهِ وَ سَرِّيَّاتِهِ، كَانَ يَحْمِلُ الْحَجَرَ بَيْنَ الْعَمَّالِ عَارِيًّا وَ قَدْ حَلَّ إِزَارَهُ وَ جَعَلَهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ!

أَيُّهُمَا صَحِيحٌ عَنْكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَسْنَدُوهُ إِلَيْكَ؟ أَمْ حَدِيثُكَ هَذَا؟ أَمْ مَا حَدَّثْتَ بِهِ - إِنْ كُنْتَ حَدَّثْتَ بِهِ - مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ مَشْفُوعًا بِمَا ثَبَتَ عَنْ بَعْلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّ الْفَخْذَ عَوْرَةٌ؟

وَ كَأَنِّي بِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَقُولُ: حَسْبُكَ أَيُّهَا السَّائِلُ لَقَدْ مُنِيتُ بِالْكَذَّابَةِ كَمَا مُنِيَ بِهَا بَعْلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي، (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) «١».

وَ سَيَعْلَمُ الْمَبْطُلُونَ غَبًّا مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ غُلُوبًا فِي فِضَائِلِ أَنَاسٍ آخِرِينَ، وَ نَعَمَ الْحَكَمُ اللَّهُ غَدًا وَ الْخَصِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ.

لَيْتَ شَعْرَى هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تَعْتَقِدُ بِاسْتِقْرَارِ مَلِكَةِ الْحَيَاءِ فِي عَثْمَانَ فِي كُلِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي رَوَتْ عَنْ أَوْلِيَّاتِهَا حَدِيثَ الْفَخْذِينَ، وَ طَفَقَتْ فِي أُخْرِيَّاتِهَا تُثِيرُ النَّاسَ عَلَى عَثْمَانَ وَ تَقُولُ فِيهِ تَلَكُّمِ الْكَلِمِ الْقَارِصَةِ الْفُظَّةِ الَّتِي أَسْلَفْنَا فِي هَذَا الْجِزْءِ صَفْحَةَ (٧٧-٨٦) وَ لَمْ تَفْتَأْ حَتَّى أَوْرَدَتْهُ حِيَاضُ الْمُنِيَّةِ؟ وَ هَلْ كَانَتْ تَرَى اسْتِمْرَارَ حَيَاءِ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُ طِيلَةَ مَا بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ؟! أَوْ أَنَّهَا تَرْتَبِي



انفصام عراه بتقطع حلقات ما أثبتت له من ملكة الحياء؟ و لذلك قلبت عليه ظهر المجن، فإن كان الأوّل فما المبرر للهجاته الأخيرة؟ و إن كان غيره فالحديث باطل أيضاً لأنّ تبجيل عالم الملكوت لا يكون إلا على حقيقة مستوعبة لمدة حياة الإنسان كلّها، و النظاهر بالفضل المنصرم لا حقيقة له تكبرها الملائكة و تستحي من جبتها، هذا إن لم تُعدّ أمّ المؤمنين علينا جوابها الأوّل مرةً أخرى من أنّها مُنيت بالكذّابة، كما أنّ جوابها المطّرد في كلّ ما يُروى عنها من فضل عثمان، و أنّها كلّها من ولائد عهد معاوية المحشوّ بالأكاذيب و المفتريات طمعاً في رضائحه.

---

(١). الكهف: ٥.

ص: ٣٩٣

٣- أخرج الطبراني «١» من حديث أبي معشر البراء البصرى، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان، عن أبيه عمر بن أبان، عن أبيه أبان بن عثمان بن عفّان، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس و عائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل، ثمّ استأذن سعد بن مالك فدخل، ثمّ استأذن عثمان بن عفّان فدخل و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث كاشفاً عن ركبته فردّ، ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان و قال لامرأته: استأخري، فتحدّثوا ساعة ثمّ خرجوا، فقالت عائشة: يا نبيّ الله دخل أبي و أصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتيك و لم تؤخّرنى عنك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟ و الذى نفسى بيده إنّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله و رسوله، و لو دخل و أنت قريب منى لم يتحدّث، و لم يرفع رأسه حتى يخرج.

ذكره ابن كثير في تاريخه «٢» (٧/ ٢٠٣) فقال: هذا حديث غريب و فى سنده ضعف. و أوعز الذهبى إليه فى الميزان «٣» (٢/ ٢٥٠) فقال: قال البخارى «٤»: فى حديث عمر بن أبان نظر.

قال الأمينى: هذه الرواية لدة ما أسلفناه من مسلم و أحمد مشفوعاً بتفنيده و إبطاله و نزيده هاهنا: أنّ البراء أبا معشر البصرى ضعّفه ابن معين، و قال أبو داود: ليس بذاك «٥»، و فيها إبراهيم بن عمر بصرى أموىّ حفيد الممدوح، قال أبو حاتم «٦»: ضعيف الحديث، و قال ابن أبى حاتم: ترك أبو زرعة حديثه فلم يقرأه علينا. و قال

---

(١). المعجم الكبير: ١٢ / ٢٥٢ ح ١٣٢٥٣.

(٢). البداية و النهاية: ٧ / ٢٢٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣). ميزان الاعتدال: ٣ / ١٨١ رقم ٦٠٤٧.

(٤). التاريخ الكبير: ٦ / ١٤٢ رقم ١٩٦٢.

(٥). تهذيب التهذيب: ١١ / ٤٣٠ [١١ / ٣٧٨]. (المؤلف).

(٦). الجرح و التعديل: ٢ / ١١٤ رقم ٣٤٢.

ص: ٣٩٤

ابن حبان «١»: لا يحتجّ بخبره إذا انفرد «٢»، و قال ابن عدى «٣»: حدّثنا أبو يعلى، عن المقدّمى، عن أبي معشر، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بأحاديث كلّها غير محفوظة منها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أسرّ إلى عثمان أنّه يقتل ظلماً «٤».

٤- أخرج الطبرانى من طريق أبي مروان محمد بن عثمان الأموى العثمانى، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان، عن مالك، عن أبي الزناد- مولى بنت عثمان- عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: عثمان حىي تستحى منه الملائكة «٥».

قال الأئمنى: فى الإسناد أبو مروان محمد، قال صالح الأسدى: يروى عن أبيه المناكير، و قال ابن حبان «٦»: يخطئ و يخالف «٧».

و فيه عثمان بن خالد، قال البخارى «٨»: عنده مناكير، و قال النسائى: ليس بثقة، و قال العقيلى «٩»: الغالب على حديثه الوهم، و قال أبو أحمد: منكر الحديث، و قال ابن عدى «١٠»: أحاديثه كلّها غير محفوظة، و قال الساجى: عنده مناكير غير معروفة، و قال الحاكم و أبو نعيم: حدّث عن مالك و غيره بأحاديث موضوعة «١١»، و قال ابن

---

(١). كتاب المجروحين: ١ / ١١٠.

(٢). ميزان الاعتدال: ١ / ٢٤ [١ / ٥٠ رقم ١٦٠]، لسان الميزان: ١ / ٨٦ [١ / ٨٢ رقم ٢٤٥]. (المؤلف)

(٣). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٥ / ٥٧ رقم ١٢٣٢.

(٤). لسان الميزان: ٤ / ٢٨٢ [٤ / ٣٢٥ رقم ١٦٦٢]. (المؤلف)

(٥). تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٠٣ [٧ / ٢٢٨ سنة ٣٥]. (المؤلف)

(٦). الثقات: ٩ / ٩٤.

(٧). تهذيب التهذيب: ٩ / ٣٣٦ [٩ / ٢٩٩]. (المؤلف)

(٨). التاريخ الكبير: مج ٦ / ٢٢٠ رقم ٢٢٢١.

(٩). الضعفاء الكبير: ٣ / ١٩٨ رقم ١١٩٨.

(١٠). الكامل في ضعفاء الرجال: ٥ / ١٧٥ رقم ١٣٣٥.

(١١). روايته هذه عن مالك من تلکم الموضوعات. (المؤلف)

ص: ٣٩٥

حَبَّان «١»: يروى المقلوبات عن الثقات لا يجوز الاحتجاج به «٢»، وقال السندی في شرح سنن ابن ماجه (١ / ٥٣) في حديث يأتي: إسناده ضعيف، فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم.

و قد فصلنا القول فُبيل هذا في حياء الرجل بما لا مزيد عليه، و بذلك تعلم أن الحديث باطل و إن صحَّ إسناده، فكيف به و إسناده أوهن من متنه؟!

٥- أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٥٦) من طريق هشيم أبي نصر التمار، عن الكوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أشدُّ أمتي حياء عثمان بن عفان.

قال الأميني: تعمرنى الحيرة في حياء أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و مبلغها منه بعد أن كان عثمان أشدّها حياءً و بين يديك أفعاله و تروكه، فعلى الأمة العفا إن صدقت الأحلام. نعم: هذا لا يكون، و نبىّ العظمة لا يسرف في القول، و لا يجازف في الإطراء، و الإسناد باطل لا يعول عليه لمكان كوثر بن حكيم قال أبو زرعة: ضعيف، و قال يحيى بن معين: ليس بشيء، و قال أحمد بن حنبل «٣»: أحاديثه بواطيل، ليس بشيء، و قال الدارقطني «٤» و غيره: مجهول، و قال أبو طالب: سألت أحمد عنه فقال: ليس هو من عيالنا، و كان أحمد إذ لم يرو عن رجل قال: ليس هو من عيالنا، متروك الحديث، و قال: ضعيف منكر الحديث، و قال الجوزجاني: لا يحلّ كتابة حديثه عندي؛ لأنّه متروك، و قال ابن عدى «٥»: عامّة ما يرويه غير محفوظة، و قال ابن أبي حاتم عن

---

(١). كتاب المجروحين: ٢ / ١٠٢.

(٢). تهذيب التهذيب: ٧ / ١١٤ [٧ / ١٠٥ و انظر أيضاً تهذيب الكمال: ١٩ / ٣٦٤]. (المؤلف)

(٣). العلل و معرفة الرجال: ١ / ٤٣٦ رقم ٩٧٢ و ٢ / ٤٦ رقم ١٥٠٥.

(٤). الضعفاء و المتروكون: ص ٣٣٢ رقم ٤٤٧.

(٥). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٦ / ٧٨ رقم ١٦١٠.

ص: ٣٩٦

أبيه «١»: ضعيف الحديث، قلت: هو متروك؟ قال: لا، و لا أعلم له حديثاً مستقيماً و هو ليس بشيء، و قال ابن أبي شيبة: منكر الحديث، و قال أبو الفتح و الساجي: ضعيف، و قال البرقاني و الدارقطني «٢»: متروك الحديث. و ذكره العقيلي «٣» و الدولابي و ابن الجارود و ابن شاهين فى الضعفاء.

ميزان الاعتدال (٢ / ٣٥٩)، لسان الميزان (٤ / ٤٩١) «٤».

٦- أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ٥٦) من طريق زكريّا بن يحيى المقرئ «٥» عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: عثمان أحبا أمتى و أكرمها.

قال الأمينى: ما خطر أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم إن كان أحيائها و أكرمها قتيل الصحابة العدول إثر هناته و موبقاته، و ليد الشجرة الملعونة فى القرآن، و ليد أبى العاص

و قد صح عنه صلى الله عليه و آله و سلم فى ولده قوله: «إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولا، و عباده خولا، و دينه دخلا»

و قد كان بلاغهم ثلاثين يوم عثمان و هو أحدهم و رأسهم، و أسلفنا فى ذلك قول أبى ذر الناظر إليه و إليهم من كتب. فهل يشمر الشوك العنب؟ لاها الله.

أ يحسب الباحث أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أسرّ بهذه المنقبة الرابية إلى ابن عمر فحسب من بين الصحابة؟ أم أعلن بها فى ملاء من أصحابه و كان فى الآذان وقر؟ أم سمعوها و نسوها من يومهم الأول؟ أم حفظوها و نبذوها وراء ظهورهم يوم تركوا جثمان أحيا الأمة و أكرمها منبواً ثلاثة أيام فى مزبلة من غير دفن؟ ثمّ دفنه عدة أناس ليلاً و ما

---

(١). الجرح و التعديل: ٧ / ١٧٦ رقم ١٠٠٥.

(٢). الضعفاء و المتروكون: ص ٣٣٥ رقم ٥٢٥.

(٣). الضعفاء الكبير: ٤ / ١١ رقم ١٥٦٦.

(٤). ميزان الاعتدال: ٣ / ٤١٦ رقم ٦٩٨٣، لسان الميزان: ٤ / ٥٧٩ رقم ٦٧٦٨.

(٥). فى النسخة: المنقرئ. (المؤلف)

أمكنهم تغسيله و تكفينه و تجهيزه و الصلاة عليه، دُفن في مقبرة اليهود بعد ما رُجم سريره و كُسر ضلعٌ من أضلعه، و عُفى قبره خوفاً عليه من النباش.

على أن الإسناد لا يصحّ لمكان زكريّا بن يحيى و هو ضعيف و شيخه يخطئ في الإسناد و المتن و قد أخطأ في أحاديث كثيرة، و غرائب حديثه و ما ينفرد به كثير.

راجع «١»: تاريخ الخطيب البغدادي و ميزان الاعتدال و لسانه.

٧- أخرج ابن عساكر «٢» في ترجمة عثمان من طريق أبي هريرة مرفوعاً: الحياء من الإيمان و أحيا أمتي عثمان.

ضعفه السيوطي في الجامع الصغير «٣» و أقرّه المناوي. راجع فيض القدير (٣/ ٤٢٩).

لفت نظر:

يُعطينا سبر التاريخ و الحديث خُبراً بأنّ السيرة المطرّدة لرجال الوضع و الاختلاق في شنشنة التقوّل و الافتعال في الفضائل هي العناية الخاصّة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً. و المبالغة و الإكثار في كلّ غريزة ثبت خلافها ممّا علّم من تاريخ حياة الرجل و من سيرته الثابتة المشهورة، فنجدهم يببالغون في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتى حسبوه أشجع الصحابة، و قد شهد مشاهد النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم كلّها و ما سلّ فيها سيفاً، و لا نزل في معترك قتال، و لا تقدّم لبراز أيّ مجالد، و ما روى قطّ مناضلاً، و ما شوهد يوماً في ميادين الحراب منازلًا، فأكثرُوا القول فيها و جاؤوا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها شيء تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المشاهد «٤».

(١). ميزان الاعتدال: ٢/ ٧٩ رقم ٢٨٩٤، لسان الميزان: ٢/ ٦٠٢ رقم ٣٤٧٤.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/ ٩٢ رقم ٤٦١٩ و في مختصر تاريخ دمشق: ١٦/ ١٣١.

(٣). الجامع الصغير: ١/ ٥٩٦.

(٤). راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٢٠٠-٢١٥. (المؤلف)

و يببالغون في زهده و تقواه و جعلوا كبده مشويّاً من خوف الله و الدخان يتصاعد من فمه إلى السماء مهما تنفّس، و لم يثبت له ميز في العبادة و لم يُرو عنه الإكثار من الصوم و الصلاة و من كلّ ما يقربّه إلى الله زلفى «١».

و يبالغون في علم عمر و جعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق و أفقهم في دين الله، و حابوه تسعة أعشار العلم، راجحاً علمه علم أهل الأرض، علم أحياء العرب في كفة الميزان، و جاؤوا فيه بكثير لدة هذه الخرافات «٢» و الرجل قد ألهاه الصفق بالأسواق عن علم الكتاب و السنة، و كل الناس أفقه منه حتى ربّات الحجال أخذاً بقوله و هو الصادق المصدّق فيه «٣».

و يبالغون في إنكاره الباطل و بغضه الغناء و نكيره الشديد عليه، و قد ثبت من شكيمته أنّه كان يتعاطاه و يجوّزه «٤».

و لمّا وجدوا أنّ التاريخ الصحيح و ما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء و يُمثله للمجتمع بما يضادّها، نسجوا له هذا النسيج المبرم، و أتوا بالمخازي و وضعت يد الافتعال فيها ما سمعت من الأفائك، حتى جعلوه أشدّ أمة محمد حياءً، و أحياءها و أكرمها، حياءً تستحي منه الملائكة. فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر و علم عمر سالبة بانتفاء موضوعاتها، و هي فيهم تُضاهي أمانة معاوية و علمه الواردين فيما يُعزى إليه صلى الله عليه و آله و سلم من قوله: كاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه و اثمنانه على كلام ربّي. و قوله: الأمانة سبعة: اللوح و القلم و إسرافيل و ميكائيل و جبريل و محمد و معاوية «٥».

(١). راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٢١٩ - ٢٢٢. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ في الجزء السادس: ص ٨٢، ٣٣١ و الجزء الثامن: ص ٦٢، ٦٣. (المؤلف)

(٣). راجع ما أسلفناه في الجزء السادس من نوادر الأثر في علم عمر. (المؤلف)

(٤). راجع ما مرّ في الجزء الثامن: ص ٦٤ - ٨١، ٨٦، ٩٤ - ٩٦. (المؤلف)

(٥). راجع الجزء الخامس من الغدير: ص ٣٠٨. (المؤلف)

ص: ٣٩٩

و يُعرب عن أمانة معاوية و مبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبو بكر الهذلي قال: إنّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدّث معاوية يوماً فتحرّك ففرض، فقال لمعاوية: استرها عليّ. فقال: نعم. فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص و مروان بن الحكم، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلت شرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلة و مدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه و لحمه عن إمساكها، و كلّ أجوف شروط. ثمّ أقبل على معاوية فقال: إنّ امرأ ضعفت أمانته و مروءته عن كتمان شرطة لحقيق بأن لا يؤمن على أمور المسلمين.

الأغاني (١١٣ / ١١)، حياة الحيوان للدميري (١ / ٣٥١)، محاضرات الراغب (٢ / ١٢٥) «١».

٨- أخرج الحاكم في المستدرک «٢» (٣ / ١٠٢)، من طريق الدارمي، عن سعيد ابن عبد الله الجرجسي، عن محمد بن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عمرو ابن أبان بن عثمان - الممدوح - عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

و آله و سلم: أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نيط عمر بأبي بكر و نيط عثمان بعمر. فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله، و أما ما ذكر من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الحاكم: قال الدارمى: سمعت يحيى بن معين يقول: محمد بن حرب يسند هذا الحديث، و الناس يحدثون به عن الزهرى مرسلًا إنما هو عمرو بن أبان و لم يكن لأبان بن عثمان ابن يقال له عمرو.

قال الأمينى: ألا تعجب من رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و حدث بها فى ملأ

---

(١). الأغاني: ١٢ / ٣٦٠، حياة الحيوان: ١ / ٥٠٠، محاضرات الأدباء: ٣ / ٢٧٥.

(٢). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٠٩ ح ٤٥٥١.

ص: ٤٠٠

الصحابة و لم يسمعها منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا جابر بن عبد الله و هو لم يرتب عليها أى أثر عملي، و لم يروها عنه إلا حفيد عثمان عمرو بن أبان الذى لم يكن له وجود، أو اختلف فى أنه كان أو لم يكن؟ نعم؛ ينبغى حقًا أن يكون مستدرک الصحيحين أمثال هذه التافهات.

٩- أخرج ابن ماجة فى سننه «١» (١ / ٥٣)، عن أبى مروان محمد بن عثمان الأموى العثمانى، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبيه - مولى عائشة بنت عثمان - عن الأعرج، عن أبى هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لكل نبي رقيق فى الجنة و رقيقى فيها عثمان بن عفان.

رجال الإسناد:

١- أبو مروان، مرّ الايعاز إليه (ص ٢٩٠).

٢- عثمان بن خالد، أسلفنا فى هذا الجزء (ص ٢٩١) كلمات الحفاظ فيه و أنه ليس بثقة، و أحاديثه كلها غير محفوظة، و حدث بأحاديث موضوعة لا يجوز الاحتجاج به. و رواه الترمذى «٢» من طريق طلحة بن عبيد الله و قال: غريب ليس إسناده بالقوى، و هو منقطع.

٣- عبد الرحمن بن أبى الزناد، قال يحيى بن معين «٣»: ليس ممن يحتجّ به أصحاب الحديث ليس بشيء. و قال ابن صالح و غيره عن ابن معين: ضعيف. و قال الدورى عن ابن معين: لا يحتجّ بحديثه. و قال صالح بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث. و عن ابن المدينى: كان عند أصحابنا ضعيفاً. و قال النسائى «٤»: لا يُحتجّ

(١). سنن ابن ماجة: ١ / ٤٠ ح ١٠٩.

(٢). سنن الترمذى: ٥ / ٥٨٣ ح ٣٦٩٨.

(٣). التاريخ: ٣ / ٢٥٨ رقم ١٢١١.

(٤). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٦٠ رقم ٣٨٧.

ص: ٤٠١

بحديثه. و قال ابن سعد «١»: كان كثير الحديث و كان يضعف لروايته عن أبيه.

تهذيب التهذيب «٢» (١٧١ / ٤).

و بعد ذلك كلّه فإننى أستغرب هذه الرفاقة و أنّ الرجل بما ذا اختصّ بها و حصل عليها من دون الصحابة المقدمين ذوى الفضائل و المآثر، و فى مقدمهم صنوه صلى الله عليه و آله و سلم أمير المؤمنين علىّ صلوات الله عليه و هو نفسه فى الذكر الحكيم، و أخوه المخصوص به فى حديث المواخاة المعربة عن المجانسة بينهما فى النفسيات، و هو الذابّ الوحيد عنه فى حروبه و مغازيه، و مثله الأعلى فى العصمة و القداسة بصريح آية التطهير، و باب مدينة علمه فى الحديث المتواتر.

فيما ذا اختصّ عثمان بهذه الرفاقة دون علىّ أمير المؤمنين، ألمشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى فى النسب أو الحسب فى العلم و التقوى و الملكات الفاضلة؟ أو لاتباعه ما جاء به صلى الله عليه و آله و سلم من كتاب أو سنة؟ و أنت متى استشفقت ما تلوناه فى هذا الكتاب من موارد الخليفة و مصادره، و أخذه و رده، و أفعاله و تروكه، تعلم مبرّاه من كلّ هاتيك الفضائل و تجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية بإسنادها الساقط، تعالى نبيّ العظمة عن ذلك علواً كبيراً.

و لست أدرى لما ذا ردّ الله دعاء نبيّه الأعظم فى أبى بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدى «٣» من طريق الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اللهم إنك جعلت أبى بكر رفيقى فى الغار فاجعله رفيقى فى الجنة «٤».

نعم؛ هذا كحديث ابن ماجة هما سواسية فى البطلان، فى إسناده محمد بن

(١). الطبقات الكبرى: ٥ / ٤١٦.

(٢). تهذيب التهذيب: ٦ / ١٥٥.

(٣). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٦ / ٢٨٦ رقم ١٧٧١.



الوليد القلانسي البغدادي، كذاب، يضع الحديث كما مرّ في سلسلة الكذابين (٥ / ٢٥٦)، و مصعب بن سعيد يحدث عن الثقات بالمناكير و يصحّف «١»، و كان مدلساً لا يدري ما يقول و ستوافيك ترجمته، و عيسى بن يونس مجهول لا يعرف «٢».

١٠- أخرج الحاكم في المستدرک «٣» (٣ / ٩٧)، من طريق عبيد الله بن عمرو القواريري البصري، عن القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري، عن أبي عبادة الزرقى، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حُصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة أتذكر يوم كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في مكان كذا و كذا و ليس معه من أصحابه غيرى و غيرك فقال لك: يا طلحة إنه ليس من نبيّ إلّا و له رفيق من أمته معه في الجنة و إن عثمان رفيقى و معى فى الجنة؟ فقال طلحة: اللهم نعم. قال: ثم انصرف طلحة.

و فى لفظ أحمد فى مسنده «٤» (١ / ٧٤)، بالإسناد نفسه، عن أسلم قال: شهدت عثمان رضى الله عنه يوم حُصر فى موضع الجنائز، و لو ألقى حجر لم يقع إلّا على رأس رجل، فرأيت عثمان رضى الله عنه أشرف من الخوخة التى تلى مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: يا أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله، فقال له عثمان رضى الله عنه: ألا أراك هاهنا! ما كنت أرى أنك تكون فى جماعة تسمع ندائى آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبنى، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى موضع كذا و كذا ليس معه أحد من أصحابه غيرى و غيرك؟ قال: نعم. فقال لك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا طلحة إنه ليس من نبيّ إلّا و معه من أصحابه رفيق من أمته معه فى الجنة، و إن عثمان بن

---

(١). لسان الميزان: ٦ / ٥١ رقم ٨٤٠٤.

(٢). لسان الميزان: ٤ / ٤٧٤ رقم ٦٤٦٠.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٠٤ ح ٤٥٣٧.

(٤). مسند أحمد: ١ / ١١٩ ح ٥٥٣.

صححه الحاكم «١» و عقبه الذهبي، فقال: قلت: قاسم هذا، قال البخارى: لا يصح حديثه، و قال أبو حاتم «٢»: مجهول. و ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب «٣» (٨ / ٣١٢) و حكى عن البخارى و أبى حاتم ما ذكره الذهبي.

و فى الإسناد عبيد الله القواريرى، روى عنه البخارى خمسة أحاديث فحسب، و مسلم أربعين حديثاً «٤» و قد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث «٥». فما حكم ذلك الحوش الحائش ممّا جاء به القواريرى بعد ما لم يأخذ البخارى و مسلم منه إلّا عدّة أحاديث و ضرباً عن كلّ ذلك صفحاً؟ و من المستبعد جدّاً عدم وقوفهما عليها.

و فيه: أبو عبادة الزرقى عيسى بن عبد الرحمن الأنصارى، قال أبو زرعة: ليس بالقوى. و قال أبو حاتم «٦»: منكر الحديث ضعيف الحديث شبيه بالمتروك لا أعلمه روى عن الزهرى حديثاً صحيحاً. و قال البخارى و النسائى «٧»: منكر الحديث. و قال ابن حبان «٨»: يروى المناكير عن المشاهير فاستحقّ الترك. و قال العيلى «٩»: مضطرب الحديث. و قال الأزدى: منكر الحديث مجهول. و قال ابن عدى «١٠»: عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه. و قال ابن حبان أيضاً: لا ينبغى أن يحتجّ بما انفرد به «١١».

---

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٠٤ ح ٤٥٣٧، و كذا فى تلخيصه.

(٢). الجرح و التعديل: ٧ / ١٠٩ رقم ٦٢٨.

(٣). تهذيب التهذيب: ٨ / ٢٨٠.

(٤). و (٥) ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ٧ / ٤١ [٧ / ٣٦]. (المؤلف)

(٥). و (٥) ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ٧ / ٤١ [٧ / ٣٦]. (المؤلف)

(٦). الجرح و التعديل: ٦ / ٢٨١ رقم ١٥٥٩.

(٧). التاريخ الكبير: مج ٦ / ٣٩١ رقم ٢٧٤١، كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٧٦ رقم ٤٤٣.

(٨). كتاب المجروحين: ٢ / ١١٩.

(٩). الضعفاء الكبير: ٣ / ٣٨١ رقم ١٤١٨.

(١٠). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٥ / ٢٤٥ رقم ١٣٩٠.

(١١). تهذيب التهذيب: ٨ / ٢١٨ [٨ / ١٩٥]، لسان الميزان: ٤ / ٤٠٠ [٤ / ٤٦٢ رقم ٤٢٢٧]. (المؤلف)

قال الأُميَني: و لا يكاد يصحّ انصراف طلحة مع إصراره الثابت في التشديد على عثمان إلى آخر نفس لفظه الرجل، و لم يقنعه الإجهاز عليه حتى إنّه منعه عن الدفن في مقابر المسلمين، و جعل ناساً هناك أكرمهم كميناً و رموا حملة جنازته بالحجارة و صاحوا: نعتل نعتل. و قال طلحة: يُدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود، و لذلك قال مروان لمّا قتل طلحة لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، و مروان كان شاهداً عليه من كذب «١».

و من العجيب أنّ هذه المناشدة كانت في ذلك المحتشد الرحيب بمسمع من أولئك الجَمّ الغفير و كان لو ألقى الحجر لم يقع إلّا على رأس رجل لكنّها لم تكفى أحداً منهم، فهل كانوا معترفين بها معرضين عنها؟ فأين العدالة المزعومة فيهم؟ أو أنّهم عرفوا بطلانها و ما صدّقوا الرجلين في دعواهما فتركوها في مدحرة الإعراض؟ أو لم تكن هنالك مناشدة قطّ؟ و هو أقرب الوجوه إلى الحقّ.

و لو فرضنا أنّها أكفأت طلحة كما يحسبه مختلق هذه الرواية، فإنّه لم يكن إلّا إكفاءً وقتياً ثمّ راجع طلحة رشده فعرف أنّها حجة داحضة فاستمرّ على ما تار له، و ثبت عنه من الثبات على عمله و تضييقه.

هذه غاية ما يمكن أن يقال متى تجسّمنا لوضع هذه المزعمة في بقعة الإمكان، و من المستصعب ذلك أو المتعذّر، و قد أسلفنا أنّ الرفافة المزعومة ليس من السهل تصديقها لعدم المجانسة بين الرفيقيين قطّ و لو كانت من جهة.

و الرفافة كالأخوة و الصحبة - المنبعتة ثلاثتها عن التجانس في الخلل و المزاي - تخصّ بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام كما

جاء مرفوعاً: «يا عليّ أنت أخي و صاحبي و رفيقي في الجنة» «٢»

، و هذا التخصّص تعاضده البرهنة الثابتة، و يؤيّد بالاعتبار.

(١). راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص ٩١ - ١٠١. (المؤلف)

(٢). تاريخ الخطيب: ١٢ / ٢٤٨ [رقم ٤٧١٢]. (المؤلف)

١١- أخرج «١» أبو يعلى و أبو نعيم و ابن عساكر في تاريخه (٧ / ٦٥)، و الحاكم في المستدرک (٣ / ٩٧) من طريق شيبان بن فروخ، عن طلحة بن زيد الدمشقي، عن عبدة «٢» بن حسان، عن عطاء الكيخاراني، عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و عليّ، و طلحة، و الزبير، و عبد الرحمن بن

عوف، و سعد بن أبي وقاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لينهض كل رجل منكم إلى كفته، فنهض النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان فاعتنقه، وقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة.

صححه الحاكم و عقبه الذهبي في تلخيصه و قال: قلت: بل ضعيف، فيه طلحة ابن زيد، و هو واه عن عبدة بن حسان شويخ مقل عن عطاء. و قال السيوطي في اللآلئ (١/ ٣١٧): موضوع، طلحة لا يحتج به، و عبدة يروى الموضوعات عن الثقات. انتهى.

و ذكره «٣» المحب الطبري في رياضه النضرة (٢/ ١٠١)، و ابن كثير في تاريخه (٧/ ٢١٢) ساكتين عما في إسناده من الغمز شأنهما في فضائل من يحبانه و يواليانه، و لا يخفى عليهما قول أحمد: طلحة بن زيد ليس بذاك قد حدثت بأحاديث مناكير. و قوله: ليس بشيء كان يضع الحديث لا يعجبني حديثه. و قول «٤» البخاري و النسائي: منكر الحديث. و قول النسائي أيضاً: ليس بثقة متروك. و قول صالح بن محمد: لا يكتب حديثه. و قول ابن حبان «٥»: منكر الحديث لا يحل الاحتجاج بخبره. و قول

---

(١). مسند أبي يعلى: ٤/ ٤٤ ح ٢٠٥١، تاريخ مدينة دمشق: ٢٥/ ٢٥ رقم ٢٩٧٨، و في مختصر تاريخ دمشق: ١١/ ١٨٤، المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١٠٤ ح ٤٥٣٦ و كذا في تلخيصه.

(٢). في النسخة هاهنا و فيما يأتي: عبيد. و الصحيح ما ذكرناه. (المؤلف)

(٣). الرياض النضرة: ٣/ ٢٧، البداية و النهاية: ٧/ ٢٣٩ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤). التاريخ الكبير: ٤/ ٣٥١ رقم ٣١٠٥، كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٤٣ رقم ٣٣٢.

(٥). كتاب المجروحين: ١/ ٣٨٣.

ص: ٤٠٦

الدارقطني «١» و البرقاني: ضعيف. و قول أبي نعيم: حدثت بالمناكير لا شيء. و قول الآجري عن أبي داود: يضع الحديث. و نسبة ابن المدائني إياه إلى وضع الحديث. و قول الساجي: منكر الحديث «٢».

كما لا يخفى على الرجلين رأى الحفاظ في عبدة بن حسان، قال أبو حاتم «٣»: منكر الحديث، و قال ابن حبان «٤»: يروى الموضوعات عن الثقات، و قال الدارقطني: ضعيف. لسان الميزان «٥» (٤/ ١٢٥).

و الغرابة في هذه المماثلة و الولاية المنبعتة عنها في الدنيا و الآخرة، و هي ليست بأقل من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قبيل هذا، و إن من المؤسف جداً المقارنة بين رسول العظمة و بين من لم يقم الصحابة الأولون - العدول كلهم فيما يرتنون - له وزناً و

لا رأوا لحياته قيمة، و لا حسبوه لتسنّم عرش الخلافة مؤهلاً، فلم يزل ممقوتاً عندهم حتى كبت به بطنته، و أجهز عليه عمله، كما قاله مولانا أمير المؤمنين «٦» و لم يفتأ الصحابة مصرّين على مقتته حتى أوردوه حياض المنية، و لم تبرح أعماله مؤكدة لعقائد الملائ الديني في همزه و لمزة حتى وقع من الأمر ما وقع.

و لا يسع قطّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبيّ العظمة و بين عثمان، فإنّها إن كانت من ناحية النسب فأنّى هي؟ هذا من شجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء، و ذلك من شجرة ملعونة في القرآن.

(١). الضعفاء و المتروكون: ص ٢٥٥ رقم ٣٠٤.

(٢). تاريخ ابن عساکر: ٦٥ / ٧ [٢٥ / ٢٦ - ٢٩ رقم ٢٩٧٨، و في مختصر تاريخ دمشق: ١١ / ١٨٤]، تهذيب التهذيب: ١٦ / ٤ [٥ / ١٥]، اللآلئ المصنوعة: ١ / ٨١، ٣١٧ [١ / ١٥٦، ٣١٧]. (المؤلف) [و أنظر أيضاً تهذيب الكمال للحافظ المزّي: ١٣ / ٣٩٥ رقم ٢٩٦٨].

(٣). الجرح و التعديل: ٦ / ٩٢ رقم ٤٧٥.

(٤). كتاب المجروحين: ٢ / ١٨٩.

(٥). لسان الميزان: ٤ / ١٤٥ رقم ٥٤٨٥.

(٦). راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٨٢. (المؤلف)

ص: ٤٠٧

و إن كانت من حيث الحسب ففرق بينهما فيه بعد المشرقين و لا حرج، هذا حسيب. و ذلك مُقَشَّب «١» الحسب؟ و إن كان من جهة الملكات الفاضلة و النفسيات الكريمة فالمشاكلة منتفية و هما طرفا تقيض، هذا ناصح الجيب، و ارى الزند «٢» لعلي خلق عظيم، و الآخر يحمل منها بين جنبيه ما عرفناك حديثه.

و نحن إن أخذنا ما جاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسع أيضاً، فالتبىّ الأقدس مثلاً عندهم كما مرّ كان يكشف في الملاء عن ركبتيه و عن فخذه و عمّا هو بينهما و بين سرّته و لم يكن يبالي. و عثمان إن كان ليكون في البيت و الباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه، كما مرّ في حديث الحسن (ص ٢٨٧).

و إن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين و العمل بما فيه من أفعال أو تروك، فالتباين بينهما ظاهر و أىّ تباين (ضربَ الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون و رجلاً سلفاً لرجل هل يستويان مثلاً) «٣» هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله و هو محسن، يعبد ربه مخلصاً له الدين تحت راية لا إله إلا الله، و قرط أذنه قوله تعالى (قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرُهُمْ) «٤»، و ورد لسانه: (و ما

تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» (٥)، و أمّا عثمان فهو أسير هوى مروان و معاوية و سعيد و من شاكلهم من أبناء بيته، يسير مع ميولهم و شهواتهم، حتى

قال مولانا أمير المؤمنين: «ما رضيت من مروان و لا رضى منك إلا بتحويلك عن دينك و عقلك، و إن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يُسار

---

(١). المقشَّب: الممزوج الحسب باللؤم.

(٢). رجل ناصح الجيب أى صادق أمين، تقى القلب لا غشّ فيه. و يقال: وارى الزند. فى المبالغة فى الكرم و الخصال المحمودة. (المؤلف)

(٣). الزمر: ٢٩.

(٤). الأنعام: ٩١.

(٥). هود: ٨٨.

ص: ٤٠٨

به «٦»

قدم ربّه و قد خلط عملاً صالحاً و آخر سيّئاً، كسب سيّئة و أحاطت به خطيئته.

إيه إيه يا نبىّ العظمة أنزلك الدهر ثم أنزلك حتى جعلك كُفو عثمان بعد ما اختارك ربك و اصطفاك من برّيته و جعلك لسان صدق نبياً! هذا جزاؤك من أمّتك جزاء سنّمّار (و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) «٧».

لفت نظر:

وضعت يد الأمانة الخائنة على ودائع الإسلام المقدّس هذه الرواية تجاه ما صحّ عن النبىّ الأقدس فى صنوه الطاهر أمير المؤمنين

فى حديث طويل عن ابن عبّاس من قوله صلى الله عليه و آله و سلم لعلّى عليه السلام: «أنت وليّى فى الدنيا و الآخرة».

أخرجه أحمد فى مسنده «٨» (١ / ٣٣١)

بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات كما مرّ الإيعاز إليه في الجزء الأوّل (ص ٥٠)، وفي الجزء الثالث (ص ١٩٥)، رجاله:

١- يحيى بن حماد أبو بكر البصرى، أحد رجال الصحيحين، وثّقه «٩» ابن سعد و أبو حاتم و ابن حبان و العجلي.

٢- أبو عوانة الوضّاح الشكرى، من رجال الصحيحين. وثّقه «١٠» أبو زرعة

---

(٦). راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص ١٧٤. (المؤلف)

(٧). الشعراء: ٢٢٧.

(٨). مسند أحمد: ١ / ٥٤٤ ح ٣٠٥٢.

(٩). الطبقات الكبرى: ٧ / ٣٠٦، الجرح و التعديل: ٩ / ١٣٧ رقم ٥٨٣، الثقات: ٩ / ٢٥٧، تاريخ الثقات للعجلي: ص ٤٧٠ رقم ١٨٠٠.

(١٠). الجرح و التعديل: ٩ / ٤٠ رقم ١٧٣، العلل و معرفة الرجال: ٣ / ٩٢ رقم ٤٣٢٩، الثقات: ٧ / ٥٦٢، الطبقات الكبرى: ٧ / ٢٨٧، تاريخ الثقات للعجلي: ص ٤٦٤ رقم ١٧٦٨، تاريخ أسماء الثقات: ص ٣٣٩ رقم ١٤٤٣. وانظر تهذيب التهذيب: ١١ / ١٠٤.

ص: ٤٠٩

و أبو حاتم و أحمد و ابن حبان و ابن سعد و العجلي و ابن شاهين. و قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنّه ثقة ثبت حُجّة.

٣- أبو بلج يحيى بن سليم الواسطى، وثّقه ابن معين و ابن سعد «١» و النسائى و الدارقطنى و ابن حبان و أبو الفتح الأزدى.

٤- عمرو بن ميمون أبو عبد الله الكوفى، أدرك الجاهليّة و لم يلق النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم. وثّقه «٢» العجلي و ابن معين و النسائى و غيرهم، عن ابن عباس.

و أخرج جمع من الحفاظ و ذكره غير واحد من المؤلّفين، و منهم «٣»:

١- الحافظ أبو عبد الرحمن النسائى المتوفّى (٣٠٣)، فى الخصائص (ص ٧).

٢- الحافظ أبو القاسم الطبرانى المتوفّى (٣٦٠)، كما فى الفرائد و المجمع و غيرهما.

٣- الحافظ أبو يعلى النيسابورى المتوفّى (٣٧٤) «٤» كما فى البداية و النهاية.

(١). الطبقات الكبرى: ٧ / ٣١١، و انظر تهذيب الكمال للمزى: ٣٣ / ١٦٢ رقم ٧٢٦٩.

(٢). تاريخ النقات: ص ٣٧١ رقم ١٢٩٠، التاريخ: ٣ / ٥٠٦ رقم ٢٤٧.

(٣). خصائص أمير المؤمنين: ص ٤٥ ح ٢٣، المعجم الكبير: ١٢ / ٧٧ ح ١٢٥٩٢، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ١٤٥ ح ٤٦٥٥، المناقب: ص ١٢٥ ح ١٤٠، ترجمة الامام علی بن أبی طالب من تاریخ ابن عساکر - الطبعة المحققة - رقم ٢٤٩ - ٢٥١ و فی مختصر تاریخ دمشق: ١٧ / ٣٢٩، كفاية الطالب: ص ٢٤٢ باب ٦٢، الرياض النضرة: ٣ / ١٥٣، فرائد السمطين: ١ / ٣٢٧ ح ٢٥٥ باب ٥٩. البداية و النهاية: ٧ / ٣٧٤ حوادث سنة ٤٠ هـ، وسيلة المآل: ص ١٢٩، نزل الأبرار: ص ٤٩، مفتاح النجا: ص ٤٠، مرآة المؤمنين: ص ٨٥.

(٤). قال ابن كثير: و قال أبو يعلى: حدّثني يحيى بن عبد الحميد ... الخ. و يحيى متوفى سنة ٢٢٨، و لهذا يبعد رواية أبي يعلى - المتوفى ٣٧٤ - عنه مباشرة، لأن هذا يعنى أنه عمّر بعد سماعه عنه مائة و ستاً و أربعين سنة على الأقل و يبدو أن أبا يعلى هذا راو لا مؤلف، و هو غير الحافظ أبى يعلى الموصلى صاحب المسند، لأننا لم نعتز على هذا الحديث فى مسنده فضلاً عن أنه توفى سنة (٣٠٧). أما كلمة (النيسابورى) فلم نجدها فى تاريخ ابن كثير، و لا فى غيره من المصادر التى ذكرت الحديث.

ص: ٤١٠

٤- الحافظ أبو عبد الله الحاكم المتوفى (٤٠٥) فى المستدرک (٣ / ١٣٢) و صحّحه.

٥- الحافظ أبو بكر البيهقى المتوفى (٤٥٨) كما فى المناقب للخوارزمى.

٦- أخطب خوارزم أبو المؤيد المتوفى (٥٦٨) فى المناقب (ص ٧٥).

٧- الحافظ أبو القاسم بن عساکر المتوفى (٥٧١) فى الأربعين الطوال و الموافقات.

٨- الحافظ أبو عبد الله الكنجى المتوفى (٦٥٨) فى كفاية الطالب (ص ١١٥).

٩- الحافظ المحبّ الطبرى المتوفى (٦٩٤) فى الرياض النضرة (٢ / ٢٠٣) و ذخائر العقبى (ص ٨٧).

١٠- شيخ الإسلام الحموى المتوفى (٧٢٢) فى فرائد السمطين.

١١- الحافظ ابن كثير الدمشقى المتوفى (٧٧٤) فى البداية و النهاية (٧ / ٣٣٧).

١٢- الحافظ أبو الحسن الهيثمى المتوفى (٨٠٧) فى مجمع الزوائد (٩ / ١٠٨) و صحّحه من طريق أحمد.



١٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢) في الإصابة (٢ / ٥٠٩).

١٤- أبو حامد محمود الصالحاني «١» كما في توضيح الدلائل لشهاب الدين أحمد.

١٥- السيد شهاب الدين أحمد «٢» في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل.

١٦- الشيخ أحمد بن الفضل با كثير المتوفى (١٠٤٧) في وسيلة المآل.

---

(١). هو محمود بن محمد، أبو حامد سعد الدين الصالحاني المتوفى ٦١٢ هـ. أديب، سكن شيراز و بها حدث. له تصانيف. أنظر معجم المؤلفين: ١٢ / ١٩٦.

(٢). هو السيد شهاب الدين أحمد بن عبد الله الحسيني الشيرازي.

ص: ٤١١

١٧- ميرزا محمد البدخشاني المتوفى (١١٢٣) «١» في نزل الأبرار (ص ١٦) و مفتاح النجا.

١٨- شاه ولي الله الهندي المتوفى (١١٢٦) «٢» في إزالة الخفاء (٢ / ٢٤١).

١٩- الأمير محمد بن إسماعيل اليمنى الصنعاني في الروضة النديّة.

٢٠- المولوى ولي الله الهندي المتوفى (١٢٧٠) «٣» في مرآة المؤمنين. و غيرهم.

هذا ما

صحّ عن النبيّ الأعظم من قوله: «أنت وليّى فى الدنيا و الآخرة»

، (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) «٤».

١٢- أخرج البزار «٥» من طريق خارجة بن مصعب، عن عبد الله بن عبيد الحميرى البصرى، عن أبيه قال: كنت عند عثمان حين حُصر فقال: ها هنا طلحة؟ فقال طلحة: نعم. فقال: أنشدتك الله أما علمت أنا كنا عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه فأخذت بيد فلان، و أخذ فلان بيد فلان، حتى

---

(١). الميرزا محمد خان ابن رستم خان المعتمد البدخشي المتوفى بعد سنة ١١٢٤، ذكر ذلك العلامة السيد عبد العزيز

الطبائبي رحمه الله في تعليقه في الجزء الأول ص ٢٩٨ من هذا الكتاب. وقد ذكرنا في هامش ٦ / ٤٨٠ سهواً أنه توفي سنة ٩٢٢.

(٢). اسمه أحمد بن عبد الرحيم، أبو عبد العزيز الفاروقى الدهلوى الهندى، الملقب شاه ولى الله. أرخ الزركلى فى الأعلام: ١ / ١٤٩ وفاته بسنة ١١٧٦ هـ، و قال: قيل فى وفاته: سنة ١١٧٩. و نقل المغفور له العلامة المحقق السيد عبد العزيز الطبائبي طيب الله ثراه فى هامش الغدير: ١ / ٢٩٩ نقلًا عن نزهة الخواطر أن وفاته سنة ١٢٣٩ هـ. و كأنه حدث خلط بين ولى الله أحمد و بين ابنه عبد العزيز المولود سنة ١١٥٩ و المتوفى ١٢٣٩ هـ. فالترجم فى الجزء الأول المراد منه أبو عبد العزيز ولى الله أحمد المتوفى ١١٧٦ هـ و ليس ابنه عبد العزيز، و هو نفسه المقصود هنا.

(٣). مر ذكره فى الجزء الأول ص ٣٠٣.

(٤). الأعراف: ١٦٢.

(٥). البحر الزخار: ٣ / ١٧١ ح ٩٥٩.

ص: ٤١٢

أخذ كل رجل بيد صاحبه و أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بيدي و قال: هذا جليسى فى الدنيا و ولى فى الآخرة؟ قال: اللهم نعم.

و ذكره ابن حجر فى فتح البارى «١» (٥ / ٣١٥) عن ابن مندة من طريق عبيد الحميرى المذكور ساكتاً عمّا فى إسناده من العلة، كأنه ليس هو الذى حكى تلکم الآراء الواردة فى جرح خارجه بن مصعب عن الحفاظ و أئمة الجرح و التعديل. قال فى تهذيب التهذيب «٢» (٣ / ٧٨): قال الأثرم عن أحمد: لا يكتب حديثه. و قال عبد الله بن أحمد: نهانى أبى أن أكتب عنه شيئاً من الحديث. و قال الدورى و معاوية و عباس عن ابن نمير: ليس بثقة، ليس بشيء، كذاب ضعيف. و قال ابن معين «٣»: ليس بشيء. و قال يحيى بن يحيى: يدلّس. و قال النسائى «٤»: متروك الأحاديث، ليس بثقة، ضعيف. و قال ابن سعد «٥»: اتقى الناس حديثه فتركوه. و قال ابن خراش و أبو أحمد: متروك الحديث. و قال الدارقطنى «٦»: ضعيف. و قال يعقوب: ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا. و قال ابن المدينى: هو عندنا ضعيف.

و قال أبو داود: ضعيف ليس بشيء. و قال ابن حبان «٧»: وقع فى حديثه الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج بخبره. و ذكره ابن الجارود و العقيلى «٨» و ابن السكن و أبو زرعة و أبو العرب و غيرهم فى الضعفاء.

و قال السيوطى فى اللآلى (١ / ٣١٧): قال ابن حبان: خارجه يدلّس عن

(٢). تهذيب التهذيب: ٦٧ / ٣.

(٣). معرفة الرجال: ٦٨ / ١ رقم ١٤٣، التاريخ: ٢٥٣ / ٣ رقم ١١٨٨.

(٤). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٩٧ رقم ١٨٢.

(٥). الطبقات الكبرى: ٣٧١ / ٧.

(٦). الضعفاء و المتروكون: ص ٢٠١ رقم ٢٠٤.

(٧). كتاب المجروحين: ٢٨٨ / ١.

(٨). الضعفاء الكبير: ٢٥ / ٢ رقم ٤٤٦.

ص: ٤١٣

الكذابين و وقع في حديثه الموضوعات.

و لعلنا أوقفناك على مقياس صحيح في أمثال هذه الرواية في ذيل الروايتين اللتين تُشبهانها قُبيل هذا، فإنك إذن لا تجد مقبلاً لها من الصحة و الاعتبار نظراً إلى منتها قبل أن تقف على ضعف إسنادها، فدعها و مرّ بها كريماً، و ذر الوضّاعين في غلوائهم يرمون القول على عواهنه.

و لو كان طلحة سمع هذه المزعومة منه صلى الله عليه و آله و سلم و اعترف بها يوم الحصار في ملاء الصحابة لما كان يأخذ بخناق الرجل و يشدّد عليه، و ما كان يشير عليه تقع الفتن حتى يورده مورد المنية، و لم يك يمنع عنه إيصال الماء إليه، و لم يرض بإنهاء أمره إلى القتل الذريع، و لم يُرضه دفنه في مقابر اليهود.

لو كان طلحة يعرف شيئاً من هذه الرواية لما استسهل ركوب ذلك المركب الصعب الجموح و هو صحابي عادل أحد العشرة المبشرة كما يحسبون.

١٣- أخرج ابن ماجة في سننه «١» (٥٣ / ١)، عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لقي عثمان عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صدق رقية على مثل صحبتها. و رواه ابن عساکر «٢» كما في تاريخ ابن كثير «٣» (٢١١ / ٧).

قال الأميني: أسلفنا فيما مرّ صفحة (٢٩٠) أن محمد بن عثمان يخطئ و يخالف و يروى عن أبيه مناكير، و أن أباه ليس بنقّة و أحاديثه غير محفوظة، و أنه حدّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الاحتجاج به، و مرّ في صفحة (٢٩٥) أن عبد الرحمن بن

(١). سنن ابن ماجة: ١ / ٤٠ ح ١١٠.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٣٩ - ٤٠ رقم ٤٦١٩، و في مختصر تاريخ دمشق: ١٦ / ١٢٠.

(٣). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٤١٤

أبي الزناد ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث، و أنه ضعيف مضطرب الحديث لا يُحتج بحديثه، و عليك بمراجعة ما فصلناه في الجزء الثامن (ص ٢٣١ - ٢٣٤).

١٤ - أخرج ابن عدى «١»، قال: حدثنا محمد بن داود بن دينار، حدثنا أحمد ابن محمد بن الحباب البصرى، حدثنا عمرو بن فائد البصرى، عن موسى بن سيار البصرى، عن الحسن البصرى، عن أنس مرفوعاً: إن لله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفان حياً، فإذا قُتل جُرد ذلك السيف فلم يُغمد إلى يوم القيامة، و رواه ابن عساكر «٢» بالإسناد.

قال السيوطى فى اللآلئ (١ / ٣١٦): موضوع آفته عمرو بن فائد، و شيخه كذاب أيضاً.

قال الأمينى: ألا تعجب من السيوطى؟ يحكم هاهنا على الرواية بالوضع و يكذب راويها و يذكرها فى تاريخ الخلفاء «٣» (ص ١١٠) فى عدّ فضائل عثمان و يقتصر على قوله: تفرّد به عمرو بن فائد و له مناكير. نعم؛ هكذا يموّهون على الحقائق و يغرون الناس بالجهل، كان على الرجل أن يبلغها عن سياق عدّ الفضائل - التى من طبعها أن يُحتج بها - بعد ما رآها موضوعة رواها كذاب عن كذاب، غير أنه لو اقتصر على ما يحتج به فى باب الفضائل، و ألغى ما لا يصحّ منها سنداً أو متناً، لما يجد هو و غيره فضيلة قطّ لعثمان، و هذا ممّا لا يروقه هو و لا يحبّده قومه.

و للدارقطنى، و ابن المدينى، و العقيلى، و ابن عدى، و النسائى، و الذهبى، كلمات

(١). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٥ / ١٤٨ رقم ١٣١٢.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٤٤٤ رقم ٤٦١، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٦ / ٢٤٩.

(٣). تاريخ الخلفاء: ص ١٥١ - ١٥٢.

ص: ٤١٥

فى جرح عمرو بن فائد و بطلان حديثه. راجع «١» لسان الميزان (٤ / ٣٧٢).

و ليحيى القطان، و أبي حاتم، و ابن عدى، و ابن معين، و الذهبي، أقوال في تفنيد موسى بن سيار البصرى و تكذيبه و بطلان حديثه.

راجع «٢»: ميزان الاعتدال (٣ / ٢١١)، و لسان الميزان (٦ / ١٢٠).

و في الإسناد محمد بن داود الفارسي، قال الذهبي في الميزان «٣» (٣ / ٥٤): من شيوخ ابن عدى، ذكره فقال: كان يكذب. و ذكر ابن حجر في اللسان «٤» (٥ / ١٦١) حديثاً في فضل عليّ أمير المؤمنين فقال: هو من وضع محمد بن داود بن دينار.

هذا شأن هذه المكذوبة، غير أن أناساً من الغالين في الفضائل كالسيوطي و القرمانى «٥» و أحمد زيني دحلان «٦» اتخذوها حجة عند ذكرهم فضائل عثمان مرسلين إيّاها إرسال المسلم شأنهم في الموضوعات المفتعلة في الثناء على رجالاتهم.

١٥- و أخرج الحاكم في المستدرک «٧» (٣ / ١٠٣) من طريق أحمد بن كامل القاضي، عن أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي، عن الفضل بن جبير الوراق، عن خالد بن عبد الله الطحان المزني، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن

---

(١). الضعفاء و المتروكون: ص ٣٠٧ رقم ٣٩٩، الضعفاء الكبير: ٣ / ٢٩٠ رقم ١٢٩٢، الكامل في ضعفاء الرجال: ٥ / ١٤٨ رقم ١٣١٢، ميزان الاعتدال: ٣ / ٢٨٣ رقم ٦٤٢١، لسان الميزان: ٤ / ٤٢٩ رقم ٦٣٠٧.

(٢). الجرح و التعديل: ٨ / ١٤٦ رقم ٦٥٩، الكامل في ضعفاء الرجال: ٦ / ٣٤٥ رقم ١٨٢٥، ميزان الاعتدال: ٤ / ٢٠٦ رقم ٨٨٧٤، لسان الميزان: ٦ / ١٤٠ رقم ٨٦٥٢.

(٣). ميزان الاعتدال: ٣ / ٥٤٠ رقم ٧٤٩٩.

(٤). لسان الميزان: ٥ / ١٨٢ رقم ٧٣٣٠.

(٥). في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير: ١ / ٢١٤ [١ / ٣٠١]. (المؤلف)

(٦). في الفتوحات الإسلامية: ٢ / ٤٩٨ [٢ / ٣٢٨]. (المؤلف)

(٧). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١١٠ ح ٤٥٥٥، و كذا في تلخيصه.

ص: ٤١٦

عبّاس قال: كنت قاعداً عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبل عثمان بن عفان رضى الله عنه، فلما دنا منه، قال: يا عثمان تفتل و أنت تقرأ سورة البقرة، فتقع قطرة من دمك على (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) «١» و تُبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخذول، يغبطك أهل الشرق و الغرب، و تشفع في عدد ربيعة و مضر.

قال الأميني: سكت الحاكم عن صحّة الحديث، و أنصف الذهبي فقال في تلخيصه: كذب بحت، و في الإسناد أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي، و هو المتهّم به. انتهى.

و شيخ الجعفي أيضاً لا يتابع على حديثه، كما قاله «٢» العقيلي و حكاه عنه الذهبي في الميزان و ابن حجر في لسانه (٤/٤٣٨).

إنّ ممّا يُقتضى منه العجب أنّ أحداً من الصحابة العدول لم يسمع هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، كأنّ المجلس الذي ألقى صلى الله عليه و آله و سلم فيه هذه الكلمة كان خلواً عنهم جميعاً، و من العجيب أيضاً أنّه لم يروه أحد منهم لصاحبه - إن كان سمعه أحد - حتى تتداوله الألسن، فعسى أن يكون رادعاً عن التجمهر على عثمان و الاتفاق على نبذه و الجرأة على قتله، نعم؛ لم يسمعه أحد منه صلى الله عليه و آله و سلم عدا ابن عبّاس الذي كان صبيّاً في عهد النبوة لم يبلغ الحلم، و قد توفّي صلى الله عليه و آله و سلم و ابن عبّاس ابن ثلاث عشرة سنة كما قاله الواقدي و الزبير، و صحّحه أبو عمر في الاستيعاب، أو عشر سنين كما روى عن ابن عبّاس نفسه من وجوه «٣» أو أكثر منها، و ربما يُشكّ في أنّه هل كان يحسن التحمّل عندئذٍ أو لا؟ و لعلّه هو أيضاً كان شاكاً في تحمّله هذا الحديث حيث جاءته استغاثة

(١). البقرة: ١٣٧.

(٢). الضعفاء الكبير: ٣/٤٤٤ رقم ١٤٩٢، ميزان الاعتدال: ٣/٣٥٠ رقم ٦٧١٦، لسان الميزان: ٤/٥١٢ رقم ٦٥٤٦.

(٣). راجع: مسند أحمد: ١/٢٥٣ [١/٤١٩ ح ٢٢٨٣]، الاستيعاب: ١/٣٧٢ [القسم الثالث / ٩٣٣ رقم ١٥٨٨]. (المؤلف)

ص: ٤١٧

عثمان «١» و هو يخطب الحاجّ يوم عرفة فتلاها نافع بن طريف، فلما أتمّها مضى ابن عبّاس في خطبته غير مكترث لاستغاثة الخليفة و هو بين الناب و المخلب، على حين أنّه كان منصوباً من قبله لإمارة الحاجّ، فلم يعرض لشيء من شأنه و لا للزوم الدفاع عنه، و ما ذلك إلّا لإصفاقه مع المجهزين عليه في الرأي و إلّا لكان من واجبه الحثّ على الذبّ عنه، و بيان وجوب إغاثته، و ملء سمعه هذا الحديث الذي عُزى إليه و ملء فيه روايته - و حاشاه عن روايته - و كأنّ الحضرة النبويّة نصب عينيه يتلقّى منه الرواية، و هو الذي يقتضيه عدله و تقواه.

و هناك شاهد آخر لعدم إخبائه إلى مضمون هذه الرواية و هو أنّه لمّا بعثه عثمان أميراً على الحاجّ لقيته عائشة في بعض المنازل فقالت له: يا ابن عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً و فهماً و بياناً فإياك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية «٢» تعني عثمان، فلم يُبد ابن عبّاس لها تجاه تلك الشدة تجهماً و لا قولاً لئناً كمن يوافقها على النزعة، كما ردّ عليها في حثّها على عدم التخذيل عن طلحة و جنوحها إلى تولّيه الأمر، فلو كان ابن عباس يعرف في شأن عثمان شيئاً من هذه الرواية لرواه لها و اتّخذه مستنداً في الدفاع عنه، فجامع القول أنّ الحبر لم يسمع ممّا تُقول عليه شيئاً، و إنّما هو من مواليد العهد الأمويّ بعد عهد ابن عبّاس.

و ليس من المستسهل الكشف عن إمارة المخذولين يوم القيامة، كما أنّ من المستصعب جدّاً عرفان أعيانهم و أشخاصهم، أ فيهم أولئك الصفوة الأبرار من الصحابة و التابعين أمثال أبي ذر و عمّار و ابن مسعود و مالك الأشتر و زيد و صعصعة ابني صوحان و كعب بن عبدة و عامر بن عبد قيس و آخرين من صلحاء المدينة و الكوفة و البصرة الذين خذلهم عثمان و أبناء بيته؟

---

(١). راجع ما مضى فى هذا الجزء: ص ١٣٤، ١٩٢. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ فى هذا الجزء صفحة: ٧٨. (المؤلف)

ص: ٤١٨

و لعلّ فى المخذولين الحكم و مروان و آلهمما و عبد الله بن أبى سرح و أبى سفيان و ولده و أضرابهم الذين خذلهم الإسلام و آواهم عثمان و عزّهم و سلّطهم على صلحاء الأمّة من الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان.

و نحن على يقين من أنّ الشفاعة المزعومة التى لا تصدّقها سيرة عثمان و لا تساعدنا البرهنة و يضادّها نداء الكتاب الكريم إن حَقَّقَتْ تُدْنَسُ سَاحَةُ الْجَنَّةِ الْمُقَدَّسَةِ بِإِدْخَالِ عِثْمَانَ أَرْجَاسَ آلِ أُمِّيَّةٍ فِيهَا كَمَا يَعْرَبُ عَنْهُ قَوْلُهُ النَّابِتِ الْمَذْكُورِ فِي الْجِزْءِ الثَّامِنِ (ص ٢٩١):

لو أنّ بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم.

١٦- أخرج الحاكم فى المستدرک «١» (٣/ ١٠٣)؛ عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم العدل «٢»، عن يحيى بن أبى طالب، عن بشّار بن موسى الخفاف البصرى، عن الحاطبى عبد الرحمن «٣» بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: لمّا كان يوم الجمل خرجت أنظر فى القتلى. قال: فقام علىّ و الحسن بن علىّ و عمّار بن ياسر و محمد بن أبى بكر و زيد بن صوحان يدورون فى القتلى. قال: فأبصر الحسن بن علىّ قتيلاً مكبواً على وجهه فقلبه على قفاه ثمّ صرخ ثمّ قال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون فرخ قريش و الله. فقال [له] «٤» أبوه: من هو يا بُنى؟ قال: محمد بن طلحة بن عبيد الله. فقال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، أما و الله لقد كان شاباً صالحاً، ثمّ قعد كئيباً حزيناً، فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان و فلان. قال: قد كان ذاك يا بُنى و لوددت أنّى متّ قبل هذا بعشرين سنة. قال محمد بن

---

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١١١ ح ٤٥٥٧، و كذا فى تلخيصه.

(٢). كذا فى النسخ، و الصحيح: المعدل. (المؤلف)

(٣). كذا فى النسخ، و الصحيح: عبد الرحمن بن عثمان بن محمد. (المؤلف)

(٤). من المصدر.

ص: ٤١٩

حاطب: فقمتم فقلت: يا أمير المؤمنين إنا قادمون المدينة و الناس سائلونا عن عثمان فما ذا تقول فيه؟ قال: فتكلم عمّار بن ياسر و محمد بن أبي بكر فقاما و قالوا، فقال لهما عليّ: يا عمّار و يا محمد تقولان: إنّ عثمان استأثر و أساء الأثرة و عاقبتم و الله فأسأتم العقوبة، و ستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم، ثمّ قال: يا محمد بن حاطب إذا قدمت المدينة و سُئلت عن عثمان فقل: كان و الله من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثمّ اتقوا و آمنوا ثمّ اتقوا و أحسنوا و الله يحبّ المحسنين و على الله فليتوكّل المؤمنون.

قال الأميني: سكت الحاكم عمّا فى إسناده هذه الأكذوبة من العلل و لم يصحّحه و لم ينبس فيه بكلمة غمز و لا تصحيح، و اكتفى الذهبي فيه بقوله: بشّار بن موسى واه. و نحن نقول:

عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، قال الدارقطني: فيه لين، و ذكره بذلك الخطيب البغدادي فى تاريخه (٩/ ٤١٤).

و يحيى بن أبى طالب، قال فيه موسى بن هارون: أشهد أنّه يكذب عنى. و قال مسلمة بن قاسم: تكلم فيه الناس. لسان الميزان «١» (٦/ ٢٦٢).

و بشّار بن موسى البصرى، قال ابن معين «٢»: ليس بثقة، و قال: إنّهُ من الدجالين. و قال أبو حفص: ضعيف الحديث. و قال البخارى «٣»: منكر الحديث، و قد رأيتهُ و كتبت عنه و تركت حديثه. و قال أبو داود: ضعيف. و قال النسائي «٤»: ليس بثقة. و قال أبو زرعة: ضعيف. و قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوىّ عندهم. و ذكر

---

(١). لسان الميزان: ٦/ ٣٢٢ رقم ٩١٥٩.

(٢). معرفة الرجال: ١/ ٦٥ رقم ١٢٣.

(٣). التاريخ الكبير: ٢/ ١٣٠ رقم ١٩٣٥.

(٤). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٦٣ رقم ٨٢.

ص: ٤٢٠

عند الفضل بن سهل، فأساء القول فيه «١».



و عبد الرحمن الحاطبي، ضَعَفَه «٢» أبو حاتم الرازي كما في ميزان الاعتدال للذهبي. و والده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم.

فأىّ عبرة بما يرويه أو يرتبته أمثال هؤلاء الدجالين؟ على أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان على بصيرة من مسيره إلى حروبه كلها و منقلبه عنها و في جميع ما ارتكبه فيها أو تركه، و كل ذلك كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عهد منه إليه عليه السلام، و قد عُدَّ ذلك من فضائله، و كان صلى الله عليه و آله و سلم يحث أصحابه على مناصرته يومئذ كما مرّ تفصيله في الجزء الثالث (ص ١٨٨ - ١٩٥)

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «سيكون بعدى قوم يقاتلون عليًا على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه، ليس وراء ذلك شيء» «٣».

و كان أبو أيوب الأنصاري و غيره من الصحابة يقول: عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن تقاتل مع عليّ الناكثين «٤».

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحذر أمّ المؤمنين عائشة عن ذلك التبرج تبرج الجاهلية الأولى و يقول لها: «يا حميراء كآني بك تنبحك كلاب الحوآب تقاتلين عليًا و أنت له ظالمة» «٥».

و قد صح عنه صلى الله عليه و آله و سلم كما مرّ في (٣ / ١٩١) قوله للزبير: «إنك تقاتل عليًا و أنت ظالم له».

فكان مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مندفعاً إلى ما ناء به من أعباء تلكم الحروب بالأمر النبويّ، و لم يكن قطّ قد غلب على رأيه فلان و فلان، و لم يكن

---

(١). تاريخ الخطيب: ٧ / ١١٩ [رقم ٣٥٦٠]، تهذيب التهذيب: ١ / ١٤٤ [١ / ٣٨٦]. (المؤلف)

(٢). الجرح و التعديل: ٥ / ٢٦٤ رقم ١٢٤٩، ميزان الاعتدال: ٢ / ٥٧٨ رقم ٤٩١٧.

(٣). راجع الجزء الثالث: ص ١٩٠. (المؤلف)

(٤). راجع الجزء الثالث: ص ١٩٢ - ١٩٥. (المؤلف)

(٥). راجع الجزء الثالث: ص ١٨٩. (المؤلف)

الإمام المجتبي المعصوم عن كل زلّة و هفوة بالذى ينهى أباه عمّا أمر به جدّه الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، و لا أمير المؤمنين عليه السلام بالذى يندم على ما نهض به من قمّ جذور الفساد و قلع جذومه، و لو سوّغنا عليه الندم فى هذه لسوّغنا عليه فيمن قتله فى مغازى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من أشياع الكفر و زبانية الشرك و الإلحاد، فإذا كان سلام الله عليه فى المقامين جميعاً منبعثاً بباعث إلهيٍّ و مصلحة دينية من استئصال شأفة العيث و قطع جرائم الإلحاد، فلا يطرق ساحته المقدّسة الندم فى أى من الحالين.

و أىّ صلاح فى محمد بن طلحة؟ و قد شهر سيفه يُحارب إمام المسلمين و قد أمر بنصرته و الجهاد معه، فحاله حال أبيه فى الزيف و النكوص عن السنن اللاحب. هذه حقيقة الأمر لكن مُهلِجَة الخلاف الوضّاعين شاءوا أن يختلقوا ما يبرر أعمال الوائيين مع اليهودج فقالوا. و لكن أين؟ و أنى؟...

و كيف يصحّ عن مولانا أمير المؤمنين ما اختلقوا عليه من قوله لمحمد بن حاطب؟ و قد صدر عنه من فعل و قول قبل هذا الموقف و بعده ما يعرب عن رأيه فى عثمان، و لا يصدّق الخبر الخبر، راجع ما مرّ فى هذا الجزء (ص ٦٩-٧٧)، و فى الجزء الثامن (ص ٢٨٧-٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١)، و فى الجزء السابع (ص ٨١).

و هل تساعد سيرة الرجل أن يراه أمير المؤمنين من الذين آمنوا و عملوا الصالحات (ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا) «١» الآية؟ و هى التى أركبته النهابير، و سقته كأس المنية، و كانت تخالف الكتاب و السنة، و الصحابة الأولون و فى مقدّمهم سيّدنا الإمام عليه السلام كانوا مطبقين على التكبير و النعمة عليها، و لأجلها تمخّضت البلاد عليه، و هى التى أقعدت الصحابة عن نصرته و الذبّ عنه، و هى التى زحزحت الأمة

---

(١). المائدة: ٩٣.

ص: ٤٢٢

الصالحة عن تجهيزه و تكفينه و الصلاة عليه، و هى التى دفنته فى مقابر اليهود بعد ما بقى جثمانه فى مزبلة أياماً و ليالى تمرّ به عواصف الذلّ و الهوان و الملاء الدينى ينظر إليه من كتب، و الناس قد بايعوا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام و بيده مقاليد الأمور يُسمع قوله و يطاع، و هو الذى يتحمّس لأمر ما، يراه الناس هيّناً و هو عنده عظيم، فيعبّات أصحابه و

يقول فى خطبته له: «لقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، و الأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها و قلبها و قلاتدها و رعائها» «١» ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع و الاسترحام ثمّ انصرفوا وافرّين، ما نال رجلاً منهم كلم، و لا أريق لهم دم، فلو أنّ امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندى جديراً» «٢».

هذا أمير المؤمنين و هذا مبلغ غيرته على الإسلام و أهله و لكن:

ه و لا كفّ عنه كفّ أذاها  
من علىّ أم عَفَّةٌ و نزاها

و ابن عفّان حوله لم يجّهز  
لست أدري أ كان ذلك مقتاً

فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) «٣»، (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ) «٤».

١٧- أخرج ابن أبي الدنيا؛ من طريق فرج بن فضالة الدمشقي، عن مروان بن أبي أمية، عن عبد الله بن سلام، قال: أتيت عثمان لأسلم عليه و هو محصور فدخلت عليه فقال: مرحباً بأخي، مرحباً بأخي، رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الليلة في هذه الخوخة- قال: و خوخة في البيت- فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم. قال: عطشوك؟ قلت: نعم، فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتى رويت حتى إنني لأجد برده

(١). القلب: السوار. الرعات جمع رعثة بالفتح: القرط. (المؤلف)

(٢). نهج البلاغة: ١ / ٦٩ [ص ٦٩ خطبة ٢٧]. (المؤلف)

(٣). سورة ص: ٢٦.

(٤). البقرة: ١٢٠.

ص: ٤٢٣

بين ثديي و بين كتفي، و قال لي: إن شئت نصرت عليهم، و إن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده. فقتل ذلك اليوم «١».

قال الأميني: هذه السفسطة من آفات فرج بن فضالة الدمشقي. قال أحمد: يحدث عن الثقات أحاديث مناكير «٢». و قال ابن معين: ضعيف الحديث. و قال ابن المديني: ضعيف لا أحدث عنه. و قال البخاري «٣» و مسلم: منكر الحديث. و قال النسائي «٤»: ضعيف. و قال أبو حاتم «٥»: لا يحتجّ به. و قال أبو أحمد: حديثه ليس بالقائم. و قال الدارقطني: ضعيف الحديث. و ذكر البرقاني حديثاً للدارقطني من طريق فرج بن فضالة فقال الدارقطني: هذا باطل. فقال البرقاني: من جهة الفرج؟ قال: نعم. و قال عبد الرحمن بن مهدي: حدثت بأحاديث منكورة مقلوبة. و قال الساجي: ضعيف الحديث. و قال الخطيب: لا يغرر «٦» أحد بالحكاية المروية في توثيقه عن ابن مهدي فإنها من رواية سليمان بن أحمد و هو الواسطي و هو كذاب، و قد قال البخاري: تركه ابن مهدي.

و قال ابن حبان «٧»: فرج بن فضالة يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحل الاحتجاج به. و قال الحاكم: هو ممن لا يُحتجّ به «٨».

(١). الأنساب للبلاذرى: ٥ / ٨٢ [٦ / ٢٠١]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٨٢ [٧ / ٢٠٤ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الرياض النضرة: ٢ / ١٢٧ [٣ / ٦٠]. (المؤلف)

(٢). أنظر تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٩٥.

(٣). التاريخ الكبير: مج ٧ / ١٣٤ رقم ٦٠٨.

(٤). كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٩٨ رقم ٥١٥.

(٥). الجرح والتعديل: ٧ / ٨٥ رقم ٤٨٣.

(٦). العبارة من هنا إلى نهاية الفقرة لابن حجر فى تهذيب التهذيب، و أما عبارة الخطيب فى تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٩٣ رقم ٦٨٥٦. فهى: و كان ضعيفاً فى الحديث.

(٧). كتاب المجروحين: ٢ / ٢٠٦.

(٨). تهذيب التهذيب: ٨ / ٢٦٠ - ٢٦٢ [٨ / ٢٣٤ - ٢٣٦] و انظر تهذيب الكمال: ٢٣ / ١٥٦ رقم ٤٧١٤. (المؤلف)

ص: ٤٢٤

هذا فرج بن فضالة، و أمّا شيخه مروان فلست أدري أىّ هىّ بن بىّ هو «١»، لم أقف فى المعاجم على ترجمته و لم أجد له ذكراً لا فى مشايخ ابن فضالة و لا فى من يروى عن ابن سلام و لعلّه لم يولد بعد، و كم فى سلسلة أسانيد الفضائل أمثاله من أناس لا تعرفهم أمّ الدنيا، و ما صورهم قلم التصوير، و إنّما اختلق أسماءهم الغلوّ فى الفضائل.

و لست أدري هل أسرّ عثمان بهذه المكرمة إلى ابن سلام فحسب؟ أو أخبر بها هو أو ابن سلام جمهور الصحابة فوجدوها رؤياً لا تنهض للحجّة؟ أو بلغتهم حينما مسّ الحزام الطُّبِّيْن، و بلغ السيل الزبى، و اتّسع الخرق على الراقع؟ حينما فاتت الخليفة نهزة الحجاج، و تمّت عليه الحجّة و أصبح محجوجاً، و الأمة مجتمعة على مقتنه و قطع أصول حياته، و هى لا تجتمع على خطأ.

و فى الرواية موقع نظر أيضاً من ناحية صوم عثمان عند من أرّخ قتله بثانى أيام التشريق - كما فى رواية أبى عثمان النهدى فى أنساب البلاذرى (٥ / ٨٦)، و قد رواه الواقدى أيضاً، و اختاره المبرّد فى الكامل «٢» (٢ / ٢٤١)، و ذكره «٣» أبو عمر فى الاستيعاب (٢ / ٤٧٧)، و ابن الجوزى فى صفة الصفوة (١ / ١١٧)، و ابن حجر الهيثمى فى الصواعق (ص ٦٦)، و العسقلانى فى تهذيب التهذيب (٧ / ١٤١)، و السيوطى فى تاريخ الخلفاء (ص ١٠٩) و الديار بكرى فى تاريخ الخميس (٢ / ٢٥٨، ٢٦٤)، و

من مؤلفي اليوم الأستاذ على فكرى فى أحسن القصص (٣/ ١٦٤) - و ذلك أن الصوم فى أيام التشريق محظور عند القوم، و هو قول أبى حنيفة و الشافعى و عند مالك لغير المتمتع «٤». و قال

(١). يقال: هى بن بى. أو: هيان بن بيان. أى مجهول لا يُعرف هو و لا أبوه. (المؤلف)

(٢). الكامل فى اللغة و الأدب: ٢ / ٤٦.

(٣). الاستيعاب: القسم الثالث / ١٠٤٤ رقم ١٧٧٨، صفة الصفوة: ١ / ٣٠٤ رقم ٤، الصواعق المحرقة: ص ١١١، تهذيب التهذيب: ٧ / ١٢٨، تاريخ الخلفاء: ص ١٥١.

(٤). المحلى لابن حزم: ٧ / ٢٨، نيل الأوطار: ٤ / ٣٥٣ [٤ / ٢٩٤]. (المؤلف)

ص: ٤٢٥

ابن العماد الحنبلى فى الشذرات «١» (١ / ٤١): قوله: قال لى النبى صلى الله عليه و آله و سلم: و تظفر عندنا، معناه أول شىء تستعمله على الريق يكون عندنا لا أنه فطر صائم، إذ لم يكن يومئذ صائماً، فإن يوم قتله كان ثانى أيام التشريق، و لا يجوز صومه. انتهى.

و هذا التأويل يخالف ما أتتى به المؤرخون على عثمان من أنه كان يوم قتله صائماً، و هو من المتسالم عليه عند القوم سلفاً و خلفاً حتى اليوم كما ذكره الأستاذ على فكرى فى أحسن القصص (٣ / ١٦٤). و يضاد أيضاً صريح ما أخرجه ابن كثير فى تاريخه (٧ / ١٨٢) من طريق ابن عمر عن عثمان قال: رأيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام فقال: يا عثمان أفطر عندنا، فأصبح صائماً و قتل من يومه.

و كذلك لا يلتزم هو و ما أخرجه الهيثم بن كليب بالإسناد عن نائلة بنت الفرافصة - امرأة عثمان - قالت: لما حُصر عثمان ظلّ اليوم الذى كان فيه قتله صائماً، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه، و قالوا: دونك ذلك الركى «٢» - و الركى فى الدار الذى يلقي فيه التتن - قالت: فلم يفطر، فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة - و ذلك فى السحر - فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت: هذا ماء عذب أتيتك به، قالت: فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال: إننى أصبحت صائماً، قالت: فقلت: و من أين [أكلت] «٣» و لم أر أحداً أتاك بطعام و لا شراب؟ فقال: إننى رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أطلع على من هذا السقف و معه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال: ازدد، فشربت حتى نهلت، ثم قال: أما إن القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، و إن تركتهم أفطرت عندنا. قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه «٤».

(١). شذرات الذهب: ١ / ٢٠٣ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٢). و الركى: البئر أيضاً.

(٣). من المصدر.

(٤). تاريخ ابن كثير البداية و النهاية: ٧ / ١٨٣ [٧ / ٢٠٤ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلف)

ص: ٤٢٤

نعم؛ إنَّ الحديثين لا يعول عليهما أيضاً لما في إسنادهما من داعية إلى الإرجاء يبغض أهل بيت نبيّه، و من مجهول منكر لا يُعرف، و من متحامل على أمير المؤمنين من الفئة الباغية، فالحدِيثان كرواية ابن أبي الدنيا باطلان، و ما ذهب إليه القوم من أنّ الرجل كان يوم قتله صائماً منقبة مفتعلة لا تصحّ لاستنادهم فيها إلى تلکم الأباطيل التي اختلقتها يد الغلوّ في الفضائل.

١٨- أخرج الحاكم و ابن عساکر «١» و غيرهما من طريق محمد بن يونس الكديمي أبي العباس البصرى، عن هارون بن إسماعيل الخزاز أبي الحسن البصرى، عن قرّة بن خالد السدوسى البصرى، قال: سمع الحسن البصرى، عن قيس بن عباد البصرى، قال: شهدت عليّاً رضى الله عنه يوم الجمل يقول كذا: اللهمّ إنى أبرأ إليك من دم عثمان، و لقد طاش عقلى يوم قتل عثمان و أنكرت نفسى و أرادونى على البيعة، فقلت: و الله إنى لأستحيى من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ألا أستحيى ممّن تستحيى منه الملائكة. و إنى لأستحيى من الله أن أبايع و عثمان قتيل على الأرض لم يُدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجوع الناس إلىّ فسألونى البيعة، فقلت: اللهمّ إنى مشفق لما أقدم عليه ثمّ جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى، فقلت: اللهمّ خذ منى لعثمان حتى ترضى. و فى لفظ ابن كثير: فلما قالوا: أمير المؤمنين. كان صدع قلبى و أمسكت «٢».

قال الأمينى: ألا تعجب من الحاكم يذكر مثل هذه الأضحوكة و يعدّها ممّا استدرك به على الصحيحين و يمرّ بما فيها من اللغو كريماً؟ و لعلّ الذهبى عرف بطلانها، غير أنّه لمّا وجدها فى منقبة عثمان سكت عنها نهائياً و لم يلخصّها و لم ينبس فيها ببنت

(١). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩ / ٤٥٠ رقم ٤٦١٩، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٦ / ٢٥٢.

(٢). مستدرک الحاكم: ٣ / ١٠٣ [٣ / ١١١ ح ٤٥٥٦]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ١٩٣ [٧ / ٢١٦ حوادث سنة ٣٥ هـ و فيه: و أسكت بدلاً من: و أمسكت]. (المؤلف)

ص: ٤٢٧

شفة، و يدّخر ما فى علبة علمه أو فى كنانة جهله إلى تزييف

حديث «أنا مدينة العلم و علىّ بابها»

و أمثاله من الصحيح الوارد في فضائل مولانا أمير المؤمنين فيجابها بكلّ جلبة و لغط، و لا تقصر عن أشواطهما خطي ابن كثير في تاريخه فيستند إليها مستدلاً على ما يرومه من دحض الحقّ و ترصيف الباطل، و نحن أسلفنا في الجزء الخامس (ص ٢٦٦) في سلسلة الكذابين و الوضّاعين نزراً من أقوال الحفاظ في جرح محمد بن يونس الكديمي و أنّه كان يضع الحديث على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و قد وضع أكثر من ألف حديث، و هاهنا نبسط القول فيها:

قال الآجري: سمعت أبا داود بن الأشعث يتكلّم في محمد بن سنان و في محمد بن يونس يطلق فيهما الكذب. و قال ابن التّمّار: ما أظهر أبو داود السجستاني تكذيب أحد إلّا في رجلين: الكديمي و غلام خليل. و قال أبو سهل القطّان: كان موسى بن هارون ينهى الناس عن السماع من الكديمي و يقول: قد تقربّ إليّ بأنّي كتبت عن أبيك في مجلس محمد بن القاسم الأسديّ و ما حدّث أبي قطّ عن محمد بن القاسم الأسدي. و عن موسى بن هارون أنّه كان يقول - و هو متعلّق بأستار الكعبة -: اللهمّ إنّي أشهدك أنّ الكديمي كذاب يضع الحديث. و قال الشاذكوني: الكديمي و أخو الكديمي و ابن الكديمي بيت الكذب. و قال أبو بكر الهاشمي: كنّا يوماً عند القاسم المطرّز و كان يقرأ علينا مسند أبي هريرة فمرّ في كتابه حديث عن الكديمي فامتنع عن قراءته، فقام إليه محمد بن عبد الجبار - و كان قد أكثر عن الكديمي - فقال: أيّها الشيخ أحب أن تقرأه فأبى و قال: أنا أحاسبه «١» بين يدي الله يوم القيامة و أقول: إنّ هذا كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على العلماء. و قال الدارقطني «٢»: الكديمي يُتهم بوضع الحديث و قال: ما أحسن القول فيه إلّا من لم يخبر حاله. و قال ابن حبان «٣»: كان يضع

---

(١). في المصدر: أجاتيه.

(٢). الضعفاء و المتروكون: ص ٣٥١ رقم ٤٨٦.

(٣). كتاب المجروحين: ٣١٢ / ٢.

ص: ٤٢٨

الحديث لعلّه قد وضع على التفات أكثر من ألف حديث. و قال ابن عدى «١»: قد اتّهم بالوضع و ادّعى الرواية عمّن لم يرهّم، ترك عامّة مشايخنا الرواية عنه، و من حدّث عنه نسبه إلى جدّه لئلا يُعرف «٢» و قال ابن عدى «٣» أيضاً: روى الكديمي عن أزهر، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر حديثاً باطلاً، و كان - مع وضعه الحديث و ادّعائه ما لم يسمع - علّق لنفسه شيوخاً «٤». و كان ابن صاعد و عبد الله بن محمد لا يمتنعان من الرواية عن كلّ ضعيف كتبنا عنه إلّا عن الكديمي فإنّهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره، و لو ذكرت كلّ ما أنكر عليه و ادّعاه و وضعه لطلّ ذلك. و قال الحاكم أبو أحمد: الكديمي ذاهب الحديث تركه ابن صاعد و ابن عقدة و سمع منه خزيمة و لم يحدّث عنه، و قد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمّة الحديث «٥».

و ذكر السيوطي في اللآلئ المصنوعة «٦» عدّة أحاديث في شتّى الأبحاث من طريق الكديمي، فحكى فيها عن الحفاظ الحكم بوضعها و قولهم: إنّ آفتها الكديمي و إنّ كذاب وضّاع. و كأنّه نسي كلّ ما ذكره هنالك فأورد هذه الأكذوبة في تاريخ الخلفاء

«٧» (ص ١١٠) محذوفة الإسناد و قال: أخرجه الحاكم و صحَّحه. أ لم تكن تلك الأقوال الجارحة فى الكدىمى نصب عىنه عند عدّ فضائل عثمان؟ أم أن فضائل الرجل لها حساب آخر يسوّغ الغلوّ فىها كلّ كذب و اختلاق؟ على أن الحاكم سكت عن هذه الأكدوبة و لم يصحَّحها، فنسبة التصحيح إليه لمحض إخراجها إياها فى مستدرک الصحىحين و إلّا فلا صراحة فىه بالتصحيح.

(١). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٢٩٢ / ٦ رقم ١٧٨٠.

(٢). كما أن الحاكم يعرفه بالقرشى و لم يذكر نسبته إلى الكدىم لثلاً يعرف. (المؤلف)

(٣). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٢٩٤ / ٦ رقم ١٧٨٠.

(٤). فى طبعة الكامل فى الضعفاء المعتمدة لدينا: و ادعائه مشايخ لم يكتب عنهم يخلق لنفسه شيوخاً.

(٥). راجع تهذيب التهذيب: ٥٣٩ / ٩ [٤٧٥ / ٩]، و المصادر التى مرّت فى: ٢٦٦ / ٥. (المؤلف)

(٦). اللآلى المصنوعة: ٢٦٤ / ٣ و ٤٠٢.

(٧). تاريخ الخلفاء: ص ١٥٢.

ص: ٤٢٩

و بعد هذه كلّها فإنّ المعلوم من نظريّة مولانا أمير المؤمنين فى عثمان كآراء بقيّة الصحابة فىه يفنّد نسبة هذه الأقاويل المختلقة إليه، أليس من المضحك ما ينسب إليه صلوات الله عليه من قول: و لقد طاش عقلى يوم قتل عثمان. إلخ؟ ليته عليه السلام بدل هذه الكلمة كان يخطو خطوة فى التحفّظ على حرمة الرجل و كرامته، و يأمر ولده و ذويه بتجهيزه و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه فى مقابر المسلمين، و ليته كان يقيم له مأتماً و يؤبّنه و يذكره بالخير بعد ما تسنّم منصّة الخلافة، أو كان يحضر عند تربته و يقوم على قبره و يقرأ له الفاتحة و يأتى بسنة الله التى جاءت فى زيارة قبور المسلمين، و أىّ مسلم لم تكن له معازم واجبة المراعاة «١»؟

و ليته كان يسكت عنه يوم قام به و قعد «٢» و

قال على رءوس الأشهاد: «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبىه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، و أجهز عليه عمله، و كت به بطنته».

و قال فى اليوم الثانى من بيعته فى خطبة له: «ألا إن كلّ قطيعة أقطعها عثمان، و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شىء و لو وجدته قد تزوّج به النساء، و فرّق فى البلدان، لرددته إلى حاله»



. إلخ.

و لَيْتَهُ كَانَ لَمْ يَجَابِهِ

بقوله: «ما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرّفك عن دينك و عقلك، و إنّ مثلك مثل جمل الطعينة سار حيث يُسار به».

و لَيْتَهُ كَانَ لَمْ يَكْتَبَ إِلَى الْمَصْرِيِّينَ

بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصِيَ فى أرضه و ذهب بحقه، ف ضرب الجور سرادقه على البرّ و الفاجر، و المقيم و الطاعن، فلا معروف يُستراح إليه، و لا منكر يُتناهى عنه».

---

(١). يقال: له معاذم واجبة المراعاة. أى حقوق مستعظمة. (المؤلف)

(٢). يقال: قام به و قعد أى نشر عنه أخبار السوء. (المؤلف)

ص: ٤٣٠

و لَيْتَهُ كَانَ لَمْ يَقُلْ:

«ما أحببت قتله و لا كرهته، و لا أمرت به و لا نهيت عنه».

أو كان لَمْ يَقُلْ:

«ما أمرت و لا نهيت، و لا سرّنى و لا ساءنى».

و لَيْتَهُ كَانَ لَمْ يَخْطُبَ

بقوله: «من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير منى».

و لَيْتَهُ كَانَ لَمْ يَنْفِرَ أَصْحَابَهُ إِلَى قِتَالِ طَالِبِ دَمِ عَثْمَانَ

بقوله على صهوة المنبر: «يا أبناء المهاجرين انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا».

و لَيْتَهُ لَمَّا قَالَ لَهُ حَبِيبٌ وَ شَرْحِبِيلٌ: أَتَشْهَدُ أَنَّ عَثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا؟ كَانَ لَمْ يَجِبْ

بقوله: «لا أقول بذلك» «١».

و لبيته و لبيته...

و العجب كلّ العجب من قول عليّ صلوات الله عليه: فلما قالوا: أمير المؤمنين صدع قلبي. لما ذا صدع قلبه صلوات الله عليه و لم تكن لهذه التسمية جدّة؟ و إنّما سمّاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بذلك و حكاه عن الله تعالى و عن جبرئيل عليه السلام و ما صدع قلبه يوم ذاك، فعلىّ من أوّل يومه هو أمير المؤمنين بنصّ من الصادع الأمين، و ما أنزل الله آية فيها (يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا) إلّا و علىّ رأسها و أميرها «٢».

١٩- أخرج ابن سعد فى الطبقات «٣» (٣/ ٤٧) طبع ليدن، عن محمد بن عمر، عن عمرو بن عبد الله بن عبسة بن عمرو بن عثمان، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن ابن لبيبة، قال: إنّ عثمان بن عفّان لما حُصر أشرف عليهم من كوة فى الطمار فقال: أفيكم طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أنشدك الله هل تعلم أنّه لما آخى

(١). راجع ما مرّ فى: ٧ / ٨١ و ٨ / ٢٨٧ و ٩ / ٦٩ و ٧٠، ٧٢، ٧٤، ١٧٢، ١٧٤. (المؤلف)

(٢). راجع ما أسلفناه فى الجزء الثامن: ص ٨٧، ٨٩. (المؤلف)

(٣). الطبقات الكبرى: ٣ / ٦٨.

ص: ٤٣١

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين المهاجرين و الأنصار آخى بينه و بين نفسه؟ فقال طلحة: اللهمّ نعم. فقيل لطلحة فى ذلك، فقال: نشدنى، و أمر رأيتة ألا أشهد به؟

رجال الإسناد:

١- محمد بن عمر، هو الواقدى. راجع ترجمته فى ميزان الاعتدال «١» (٣ / ١١٠).

٢- عمرو بن عبد الله الأموى حفيد عثمان، لم أجد له ذكراً فى المعاجم، و لعلّ فيه تدليساً.

٣- محمد بن عبد الله الأموى حفيد عثمان، قال البخارى «٢»: عنده عجائب، و قال ابن الجارود: لا يكاد يُتابع على حديثه. و قال النسائى مرّة: ثقة، و أخرى: ليس بالقوى. راجع تهذيب التهذيب «٣» (٩ / ٢٦٨).

٤- ابن لبيبة، و يقال: ابن أبى لبيبة محمد بن عبد الرحمن، قال ابن معين «٤»: ليس حديثه بشيء. و قال الدارقطنى: ضعيف. و قال آخر: ليس بالقوى «٥». على أنّ ابن لبيبة لم يشهد حصر عثمان و لم يرو عن صحابى، فحديثه عن عثمان و علىّ و سعد

مرسل، يروى عن سعيد بن المسيّب و عبد الله بن عمرو بن عثمان و طبقتهما، فالرواية مرسلّة، و ابن سعد جدّ عليهم بأنّ مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانها على أيّ أحد سواء أرسلها أو أسندها.

و هللاً يعلم مفتعل هذه الأضحوكة أنّ أئمة الحديث و حفاظه و رجال التاريخ

---

(١). ميزان الاعتدال: ٣ / ٦٦٢ رقم ٧٩٩٣.

(٢). التاريخ الكبير: مج ١ / ١٣٩ رقم ٤١٧.

(٣). تهذيب التهذيب: ٩ / ٢٣٩.

(٤). التاريخ: ٣ / ١٨٩ رقم ٨٤٥.

(٥). ميزان الاعتدال: ٣ / ٨٩ [٣ / ٦١٨ رقم ٧٨٢٩]، تهذيب التهذيب: ٩ / ٣٠١ [٩ / ٢٦٨]. (المؤلف)

ص: ٤٣٢

أصفت على أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يتخذ لنفسه أحاً يوم المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار إلّا ابن عمّه علىّ بن أبي طالب؟ و هذا الذي يقتضيه الاعتبار بعد ما نصّ الكتاب العزيز على أنّ عليّاً سلام الله عليه نفس النبيّ الأقدس، و أنّهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أنّ ولاية عليّ مقرونة بولاية الله و رسوله «١».

و بعد ما ثبت أنّه سلام الله عليه صنو النبيّ الأعظم في الفضائل، و شاكلته في النفسانيّات، و رديفه في الملكات الفاضلة، و نظيره من أئمة كما جاء عنه صلى الله عليه و آله و سلم «٢»، و هو منه صلى الله عليه و آله و سلم بمنزلة رأسه من بدنه نصّاً منه صلى الله عليه و آله و سلم «٣»، و هو منه صلى الله عليه و آله و سلم بمنزلة من ربّه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً «٤»، و هما من شجرة واحدة و سائر الناس من شجر شتىّ كما روى عنه صلى الله عليه و آله و سلم «٥»، و هو الذي

ثبت فيه قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنت منّي و أنا منك» «٦»

، و هو الذي أنزله صلى الله عليه و آله و سلم من نفسه بمنزلة هارون من موسى و لم يستثن له ممّا اختصّه الله به إلّا النبوة «٧».

---

(١). راجع ما مرّ في: ٢ / ٤٧ و ٣ / ١٥٦ - ١٦٧. (المؤلف)

(٢). الرياض النضرة: ٢ / ١٦٤ [٣ / ١٠٧]. (المؤلف)

(٣). تاريخ الخطيب البغدادي: ١٢ / ٧ [رقم ٣٤٧٥]، الرياض النضرة: ١٦٢ / ٢ [١٠٥ / ٣]، مصباح الظلام للدمياطي: ٥٦ / ٢ [١٣٥]. (المؤلف)

(٤). الرياض النضرة: ١٦٣ / ٢ [١٠٦ / ٣]. (المؤلف)

(٥). سيوافيك حديثه إن شاء الله تعالى بألفاظه و مصادره. (المؤلف)

(٦). صحيح البخارى كتاب المناقب: ٥ / ٢١٩ [٣ / ١٣٥٧ باب ٩]، مسند أحمد: ٥ / ٢٠٤ و ٣٥٦ [٦ / ٢٦٥] ح ٢١٢٧٠ و ٤٨٩ ح ٢٢٥٠٣، صحيح الترمذى فى المناقب: ٢ / ٢١٣ [٥ / ٥٩٣ ح ٣٧١٦]، خصائص النسائي: ص ٢٠، ٢٤، ٣٦ [ص ٨٦ - ٨٧ ح ٤٨ - ٧٠، و فى السنن الكبرى: ٥ / ١٢٧ ح ٨٤٥٥ و ص ١٤٨ ح ٨٥٢٣ و ص ١٦٩ ح ٨٥٧٩]، تاريخ الخطيب: ٤ / ١٤٠ [رقم ١٨٢٢]، و راجع ما مضى فى الجزء السادس: ص ٣٣٨ - ٣٥٠. (المؤلف)

(٧). حديث المنزلة أخرجه أئمة الحديث بطرق صحيحة فى الصحاح و المسانيد. (المؤلف)

ص: ٤٣٣

لقد أدينا البحث عن حديث المؤاخاة حقه فى الجزء الثالث (ص ١١٢ - ١٢٥) و ذكرنا هنالك خمسين حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبى الأعظم و أخيه أمير المؤمنين،

و قد صح عنه صلى الله عليه و آله و سلم قوله: «أنت أخى فى الدنيا و الآخرة»

من طريق عمر و أنس و ابن أبى أوفى و ابن عباس و محدوج بن زيد الدهلى و جابر بن عبد الله و عامر بن ربيعة و أبى ذر و غيرهم.

إنما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقية ماثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها أكذوبة [تارة] «١» فى أبى بكر و أنه هو أخو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٢»، و أخرى فى عثمان و أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أخى بينه و بين نفسه، و ثالثة فى على عليه السلام أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أخى بينه و بين عثمان «٣». و رواية السوء يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أخى بين أبى بكر و بين عمر فى المؤاخاة الأولى بمكة «٤»، و بينه و بين خارجة ابن زيد الأنصارى فى المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار بالمدينة «٥»، و أخى بين عثمان و بين عبد الرحمن بن عوف فى المؤاخاة بمكة «٦»، و بينه و بين أوس بن ثابت يوم

---

(١). من الطبعة الأولى.

(٢). راجع: ٣ / ١١١ من كتابنا هذا، و الإصابة: ١ / ٣٥٧ [رقم ١٨٣٩] و ضعفه. (المؤلف)

(٣). الرياض النضرة: ١٧ / ١ [٤٣ / ١]. (المؤلف)

(٤). راجع تاريخ ابن عساکر: ٩٠ / ٦ [٩٤ / ٣٠] رقم ٣٣٩٨، و في مختصر تاريخ دمشق: ٥٧ / ١٣، أسد الغابة: ٢٢١ / ٢ [٢٧٧ رقم ١٨٢٢]، عيون الأثر: ١٩٩ / ١ [٢٦٤ / ١]، الرياض النضرة: ١٥ / ١ و ١٧ [٢٣ / ١ و ٢٤]، فتح الباری: ٢١٧ / ٧ [٢٧١]. (المؤلف)

(٥). راجع سيرة ابن هشام: ١٢٤ / ١ [١٥١ / ٢]، تاريخ ابن كثير: ٢٢٦ / ٣ [٢٧٧ / ٣] حوادث السنة الأولى من الهجرة، عيون الأثر: ٢٠١ / ١ [٢٦٤ / ١]، الرياض النضرة: ١٦ / ١ [٢٣ / ١]، فتح الباری: ٢١٦ / ٧ و ٢١٨ / ٧ [٢٧١ / ٧]. (المؤلف)

(٦). راجع تاريخ ابن عساکر: ٩٠ / ٦ [٢٥٤ / ٣٥] رقم ٣٩١١، و في مختصر تاريخ دمشق: ٣٤٧ / ١٤]، عيون الأثر: ١٩٩ / ١ [٢٦٤ / ١]، الرياض النضرة: ١٥ / ١ و ١٧ [٢٣ / ١ و ٢٤]، فتح الباری: ٢١٨ / ٧ [٢٧١ / ٧]. (المؤلف)

ص: ٤٣٤

المؤاخاة بالمدينة «١».

فعثمان قطّ لا يُنشد بالمكذوب، و طلحة لا يدّعي رؤية ما لم يره، و لا يشهد بخلاف ما شاهده و عاينه، إن كانا من عدول الصحابة صدقاً، و من المبشرين بالجنة حقاً، و أنت تعرف حكم هذه الدعاوى من

الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «أنا عبد الله و أخو رسوله لا يقولها أحد غيري إلّا كذّاب». قال ابن كثير في تاريخه «٢» (٣٣٥ / ٧)

: و قد جاء من غير وجه. و قال ابن حجر: رويناه من وجوه «٣».

و كان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما

قال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قوله: «أنت أخي و أنا أخوك فإن نكرت أحد - و في لفظ: فإن حاجك أحد - فقل: أنا عبد الله و أخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب» «٤».

و أوّل من فتح باب التجري بمصراعيه على هذه الفضيلة الرابية هو عمر بن الخطّاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش، و

قال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذن و الله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: «إذن تقتلون عبد الله و أبا رسوله». قال: عمر: أمّا عبد الله فنعم و أمّا أخو رسوله فلا «٥».

أنا لست أخذش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأخوة النابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة و قد سمعها هو من الصادع الكريم في ذلك اليوم المشهود، غير أنّي جدّ عليهم بأنّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرّ قبيل

(١). راجع سيرة ابن هشام: ٥ / ١٢٥ [٢ / ١٥١]، تاريخ ابن كثير: ٣ / ٢٢٧ [٣ / ٢٧٨] حوادث السنة الأولى للهجرة]، عيون الأثر: ١ / ٢٠١ [١ / ٢٦٦]، الرياض النضرة: ١ / ١٦ [١ / ٢٣]. (المؤلف)

(٢). البداية و النهاية: ٧ / ٣٧١ حوادث سنة ٤٠ هـ.

(٣). تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٣٧ [٧ / ٢٩٦]، و راجع: ٣ / ١٢١ من كتابنا هذا. (المؤلف)

(٤). راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: ص ١١٥. (المؤلف)

(٥). راجع ما مضى في الجزء السابع: ص ٧٨. (المؤلف)

ص: ٤٣٥

هذا

عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قوله: «فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبد الله و أخو رسول الله».

و هل قرع هذا سمع عمر أيضاً و جابهه مع ذلك بالشدة في النكير عليه؟ أنا لا أدري (فإن جاؤك فأحكّم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فأحكّم بينهم بالقسط إن الله يحبّ الْمُقْسِطِينَ) «١».

٢٠- أخرج ابن عدى «٢»، من طريق مصعب بن سعيد المصيصى، عن عيسى ابن يونس، عن وائل بن داود، عن البهيّ، عن الزبير رضى الله عنه مرفوعاً: لا يُقتل قرشىّ بعد اليوم صبراً إلّا قاتل عثمان فإن لم يفعلوا فابشروا بذبح مثل ذبح الشاة.

قال الأمينى: ذكره الذهبى في الميزان «٣» (٣ / ١٧٢) مع حديثين من طريق مصعب ابن سعيد، فقال: ما هذه إلّا مناكير و بلايا.

و قال ابن عدى: يحدث مصعب عن الثقات بالمنكير و يصحّف و هو حرّانى «٤» نزل المصيّصة «٥» و له غير ما ذكر و الضعف على رواياته بيّن. و قال ابن حبان «٦»: كان مدلساً. و قال صالح بن جزرة: شيخ ضير لا يدري ما يقول «٧».

و فى الإسناد عيسى بن يونس، قال الدارقطنى: مجهول. و البهيّ هو عبد الله أبو محمد مولى مصعب بن الزبير و لا يصحّ روايته عن الزبير بل يروى عن عبد الله بن

(١). المائة: ٤٢.

(٢). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٦ / ٣٦٥ رقم ١٨٤٦.

(٣). ميزان الاعتدال: ٤ / ١١٩ رقم ٨٥٦١.

(٤). حرّان: قرية من قرى حلب [معجم البلدان: ٢ / ٢٣٦]. (المؤلف)

(٥). مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية و بلاد الروم [معجم البلدان: ٥ / ١١٤]. (المؤلف)

(٦). كتاب الثقات: ٩ / ١٧٥.

(٧). لسان الميزان: ٦ / ٤٣ [٦ / ٥١ رقم ٨٤٠٤]. (المؤلف)

ص: ٤٣٦

الزبير، و قال أبو حاتم فى العلل: لا يحتجّ بالبهىّ و هو مضطرب الحديث.

٢١- أخرج أبو نعيم فى حلية الأولياء (١ / ٥٧)؛ من طريق حامد بن آدم المروزى، عن عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن عثمان بن غياث البصرى، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى حائط من تلك الحوائط، إذ جاء رجل فاستفتح الباب، فقال: افتح له و بشره بالجنة على بلوى تصيبه. فإذا هو عثمان، فأخبرته، فقال: الله المستعان.

قال الأمينى: هلّا يعرف أبو نعيم مفتعل هذه الأكذوبة حامد بن آدم؟ أو يعرفه بعُجره و بجره، غير أنّ الغلوّ فى الفضائل يسوّغ له و لقومه رواية كلّ كذب مختلق فى فضائل المستخلفين بالانتخاب الدستورى الذى لم تره عين الدنيا صحيحاً قطّ.

أنّى يخفى على مثل أبى نعيم أنّ حامد بن آدم كذّبه الجوزجاني و ابن عدى «١»، و عدّه أحمد بن على السليمانى فيمن اشتهر بوضع الحديث. و قال أبو داود السبخى: قلت لابن معين: عندنا شيخ يقال له: حامد بن آدم. إلخ. فقال: هذا كذّاب لعنه الله «٢».

على أنّ عثمان لو كان مبشراً بالجنة و مصدّقاً بوعد النبىّ الأقدس لما كان فى نفسه خيفة من أن يكون هو ذلك الملحد بمكة الذى أخبر صلى الله عليه و آله و سلم بأنّ عليه عذاب نصف أهل الأرض كما مرّ فى صحيحة أحمد. و أعجب من هذا مهزأة جاء بها الخطيب ألا و هى:

٢٢- أخرج الخطيب البغدادي فى تاريخه (٨ / ١٥٧)، من طريق الحسين بن

---

(١). الكامل في ضعفاء الرجال: ٢ / ٤٦١ رقم ٥٦٩.

(٢). ميزان الاعتدال: ١ / ٢٠٨ [١ / ٤٤٧ رقم ١٦٧١]، لسان الميزان: ٢ / ١٦٣ [٢ / ٢٠٦ رقم ٢٢٤٤]. (المؤلف)

ص: ٤٣٧

حميد بن موسى العكبي، قال: حدثنا حماد بن المبارك البغدادي [قال: حدثنا عبد الله بن ميمون البغدادي] «١» قال: حدثنا إسماعيل بن أمية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر، قال: ما سعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر قط إلا قال: عثمان في الجنة. قال: قال الدارقطني: كذا قال حماد بن المبارك، عن عبد الله بن ميمون، عن إسماعيل بن أمية، عن ابن جريج، وهذا الحديث إنما يُعرف من رواية إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي عن ابن جريج والله أعلم. وقال الذهبي في الميزان ١ / ٢٨١: خبر غير صحيح «٢».

راجع لسان الميزان «٣» (٢ / ٣٥٣).

قال الأميني: ألا تعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر ولم ينسب بينت شفة؟ ولم يُعرب عن حال رجاله عاداته في فضائل كل من أعماه حبه وأصمه، وأنت تجد نقضه وإبرامه، وجرحه وتعديله، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم.

أ يخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العكبي: إنه مجهول؟ أم لا يهتم وجود حماد بن المبارك في الإسناد وهو المجهول الذي لا يُعرف «٤»؟ أم عزب عنه قول البخاري «٥» في عبد الله بن ميمون: إنه ذاهب الحديث، وقول أبي زرعة: إنه واهي الحديث، وقول أبي حاتم «٦» والترمذي: إنه منكر الحديث، وقول

---

(١). من المصدر.

(٢). ميزان الاعتدال: ١ / ٥٩٩ رقم ٢٢٤٨.

(٣). لسان الميزان: ٢ / ٤٢٩ رقم ٢٩٥٠.

(٤). ميزان الاعتدال: ١ / ٢٨١ [١ / ٥٣٣ رقم ١٩٩٤]، لسان الميزان: ٢ / ٣٥٣ [٢ / ٤٢٩ رقم ٢٩٥٠]. (المؤلف)

(٥). التاريخ الكبير: ٥ / ٢٠٦ رقم ٦٥٣.

(٦). الجرح والتعديل: ٥ / ١٧٢ رقم ٧٩٩.



ابن عدى «١»: إنَّ عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه، و قول النسائي «٢»: إنَّه ضعيف، و قول أبي حاتم «٣» أيضاً: يروى عن الأثبات الملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، و قول الحاكم: إنَّه يروى أحاديث موضوعة، و قول أبي نعيم: إنَّه روى المناكير «٤»؟

أم لا يروق الخطيب الجرح فى إسماعيل بن أمية العبشمى الأموى و هو ابن عمّ عثمان، و قد جاء بالرواية مختلفة فى ابن عمّه الخليفة؟ أم لا ينبّه ما حكاه عن الدارقطنى «٥» من أن إسماعيل لا يروى عن ابن جريج، و إنّما الراوى إسماعيل بن يحيى التيمى؟

أم أراد حفظ سمعة الصديق أبى بكر فى حفيده إسماعيل بن يحيى التيمى «٦» و الستر على قول صالح بن جزرة فيه: إنَّه كان يضع الحديث، و قول الأزدى: إنَّه ركن من أركان الكذب لا تحلّ الرواية عنه. و قول أبى علىّ النيسابورى و الدارقطنى و الحاكم: إنَّه كذّاب. و قول الحاكم: روى أحاديث موضوعة. و قول الدارقطنى: إنَّه كان يكذب على مالك و الثورى و غيرهما. و قول ابن حبان «٧»: إنَّه كان يروى الموضوعات عن الثقات لا تحلّ الرواية عنه بحال «٨»؟

(١). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٤ / ١٨٧ رقم ١٠٠٢.

(٢). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٥٠ رقم ٣٥٣.

(٣). كتاب المجروحين: ٢ / ٢١.

(٤). تهذيب التهذيب: ٦ / ٤٩ [٤٤ / ٦]. (المؤلف)

(٥). الضعفاء و المتروكون: ص ١٣٧ رقم ٨١.

(٦). إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى قحافة. (المؤلف)

(٧). كتاب المجروحين: ١ / ١٢٦.

(٨). ميزان الاعتدال: ١ / ١١٧ [٢٥٣ / ١] رقم ٩٦٥، لسان الميزان: ١ / ٤٤٢ [١ / ٤٩٣] رقم ١٣٧٨. (المؤلف)

نعم؛ هذه كلّها بين يدى الخطيب، غير أن الغلوّ فى الفضائل أبكمه فىكم «١». و ذكر الذهبى هذه الرواية فى ميزان الاعتدال «٢» فى ترجمة حمّاد بن المبارك، و قال: خبر غير صحيح.

و لو كان لهذا الخيال مقيل من الصحّة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون عثمان في الجنّة أهمّ ما صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعارف والأحكام والحكم، فإننا لم نجد ولا وجد واجد شيئاً منها يهتم صلى الله عليه وآله وسلم له هذا الاهتمام ويصدع به على كلّ منبر صعد، نعم كان يكرّر بعض ما يصدع به في عدّة مقامات للكشف عن أهمّيته غير أنّها ممّا تعدّه الأنامل، حتى إنّ الصلاة التي هي عماد الدين لم يكرّر هذا التكرار المملّ.

و ليت شعري هل كون عثمان في الجنّة من أصول الدين وأسس الإسلام التي لا تتمّ الشريعة إلّا بها، فطفق صلى الله عليه وآله وسلم يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كلّ حين؟ فهل هو حكم شرعي؟ أو حكمة بالغة؟ أو ملكة فاضلة؟ أو ناموس إلهيّ يستحق هذا التأكيد والإصرار؟

ثمّ لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات الكريمة الكثيرة والأحاديث الشريفة الجمّة لهم بالجنّة، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظير في شيء ممّا بلغه صلى الله عليه وآله وسلم عن ربّه؟

على أنّه لو كان صلى الله عليه وآله وسلم مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتى من حظى بالإصاحّة إلى قبيله و لو مرّة واحدة طيلة حياته، ووجب أن يتواتر الحديث منه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يختصّ بعزوه المخلتق جابر، و لم يك يسنده عنه أناس دجالون، و إنّ من

---

(١). بكم بكامة: سكت تعمداً. (المؤلف)

(٢). ميزان الاعتدال: ١ / ٥٩٩ رقم ٢٢٤٨.

ص: ٤٤٠

أهمّ تلکم المنابر منبر يوم الغدير و قد حضره مائة ألف أو يزيدون، فهل سمع أحد من أحدهم من الأعالى و الساقية يحدث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم هتف عليه بأنّ عثمان في الجنّة؟ و هذه خطب النبيّ الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقولوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً؟ و هل هؤلاء الصحابة البالغون مئات الألوف الذين سمعوا هذا المقال و وعوه تركوه وراء ظهورهم يوم الدار، يوم قالوا له: و الله أحلّ الله دمك «١»، يوم كتبوا إليه يدعونه إلى التوبة و حاجّوه و أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه «٢»، يوم سلّم عليهم فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه، و كان فيهم من عمّد الصحابة من فيهم «٣»، يوم رفعت أمهم عقيرتها و هي تقول: اقتلوا نعتاً قتله الله فقد كفر، إلى أيّام قصصنا عليك حوادثها؟ أو أنّهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا؟

و هل حصل لهم مُذكّر من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع؟ أو لم يعيروا له أذنّاً مُصغية؟ هذا و هم عدول، و إنّ ممّن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفس عثمان، فلما ذا كان يخاف من القبول إلى مكة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما مرّ من أنّه يُلحد بمكة رجل عليه عذاب نصف أهل الأرض؟

٢٣- ذكر ابن كثير في تاريخه «٤» عند عدّ مناقب عثمان، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه «٥» إلّا لعثمان بن عفان إذا دعا له.

قال الأميني: حذف ابن كثير وغيره ممّن ذكر هذه المهزأة إسنادها وأرسلوها

---

(١). تاريخ الخميس: ٢ / ٢٦٠. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص ١٦٢. (المؤلف)

(٣). راجع ما أسلفنا في حديث طلحة بن عبيد الله: ص ٩٦. (المؤلف)

(٤). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٥). كذا في المصدر، و الصحيح: ضبعاه، و الضبع وسط العضد، و قيل: العضد كلها، و قيل: الإبط.

ص: ٤٤١

إرسال المسلمّ ذاهلين عن أنّ في ذكر إسماعيل بن عبد الملك كفاية من عرفان بقيّة رجاله. قال ابن عمّار و أبو داود: ضعيف. و قال «١» ابن الجارود و ابن معين و النسائي و أبو حاتم: ليس بالقوى. و قال عبد الرحمن بن مهدي: أضرب على حديثه. و قال الفلاس و أبو موسى: كان عبد الرحمن و يحيى لا يحدثان عنه. و قال ابن حبان «٢»: كان يقلّب ما يروى «٣».

و أنا لا أدري أنّ عائشة متى روت هذه الرواية، قبل تكفيرها الرجل و تأليب الناس عليه، ثمّ نسيتها؟ و سرعان ما تنسى أمّ المؤمنين ما حفظته كما نسيت أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها في مُناوأة أمير المؤمنين عليه السلام و عن كلاب الحوآب و نباحها، أمّ أنّها روتها حين كانت تثير العواطف على عثمان و ترهج عليه نقع الحروب حتى أوردته موارد الهلكة؟ فاعجب إذن بالمناقضة بين روايتها و عملها دواليك و هي صحابيّة عادلة أمّ الصحابة العدول كما يزعمون.

أمّ أنّها أسندتها بعد تلكم المعامع؟ بعد أن سوّل لها الناكثان النهضة للطلب بثاراته فخرجا يجرّان حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تُجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، و أبرزوا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خدرها «٤» فنارت لتتدارك ذلك الحوب بما هو أكبر منه، فخالفت القرآن الكريم فيما خصّ زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) «٥» فكان من استقرارها في بيتها أن ركبت الجمل و قادت العساكر، و باشرت

---

(١). التاريخ: ٣ / ٣٠٣ رقم ١٤٣٧، كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٤٩ رقم ٣٥، الجرح و التعديل: ٢ / ١٨٦ رقم ٦٢٩.

(٢). كتاب المجروحين: ١ / ١٢١.

(٣). تهذيب التهذيب: ١ / ٣١٦ [١ / ٢٧٦]. (المؤلف)

(٤). راجع ما مضى فى هذا الجزء: ص ١٠٦. (المؤلف)

(٥). الأحزاب: ٣٣.

ص: ٤٤٢

الحرب بنفسها، و عاشرت الرجال الأجانب، و نبذت الكتاب وراء ظهرها، و لم ترعَ لبعلمها حرمة و لا كرامة.

و خالفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى نواحيه المتعاقبة عن خصوص موقف الجمل كما مرّت فى الجزء الثالث (ص ١٨٨ - ١٩١)، و عن مطلق مناوأة أمير المؤمنين عليه السلام و محاربتة فيما روى عنه صلى الله عليه و آله و سلم مستفيضاً كما أسلفنا نزرأ منه فى (١ / ٣٣٦، ٣٣٧ و ٢ / ٣٠٠ - ٣٠٣ و ٣ / ٢٦، ١٨٢ - ١٨٨ و ٤ / ٣٢٢ - ٣٢٥).

نعم؛ خالفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى وصاياه المؤكدة لوصيّه الطاهر، حتى جاء فى حديث معمر: عائشة كانت لا تطيب نفساً لعلّى بخير. و فى حديث آخر: لكنّها لا تقدر على أن تذكره بخير «١».

و الحديث صحيح رجاله كلّهم ثقات، أخرجه أحمد فى مسنده «٢» (٦ / ٢٢٨)، من طريق معمر، عن الزهرى، عن عبید الله بن عبد الله بن عتبة؛ أنّ عائشة أخبرته، قالت: أوّل ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض فى بيتها، فأذن له، قالت: فخرج و يدّ له على الفضل بن عباس، و يدّ على رجل آخر، و هو يخطّ برجليه فى الأرض. قال عبید الله: فحدّثت به ابن عباس فقال: أتدرون من الرجل الآخر الذى لم تسمّ عائشة؟ هو على، و لكن عائشة لا تطيب له نفساً.

و أخرجه البخارى «٣» فى صحيحه فى باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة، غير أنّه حذف منه قول ابن عباس: و لكنّ عائشة لا تطيب له نفساً. و هذا شأن البخارى فى كلّ ما لا يروقه.

---

(١). فتح البارى: ٢ / ١٢٣ [٢ / ١٥٦]. (المؤلف)

(٢). مسند أحمد: ٧ / ٣٢٦ ح ٢٥٣٨٦.

(٣). صحيح البخارى: ١ / ٢٣٧ ح ٦٣٤.

ص: ٤٤٣

نعم؛ عائشة لا تقدر أن تسمى علياً و تذكره بخير، غير أنها كانت تصيخ إلى من نال من عليّ عليه السلام و تأنس بالوقية فيه و لا تنهى عنها، كما في صحيحة رجالها كلّهم ثقات

أخرجها أحمد في مسنده «١» (١١٣ / ٦) من طريق عطاء بن يسار، قال: جاء رجل فوقع في عليّ و في عمّار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة، فقالت: أمّا علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، و أمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «لا يُخَيَّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما».

لم يا أمّاه لست قائلة شيئاً في عليّ؟ أمّا سمعت أذناك من بعلك حديثاً واحداً في فضله مثل ما سمعت في عمّار؟ أمّا تجدين في كتاب الله ممّا نزل في عليّ ما يعادل حديثك في عمّار؟ و فضل عليّ عليه السلام على عمّار كما قال حذيفة اليماني: فو الله لعلّي أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب و السحاب، و إنّ عمّاراً من الأختيار «٢».

لم يا أمّاه لا تكرهين أن يُقدّع عندك عليّ عليه السلام، و أنت التي كنت كارهة أن يُسبّ عندك حسان بن ثابت؟ و قد أخبر بذلك عروة قال: كانت عائشة تكره أن يُسبّ عندها حسان و تقول: إنّه الذي قال:

لعرض محمدٍ منكم وقاءً «٣»

فإنّ أبي و والده و عرضي

أمّا كانت عندك لمواقف عليّ المشكورة في مغازي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لمبيته على فراشه ليلة هجرته من مكة و قد باهى الله به ملائكته، قيمة و كرامة مقدار بيت شعر لحسان؟ و حسان أنت أدري به مني. إي يا أمّاه؟ شنشنة أعرها من أخزم!

و من رشحات ما كانت تحمله أمّ المؤمنين بين جنبها من الضغينة على أول

(١). مسند أحمد: ٧ / ١٦٣ ح ٢٤٢٩٩.

(٢). أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال: ٧ / ٧٣ [١٣ / ٥٣٢ ح ٣٧٣٨٥]. (المؤلف)

(٣). راجع مسند أحمد: ٦ / ١٩٧ [٦ / ٢٨٢ ح ٢٥٠٩٦]. (المؤلف)

ص: ٤٤٤

المسلمين و أولاهم بهم من أنفسهم قولها يوم سمعت بيعة الناس له: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا.

و خالفت العقيدة الراسخة من حرمة قتل خليفة الوقت، و ليتنى علمت ما ذا يكون جواب أمّ المؤمنين لو أحفيت السؤال عن خطيئتها؟ أيهما أعظم: إجهازها على عثمان؟ أم محاربتها الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام؟ غير أنّها اليوم و قد كشف عنها الغطاء تجيب بأنّ الخطيئة كانت واحدة مرتكزة على سنام الجمل و تحت أستار اليهودج، و هل كانت روايتها هذه لتبرير عملها الأخير و قد جعلتها معذرة لها في ثورتها؟ أو أنّها اختلقت عليها فأخرجتها رواة السفاسف أو حملة الأضغان على البيت النبويّ الطاهر، أو سمسرة البيت الأمويّ الذين حاولوا نشر الفضيلة لهم و لو بالأفائك؟

و كانت أمّ المؤمنين عالمة جداً بأنّ قتل عثمان كان هيئاً عند الله و رسوله في جنب خروجها من عقر دارها، كما قال لها جارية بن قدامة السعدى الصحابي: يا أمّ المؤمنين و الله لقتل عثمان بن عفّان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر و حرمة، فهتكت سترك، و أبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس «١».

ثمّ هل كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يدعو لعثمان بالثبات على الحقّ من اتّباع الكتاب و السنّة؟ فلما ذا لم يُستجِب ذلك الدعاء فخالفهما؟ و ظهر ذلك منه حتى عرفته عامّة الصحابة فأنكروه عليه حتى قتلوه.

---

(١). تاريخ الطبرى: ٥ / ١٧٦ [٤ / ٤٦٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٩٠ [٢ / ٣١٨ حوادث سنة ٣٦ هـ].  
(المؤلف)

ص: ٤٤٥

أو أنّه كان يدعو له بالتوفيق للتوبة؟ فلما ذا لم يوفّق؟ فكلمّا تاب رجع، و كلّما عهد حنث، حتى عرف ذلك الثائرون عليه فلم يجدوا بداً من إعدامه.

أو أنّه كان يدعو له بالمغفرة و إن لم تكن توبته نصوحاً؟ فذلك إغراء بالجهل، و ترخيص في المعصية، و هو محال على النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

أو أنّه كان يدعو له بدفع عادية الناس عنه على ما هو عليه من طاعة أو معصية؟ فهبنى قلت: إنّه جائز لكن الدعاء لم يُستجِب، و ما غناء بقاء رجل هو هكذا سالماً؟ و هو لا يُقتصّ أثره في صلاح، و لا يُفتنى في طاعة، و لا يُتبع في خير، و إنّما تورث سلامته تجريباً على المعاصى و ولعاً بالمبول و الشهوات.

أو أنّه كان يدعو له باليسار و الثروة ليرغد عيشه و يُرغد عيش من لفّ لفّه و احتفّ به و لو كان بالأثرة لنفسه و ذويه على المسلمين عامة متعدّياً حدود الله المأثورة في الأموال و الصدقات؟ فهل الدعاء لمثل هذا جائز في الشريعة؟ و هل يستسيغ العقل السليم الدعاء للحصول على المآثم.

أو أنه كان يدعو له بنيل الخلافة؟ وهذا إن صحَّ فقد استجيب، غير أن النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان بواسع علم النبوة بصيراً بما يؤول إليه أمر الرجل و ينوء به ممّا لا تحمده شريعة أو عقيدة، ولا يستتبع خلافته إلّا وهناً في الدين، و ذهاباً لأبهة الإمامة، و قلقاً في مستوى الإسلام و عاصمة النبوة، و تعكيراً لصفو الألفة بين أفراد المسلمين، و فتناً في عضدهم، و هواناً على صلحاء الأمة في الحواضر الإسلاميّة، و تعطيلاً للأحكام، و تعدياً للحدود، و من يتعدّد حدود الله فأولئك هم الظالمون، و كلّ هذه ممّا عرفته منه الصحابة فتألّبوا عليه، فما كان حاجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خليفة هو هكذا؟

هذه احتمالات الدعاء المزعوم، و لنا هاهنا مساءلة أخرى عن السبب الموجب لهذا الدعاء أوّلًا و عن ظرفه ثانيًا، أهل كان الموجب له أعماله السابقة على الدعاء؟ أو

ص: ٤٤٤

ما ارتكبه في أخريات أيامه، فجرّ على نفسه و من اكتنفه الويلات من جرّائه؟

أمّا الأخيرة فقد عرفت أنّها لا تنهض موجباً لذلك.

و أمّا سوابقه فسل عنه يوم بدر و تخلّفه عنه و كان يُعبرّ بذلك طيلة حياته، و وقع فيه عبد الرحمن بن عوف لذلك في أخريات خلافته بملا من الناس، فأنهى إليه ذلك الوليد بن عقبة السكّير الفاسق بلسان الوحي المبين «١»، هنالك نحت له عذراً من ترميض رقيّة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «٢» لكن الصحابة ما كانوا يعرفون ذلك العذر المفتعل حتى أولى الناس به أخوه بالمؤاخاة بمكة عبد الرحمن بن عوف، و لو كان ما يقوله صحيحاً لعرفوه و هو بين ظهرائهم غير مُنتئ عنهم.

و سل عنه يوم أحد و فراره من الزحف و قد نزل فيه و فيمن فرّ قوله تعالى في سورة آل عمران آية: ١٥٥ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) الآية «٣».

و سل عنه ليلة وفاة أم كلثوم و اقترافه الذنب فيها، و هتك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في صبيحتها بملا من الصحابة بحرمانه من دفنها و هي زوجته و هو أحقّ الناس بدفنها، راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن (ص ٢٣١).

و سل عنه إيواءه عبد الله بن أبي سرح و قد ارتدّ عن الإسلام و لحق بالمشركين

(١). مرّ تفصيل ذلك في: ٨ / ٢٧٤ - ٢٧٦. (المؤلف)

(٢). راجع مسند أحمد: ١ / ٦٨ و ٧٥ [١ / ١٠٩ ح ٤٩٢ و ١٢٠ ح ٥٥٧]، الرياض النضرة: ٢ / ٩٧ [٣ / ٢٢]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٠٦ [٧ / ٢٣١ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلف)

(٣). راجع مسند أحمد ١/ ٤٨ [١٠٩ / ١ ح ٤٩٢]، تفسير القرطبي: ٤ / ٢٤٥ [٤ / ١٥٧]، تفسير ابن كثير: ١ / ٤١٩، الرياض النضرة: ٢ / ٩٧ [٣ / ٢٣]، تفسير الخازن: ١ / ٣٠٧ [١ / ٢٩٥] وانظر أيضاً المعجم الكبير: ١ / ٨٨ ح ١٣٥. (المؤلف)

ص: ٤٤٧

فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم الفتح وأمر بقتله ولو وجد تحت أستار الكعبة، لكنه فرّ إلى أخيه من الرضاعة - عثمان - فأواه وغيّبه، وكان من واجبه قتله أينما وجدته، لكنه بدلاً من ذلك أتى به إلى رسول الله فاستأمنه له، فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً رجاء أن يقتله أحد من الحضور لأنه ما كان يروقه صلى الله عليه وآله وسلم وإسعافه ولا يرى لحياة ابن أبي سرح قيمة. راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن (ص ٢٨٠).

و سل عنه إيواؤه ابن عمّه المشرك معاوية بن المغيرة بن أبي العاص يوم حمراء الأسد لما ظفر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه منها فأمر بضرب عنقه صبراً، فلجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث و توارى

فبعث صلى الله عليه وآله وسلم عمّار بن ياسر و زيد بن حارثة و قال: «إنكما ستجدانه بموضع كذا و كذا» فوجدها فقتلاه «١».

و ما أشبه فعلته هذه بإيوائه الحكم و ابنه مروان في خلافته و هما طريدا رسول الله و لعيناه! «٢» فأمره سواسية في المبدأ و المنتهى.

هذا كلّ ما علمناه من سوابق الرجل و لواحقه، و شيء منها لا يصلح أن يكون باعثاً للحبّ و الدعاء، كما أن شيئاً منها لا يترك للدعاء المزعوم ظرفاً يُستساغ له الدعاء فيه، فزبدة المخض أنه من مختلق الدور الأمويّ الذي لم يأل العبشميون فيه جهداً في وضع الفضائل أو الرذائل.

نعم، ذكروا له صلى الله عليه وآله وسلم دعوات عديدة لعثمان عند تجهيزه جيش العسرة و لعلّ المتهالك في حبّ عثمان ينحتّه موجباً لتلكم الدعوات، و الباحث جدّ خبير بأنه لا

---

(١). سيرة ابن هشام: ٣ / ٥٧ [٣ / ١١١]، تاريخ ابن كثير: ٤ / ٥١ [٤ / ٥٩]، عيون الأثر لابن سيّد الناس: ٢ / ٣٧، ٣٨ [٢ / ٦]، شرح الأشعر على بهجة المحافل: ١ / ٢١٣ [الأشعر هو محمد بن أبي بكر المتوفى ٩١٩]. (المؤلف)

(٢). راجع ترجمة الحكم و ابنه مروان في الجزء الثامن من كتابنا هذا. (المؤلف)

ص: ٤٤٨



يعدو شيئاً منها وهن في الإسناد لضعف في رجاله أو إرسال فيه، على اضطراب الروايات في كَيْفِيَّة التجهيز و كَمِيَّة ما أنفقته يده فيه، اضطراباً لا يعدوه الحكم بالبطلان في جميعها:

قال ابن هشام في السيرة «١» (٤ / ١٧٢): أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار. إلى آخر ما يأتي من حديثه.

و أخذ الطبري «٢» الجملة الأولى من قول ابن هشام و ترك حديثه.

و عند الكلبي مرسلًا كما في أسباب النزول للواحدى «٣» (ص ٦١): جهّز بألف بعير بأقتابها و أحلاسها.

و عند قتادة مرسلًا: حمل على ألف بعير و سبعين فرسًا.

و عند البلاذري «٤» بإسناد ضعيف مرسل: جهّزهم بسبعين ألفاً.

و عند الطبراني بإسناد ضعيف: مائتا بعير بأقتابها و أحلاسها و مائتا أوقية من الذهب.

و عند أبي يعلى بسند ضعيف: جاء بسبعمائة أوقية ذهب.

و عند ابن عدى «٥» بسند واه ضعيف جدًا: جاء بعشرة آلاف دينار.

---

(١). السيرة النبوية: ٤ / ١٦١.

(٢). تاريخ الأمم و الملوك: ٣ / ١٠٢ حوادث سنة ٩ هـ.

(٣). أسباب النزول: ص ٥٥.

(٤). أنساب الأشراف: ٦ / ١١٢.

(٥). الكامل في ضعفاء الرجال: ١ / ٣٤٠ رقم ١٦٩.

ص: ٤٤٩

و عند أبي نعيم «١» بإسنادين باطلين: جاء بألف دينار.

و عند أحمد و أبي نعيم «٢» بإسناد معلول: ثلاثمائة بعير بأحلاسها و أقتابها.

و عند ابن عساكر مرسلًا: جهّز ثلث ذلك الجيش مؤنتهم.

و عند ابن الأثير «٣» ما ذكره الطبري و زاد عليه: قيل كانت ثلاثمائة بعير و ألف دينار.

و عند عماد الدين العامري دعوى مجردة: أنفق ألف دينار، و حمل على تسعمائة و خمسين بعيراً، و خمسين فرساً.

و عند الحلبي صاحب السيرة «٤» قولاً بلا دليل: جهّز عشرة آلاف دينار غير الإبل و الخيل و هي تسعمائة بعير و مائة فرس و الزاد و ما يتعلّق بذلك حتى ما تربط به الأسقية.

و عند بعض كما فى السيرة الحلبيّة: أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها و أقتابها و خمسين فرساً.

و فى رواية عند الحلبي: جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله فصبّت بين يديه، فقال: لعلّ هذه العشرة آلاف غير الذى جهّز بها العشرة آلاف إنسان.

فترى كلّ واحد يكيل و يزن ما أنفقه الرجل فى جيش العسرة بكيلة مروءته و ميزان كرامته، و ما تستدعيه سعة صدره، و رحب ذات يده.

---

(١). حلية الأولياء: ٥٩ / ١.

(٢). مسند أحمد: ٣٨ / ٥ ح ١٦٢٥٥، حلية الأولياء: ٥٩ / ١.

(٣). الكامل فى التاريخ: ١ / ٦٣٥ حوادث سنة ٩ هـ.

(٤). السيرة الحلبيّة: ٣ / ١٣٠.

ص: ٤٥٠

على أنّ هناك أناساً آخرين شاركوا من جهّز الجيش و أربوا، فلا أدري ما الموجب لاختصاص عثمان بتلكم الأدعية دونهم؟ فمن أولئك المجّهّزين العباس بن عبد المطلب فإنّه حمل مالاً يقال إنّهُ تسعون ألفاً «١» و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «العبّاس عمّ نبيّكم أجود قرّيش كفاً و أحناء عليها»

و فى حديث: «أوصلها إليها».

مستدرک الحاكم «٢» (٣ / ٣٢٨).

و أول من حمل ماله كله هو أبو بكر على زعم القوم؛ فإنه جاء بماله كله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل أبقيت شيئاً؟ قال: الله ورسوله «٣» [أعلم] «٤».

وهب أن ما حمله أبو بكر كان نزرأ يسيراً لكنه أنفق كل ماله إن صدق الحديث وكمال الجود بذل الموجود، فما الذي أرجأه من الحظوة بالدعاء له ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراه أمن الناس عليه بماله؟ وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أحمد في مسنده «٥» (١/ ٢٧٠) قوله: ليس أحد أمن عليّ في نفسه و ماله من أبي بكر بن أبي قحافة.

على أن طبع الحال يستدعي أن يكون هناك منفقون آخرون، لأن عدد الجيش كان ثلاثين ألفاً و عشرة آلاف فرس و اثنا عشر ألف بعير عند كثير من المؤرخين، و عند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً، و في رواية أربعين ألفاً «٦» و ما ذكره من

---

(١). امتاع المقرئى: ص ٤٤٦. (المؤلف)

(٢). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٣٧١ ح ٥٤١٩.

(٣). تاريخ ابن عساکر: ١ / ١١٠ [٢ / ٣٤]، شرح المواهب للزرقانى: ٣ / ٦٤، السيرة الحلبية: ٣ / ١٤٥ [٣ / ١٣٠]. (المؤلف)

(٤). الزيادة من تاريخ ابن عساکر.

(٥). مسند أحمد: ١ / ٤٤٥ ح ٢٤٢٨.

(٦). طبقات ابن سعد: رقم التسلسل ٦٨٣ [٢ / ١٦٦]، تاريخ ابن عساکر: ١ / ١١١ [٢ / ٣٦]، امتاع المقرئى: ص ٦٥٠ ص [٤٥٠]، فتح البارى: ٨ / ٩٣ [٨ / ١١٧]، المواهب اللدنية: ١ / ١٧٣ [١ / ٦٣٠]، إرشاد السارى: ٦ / ٤٣٨ [٩ / ٤٥١]، شرح بهجة المحافل: ٢ / ٣٠. (المؤلف)

ص: ٤٥١

النفقات لعثمان و غيره لا تفى بتجهيز هذا الجيش اللجب، فلما ذا حُرّم أولئك كلهم من الدعاء و حظى به عثمان فحسب؟ أنا أنبتك لما ذا، وجد عثمان بعد ما خُذل و قُتل أنصاراً ينحتون له الفضائل، و تصرّمت أيام أولئك من غير نصير مُفتعل!

و إليك جملة ممّا روى فى الباب وافية للنهوض بإثبات بطلان ما يُهتف به من المبالغة فى أمر التجهيز المذكور، منها:

٢٤- أخرج أبو نعيم فى حلية الأولياء (١ / ٥٩) من طريق حبيب بن أبى حبيب أبى محمد البصرى - كاتب مالك - عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: لمّا جهّز النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم جيش العسرة جاء عثمان بألف دينار فصّبّها فى حجر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم لا تنس لعثمان؛ ما على عثمان ما عمل بعد هذا.

قال الأميني: أتخفى على مثل الحافظ أبي نعيم أقوال أئمة الفن من قومه في حبيب كاتب مالك؟ قال عبد الله بن أحمد «١» -  
إمام الحنابلة - عن أبيه؛ أنه قال: حبيب ليس بثقة، قدم علينا رجل أحسبه قال من خراسان كتب عنه كتاباً، إلى أن قال: قال أبي:  
كان يكذب، ولم يكن أبي يوثقه ولا يرضاه وأثنى عليه شراً وسوءاً.

و قال أبو داود: كان من أكذب الناس كان يضع الحديث. و قال أبو حاتم «٢»: متروك الحديث روى عن ابن أخي الزهري  
أحاديث موضوعة. و قال النسائي «٣» و الأزدي: متروك الحديث، و قال ابن حبان «٤»: كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما  
ليس من حديثهم، و قال: أحاديثه كلها موضوعة. و ذكر له عدّة أحاديث عن هشام ابن سعد و غيره و قال: كلها موضوعة، و  
عامّة حديثه موضوع المتن، مقلوب

---

(١). العلل و معرفة الرجال: ٥٢ / ٢ رقم ١٥٢٨.

(٢). الجرح و التعديل: ١٠٠ / ٣ رقم ٤٤٤.

(٣). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٩٠ رقم ١٦٣.

(٤). كتاب المجروحين: ١ / ٢٦٥.

ص: ٤٥٢

الإسناد، و لا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات، و أمره بيّن في الكذب. و قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث.  
و قال سهل بن عسكر: كتبنا عنه عشرين حديثاً و عرضناها على ابن المديني فقال: هذا كله كذب، و قال النسائي: متروك،  
أحاديثه كلها موضوعة عن مالك و غيره «١».

و أخرجه أحمد «٢» من طريق ضمرة بن ربيعة الدمشقي الرملي، قال الساجي: صدوق يهيم عنده مناكير، و جاء ضمرة عن  
الثوري عن ابن دينار عن ابن عمر بحديث فأنكره أحمد و ردّه ردّاً شديداً، و قال: لو قال رجل إنّ هذا كذب لما كان مخطئاً.

و أخرجه الترمذي «٣» و قال: لا يتابع ضمرة عليه و هو خطأ عند أهل الحديث. راجع تهذيب التهذيب «٤» (٤ / ٤٦١).

و منها:

٢٥- أخرج أحمد في مسنده «٥» (١ / ٧٤)؛ من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي البصري، عن محمد بن عبد الله الأنصاري  
البصري، عن هلال بن حقّ البصري، عن سعيد الجريري «٦» البصري، عن ثمامة القشيري، قال: شهدت الدار يوم أصيب

---

(١). راجع: ميزان الاعتدال: ٢١٠ / ١ [١ / ٤٥٢ رقم ١٦٩٤]، تذكرة الموضوعات للمقدسي: ص ٩٠ [ص ٦٣]، مجمع الزوائد

للهميثمي: ٧٤ / ٩، تهذيب التهذيب: ٢ / ١٨١ [٢ / ١٥٨]، اللآلئ المصنوعة: ٨ / ١ و ٢٣٠ [١ / ٤٤٣ و ٢ / ٣٩٠]، خلاصة الكمال: ص ٤٠ [١ / ١٩٢ رقم ١٢٠٠]، أسنى المطالب: ص ٢١٦. (المؤلف)

(٢). مسند أحمد: ٥٥ / ٦ ح ٢٠١٠٧.

(٣). سنن الترمذي: ٥ / ٥٨٥ ح ٣٧٠١.

(٤). تهذيب التهذيب: ٤ / ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٥). مسند أحمد: ١ / ١٢٠ ح ٥٥٦.

(٦). الجريري بضم الجيم وفتح الراء: نسبة إلى جرير بن عباد. (المؤلف)

ص: ٤٥٣

عثمان رضى الله عنه فطلع عليهم إطلاعة فقال: ادعوا لى صاحبيكم اللذين «١» ألباكم علىّ. فدعيا له، فقال: نشدتكما الله أ تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين و له خير منها فى الجنة، فاشتريتها من خالص مالى فجعلتها بين المسلمين و أنتم تمنعونى أن أصلى فيه ركعتين؟ ثم قال: أنشدكم الله أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا رومة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلى المسلمين و له خير منها فى الجنة، فاشتريتها من خالص مالى، فأنتم تمنعونى أن أشرب منها؟ ثم قال: هل تعلمون أنى صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم.

و ذكره البلاذرى فى الأنساب «٢» (٥ / ٥، ٦) من طريق يحيى بن أبى الحجاج البصرى عن سعيد الجريرى و زاد: فأنشدكما الله هل تعلمان أنى جهّزت جيش العسرة من مالى؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكما الله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان ببئير - أو قال: بحراء - فتنحرك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال: اسكن فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد؟ قالوا: اللهم نعم.

و أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٦ / ١٦٨) من طريق يحيى بن أبى الحجاج عن الجريرى عن ثمامة.

رجال الإسناد:

١- محمد بن عبد الله الأنصارى: قال العقيلي «٣»: منكر الحديث. و قال أبو أحمد

(١). يعنى طلحة و الزبير، و وقعت التسمية فى غير واحد من أحاديث المناشدة و كلها أكاذيب. (المؤلف)

(٢). أنساب الأشراف: ١٠٦ / ٤.

(٣). الضعفاء الكبير: ١٠٣ / ٤ رقم ١٦٦٠.

ص: ٤٥٤

الحاكم: روى يحيى بن خذام عنه عن مالك بن دينار أحاديث منكراً و الله أعلم الحمل فيه عليه أو على يحيى. و قال ابن حبان «١»: منكر الحديث جداً يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به. و قال ابن طاهر: كذاب. و قال الحاكم النيسابورى: يروى أحاديث موضوعة. و قال أبو الفضل الهروى: ضعيف. و قال الأزدى: منكر الحديث جداً روى عن مالك بن دينار أحاديث معاضيل. تهذيب التهذيب «٢» (٩ / ٢٥٦).

لا يحسب الباحث أن محمد بن عبد الله الأنصارى هذا هو عبد الله البصرى محمد بن عبد الله بن المثنى؛ فإنه يروى عن سعيد الجريرى بلا واسطة كما فى تهذيب التهذيب «٣» (٤ / ٦ و ٩ / ٢٧٤) و الذى يروى عنه بالواسطة هو هذا الأنصارى المترجم له.

٢- سعيد أبو مسعود الجريرى: و هو و إن كان ثقة فى نفسه لكنه لا تصح روايته لاختلاطه ثلاث سنين من عمره، قال أبو حاتم «٤»: تغير حفظه قبل موته، فمن كتب عنه قديماً فهو صالح. و قال يزيد بن هارون ربما ابتلانا الجريرى و كان قد أنكر. و قال «٥» ابن معين عن ابن عدى: لا نكذب الله سمعنا من الجريرى و هو مختلط. و قال ابن حبان «٦»: اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين. و قال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس: أ سمعت من الجريرى؟ قال: نعم. قال: لا ترو عنه، يعنى لأنه سمع منه بعد

---

(١). كتاب المجروحين: ٢ / ٢٦٦.

(٢). تهذيب التهذيب: ٩ / ٢٢٨.

(٣). تهذيب التهذيب: ٩ / ٢٤٤.

(٤). الجرح و التعديل: ١ / ٤ رقم ١.

(٥). التاريخ: ٤ / ١٤٦ رقم ٢٦٢٣، الكامل فى ضعفاء الرجال: ٣ / ٣٩٢ رقم ٨٢١.

(٦). الثقات: ٦ / ٣٥١.

ص: ٤٥٥

اختلاطه. و قال ابن سعد «١»: كان ثقة إن شاء الله إلا أنه اختلط آخر عمره.

٣- يحيى بن أبي الحجّاج البصرى فى طريق البلاذرى. قال النسائى و ابن معين: ابن أبى الحجّاج ليس بشىء. و قال أبو حاتم «٢»: ليس بالقوىّ.

و نحن لو غاضينا العثمانيين على صحّة هذه الرواية و أمثالها فإنّها تعود وبألاً على عثمان أكثر منها منقبة؛ فإنّ فى صريحها أنّ الرجلين و هما من العشرة المبشّرة و من السّنة أصحاب الشورى و فى الجبهة و السنام من الصحابة العدول - عند القوم - اعترفاً له بما استشهدهما لكنّهما لم يأبها بما حاوله عثمان من مفاد الرواية فاستمرّاً على التّأليب عليه و الضغط و التشديد، فهل هو مجابهة منهما لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؟ و يرده عدلها و كونها من العشرة أو أنّهما علما أنّ الشىء حدث بعده شىء أزاح موضوعه. و إنّما كان قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى مرحلة الاقتضاء من آثار تلکم الأعمال الطبيعيّة إذا استمرّ صاحبها على ما هو عليه فى هاتيك الأحوال و لم يحدث موانع، فإنّهما كانا يرتئيان حدوث موانع هنالك سالبة لأثر الاقتضاء. و بهذا الاعتقاد مضياً مصرّين على ما ارتكباه من أمر الخليفة، و هما يريانه حائداً عن الصراط السوىّ.

و لعلّ عثمان نفسه ما كان جازماً ببقاء تلکم الآثار التى كان نوّه بها النّبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم نظراً منه لما أحدث بعد ذلك من الحوادث، و لذلك كان يحاذر أن يكون هو الرجل الذى أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أنّه يُلحد بمكة رجل عليه نصف عذاب أهل الأرض. كما مرّ حديثه الصحيح فى (ص ١٥٢) من هذا الجزء.

و يشبه طلحة و الزبير بل و عثمان نفسه بقيّة الصحابة المجهزين عليه فيما بيناه من

---

(١). الطبقات الكبرى: ٧ / ٢٤١.

(٢). الجرح و التعديل: ٩ / ١٣٩ رقم ٥٨٨.

ص: ٤٥٤

الاعتقاد فى حقّ الرجل. فراجع ما قدّمناه من أقوالهم و أعمالهم المذكورة فى الجزء الثامن و فى هذا الجزء (ص ٤٩-١٦٣)، و لا تنس قولهم له فى مناشدته المذكورة فى (ص ٢٠٤): و أمّا ما ذكرت من قدمك و سبقك مع رسول الله فإنّك قد كنت ذا قدم و سلف و كنت أهلاً للولاية، و لكنّ بدلت بعد ذلك و أحدثت ما قد علمت.

و قولهم له: و أمّا قولك: إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة؛ فإنّا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت: قتل من سعى فى الأرض فساداً، و قتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، و قتل من حال دون شىء من الحقّ و منعه ثمّ قاتل دونه و كابر عليه، و قد بغيت، و منعت الحقّ، و حلت دونه، و كابرته عليه. إلخ.

و نظير هذه الأقوال الكثير المعرب عن آراء الصحابة فيه و في أحداثه، و كلّها تكذب القول بأن يكون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يسمّى الرجل شهيداً. نعوذ بالله من الاختلاق بلا تدبّر.

و منها:

٢٦- أخرج سيف بن عمر في الفتوح، من طريق صعصعة بن معاوية التيمي، قال: أرسل عثمان و هو محصور إلى عليّ و طلحة و الزبير و غيرهم: فقال: احضروا غداً. فأشرف عليهم و قال: أنشدكم الله و لا أنشد إلّا أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أ لستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من حفر رومة فله الجنة. فحفرتها؟ أ لستم تعلمون أنّه قال: من جهّز جيش العسرة فله الجنة. فجهّزته؟ قال: صدّقوه بما قال.

ذكره ابن حجر في فتح الباري «١» (٥/ ٣١٤) و قال: و للنسائي من طريق الأحنف ابن قيس أنّ الذين صدّقوه بذلك هم: عليّ بن أبي طالب و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص.

---

(١). فتح الباري: ٥ / ٤٠٨.

ص: ٤٥٧

ترى ابن حجر هاهنا ساكتاً عن الغمز في هذه الرواية و هو الذي جمع أقوال الحفاظ في سيف بن عمر من أنّه ضعيف، متروك، ساقط، وضّاع، عامّة حديثه منكر، يروى الموضوعات عن الأثبات، كان يضع الحديث، و اتّهم بالزندقة. راجع (٨ / ٨٤، ٣٣٣) من كتابنا هذا.

و كأنّه أراد من عدّ من صدّق عثمان في دعواه إثبات فضيلة له ذاهلاً عن أنّ كثرة المصدّقين في المقامين على تقدير صحّة الخبر- و أنّى هي؟- تزيد عاراً و شناراً على الرجل، و تعود وبألاً عليه أكثر منها منقبة كما مرّ بيانه، و إنّى لا أشكّ في أنّ الباحث بعد هذا البيان الضافي لا يُقيم لهذه المناشدة وزناً و إن خرّجه البخارى في صحيحه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً (٤ / ٢٣٦) «١» و ما أكثر بين دفتي هذا الصحيح من سقيم يجب أن يُضرب به عرض الحائط كما هو الظاهر لدى من يراجع كتاب (أبو هريرة) لسيدنا الآية شرف الدين و غيره من تأليفه، و سنوقفك على جليّة الحال في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى.

و منها:

٢٧- أخرج أسد بن موسى في فضائل الصحابة؛ عن قتادة البصرى، قال: حمل عثمان على ألف بعبير و سبعين فرساً في العسرة.

ذكره ابن حجر في فتح الباري «٢» (٥ / ٣١٥) و قال: مرسل. و لم يسمّ ابن حجر رجال الإسناد بين أسد بن موسى و بين قتادة، و كذلك من قتادة إلى منتهى السند، فالرواية مرسلّة من الطرفين، و لعلّ في مرحلتى السند أناساً من الوضّاعين



(١). أخرجه [٣ / ١٠٢١ ح ٢٤٢٤] من طريق أبي إسحاق السبيعي الشيعي المدلس، و قد مرّت ترجمته في ٧ / ٢٧٦ و أنه ضعيف جداً لا يحتجّ بحديثه، عن أبي عبد الرحمن العثماني. (المؤلف)

(٢). فتح الباري: ٤٠٨ / ٥.

ص: ٤٥٨

المفصوحين ستر عليهم أسد بنى مروان بذيل أمانته، و راقه الإبقاء على كرامة الحديث بإسقاطهم، و أسد بن موسى هو حفيد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأمويّ، قال النسائي مع توثيقه: لو لم يصنّف كان خيراً له. و قال ابن يونس: حدّث بأحاديث منكورة و أحسب الآفة من غيره. و قال ابن حزم: منكر الحديث ضعيف. و قال عبد الحقّ: لا يُحتجّ به عندهم «١».

و منها:

٢٨- أخرج أبو يعلى من وجه آخر فيه قال: فجاء عثمان بسعمائة أوقية ذهب. ذكره ابن حجر في الفتح «٢» (٥ / ٣١٥) و قال: ضعيف. و ليته كان يذكره بإسناده حتى كُنّا نوقف الباحث على ترجمة رجاله الكذّابين.

و منها:

٢٩- أخرج ابن عدى «٣» من طريق عمّار بن هارون أبي ياسر المستملي «٤» عن إسحاق بن إبراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة: أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاهما، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه فجعل يقلبها بين يديه و يدعو له: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت و ما أعلنت و ما أخفيت و ما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها.

ذكره ابن كثير في تاريخه «٥» (٧ / ٢١٢) ساكتاً عمّا في إسناده من العلل عاداته في

(١). ميزان الاعتدال: ٩٧ / ١ [١ / ٢٠٧ رقم ٨١٥]، تهذيب التهذيب: ١ / ٢٦٠ [١ / ٢٢٨]. (المؤلف)

(٢). فتح الباري: ٤٠٨ / ٥.

(٣). الكامل في ضعفاء الرجال: ١ / ٣٤٠ رقم ١٦٩.

(٤). في تاريخ ابن كثير [٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ]: عمّار بن ياسر المستملي. و الصحيح ما ذكرناه. (المؤلف)

(٥). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

فضائل من غمره حبّه، و أورده ابن حجر فى فتح البارى «١» (٥ / ٣١٥) فقال: سند ضعيف جداً. و قال «٢» فى (٧ / ٤٣):  
سنده واه. و ذكره القسطلانى فى المواهب اللدنيّة «٣» (١ / ١٧٢) ساكتاً عن علله، و عقبه الزرقانى بقول ابن حجر. راجع شرح  
المواهب (٣ / ٦٥)، و ستوافيك ترجمة بعض رجال الإسناد الضعفاء فى هذا الجزء.

و ذكر ابن كثير فى تاريخه (٧ / ٢١٢) و قال: روى الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدى الشامى عن الأوزاعى الشامى  
عن حسان بن عطية الدمشقى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مرسلأ أنه قال لعثمان: غفر الله لك ما قدّمت و ما أخّرت و  
ما أسررت و ما أعلنت و ما كان منك و ما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال الأمينى: لو لم يكن فى إسناد هذه الأكذوبة المرسله إلّا محمد بن القاسم الذى كان عثمانياً كما قاله العجلي «٤» لكفاه وهناً،  
أ يخفى على ابن كثير المحتجّ بها قول النسائى «٥» فى محمد بن القاسم: إنه ليس بثقة كذّبه أحمد؟ أم قول الترمذى: تكلم فيه  
أحمد و ضعفه؟ أم قول أبى حاتم «٦»: ليس بقوى لا يُعجبني حديثه؟ أم قول أبى داود: إنه غير ثقة و لا مأمون أحاديثه  
موضوعة؟ أم قول ابن عدى «٧»: عامة ما يرويه لا يُتابع عليه؟ أم قول البراء: حدّث بأحاديث لم يُتابع عليها؟ أم قول  
الدارقطنى «٨»: كذّاب؟ أم قول ابن القاسم: أحاديثه موضوعة ليس بشيء؟ أم قول البخارى «٩» عن

---

(١). فتح البارى: ٥ / ٤٠٨.

(٢). فتح البارى: ٧ / ٥٤.

(٣). المواهب اللدنيّة: ١ / ٦٢٧.

(٤). تاريخ الثقات: ص ٤١١ رقم ١٤٩١.

(٥). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٢٢١ رقم ٥٧٢.

(٦). الجرح و التعديل: ٨ / ٦٥ رقم ٢٩٥.

(٧). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٦ / ٢٥٠ رقم ١٧٢٧.

(٨). الضعفاء و المتروكون: ص ٣٤٨ رقم ٤٧٨.

(٩). التاريخ الكبير: مج ١ / ٢١٤ رقم ٦٧٢.

أحمد «١»: رمينا حديثه؟ أم قوله في موضع آخر: كذبه أحمد؟ أم قول ابن حبان «٢»: يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يجوز الاحتجاج به؟ أم قول العقيلي «٣»: يُعرف و يُنكر، تركه أحمد و قال: أحاديثه أحاديث سوء؟ أم قول أبي أحمد الحاكم: ليس بالقوى عندهم؟ أم قول البغوي: ضعيف الحديث؟ أم قول الأزدي: متروك «٤».

و هذا كافٍ في وهن السند و بطلانه، و إن غضضنا الطرف عن بقيّة ما فيه من الشاميين أعداء الحقّ و أضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، و ما فيه من الإرسال الموهن للرواية، و دع عنك ما في متنه ممّا يصادّ الأصول المسلّمة من الترخيص في المعصية ممّا هو كائن إلى يوم القيامة، فهو يوجب التجرّي على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيام، و أىّ إنسان غير معصوم يقال له: إن كلّ ما سوف ترتكبه من المآثم مغفور لك، فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها، و استسهال ركوبها. و الشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوى الهلكة كلّ حين، و المعصوم من عصمه الله تعالى.

نعم؛ حقًا يقال: إن سيرة عثمان تُصدّق هذه الرواية، فإنّها لا تشبه إلّا سيرة من رُخص بالمآثم، و أذن في اقتحام الطامات و الموبقات، و بشرّ بغفران هناته و عثراته، فكان غير مكترث لمعجبة فعالة، و لا مبالٍ بمعرة مقاله.

وهب أنّ الحسنات يذهبن السيئات من غير حقوق الناس و الكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان، و لكن أىّ عمل بار في الشريعة- و لا أقول من أعمال عثمان فحسب- يُبيح للمكلف السيئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة و يبشّره بالمغفرة فيها جمعاء؟ و ليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الإيمان و مع

---

(١). العلل و معرفة الرجال: ٢ / ١٧٠ رقم ١٨٩٩.

(٢). كتاب المجروحين: ٢ / ٢٨٧.

(٣). الضعفاء الكبير: ٤ / ١٢٦ رقم ١٦٨٤.

(٤). ميزان الاعتدال: ٣ / ١٢٢ [٤ / ١١ رقم ٨٠٦٦]، تهذيب التهذيب: ٩ / ٤٠٧ [٩ / ٣٦١]. (المؤلف)

ص: ٤٦١

ذلك فهو غير ممتاز عمّا سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل، و إنّما يجب ما قبله: (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بِهِمْ) «١»، و إلّا لبطلت المواعيد و العقوبات المتوجّه خطابها إلى المؤمنين أجمع.

و إنّنا لم نجد في أعمال عثمان عملاً بارّاً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن أصول الإسلام، غير ما أنفق على جيش العسرة إن صحّ من ذلك شيء، و ما خسره على بئر رومة، و قد علمت أنّ جيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر ممّا أنفق هو، و ما أكثر من حفر الآبار و كرى الأنهار و سبّل مياهها للمسلمين، فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب

أن يُغفر لأولئك الأقبام والأُمم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفنّام و فنّام، لكن الحظوظ ساعدت عثمان و لم تساعدهم. فتبصّر و أعجب!

و هل علمت الصحابة بهذا الغفران ثمّ تقموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد هنات فلم يغفروها له مخالفين لله و لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم و هم عدول؟ أو أنّهم سمعوا هذه الأفيكة ثمّ أودعوها في محفظة الأباطيل؟ غير أنّ ظنّي بها أنّ ميلادها بعد واقعة الدار و أنّها كانت في أصلاب الوضّاعين عند الحصارين، و في حشّ كوكب، و في مقبرة اليهود، و لم تلدها بعد أمّها العاقر، حتى فُسِح المجال لاستيلاها على أيدي قوايل عهد معاوية فما بعد.

٣٠- أخرج أحمد في مسنده «٢» (١/ ٧٠) عن بهز أبي الأسود البصرى، عن أبي عوانة الوضّاح البصرى، عن حصين، عن عمرو بن جاوران البصرى، عن الأحنف ابن قيس البصرى، قال: انطلقنا حجّاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناس من فزع في المسجد. فانطلقت أنا و صاحبي فإذا الناس مجتمعون

(١). محمد: ٢.

(٢). مسند أحمد: ١/ ١١٣ ح ٥١٣.

ص: ٤٦٢

على نفر في المسجد، قال: فتخلّلتهم حتى قمت عليهم فإذا علىّ بن أبي طالب و الزبير و طلحة و سعد بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى فقال: أ هاهنا علىّ؟ قالوا: نعم. قال أ هاهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أ هاهنا سعد؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أ تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من يتتاع مرید بنى فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقلت: إننى قد ابتعته، فقال: اجعله في مسجدنا و أجره لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أ تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من يتتاع بئر رومة، فابتعتها بكذا و كذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقلت: إننى قد ابتعتها يعنى بئر رومة - فقال: اجعلها سقاية للمسلمين و أجرها لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أ تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: من يجهّز هؤلاء غفر الله له، فجهّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً و لا عقلاً؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد. ثمّ انصرف. و أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (١٦٧ / ٤) بالإسناد المذكور.

قال الأمينى: زعم البصريون جند المرأة أنّهم يسعهم تدارك تجمهر صلحاء البصرة على عثمان بتسطير أمثال هذه الأفائك المفتعلة، و حسبوا أنّهم يبررون ساحة الرجل من تلکم الهنات الموقفة التى سجّلها له التاريخ، ذاهلين عن أنّ صحّة هذه الأساطير تزيد عليه وبالأل، فبعد ما سمع أعظم الصحابة حجاجه هذا، و قرعت سمعهم تلکم المناشدات و ما أصاخوا إليها، و ما زحزحوا عمّا كانوا عليه من خذلانه إلى التألّيب عليه إلى الوقيعة فيه بكلّ ما يوهنه و يُزريه إلى قتله إلى كسر أضالعه إلى رمى

جنازته إلى دفنه في مقابر اليهود، و بعد ما أصرت الأمة على مقتته مجمعة على النعمة عليه و هي لا تجتمع على الخطأ كما يحسبون، لم يبق للرجل أى قيمة فى سوق الاعتبار و إن اختلقت يد الافتعال له ألف أسطورة.

و تحصل مما قدمناه أن الأجور المذكورة على تقدير الصحة كانت مرتبة على

ص: ٤٦٣

الأعمال و لم تكن حقوقاً ثابتة للرجال فهى تدور مع الأعمال إن لم يبطلها ما هو أقوى منها كما هو الحال فى المقتضيات المقارنة بالموانع، و كان معتقد القوم فيما استنشدهم عثمان أنها مقرونة بها، فلذلك لم يقيموا لكل ما استنشدهم فيه وزناً إن كانت للمزاعم حقيقة.

و منها:

٣١- أخرج البيهقي فى السنن الكبرى (١٦٧ / ٦)؛ من طريق أبى إسحاق السبيعي، عن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: لما حضر عثمان بن عفان رضى الله عنه و أحيط بداره أشرف على الناس، فقال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان على جبل حراء فقال: اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال فى غزوة العسرة: من ينفق نفقة متقبلة، و الناس يومئذ معسرون مجهودون، فجهزت ثلث ذلك الجيش من مالى؟ قالوا: اللهم نعم. ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها بمالى فجعلتها للغنى و الفقير و ابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم. فى أشياء عددها.

فى الإسناد أبو إسحاق السبيعي، و قد مرّ فى الجزء السابع (ص ٢٧٦) أنه مدلس أفسد حديث أهل الكوفة، ضعيف جداً لا يحتجّ بحديثه. و أمّا أبو عبد الرحمن فهو عثمانى لا يعول عليه و لا يركن إلى حديثه.

٣٢- أخرج البلاذرى فى الأنساب «١» (١٠ / ٥) عن المدائنى، عن عباد بن راشد البصرى، عن الحسن البصرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من يجهّز هذا الجيش بشفاعة متقبلة؟ فقال عثمان: يا رسول الله بشفاعة متقبلة! قال: نعم على الله و رسوله. قال: أنا أجهّزهم بسبعين ألفاً.

قال الأمينى: هذا الجيش جهّزه الحسن البصرى، بعد سنين من وفاة النبىِّ

---

(١). أنساب الأشراف ١١٢ / ٦.

ص: ٤٦٤

الأقدس، و قد ولد الرجل لستين بقيتا من خلافة عمر، و لعلّه نظر إلى ذلك الموقف و استترق السمع من وراء ستر رقيق فى صلب أبيه، أو أوعز بإرسال الرواية إلى بطلانها، و غير بعيد أن يكون عبّاد بن راشد هو الذى تقوّل بها على الحسن و هو برىء منها. قال الدورى عن ابن معين «١»: حديث عبّاد ليس بالقوىّ و لكن يكتب - يعنى للاعتبار - و قال الدورقى عن ابن معين: ضعيف. و قال البخارى «٢» و الأزدى: تركه يحيى القطّان. و قال أبو داود: ضعيف. و قال النسائى «٣»: ليس بالقوىّ. و قال ابن المدينى: لا أعرف حاله. و قال ابن البرقى: ليس بالقوىّ. و قال ابن حبان «٤»: كان ممّن يأتى بالمناكير عن المشاهير، حتى يسبق إلى القلب أنّه كان المتعمّد فبطل الاحتجاج به، روى عن الحسن حديثاً طويلاً أكثره موضوع «٥».

و منها:

٣٣- أخرج أبو نعيم فى حلية الأولياء (١ / ٥٨)؛ من طريق إبراهيم بن سعدان، عن بكر بن بكار البصرى، عن عيسى بن المسيب، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة، قال: اشترى عثمان بن عفّان من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الجنة مرتين ببيع الخلق: حين حفر بئر رومة، و حين جهّز جيش العسرة.

رجال الإسناد:

١- بكر بن بكار أبو عمرو البصرى، قال ابن أبى حاتم «٦»: ضعيف الحديث

---

(١). التاريخ: ١٠٣ / ٤ رقم ٣٣٤٩.

(٢). التاريخ الكبير: مج ٦ / ٣٦ رقم ١٦٠٨.

(٣). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٧٢ رقم ٤٣٠.

(٤). كتاب المجروحين: ١٦٣ / ٢.

(٥). تهذيب التهذيب: ٩٢ / ٥ [٨٠ / ٥]. (المؤلف)

(٦). الجرح و التعديل: ٧٠ / ٣ رقم ٣١٨.

ص: ٤٤٥

سبىّ الحفظ له تخطيط. و قال ابن معين «١»: ليس بشيء. و قال النسائى «٢»: ليس بالقوىّ. و قال أيضاً: ليس بثقة. و قال أبو حاتم «٣»: ليس بالقوىّ. و ذكره العقيلي «٤» و ابن الجارود و الساجى فى الضعفاء «٥».

٢- عيسى بن المسيب، قال يحيى والنسائي والدارقطني «٦»: ضعيف. وقال أبو حاتم «٧» وأبو زرعة: ليس بالقوى. و تكلم فيه ابن حبان وغيره. وقال أبو داود: ضعيف. وقال يحيى بن معين «٨» أيضاً: ليس بشيء. وقال ابن حبان «٩»: يقلب الأخبار ولا يفهم و يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به.

لسان الميزان «١٠» (٤/ ٤٠٥).

و الباحث جدّ عليم بأن الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلا لما تجمهروا على مقت الرجل و خذلانه، و لم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً وإلا لما كان حذراً من أن يكون هو الملحد بمكة الذى عليه نصف عذاب أهل الأرض، كما مرّ حديثه فى هذا الجزء (ص ١٥٣).

---

(١). التاريخ: ٢٠٩ / ٤ رقم ٣٩٩٧.

(٢). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٦٥ رقم ٨٩.

(٣). الجرح و التعديل: ٢ / ٣٨٣ رقم ١٤٩٢.

(٤). الضعفاء الكبير: ١ / ١٥٢ رقم ١٩٠.

(٥). ميزان الاعتدال: ١ / ١٦٠ [١ / ٣٤٣ رقم ١٢٧٤]، تهذيب التهذيب: ١ / ٤٨ [١ / ٤٢٠]، لسان الميزان: ٢ / ٤٨ [٢ / ٥٩ رقم ١٧٠١]. (المؤلف)

(٦). التاريخ: ٣ / ٣٤٢ رقم ١٦٥٧، كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٧٦ رقم ٤٤٥، الضعفاء و المتروكون: ص ٣١٧ رقم ٤١٧.

(٧). الجرح و التعديل: ٦ / ٢٨٨ رقم ١٦٠٠.

(٨). التاريخ: ٣ / ٣٥٥ رقم ١٧٢٠.

(٩). كتاب المجروحين: ٢ / ١١٩.

(١٠). لسان الميزان: ٤ / ٤٦٨ رقم ٦٤٤٥.

ص: ٤٦٦

و منها:

٣٤- أخرج أحمد في المسند «١» (٧٥ / ٤)، و أبو نعيم في الحلية (٥٨ / ١) من طريقين: أحدهما عن عبد الله بن جعفر، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود. و الآخر: عن فاروق الخطّابي، عن أبي مسلم الكجى، عن حجاج بن نصر «٢»- أبي محمد البصرى - قالوا: حدّثنا سكن بن المغيرة الأموى - البصرى مولى آل عثمان -، عن الوليد بن أبي هشام البصرى، عن فرقد بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي خباب «٣» السلمى البصرى، قال: خطب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان: علىّ مائة بغير بأحلاسها و أقتابها. قال: ثمّ حثّ، فقال عثمان: علىّ مائة أخرى بأحلاسها و أقتابها قال: ثمّ حثّ فقال عثمان: علىّ مائة أخرى بأحلاسها و أقتابها. فرأيت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول بيده يحرّكها: ما على عثمان ما عمل بعد هذا.

قال الأمينى: هلّا مخبر يخبرنى عن هذا الصحابىّ البصرىّ الذى لا يُعرف إلّا بحديثه هذا، و لا يعلم من تاريخ حياته شىء غير اختلاقه هذه الرواية، و لا يروى عن النبىّ الأعظم إلّا هذه الخطبة المزعومة كما صرّح به ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «٤» و ابن حجر فى الإصابة «٥»، و لم يسمعها صحابىّ قطّ غيره منه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ يخبرنى ذلك المخبر عمّن انتهى إليه الإسناد أنّ فرقد بن طلحة من هو؟ و متى ولد؟ و أين و أنّى كان؟ و ما المعروف من ترجمته؟ فكأنّى به و هو يجيبنى بما قاله على ابن المدينى: لا أعرفه «٦».

(١). مسند أحمد: ٥ / ٢٨ ح ١٦٢٥٥.

(٢). كذا فى النسخ و الصحيح: نصير، بضم النون مصغراً. (المؤلف)

(٣). كذا فى النسخ و الصحيح: عبد الرحمن بن خباب. (المؤلف)

(٤). الاستيعاب: القسم الثانى / ٨٣٠ رقم ١٤٠٣.

(٥). الإصابة: ٢ / ٣٩٦ رقم ٥١١٠.

(٦). تهذيب التهذيب: ٧ / ٢٦٤ [٢٣٧ / ٨]. (المؤلف)

ص: ٤٦٧

و هل تخفى على إمام أو حافظ فى الحديث آراء رجال الجرح و التعديل فى حجاج بن نصير؟ و قد ورد فيه قول ابن معين «١»: ضعيف. و قول على بن المدينى: ذهب حديثه كان الناس لا يحدثون عنه، و قول النسائى «٢»: ضعيف. و قوله أيضاً: ليس بثقة و لا يُكتب حديثه. و قول ابن حبان «٣»: يُخطئ و يهمل. و قول العجلي «٤»: كان معروفاً بالحديث و لكنّه أفسده أهل الحديث بالتلقين، كان يلقتن و أدخل فى حديثه ما ليس منه فترك. و قول ابن سعد «٥»: كان ضعيفاً. و قول الدارقطنى «٦» و



الأزدى: ضعيف. و قول أبي أحمد الحاكم: ليس بالقوى عندهم. و قول الآجرى عن أبى داود: تركوا حديثه. و قول ابن قانع: ضعيف لئن الحديث «٧».

و إنى أحسب أن الآفة من سكن بن المغيرة و أنه أدّى حقوق آل عثمان- و هو مولاهم- باختلاق هذه المنقبة لعثمان، و لا ينافى ذلك كونه صالحاً إمام جمعة و جماعة، و كم و كم من صلحاء وضّاعين، و من أئمة كذّابين! راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا سلسلة الكذّابين و الوضّاعين.

و منها:

٣٥- أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ٥٩)؛ من طريق عمر بن هارون البلخى، عن عبد الله بن شوذب البصرى ثم المقدسى، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير بن أبى

---

(١). التاريخ: ٢٠٦ / ٤ رقم ٣٩٧٥.

(٢). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٩٢ رقم ١٧٠.

(٣). الثقات: ٢٠٢ / ٨.

(٤). تاريخ الثقات: ص ١٠٩ رقم ٢٥٧.

(٥). الطبقات الكبرى: ٣٠٥ / ٧.

(٦). الضعفاء و المتروكون: ص ١٨٦ رقم ١٧٤.

(٧). تهذيب التهذيب: ٢ / ٢٠٩ [٢ / ١٨٣]. (المؤلف)

ص: ٤٦٨

كثير البصرى مولى سمرة «١»، عن عبد الله بن سمرة «٢» عامل معاوية بن أبى سفيان على البصرة قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى جيش العسرة، فجاء عثمان بألف دينار فنشرها بين يدى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم ولى، قال: فسمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقلّب الدنانير و هو يقول: ما يضرّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم.

و فى لفظ أحمد فى المسند «٣» (٥ / ٦٣): ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم. يردّها مراراً.

و ذكره ابن الجوزى فى التبصرة كما فى تلخيصها قرّة العيون المبصرة (١ / ١٧٩).

قال الأمينى: ألا تعجب من حفاظ يروون عن كذاب خبيث مرسلين روايته إرسال المسلّم يمرّون بها كراماً؟ أى قيمة فى سوق الاعتبار لرواية جاء بها عمر بن هارون؟ و قد جاء فيه قول ابن سعيد: كتب الناس عنه كتاباً كبيراً و تركوا حديثه و قول البخارى «٤»: تكلم فيه يحيى بن معين «٥» و قال: عمر بن هارون كذاب قدم مكة و قد مات جعفر بن محمد فحدّث عنه. و قول ابن أبى حاتم «٦»: سألت أبى عنه فقال: تكلم فيه ابن المبارك فذهب حديثه، قلت لأبى: إن الأشجّ حدّثنا عنه فقال: هو ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة. و قول قتيبة: قلت لجرير: إن عمر بن هارون حدّثنا عن القاسم بن مبرور قال: نزل جبريل على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إن كاتبك هذا أمين - يعنى معاوية - فقال جرير: اذهب إليه فقل له: كذبت. رواها

(١). و فى مسند أحمد [٦ / ٥٥ ح ٢٠١٠٧]، مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة. (المؤلف)

(٢). فى الحلية: عن عبد الرحمن بن سمرة.

(٣). مسند أحمد: ٦ / ٥٥ ح ٢٠١٠٧.

(٤). التاريخ الكبير: ٦ / ٢٠٤ رقم ٢١٧٧.

(٥). التاريخ: ٤ / ٣٥٦ رقم ٤٧٥٧.

(٦). الجرح و التعديل: ٦ / ١٤١ رقم ٧٦٥.

ص: ٤٦٩

العقلى «١». و عن أحمد أنّه قال: لا أروى عنه شيئاً و قد أكثرت عنه. و قول ابن مهدى: لم يكن له عندى قيمة، حدّثنى بأحاديث فلما قدم مرة أخرى حدّث بها عن ابن عبّاس عن أولئك فتركت حديثه. و قول أبى زكريا: عمر بن هارون: كذاب خبيث ليس حديثه بشىء، قد كتبت عنه و بتّ على بابه و ذهبنا معه إلى النهروان، ثمّ تبين لنا أمره فحرقت حديثه ما عندى عنه كلمة. و قول ابن محرز عن ابن معين: ليس هو بثقة و بنحوه قال الغلابى عنه. و قال عنه مرة: ضعيف. و قول أبى داود عنه: غير ثقة. و قول ابن أبى خيثمة و غيره عن ابن معين: ليس بشىء؛ و قول جعفر الطيالسى عن ابن معين: يكذب. و قول عبد الله بن على بن المدينى: سألت أبى عنه فضغفه جدّاً. و قول إبراهيم بن موسى: الناس تركوا حديثه. و قول الجوزجاني: لم يقنع الناس بحديثه. و قول النسائى «٢» و صالح بن محمد و أبى على الحافظ: متروك الحديث. و قول الساجى: فيه ضعف. و قول الدارقطنى «٣»: ضعيف. و قول أبى نعيم: حدّث بالمناكير لا شىء «٤». و قول العجلي «٥»: ضعيف. و قول ابن حبان «٦»: يروى عن الثقات المعضلات و يدعى شيوخاً لم يرههم «٧».

و فى الإسناد: كئفر بن أبى كئفر؁ ذكره العقلى فى الضعفاء «٨»؁ و قال ابن حزم و عبد الحق: إنه مجهول؁ و لو كان لتوثق العجلى الرجل وزن لما جهله الحافظان و لم

(١). الضعفاء الكئفر: ٣ / ١٩٤ رقم ١١٩٢.

(٢). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٩١ رقم ٤٩٩.

(٣). الضعفاء و المتروكون: ص ٢٩٣ رقم ٣٦٨.

(٤). لبت أبا نعيم كان على ذكر من رأيه هذا فى الرجل حين أخرج من طريقه هذه المنقبة المزيفة. (المؤلف)

(٥). تاريخ النقائ: ص ٣٦١ رقم ١٢٤٧.

(٦). كتاب المجروحين: ٢ / ٩٠.

(٧). تهذيب التهذيب: ٧ / ٥٠٢ - ٥٠٥ [٧ / ٤٤١]. (المؤلف)

(٨). الضعفاء الكئفر: ٤ / ٣ رقم ١٥٥٤.

ص: ٤٧٠

يضعفه العقلى؁ و أى قيمة لئقة العجلى «١» و هو يوثق عمر بن سعد قاتل الإمام السبط الشهيد و نظراءه من المهتوكين المفضوحين!؟

و فى طريق أحمد مضافاً إلى كئفر ضمرة بن ربيعة؁ و قد مرّ فيه قول الساجى: صدوق بهم؁ عنده مناكير. و روى ضمرة عن الثورى؁ عن عبد الله بن دينار؁ عن ابن عمر حديثاً أنكره أحمد و ردّه ردّاً شديداً؁ و قال: لو قال رجل: إن هذا كذب لما كان مخطئاً. و أخرجه الترمذى «٢» و قال: لا يُتابع ضمرة عليه و هو خطأ عند أهل الحديث.

فهذه مكانة الرجل من الرواية و إن كان ثقة مأموناً؁ و أكبر الظن أن الآفة فى هذه الرواية من ابن سمرة و أنه اختلقها تقريباً إلى أعطيات معاوية و هباته التى كانت تصل من دون وزن و كيل إلى وضاعى الأحاديث و رجال الاختلاق الذين لا خلاق لهم.

و منها:

٣٦- عن مسعر؁ عن عطية؁ عن أبى سعيد؁ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه لعثمان يقول: اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه.

ذكره ابن الجوزى فى كتابه التبصرة كما فى تلخيصه «٣» (١ / ١٧٩) مرسلًا إياه إرسال المسلّم، و هو أوّل حديث ذكره فى فضائل عثمان، و ذكره الواحدى فى أسباب النزول «٤» مرسلًا (ص ٦١) فزاد: فأنزل الله تعالى فيه: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) «٥». و ذكره ابن كثير فى تاريخه «٦» (٧ / ٢١٢) و لم يذكر من رجال إسناده إلّا

(١). تاريخ الثقات: ص ٣٥٧ رقم ١٢٣٠.

(٢). سنن الترمذى: ٣ / ٦٤٧ ح ١٣٦٥.

(٣). الموسوم بقرّة العيون المبصرة، تأليف الشيخ أبى بكر ابن الشيخ محمد الملاً الحنفى. (المؤلف)

(٤). أسباب النزول: ص ٥٥.

(٥). البقرة: ٢٦٢.

(٦). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

ص: ٤٧١

الثلاثة المذكورة، و لعله هو و من رواه مرسلًا وجدوا فى سلسلة السند أناساً ساقطين لا يُعبأ بهم و لا يُحتجّ بحديثهم، و ما راقهم إبطال هذه المنقبة بإبداء علله بذكر أوّلك الرجال.

و من العجب العجاب هذا الدأب منه صلى الله عليه و آله و سلم من أوّل الليل إلى منتهى الفجر على الدعاء لعثمان الذى فوتّ عليه مرغباته و فرائضه، فإنّ صلاة الليل و الوتر كانت فريضة عليه صلى الله عليه و آله و سلم دون الأُمَّة «١»، و لا أدرى هل نزل عليه صلى الله عليه و آله و سلم و حى جديد يأمره باستبدال نوافله و فرائضه فى تلك الليلة بالدعاء لعثمان؟ أو ما ذا كان فيها؟ نعم، الذى يظهر من السيوطى فى الخصائص الكبرى «٢» (٢ / ١٦٤ - ١٧٠) أنّ ذلك الوحى لم ينزل، و أنّ الدعاء لعثمان لم يكن فضلًا عن استيعابه الليل كلّهُ فإنّه ذكر فيها كلّ من دعا له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و سمّاهم حتى يهوديًا سمّت «٣» رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يعدّ منهم عثمان.

و لو كان إنفاق عثمان فى جيش العسرة موجباً للدعاء المستوعب ليله صلى الله عليه و آله و سلم كما يظهر من رواية الواحدى، فإنفاق أبى بكر الذى أنفق كلّ ما كان يملكه ذات يده - كما يحسبه القوم - و كان يراه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمّنّ الناس عليه بماله «٤» يستوجب دعاءً مستغرقاً ليله و نهاره، فأين؟ و أنّى؟ و لو كان كلّ إنفاق فى مهمّة يستدعى دعاء الليل فكان عليه صلى الله عليه و آله و سلم أن يقضى حياته ليلاً و نهاراً بالدعاء للمنفقين، و ما أكثرهم! و لو كان صلى الله عليه و آله و سلم رافعاً يديه لعثمان فعليه صلى الله عليه و آله و سلم أن يديم رفعهما فى الدعاء لأبى بكر و لرجال الأنصار المكثرين من

الإِنْفَاقِ فِي السَّلْمِ وَ الْحَرْبِ وَ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَسَارِ الَّذِينَ بَدَلُوا كَنْزَ عَامِرَةَ مِنَ الدَّرْهَمِ وَ الدِّينَارِ فِي مَهَامِّ الْإِسْلَامِ الْمُقَدَّسِ وَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَ الذَّبِّ عَنْهُ.

---

(١). راجع الخصائص الكبرى: ٢ / ٢٢٩ [٢ / ٣٩٧]. (المؤلف)

(٢). الخصائص الكبرى: ٢ / ٢٧٩ - ٢٩٦.

(٣). التسميت: الدعاء للعاطس، و هو قولك له: يرحمك الله، أخذ من سمت إلى الطريق و القصد. كأنه قصد بذلك الدعاء.

(٤). راجع ما مضى في: ٧ / ٣٠٧ و ٨ / ٣٣، ٥٨. (المؤلف)

ص: ٤٧٢

و أمّا زيادة الواحدى من نزول الآية الكريمة فى عثمان «١»؛ فقد فصلنا القول فيه و أنه لا يصحّ فى الجزء الثامن (ص ٥٧).

بقيّة مناقب عثمان

٣٧- قال ابن كثير فى تاريخه «٢» (٧ / ٢١٢): قال ليث بن أبى سليم - ابن زعيم القرشى مولاهم -: أوّل من خبص الخبيص عثمان، خلط بين العسل و النقى ثمّ بعث به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى منزل أمّ سلمة فلم يصادفه، فلمّا جاء وضعوه بين يديه، فقال: من بعث هذا؟ قالوا: عثمان. قالت: فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللهمّ إنّ عثمان يترضّاك فارضّ عنه.

و ذكره السيوطى فى مسامرة الأوائل (ص ٨٧) نقلًا عن البيهقى «٣» و ابن عساکر «٤» من طريق ليث.

قال الأمينى: خبص ابن زعيم هذا الخبيص لعثمان بعد لأى من وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد مات الرجل بعد المائة و الأربعين من الهجرة، و لم يدرك النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، و لم نعرف الذى أخذ الرواية منه ممّن شهد قصّة الخبيص و حضر مشهد الدعاء، كما لا يُعرف أحد من بقيّة رجال الإسناد، فالرواية مرسلّة من الطرفين.

و أمّا ابن زعيم فقد جاء فيه عن عبد الله بن أحمد قال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً منه فى ليث و ابن إسحاق و همام لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم. و قال ابن أبى شيبة و أبو حاتم «٥» و الجوزجاني: كان ضعيف الحديث. و ضعّفه ابن

---

(١). أسباب النزول: ص ٥٥.

(٢). البداية و النهاية: ٧ / ٢٣٨ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٣). شعب الإيمان: ٩٨ / ٥ ح ٥٩٣٢.

(٤). مختصر تاريخ دمشق: ١٢٤ / ١٦.

(٥). الجرح و التعديل: ١٧٧ / ٧ رقم ١٠١٤.

ص: ٤٧٣

سعد «١» و ابن معين و ابن عيينة. و قال أحمد «٢» و أبو حاتم «٣» أيضاً و أبو زرعة: مضطرب الحديث لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث. و قال يحيى: عامّة شيوخه لا يُعرفون. و قال ابن حبان «٤»: اختلط في آخر عمره فكان يقلّب الأسانيد و يرفع المراسيل، و يأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم، تركه القطان و ابن مهدي و ابن معين و أحمد. و قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. و قال أبو عبد الله الحاكم: مُجمّع على سوء حفظه «٥».

ألا تعجب من حافظ كابن كثير يذكر رواية هذا شأنها و هذه عللها و ذلك متنها المعلول و يرسلها إرسال المسلّم في مقام الحجاج و يعدّها من فضائل عثمان؟ و يأتي إلى حديث المؤاخاة الصحيح الثبت المتواتر الوارد من طرق مسندة معنعة في الصحاح و الأسانيد و يتخلّص منه بقوله «٦»: أسانيدنا كلّها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجّة، و الله أعلم «٧». و يروى في تاريخه «٨» (٣٥٧ / ٧) نزول آية الولاية في عليّ عليه السلام فقال: هذا لا يصحّ بوجه من الوجوه لضعف أسانيدنا، و لم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيّته «٩». حبّياً الله الأمانة! و قاتل الله الحبّ المعميّ و المصمّ.

---

(١). الطبقات الكبرى: ٣٤٩ / ٦.

(٢). العلل و معرفة الرجال: ٣٧٩ / ٢ رقم ٢٤٩١.

(٣). الجرح و التعديل: ١٧٧ / ٧ رقم ١٠١٤.

(٤). كتاب المجروحين: ٢٣١ / ٢.

(٥). تهذيب التهذيب: ٤٤٨ / ٨ [٤١٧ / ٨]. (المؤلف)

(٦). راجع تاريخ ابن كثير - البداية و النهاية -: ٣٣٥ / ٧ [٣٧١ / ٧] حوادث سنة ٤٠ هـ. (المؤلف)

(٧). مرّ حديث المؤاخاة بطرقه المفصّلة في ٣ / ١١٢ - ١٢٥، و مرّ الإيعاز إليه في هذا الجزء صفحة: ٣١٧. (المؤلف)

(٨). البداية و النهاية: ٣٩٥ / ٧ حوادث سنة ٤٠ هـ.

(٩). أسلفنا في: ٣ / ١٥٦ - ١٦٧ تفصيل القول في نزول الآية في علي عليه السلام، و صحّة روايته، و إطباق الفقهاء و المتكلمين و المحدثين و المفسّرين على ذلك. (المؤلف)

ص: ٤٧٤

و لو كان صلى الله عليه و آله و سلم يرفع يديه لكلّ هديّة و لو كانت لقمة خبيص للزمه أن لا ينزلها في أغلب أوقاته لكثرة الهدايا إليه و كثرة مهديها، و لم تكن لعثمان و لخبيصه خاصّة توجب أداء حقّها دون المؤمنين عامّة و هداياهم.

٣٨- أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (٦ / ٣٢١)؛ من طريق عبد الله بن الحسن بن أحمد، عن يزيد بن مروان الخلال، عن إسحاق بن نجیح الملطي، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن لكلّ نبيّ خليلاً من أمته و إن خليلى عثمان بن عفّان.

قال الأميني: حسبك من عرفان رجال الإسناد كذّابان: الخلال و الملطي، أمّا الخلال فقال يحيى بن معين: الخلال كذّاب. و قال الدارمي: و قد أدركته و هو ضعيف قريب ممّا قال يحيى. و قال أبو داود: ضعيف. و قال الدارقطني: ضعيف جداً «١».

هذا مجمل القول في الخلال، و أمّا الملطي فقال أحمد «٢»: إسحاق من أكذب الناس، و قال ابن معين «٣»: كذّاب عدوّ الله رجل سوء خبيث. و قال ابن أبي شيبة عنه: كان ببغداد قوم يضعون الحديث منهم إسحاق بن نجیح. و قال ابن أبي مريم: إنّه من المعروفين بالكذب و وضع الحديث، و قال عمرو بن عليّ: كذّاب كان يضع الحديث. و قال الجوزجاني: غير ثقة و لا من أوعية الأمانة. و قال ابن عدى «٤»: أحاديثه موضوعات وضعها هو، و عامّة ما أتى عن ابن جريج فكّله منكر و وضعه عليه، و هو بين الأمر في الضعفاء، و هو ممّن يضع الحديث. و قال النسائي «٥»: كذّاب.

---

(١). ميزان الاعتدال: ٣ / ٣١٨ [٤ / ٤٣٩ رقم ٩٧٥٠]، لسان الميزان: ٦ / ٢٩٣ [٦ / ٣٥٩ رقم ٩٢٨٦]. (المؤلف)

(٢). العلل و معرفة الرجال: ٢ / ٣٠ رقم ١٤٥٤.

(٣). معرفة الرجال: ١ / ٥١ رقم ٧.

(٤). الكامل في ضعفاء الرجال: ١ / ٣٢٩ رقم ١٥٥.

(٥). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ٥٣ رقم ٥٠.

ص: ٤٧٥

و قال ابن حبان «١»: دجال من الدجاجة يضع الحديث صراحاً. و قال البرقاني: نُسب إلى الكذب. و قال الجوزقاني: كذاب وضاع لا يجوز قبول خبره و لا الاحتجاج بحديثه و يجب بيان أمره. و قال أبو سعيد: مشهور بوضع الحديث. و قال ابن طاهر: دجال كذاب. و قال ابن الجوزي: أجمعوا على أنه كان يضع الحديث «٢».

و من العجب سكوت الخطيب عن هذه الرواية و عمّا في إسنادها من العلل، و قد ذكر هو كثيراً من آراء الحفاظ المذكورة في ترجمة إسحاق، و لعلّه اكتفى بذكرها عن تفنيد الرواية صريحاً، و كأنّ مفتعلها لم يقف على المفتعلة الأخرى المرفوعة: لكلّ نبيّ خليل و خليلي سعد بن معاذ «٣». و يضادّ كلاهما ما جاء به البخاري في صحيحه «٤» (٥/ ٢٤٣) من القول المعزوّ إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر. و قد قدّمنا الكلام حول ذلك في الأجزاء الماضية و أنّه موضوع مختلق أيضاً.

٣٩- روى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك، قالت: انتبه عمر ابن عبد العزيز ذات ليلة و هو يقول: لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة، فقلت: أخبرني بها، فقال: حتى نصبح، فلما صلى بالمسلمين دخل فسألته، فقال: رأيت كأنّي دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنّها بساط أخضر، و إذا فيها قصر كأنّه الفضة، فخرج منه خارج فنادى: أين محمد بن عبد الله؟ أين رسول الله؟ إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى دخل ذلك القصر، ثمّ خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عثمان بن عفان؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عليّ بن أبي طالب؟ فأقبل

(١). كتاب المجروحين: ١/ ١٣٤.

(٢). تاريخ الخطيب: ٦/ ٣٢١ - ٣٢٤ [رقم ٣٣٦٦]، تهذيب التهذيب: ١/ ٢٥٢ [١/ ٢٢١]. (المؤلف)

(٣). كنز العمال: ٦/ ١٨٣ [١١/ ٧٢٠ ح ٣٣٥١٦]، منتخب الكنز هامش مسند أحمد: ٥/ ٢٣١ [٥/ ٢١١]. (المؤلف)

(٤). صحيح البخاري: ٣/ ١٣٣٨ ح ٣٤٥٧.

ص: ٤٧٦

فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عمر بن عبد العزيز؟ فقلت فدخلت فجلست إلى جانب أبي «١» عمر بن الخطاب، و هو عن يسار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبو بكر عن يمينه، و بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجل، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثمّ سمعت هاتفاً يهتف بيني و بينه نور لا أراه، و هو يقول: يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه و اثبت على ما أنت عليه، ثمّ كأنّه أذن لي في الخروج فخرجت، فالتفت فإذا عثمان بن عفان و هو خارج من القصر و هو يقول: الحمد لله الذي نصرني ربّي، و إذا عليّ في أثره و هو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربّي. و ذكره ابن كثير في تاريخه «٢» (٩/ ٢٠٦).



قال الأميني: أنا لا أزال أرحب بقوم يحاولون إثبات الحقائق بالأطراف، و يجابهون ما ثبت في الخارج بالخيال، فتصور لهم ريشة الأوهام عثمان منزهاً عن كل وصمة عرفت فيها الصحابة العدول من أمة محمد الناظرين إليه من كذب و المشاهدين أعماله الناقمين عليه بها، وقد أهدروا دمه من جرأتها، و هم الذين يُقتدى بهم و بأقوالهم و أفعالهم عند القوم و يُحتذى مثالهم، و بأمثال هذه السفاسف يُجرّون البسطاء على التورط في المآثم بالنظر إلى هذا الإنسان المغمور فيها في نظارة مكبرة تُريه منزهاً عن دنس كل حوب، منصوراً من الله بعد أن خذلته الصحابة جمعاء.

و لهم هناك نظارة أخرى تصغر المنظور إليه من إمام المسلمين و سيّد الخلفاء خير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدّ أثبتوا له ذنباً مغفوراً.

ألا من مسائل إياهم عن أنه متى صدر هذا الذنب عن إمام المسلمين؟ أحين عدّه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم نفسه كما في الذكر الحكيم؟ أم حين طهره الجليل بقوله تعالى:

(١). عمر بن الخطّاب جدّ عمر عبد العزيز من أمّه أمّ عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب. (المؤلف)

(٢). البداية و النهاية: ٢٣٢ / ٩ حوادث سنة ١٠١ هـ.

ص: ٤٧٧

(إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) «١»؟ أم حين قرن ولايته بولايته و ولاية نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم بقوله سبحانه: (إنّما وليّكم اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ) «٢»؟ أم حين أكمل بولايته الدين و أتم نعمته على المسلمين بقوله عزّ من قائل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) «٣»؟ أم حين جعله صلى الله عليه و آله و سلم أولى بالناس من أنفسهم كما هو أولى بهم من أنفسهم فرشحه للخلافة الكبرى في حديث الغدير المتواتر المقطوع بصوره؟ أم حين جعله عدل القرآن في حديث الثقلين الثابت المتواتر؟ أم حين أنزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى، و فصل بينه و بين نفسه بالنبوة فحسب

فقال: «إلّا أنّه لا نبيّ بعدى» «٤»؟

أم..؟ أم..؟ إلى ألف أم..؟

على أنّه سلام الله عليه - كان جلس بيته و الناس متجمهرون على عثمان لا يشاركونهم في شيء من أمره، و لعلّ في الفئدة المهملجة من يعدّ ما كان ينوء به الإمام عليه السلام - من نهى عثمان عمّا نقم عليه به من هنات و عثرات و أمره إياه بالمعروف و العمل بالكتاب و السنّة فلا يجد منه أذناً مصيخة حتى

قال: «ما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك و غلبت على أمرك» «٥»

- ذنباً مغفوراً له، و يعدّه تقويةً لجانب الناثرين على الرجل، و ما هو من ذلك بشيء، و إنّما أراد عليه السلام كشف المتلات عنه بإقلاعه عمّا كان يرتكبه من الموبقات و لكن على حدّ قول الشاعر:

(١). الأحزاب: ٣٣.

(٢). راجع ما أسلفناه فى الجزء الثالث: ص ١٥٦ - ١٦٧. (المؤلف)

(٣). راجع ما أسلفناه فى الجزء الأوّل: ص ٢٣٠ - ٢٣٨. (المؤلف)

(٤). راجع ما مرّ فى الجزء الثالث: ص ١٩٩ - ٢٠٢. (المؤلف)

(٥). راجع ما مرّ فى هذا الجزء: ص ١٧٢ - ١٧٥. (المؤلف)

ص: ٤٧٨

فلم تستبينوا النصح إلّا ضحى الغدِ

أمرتكمُ أمرى بمنعرج اللوى

أو على حدّ قوله:

و قد يستفيد الظنّة المنتصّح

و كم سقتُ فى آثاركمُ من نصيحةٍ

فزه زه بهذه المعرفة و حيّا الله العلم الناجع الذى يرى صاحبه الواجب ذنباً و المذنب منصوراً.

و أحسب أنّ الذى افتعل هذه الأكذوبة الخياليّة رجل من بسطاء الأكراد أو الأعجام البعداء عن العربيّة، و إلّا فالعربىّ الصميم لا يقول: الحمد لله الذى نصرنى ربّى، و الحمد لله الذى غفر لى ربّى.

و لعمر بن عبد العزيز منام أشنع من هذه المهزأة يحوى فصل الخصومات الواقعة بين الإمام أمير المؤمنين و معاوية بن هند، أخرجه أبو بكر بن أبى الدنيا أيضاً بالإسناد عن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام و أبو بكر و عمر جالسان عنده فسلمت عليه و جلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلّى و معاوية، فأدخلا بيتاً و أجيّف الباب و

أنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ و هو يقول: قُضِيَ لِي و رَبِّ الكعبة، ثمّ ما كان بأسرع من أن خرج معاوية و هو يقول: غُفِرَ لِي و رَبِّ الكعبة «١».

و يظهر من الجمع بين المنامين أنّ موقف أمير المؤمنين عليّ من عثمان كان كموقف معاوية من عليّ صلوات الله عليه، موقف الخروج على إمام الوقت، موقف البغى و الجور، لا ضير إنّنا إلى ربّنا منقلبون، و الله هو الحكم العدل يوم لا ينفع طيف و لا خيال.

٤٠- أخرج البلاذري في الأنساب «٢» (٣ / ٥) من طريق سعيد بن خالد، عن صالح

---

(١). تاريخ ابن كثير: ٨ / ١٣٠ [٨ / ١٣٩ حوادث سنة ٦٠ هـ]. (المؤلف)

(٢). أنساب الأشراف: ١٠١ / ٦.

ص: ٤٧٩

ابن كيسان - أمويّ النزعة مؤدّب ولد عمر بن عبد العزيز - عن سعيد بن المسيّب قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى عثمان فقال: هذا التقى المؤمن الشهيد شبيه إبراهيم.

قال الأميني: كأن سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي، أو سعيد ابن خالد الخزاعي المدني المجمع على ضعفه لم يجد في صحابة النبيّ الأقدس من يتحمّل عبء هذا السرف من القول و الغلوّ في الفضيلة، فتركه مرسلًا مقطوع العرى بين سعيد بن المسيّب المولود بعد سنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطّاب و بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

لعلّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من سيرة الممدوح و آراء الصحابة فيه و إصفاق الأُمَّة على النعمة عليه بأفعاله و تروكه الشاذّة عن التقوى لا يخفى عليه أنّ تشبيه الرجل بإبراهيم النبيّ المعصوم عليه السلام جناية على المعصومين و سفه من القول و ترّة، نعوذ بالله من التقولّ بلا تعقلّ.

و لو كان التشبيه بمن كان من الأنبياء مقبولًا لأمكن أن يتصوّر له وجه شبه و لو مع ألف فارق، غير أنّ نوبة الظلم عند وضع هذا الحديث كانت قد انتهت إلى خليل الله سلام الله عليه.

و إنّني أحسب أنّ مصحّح هذه المهرأة قرع سمعه حديث التشبيه الوارد في مولانا أمير المؤمنين المذكور في الجزء الثالث (ص ٣٥٥ - ٣٦٠) و راقه من ذلك تشبيهه بخليل الرحمن فحابي الرجل بذلك، و قد أعماه الحبّ عن عدم وجود وجه شبه و لو من جهة واحدة مع التمثلّ بين نبيّ معصوم خُصّ بفضيلة الخلّة من المولى سبحانه و بين من قُتل دون هياته و سقطاته.

أنا لا أدري أن هتاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الذى سمعه سعيد بن المسيب المولود بعده هل سمعته عائشة و مع ذلك كانت تهتف بقولها: اقتلوا نعتلًا قتله الله فإنه قد كفر؟ و بقولها لابن عباس: يا ابن عباس إن الله قد آتاك عقلًا و فهمًا و بيانًا فإيتاك أن تردّ الناس

ص: ٤٨٠

عن هذا الطاغية؟ و بقولها: وددت و الله أنه فى غرارة من غرائرى هذه و أنى طوّقت حملة حتى ألقيه فى البحر؟ و بقولها لمروان: وددت و الله أنك و صاحبك هذا الذى يعينك أمره فى رجل كل واحد منكما رحاً و أنكما فى البحر؟ و بقولها للدخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل و إن عثمان قد أبلى سنته؟ و بقولها لما بلغها نعيه: أبعده الله؛ ذلك بما قدّمت يداه و ما هو بظلام للعبيد؟ و بقولها: أبعده الله قتله ذنبه؛ و أقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه «١»؟

و هل سمع حديث التشبيه فى عثمان أولئك الصحابة الذين سمعت أقوالهم و أفعالهم حول الرجل؟ أو أن الحديث كان باطلا فلم يسمعه أحد منهم؟ الحكم فى ذلك أنت أيها القارئ الكريم.

و أخرج رواية السوء من طريق عائشة فى التشبيه ما هو أعظم من هذا و أهتك لناموس الإسلام و نبيّه الأقدس، و إليك نصّه:

عن المسيب بن واضح السلمى الحمصى، عن خالد بن عمرو بن أبى الأخيل السلفى الحمصى، عن عمرو بن الأزهر العتكى البصرى قاضى جرجان، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها: قالت: لما زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمّ كلثوم قال لأُمّ أيمن: خذى بنتى و زفيها إلى عثمان و اخفقى بالدّف. ففعلت، فجاءها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثلاثة فقال: كيف وجدتِ بعلك؟ قالت: خير رجل. قال: أما إنّه أشبه الناس بجدك إبراهيم و أبيك محمد «٢».

ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال «٣» فى ترجمة عمرو بن الأزهر فقال: هذا موضوع. و نحن نقول: رجال الإسناد:

(١). راجع ما مضى فى هذا الجزء من حديث عائشة: ص ٧٧ - ٨٦. (المؤلف)

(٢). ميزان الاعتدال: ٢ / ٢٨١ [٣ / ٢٤٥ رقم ٦٣٢٨]، لسان الميزان: ٤ / ٣٥٣ [٤ / ٤٠٧ رقم ٦٢٤٥]. (المؤلف)

(٣). ميزان الاعتدال: ٣ / ٢٤٥ رقم ٦٣٢٨.

ص: ٤٨١

١- المسيّب بن واضح، قال أبو حاتم «١»: صدوق يخطئ كثيراً، فإذا قيل له لم يقبل. و قال الدارقطني: ضعيف. و قال الساجي: تكلموا فيه في أحاديث كثيرة. و قال عبدان: هو و عبد الوهّاب بن الضحّاك كلاهما سواء «٢». و عبد الوهّاب كما مرّ في الجزء الخامس (ص ٢٤٢): كذّاب يضع الحديث متروك كثير الخطأ و الوهم و كان معروفاً بالكذب في الرواية.

٢- خالد بن عمرو، كذّبه الفريابي، و وهّاه ابن عدى «٣» و غيره، و قال الدارقطني «٤»: ضعيف. و قال ابن عدى: له أحاديث مناكير. و ذكر الذهبي حديثاً من طريقه فقال: باطل و من بلايا الأخيل «٥» حديث كذب في مشيخة ابن شاذان «٦».

٣- عمرو بن الأزهر العتكي، قال أبو سعيد الحدّاد: كان يكذب مجاوبة، و عن ابن معين «٧» أنّه ليس بثقة ضعيف، و قال البخاري «٨»: يُرمى بالكذب. و قال النسائي «٩» و غيره: متروك. و قال أحمد: كان يضع الحديث. و قال عبّاس الدوري عن يحيى: كان كذّاباً ضعيفاً. و قال الدولابي: متروك الحديث. و قال الجوزجاني: غير ثقة.

ميزان الاعتدال (٢ / ٢٨١)، لسان الميزان (٤ / ٣٥٣) «١٠».

---

(١). الجرح و التعديل: ٨ / ٢٩٤ رقم ١٣٥٥.

(٢). ميزان الاعتدال: ٣ / ١٧١ [٤ / ١١٦ رقم ٨٥٤٨]، لسان الميزان: ٦ / ٤١ [٦ / ٤٧ رقم ٨٣٩٤]. (المؤلف)

(٣). الكامل في ضعفاء الرجال: ٣ / ٣٣ رقم ٥٩٤.

(٤). الضعفاء و المتروكون: ص ١٩٩ رقم ٢٠١.

(٥). في الطبعة المعتمدة لدينا من ميزان الاعتدال و تهذيب التهذيب: أبي الأخيل.

(٦). ميزان الاعتدال: ١ / ٢٩٩ [١ / ٦٣٦ رقم ٢٤٤٨]، تهذيب التهذيب: ٣ / ١١٠ [٣ / ٩٥]. (المؤلف)

(٧). التاريخ: ٤ / ٣٨٠ رقم ٤٨٧٦.

(٨). التاريخ الكبير: ٦ / ٣١٦ رقم ٢٥٠٧.

(٩). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٨٦ رقم ٤٧٨.

(١٠). ميزان الاعتدال: ٣ / ٢٤٥ رقم ٦٣٢٨، لسان الميزان: ٤ / ٤٠٦ رقم ٦٢٤٥.

و أعطف إلى هذه المكذوبة ما أخرجه ابن عدى من طريق زيد بن الحريش، عن عمرو بن صالح قاضى رامهرمز، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنه مرفوعاً: إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم.

قال الذهبي «١»: منكر جداً، و قال ابن عدى «٢» فى ذكر عمرو بن صالح بعد هذا الحديث: و له غير هذا ممّا لا يُتابع عليه.

٤١- أخرج البلاذرى فى الأنساب «٣» (٧ / ٥) عن الحسين بن على بن الأسود عن عبد الرحمن قال: قمت فى الحجر فقلت: لا يغلبنى عليه أحد الليلة فجاء رجل من خلفى فغمزنى فأبيت أن ألتفت، ثم غمزنى فأبيت أن ألتفت، ثم غمزنى الثالثة فالتفت فإذا عثمان فتأخّرت عن الحجر فقرأ القرآن فى ركعة ثم انصرف.

و أخرجه أبو نعيم بالإسناد فى حلية الأولياء (١ / ٥٦، ٥٧) و لفظه: قال عبد الرحمن: لأغلبن الليلة على المقام، فلما صلّيت العتمة تخلّصت إلى المقام حتى قمت فيه، قال: فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفى فإذا هو عثمان بن عفّان. قال: فبدأ بأمّ القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع و سجد، ثم أخذ نعليه فلا أدرى أ صلّى قبل ذلك شيئاً أم لا؟

قال الأمينى: سل عن راوى هذه الفضيلة الحافظ ابن عدى «٤» أنّه قال: الحسين ابن على كان يسرق الحديث، و أحاديثه لا يُتابع عليها. و سل عنه الأزدى؛ فإنّه قال: إنه ضعيف جداً يتكلمون فى حديثه. و سل عنه أحمد إمام الحنابلة؛ فإنّك تسمع منه ما

---

(١). ميزان الاعتدال: ٣ / ٢٦٩ رقم ٦٣٨٨.

(٢). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٥ / ١٣٢ رقم ١٢٩٤.

(٣). أنساب الأشراف: ٦ / ١٠٧.

(٤). أنساب الأشراف: ٢ / ٣٦٨ رقم ٤٩٩.

ص: ٤٨٣

سمعه أبو بكر المروزى لمّا سأله عنه من قوله: لا أعرفه «١».

ثمّ هلّمّ معى نساءل عبد الرحمن التيمى هللاً كان من واجبه أن يُخبر ابن عمّه طلحة بن عبيد الله التيمى بهذه السيرة الصالحة يوم ضيّق على صاحبها الخناق، و ضاقت عليه الأرض بما رحبت، يوم هتك حرمته، و أباح دمه، و أوردته المنية، و منع جنازته عن أن تُدفن فى مقابر المسلمين؟

و لنا أن نساءل الممدوح عثمان أ لم يكن فى الحجر مكان يسعه إلّا موقف عبد الرحمن؟ و هل كان له أن يغمز الرجل مرّة بعد أخرى و هو فى محراب الطاعة؟ أو أن يزيحه عن مكانه و الوقف لمن سبق؟ و

قد جاء في السنّة الشريفة من طريق جابر مرفوعاً: «لا يقيمَنَّ أحدكم أخاه يوم الجمعة ثمَّ ليخالف إلى مقعده فيقعده فيه و لكن يقول: افسحوا».

صحيح مسلم «٢» (١٠ / ٧).

و من طريق ابن عمر مرفوعاً: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثمَّ يجلس فيه و لكن تفسّحوا و توسّعوا» و زاد في حديث ابن جريج قلت: في يوم الجمعة؟ قال: «في يوم الجمعة و غيرها».

صحيح مسلم (١٠ / ٧)، مسند أحمد (٢٢ / ٢)، صحيح البخارى (٩٤ / ٢) «٣».

و في لفظ لمسلم: «لا يقيمَنَّ أحدكم الرجل من مجلسه ثمَّ يجلس فيه». و في لفظ له أيضاً: «لا يقيمَنَّ أحدكم أخاه ثمَّ يجلس في مجلسه».

---

(١). راجع تهذيب التهذيب: ٢ / ٢٤٣ [٢ / ٢٩٧]. (المؤلف)

(٢). صحيح مسلم: ٤ / ٣٨١ ح ٣٠ كتاب السلام.

(٣). صحيح مسلم: ٤ / ٣٨٠ ح ٢٨ كتاب السلام، مسند أحمد: ٢ / ٩٦ ح ٤٧٢١، صحيح البخارى: ٥ / ٢٣١٣ ح ٥٩١٥.

ص: ٤٨٤

قال النووى في شرح مسلم هامش إرشاد السارى «١» (٨ / ٤٧٩): هذا النهى للتحريم، فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد و غيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحقّ به، و يحرم على غيره إقامته منه لهذا الحديث.

و قال القسطلانى في إرشاد السارى «٢» (٢ / ١٦٩): ظاهر النهى التحريم، فلا يُصرف عنه إلاّ بدليل، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه و يجلس فيه، لأنّ من سبق إلى مباح فهو أحقّ به، و لأحمد «٣» حديث: إنّ الذى يتخطى رقاب الناس أو يفرّق بين اثنين بعد خروج الإمام كالجارّ قُصبه «٤» فى النار، و التفرقة صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهما و يجلس بينهما.

و قال الشوكانى فى نيل الأوطار «٥» (٣ / ٣٠٦): من سبق إلى موضع مباح سواء كان مسجداً أو غيره فى يوم الجمعة أو غيرها لصلاة أو غيرها من الطاعات فهو أحقّ به، و يحرم على غيره إقامته منه و القعود فيه.

فإقامة عثمان عبد الرحمن من مكانه الذى كان هو أحقّ به و غمزه إياه مرّة بعد أخرى محظور محرّم شاذّ عن السنّة الثابتة.

ثمّ هل تسع الليلة لقراءة القرآن ختمة واحدة؟ و لعلّها تسع بالتمخّل من كون الليلة من ليالى الشتاء الطويلة، و من قدوم عثمان الحجر بعد فريضة العشاء بلا فصل، و أنّه كان طلق اللسان خفيفه، و إن كُنّا لا نعلم شيئاً من ذلك.

أليس عثمان هذا هو الذى صعد المنبر و أرتج عليه و قام ملياً لا يتكلم فقال: إنَّ

(١). شرح صحيح مسلم: ١٤ / ١٦٠.

(٢). إرشاد السارى: ٢ / ٦٥٩ ح ١١١.

(٣). أخرجه أحمد فى مسنده: ٣ / ٤١٧ [٤ / ٢٢٨ ح ٢١٠٢١]. (المؤلف)

(٤). القُصَب - بضم القاف - : الظهر. المعى، جمعه أقصاب. (المؤلف)

(٥). نيل الأوطار: ٣ / ٢٨٣.

ص: ٤٨٥

أبا بكر و عمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً و إني لم أزور له خطبة و لا أعددت له كلاماً و سنعود فنقول «١»؟ أى خطيب يعوزه الكلام و يفترق إلى تزوير مقال و فى ذاكرته كلام الله المجيد؟ و فيه بلغة و كفاية عن كل تلفيق و ترميق و ترميغ.

و هللاً كان على الرجل أن يعمل بالقرآن الذى كان يختمه فى صلاته؟ أ لم يك فى قرآنه قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُّبِيناً) «٢» أو لم يكن أبو ذر و عمّار و ابن مسعود و الأمة الصالحة أمثالهم من المؤمنين؟ و قد آذاهم بالنفى و الضرب و التنكيل و بكل ما كان يمكنه.

أما كان فيه قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) «٣»؟ و قد آذى الرسول فى كريمته أم كلثوم باقترافه ليلة وفاتها، و بإيواء من طرده و لعنه، و بإزراء صحابته الأكرمين و فى مقدمهم ابن عمه الطاهر، و بتبديل سنته و الحياد عن محجته.

أما كان فيه قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) «٤»؟ و قد خالف الله و رسوله و لم يطعهما و نبذ الكتاب و السنة وراء ظهره فى غير موضع من الأموال و الصدقات و الزكاة و الصلّات و الصلاة و القِطائع و الأوقاف و الحجّ و النكاح و الحدود و الديات «٥».

أما كان فيه ذكر لحدود الله؟ أو لم يكن فيه قوله سبحانه: (وَ مَنْ يُعَدِّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) «٦»؟ و قد تعدّى الحدود، و نسى العهود، و نقض التوبة، و حنث

(١). راجع الجزء الثامن: ص ١٦٣ - ١٦٤. (المؤلف)

(٢). الأحزاب: ٥٨.



(٣). التوبة: ٤١.

(٤). النساء: ٥٩.

(٥). فصلنا القول في ذلك كله في الجزء الثامن. (المؤلف)

(٦). البقرة: ٢٢٩.

ص: ٤٨٤

الإل، و جاء بما لا يُحمد عقباه، و أتى بنهاير أوردته القتل الذريع، و جرّت عليه الويلات كما جرّتها على الأمة حتى اليوم. أما كانت في قرآنه آية المباهلة أو آية التطهير؟ و الله يعدّ في الأولى عليًا نفس النبيّ الأعظم، و يطهّره من الرجس بالثانية كما طهّر نبيّه. و كان عثمان يرى مروان لعين رسول الله و طريده أفضل منه عليه السلام «١».

وليت الرجل ترك تلك التلاوة المتعبة و التزم بالعمل بالقرآن الكريم و أقام حدوده و اقتصر من التلاوة على ما تيسّر.

٤٢- أخرج البلاذري في الأنساب «٢» (٧ / ٥) عن خلف البزار، عن عبد الوهاب ابن عطاء «٣» الخفاف البصرى، عن سعيد بن أبي عروبة أبي النضر البصرى، عن ابن أخى «٤» مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن مطرف البصرى قال: لقيت عليًا يوم الجمل فأسرع إليّ بدابته فقلت: أنا أحقّ أن أسرع إليك، فقال: أحسب عثمان منعك من إتياننا، فأقبلت أعتذر إليه، فقال: لئن أحببته لقد كان أبرّنا و أوصلنا.

رجال الإسناد:

١- خلف البزار، الثقة الأمين السكّير. راجع من الجزء الخامس (ص ٢٩٥).

٢- عبد الوهاب بن عطاء: قال المروزي: قلت لأحمد: عبد الوهاب ثقة؟ فقال «٥»: ما تقول؟ إنّما الثقة يحيى القطان. و قال الساجى: صدوق ليس بالقوى

---

(١). مضى حديثه في الجزء الثامن: ص ٢٩٧.

(٢). أنساب الأشراف: ١٠٨ / ٦.

(٣). في النسخة: عبد الوهاب عن عطاء و الصحيح ما ذكرناه. (المؤلف)

(٤). هو عبد الله بن هانى بن عبد الله بن الشخير البصرى. (المؤلف)

(٥). العلل و معرفة الرجال: ٢ / ٣٥٢ رقم ٢٥٥٨.

ص: ٤٨٧

عندهم. و قال البخارى: ليس بالقوىّ عندهم و هو يَحتَمَل. و قال النسائى «١»: ليس بالقوىّ. و قال أبو حاتم «٢»: ليس عندهم بقوىّ فى الحديث. و قال ابن أبى شيبه: ليس بكذاب و لكن ليس هو ممّن يُتَكَل عليه. و قال الميمونى عن أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث. و قال البزار: ليس بالقوىّ و قد احتَمَل أهل العلم حديثه «٣». تهذيب التهذيب «٤» (٤ / ٤٥١).

٣- سعيد بن أبى عروبة. قال أبو حاتم «٥»: هو قبل أن يختلط ثقة. و قال دحيم: اختلط. و قال الأزدى: اختلط اختلاطاً قبيحاً. و قال ابن سعد «٦»: كان ثقة كثير الحديث ثمّ اختلط فى آخر عمره. و قال ابن حبان «٧»: بقى فى اختلاطه خمس سنين و لا يحتجّ إلّا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع و ابن المبارك، و قال عبد الوهاب - الراوى عنه -: خولط سعيد سنة (٤٧) و عاش بعد ما خولط تسع سنين. و قال النسائى: من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء. و قال ابن عدى «٨»: من سمع منه قبل الاختلاط فإنّ ذلك صحيح حجّة و من سمع منه بعد الاختلاط لا يُعتمد عليه. و قال أبو بكر البزار: ابتداءً به الاختلاط سنة (١٣٣) «٩».

فعلى الأخذ بقول أبى بكر البزار فى ابتداء اختلاطه و قول ابن حبان من أنّه مات سنة (١٥٥) تربو أعوام اختلاطه على اثنتين و عشرين سنة. هذا أكثر ما قيل فى

---

(١). كتاب الضعفاء و المتروكين: ص ١٦٣ رقم ٣٩٥.

(٢). الجرح و التعديل: ٦ / ٧٢ رقم ٣٧٢.

(٣). احتمال الحديث إنّما هو للاعتبار كما جاء مصرحاً به فى كثير من الضعفاء. (المؤلف)

(٤). تهذيب التهذيب: ٦ / ٣٩٨.

(٥). الجرح و التعديل: ٤ / ٦٥ رقم ٢٧٦.

(٦). الطبقات الكبرى: ٧ / ٢٧٣.

(٧). كتاب النقات: ٦ / ٣٦٠.

(٨). الكامل فى ضعفاء الرجال: ٣ / ٣٩٣ رقم ٨٢٢.

(٩). تهذيب التهذيب: ٤/٦٣ - ٤/٦٦ [٤/٥٦]. (المؤلف)

ص: ٤٨٨

مدّة اختلاطه وأقله خمس سنين و بينهما أقوال أخر.

هذه علل الرواية إسناداً، و أما هي من ناحية المتن فسل عنها مولانا أمير المؤمنين و رأيه المدعوم في عثمان، و قد أسلفناه في هذا الجزء (ص ٦٩ - ٧٧)، أ تراه صلوات الله عليه يرى الرجل أبرهم و أوصلهم ثم يرفع عقيرته على صهوة الخطابة بمثل

قوله فيه: «قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته» «١»؟

و قوله فيه: «إن بنى أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه و آله و سلم تفويقاً» «٢»؟

و قوله في إقطاعه و أعطياته: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، و لو وجدته قد تزوج به النساء، و فرق في البلدان لردته إلى حاله».

راجع (٨/ ٢٨٧).

أنى كانت صلوات عثمان مشروعة مرضية عند أمير المؤمنين حتى يثنى بها عليه و يراه أبرهم و أوصلهم، و قد أوقفناك في الجزء الثامن على شطر مهم من هباته و مدرها فاقراً و تبصر.

٤٣- أخرج ابن عساكر «٣» عن يزيد بن أبي حبيب كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي «٤» (ص ١١٠)، أنه قال: بلغني أن عامّة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنّوا. و في لفظ القرمانى في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير «٥»

---

(١). راجع الجزء السابع: ص ٨١. (المؤلف)

(٢). راجع الجزء الثامن: ص ٢٨٧. (المؤلف)

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/ ٤٤٦ رقم ٤٦١٩، و في مختصر تاريخ دمشق: ١٦/ ٢٥٠.

(٤). تاريخ الخلفاء: ص ١٥٣.

(٥). أخبار الدول: ١/ ٣٠١.

(١/ ٢١٣): إنَّ عامَّةً من أشار إلى قتل عثمان جُنُوا.

قال الأُميَني: أ ليست هذه المهزأة من فنون الجنون؟ انظر إلى عقل من جاء بها. أوَّلًا: يزيد بن أبي حبيب، ثمَّ ارجع البصر كرَّتين إلى عقل أوَّلئك الحفَّاظ الذين عدَّوا مثل هذا التره التافه من فضائل عثمان وكراماته، و إنَّي أحسب أن في قول ابن سعد في ترجمة يزيد بن أبي حبيب: إنَّه كان حليماً عاقلاً، دفعاً لما يدخل هاجسة القارئ من روايته هذه، لكنَّه لا يثبت له العقل بعد ما حفظها له التاريخ، كيف يصدِّق ذو مسكة هذه السفسطة و الركب السائرون إلى عثمان تُعدُّ بالآلاف من رجال الحواضر الإسلاميَّة و هم معروفون مشهورون و لم يُعرف أحد منهم بما قذفهم ابن حبيب؟ و ما الذي أخفى ما عرف منهم الرجل على كلِّ الصحابة و التابعين في الأوساط و لم يعلم به إلَّا هو فحسب؟

على أنا نعرف جماهير من القوم لا نشكَّ و لا يشكَّ عاقل في ثبوت كمال العقل لهم إلى أن ماتوا أو قتلوا كسيِّدنا عمَّار بن ياسر و مالك الأشتر، و كعب بن عبده، و زيد ابن صوحان، و صعصعة بن صوحان، و عمرو بن بُديل بن ورقاء، و محمد بن أبي بكر، و عمرو بن الحمق، إلى نظرائهم الكثيرين و جلَّهم من رجال الصحاح و المسانيد، أخرج أئمة الحديث من طرقهم أحاديث جمَّة و صحَّوها، و لم يتوقَّف أحد منهم في شيء منها للجهل بصدورها قبل جنونهم أو بعده.

و لو أخذنا بلفظ القرمانى فلا يشدُّ من الجنون جلَّ الصحابة من المهاجرين و الأنصار إن لم نقل كلَّهم لإطباقهم على قتل الرجل، و في مقدِّمهم طلحة و الزبير و عمرو بن العاص و السيدة عائشة أمَّ المؤمنين.

و لعمر الحقَّ إنَّ المعتوه من شوَّه صحيفة التاريخ بهذه الخزيات غلَّوا منه في فضائل أناس من الشجرة المنعوتة في القرآن. و الله هو الحكم العدل.

٤٤- أخرج الواحدى فى أسباب النزول «١» (ص ٢١٠)، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو بكر الأنبارى، قال: حدَّثنا جعفر بن محمد ابن شاکر، قال: حدَّثنا عفَّان، قال: حدَّثنا وهيب، قال: حدَّثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، قال: نزلت: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) «٢» فى هشام بن عمرو و هو الذى ينفق ماله سرّاً و جهراً و مولاه أبو الجوزاء الذى كان ينهائه، فنزلت: (وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) «٣» فالأبكم منهما الكلُّ على مولاه هذا السيِّد أسد بن أبى العيص، و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم و هو عثمان بن عفَّان رضى الله عنه. و بهذا الإسناد أخرجه البلاذرى فى الأنساب «٤» (٥/ ٣).

و ذكر ابن سعد فى طبقاته «٥» (٣/ ٤١) مرسلًا عن عكرمة، عن ابن عبَّاس نزول (هل يُستوى هو و من يأمر بالعدل) الآية. فى عثمان. و كذلك المحبُّ الطبرى فى الرياض النضرة «٦» (٢/ ١٠٣).

قال الأميني: لعلّ الباحث لا يطالبنا البحث عن إسناد هذه الأكذوبة التي حَرَفُوا بِهَا الكَلِمَ عن مواضعها و يراها شاهد صدق على قول سعيد بن المسيّب لبرد مولاة: يا برد إِيَّاكَ و أن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس «٧».

(١). أسباب النزول: ص ١٨٨.

(٢). النحل: ٧٥ و تمام الآية: (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). (المؤلف)

(٣). وَ هُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيُّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تمام الآية. النحل: ٧٦. (المؤلف)

(٤). أنساب الأشراف: ٦ / ١٠٢.

(٥). الطبقات الكبرى: ٣ / ٦٠.

(٦). الرياض النضرة: ٣ / ٣٠.

(٧). معارف ابن قتيبة: ص ١٩٤ [ص ٤٣٨]. (المؤلف)

ص: ٤٩١

و لك أن ترجع البصر كرّتين، و تمعن النظر دواليك في صحيفة تاريخ عثمان، في أيّ يوميه تجد منه ما يعاضد هذه الأسطورة؟ و متى كان يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم؟ أمّا أيامه مع النبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فحسبك منها ما ذكرناه في الجزء الثامن (ص ٢٣١ - ٢٨٠)، و في هذا الجزء (ص ٣٢٧). و أمّا أيّام خلافته فحدّث عنها و لا حرج و قد سجّل التاريخ له فيها هنات لا تغفر و عثرات لا تقال.

و قد وصف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تلكم الأيام في كتابه إلى أهل مصر بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصِيَ في أرضه، و ذُهب بحقّه، ف ضرب الجور سرادقه على البرّ و الفاجر، و المقيم و الظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، و لا منكر يُتناهى عنه»

راجع (ص ٧٤) من هذا الجزء.

و وصفها أبو أيوب الأنصاري بقوله: عباد الله أليس إنّما عهدكم بالجور و العدوان أمس؟ و قد شمل العباد، و شاع في الإسلام، فذو حقّ محروم مشتوم عرضه، و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه، و مُلقىّ بالعراء. إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء (ص ١٢٥).

أكان من العدل و على الصراط المستقيم إيواؤه طريد رسول الله و لعينه؟ أم خضمه مع أبناء بيته مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع؟ أم أياديه عند أهل العيث و الفساد و أعطياته من مال المسلمين أبناء بيته الساقط من فاسق مستهتر إلى لعين طريد إلى شاب مُترف إلى أغيلمة سفهاء، و تسليطهم على ناموس الإسلام و رقاب المسلمين بتوليهم الأمر في البلاد و بين يديه

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من تولى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً و هو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك و أعلم منه بكتاب الله و سنة رسوله فقد خان الله و رسوله و جميع المؤمنين» «١»؟

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم في صحيحة الحاكم «٢»

---

(١). مجمع الزوائد: ٥ / ٢١١. (المؤلف)

(٢). المستدرک على الصحيحين: ٤ / ١٠٤ ح ٧٠٣٣.

ص: ٤٩٢

من طريق ابن عباس: «من استعمل رجلاً من عصابة و في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله و خان رسوله و خان المؤمنين»

، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم في صحيحة «١» أخرى من طريق أبي بكر: «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً حتى يدخله جهنم».

إزالة الخفاء (١ / ١٦).

أكان من العدل و على الصراط المستقيم إزراؤه بصلحاء الأمة و عظماء الصحابة و إيذاؤهم بغير ما اكتسبوا و قد احتمل بهتاناً و إثمًا مبیناً، و هم بين مُسير هالك في تسييره، و معذب في قعر السجون و ظلم المطامير، و مشتوم مهان يُنادى عليه بذل الاستخفاف، و مضروب قد دقت بالضرب أضلاعه، و آخر أعذر متنه و فتق بطنه، و محروم عن مال الله لأمره بالمعروف و إنكاره المنكر؟ أم سبه الصحابة - العدول - و تكفيره إياهم بكتابه و خطابه؟ أم مجابته صنو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نفسه بتلكم القوارص؟ أم عدّه مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيد العترة؟ أم رأيه فيه سلام الله عليه بأنه أولى الناس بالنفي من جوار النبي الأقدس؟ أم إبعاده إياه عن المدينة مرة بعد أخرى؟ أم نقضه العهود و المواثيق المؤكدة؟ أم نبذه كتاب الله وراء ظهره، و شدوده عن السنة الشريفة في صلّاته و صلّاته و حجّه و زكاته و إدخال آرائه الشاذة في جميع ذلك؟ أم .. أم .. إلى ما شاء الله.

هلاً عرفت الصحابة عدل هذا الإنسان و كونه على الصراط المستقيم يوم حسبه جائراً في الحكم، حائداً عن العدل، متنكباً عن الصراط، باغياً ساعياً في الأرض فساداً و لم يبرحوا ناقمين مؤلّبين عليه إلّاً واحداً حتى تمخّضت عليه البلاد، و أسعرت وراءه

ناراً، و لم تنطفئ إلا باختلاسه و إخماد أنفاسه؟ أو أنهم عرفوا ذلك غير أن الضغائن حدثهم إلى ما ارتكبوا منه؟ فأين إذن عدالة الصحابة؟

---

(١). المستدرک علی الصحیحین: ٤ / ١٠٤ ح ٧٠٣٤.

ص: ٤٩٣

و إن كان الرجل آمراً بالعدل و هو علی صراط مستقیم فعده علی نفسه سنة (٣٥) بأن يعمل بالكتاب و السنة لما ذا؟ و توبته مرة بعد أخرى علی صهوات المنابر عن ما ذا؟ و التزامه بالإقلاع عما هو علیه و تغيير خطئه لما ذا؟ و ما تلکم الأقوال من الصحابة الواقفين علیه و علی أعماله من كتب؟ مثل

قول علی أمير المؤمنين له: «ما رضيت من مروان و لا رضى منك إلا بتحرّفك عن دينك و عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به»

و قوله: «أذهبت شرفك و غلبت علی أمرک»

و قول عمّار: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم علی عباد الله بغير ما في كتاب الله.

و قول عمرو بن العاص لعثمان: ركبت بهذه الأمة نهايبر من الأمور فركبوها معك و ملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل.

و قول سعد بن أبي وقاص: لكنّ عثمان غير و تعيّر، و أحسن و أساء.

و قول مالك الأشتر: الخليفة المبتلى الخاطيء الحائد عن سنة نبيّه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره.

و قول صعصعة بن صوحان له: ملت فمالت أمّتك، اعتدل يا أمير المؤمنين، تعتدل أمّتك.

و قول هاشم المرقال: إنّما قتله أصحاب محمد و قرأه الناس حين أحدث أحداثاً و خالف حكم الكتاب.

و قول عبد الرحمن العنزي: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، و أرتج أبواب الحقّ.

و قول أصحاب حجر بن عدى: هو أوّل من جار في الحكم، و عمل بغير الحقّ.

و قول الصحابة له: بلونا منك من الجور في الحكم، و الأثرة في القسم، و العقوبة للأمر بالتنبسط من الناس.

ص: ٤٩٤

و قول نائلة بنت الفرافصة زوجته له: اتق الله وحده لا شريك له، و اتبع سنة صاحبك من قبلك.

إلى كلمات كثيرة لأمة كبيرة من الصحابة مرت في هذا الجزء، فنزول الآية الكريمة في عثمان لا تساعده تلکم الأقوال، و تضادّه سيرته المعروفة، هكذا يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظًا مما ذكروا به.

٤٥- أخرج ابن عساكر «١» كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي «٢» (ص ١١٠) عن ابن عباس أنه قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء. و ذكره القرمانى فى أخبار الدول هامش الكامل «٣» (١/ ٢١٤).

قال الأمينى: للباحث أن يُسائل راوى هذه المزعمة المرسلّة المعزّوة إلى حبر الأمة عن أنّ الطلب بدم عثمان هل كان أمراً مشروعاً يرتضيه الله و رسوله؟ أو كان غير ذلك؟ فإن كان الأوّل فلما ذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعهد إلى علىّ أمير المؤمنين أن يقاتل الناكثين و القاسطين الطالبين بدم عثمان، و يحثّ عيون أصحابه على مناصرته عليه السلام متى واثبه القوم، و يحذّر مناوئيه فى المقامين و ينهاهم عن قتاله عليه السلام، و يصفهم بالظلم إن فعلوا؟ راجع الجزء الثالث (ص ١٨٨-١٩٥).

و لما ذا كان مولانا أمير المؤمنين يناضلهم فضلاً عن عدم اشتراكه معهم فى الطلب- و لا يسلم إليهم قتلة عثمان و آواهم؟ و هو الذى يدور الحقّ معه حيثما دار، و هو مع القرآن و القرآن معه لا يفترقان حتى يردا على النبىّ الحوض «٤».

و كيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه عليه السلام الثائرين بدم عثمان؟ و فى يوم

---

(١). تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/ ٤٤٧ رقم ٤٦١٩، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٦/ ٢٥٠.

(٢). تاريخ الخلفاء: ص ١٥٢.

(٣). أخبار الدول: ١/ ٣٠١.

(٤). راجع ما ذكرناه فى الجزء الثالث: ص ١٧٦- ١٨٠. (المؤلف)

ص: ٤٩٥

الجمل تحت رأيته عيون الصحابة و وجهاء الأمة، و فى صفين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان و ممّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان و خمسون كما فى مستدرک الحاكم «١» (٣/ ١٠٤) و يقال: ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة و ستون «٢» نفساً «٣» و كان معه ثمانون بدرياً على رواية ابن ديزيل و الحاكم «٤». و جاء فى خطبة سعيد بن قيس: سبعون بدرياً «٥». و فى كلام لمالك الأشر: قريب من مائة بدرى «٦» و من أولئك الصحابة و فى مقدّمهم البدريون:

١- أسيد بن ثعلبة الأنصارى، بدرى.



٢- ثابت بن عبيد الأنصاري، بدرى قتل بصفين.

٣- ثعلبة بن قبيطى بن صخر الأنصاري، بدرى.

٤- جبر بن أنس بن أبى زريق، بدرى.

٥- جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، بدرى.

٦- الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسى، بدرى.

٧- الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسى، بدرى.

٨- حصين بن الحارث بن المطلب القرشى، بدرى.

---

(١). المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١١٢ ح ٤٥٥٩.

(٢). كذا فى الإصابة، و فى الاستيعاب: ثلاث و ستون.

(٣). الاستيعاب فى ترجمة عمار [القسم الثالث / ١١٣٨ رقم ١٨٤٣]، الإصابة: ٢ / ٣٨٩ [رقم ٥٠٧٥]. (المؤلف)

(٤). مستدرک الحاكم: ٣ / ١٠٤ [٣ / ١١٢ ح ٤٥٥٩]، تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٥٤ [٧ / ٢٨٣ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

(٥). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٢٦٦ [ص ٢٣٦]، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ٤٨٣ [٥ / ١٨٩ الأصل ٤٥]. (المؤلف)

(٦). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٢٦٨ [ص ٢٣٨]، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ٤٨٤ [٥ / ١٩١ الأصل ٤٥]. (المؤلف)

ص: ٤٩٦

٩- خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري، بدرى.

١٠- خريمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسى، بدرى قتل بصفين.

١١- خليفة- و يقال: عليفة- بن عدى بن عمرو البياضى، بدرى.

١٢- خويلد بن عمرو الأنصاري السلمى، بدرى.

- ١٣- ربيع بن عمرو الأنصاري، بدرى.
- ١٤- رفاعه بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي، بدرى.
- ١٥- زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى البلوى، بدرى.
- ١٦- جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمى، بدرى.
- ١٧- خباب بن الأرت أبو عبد الله التميمي، بدرى.
- ١٨- سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسى، بدرى.
- ١٩- سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي، بدرى.
- ٢٠- صالح الأنصاري، بدرى.
- ٢١- عبد الله بن عتيك الأنصاري، بدرى.
- ٢٢- عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري، بدرى.
- ٢٣- عمّار بن ياسر المطيب الطيب الشهيد بصفين، بدرى.
- ٢٤- عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي، بدرى.
- ٢٥- عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي، بدرى.
- ٢٦- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، بدرى.
- ٢٧- كعب بن عامر السعدى، بدرى.
- ٢٨- مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري، بدرى.
- ٢٩- أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوى المستشهد بصفين، بدرى.
- ٣٠- أبو حبة عمرو بن غزيرة، بدرى.
- ٣١- أبو عمرة بشر بن عمرو بن محسن الأنصاري المستشهد بصفين، بدرى.

٣٢- أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفين، بدرى.

٣٣- أبو محمد الأنصاري، بدرى.

٣٤- أبو بردة هانى بن نيار. و يقال: نمر، بدرى.

٣٥- أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي، بدرى.

٣٦- أسود بن عيسى بن أسماء التميمي.

٣٧- أشعث بن قيس الكندي، كان أميراً على الميمنة يوم صفين.

٣٨- أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي.

٣٩- الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي.

٤٠- أعين بن ضبيعة الحنظلي، أحد الأمراء بصفين.

٤١- بريد الأسلمي، قتل بصفين، و فيه يقول أمير المؤمنين:

جزى الله خيراً عصبيةً أسلميةً

بريدٌ و عبدُ الله منهم و منقذٌ

حِسانَ الوجوه صرَّعوا حول هاشم

و عروةُ ابنا مالكٍ فى الأكارم

٤٢- البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي.

٤٣- بشر - بشير - بن أبى زيد الأنصاري.

٤٤- بشير بن أبى مسعود الأنصاري.

٤٥- ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري.

٤٦- جارية بن زيد المستشهد بصفين.

٤٧- جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي.

٤٨- جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري.

٤٩- جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري.

٥٠- جندب بن زهير الأزدي الغامدي، كان من أمراء الجيش بصفين.

٥١- جندب بن كعب العبدى أبو عبد الله الأزدي الغامدي.

٥٢- الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.

ص: ٤٩٨

٥٣- حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفين.

٥٤- الحبشي بن جنادة بن نصر السلولي.

٥٥- الحجّاج بن عمرو بن غزيرة الأنصاري.

٥٦- حجر بن عدى الكندي المعروف بحجر الخير، كان من الأمراء يوم صفين.

٥٧- حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي.

٥٨- حنظلة بن النعمان الأنصاري.

٥٩- حيّان بن أبجر الكناني.

٦٠- خالد بن أبي خالد الأنصاري.

٦١- خالد بن أبي دجاجة الأنصاري.

٦٢- خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي، كان من أمراء عليّ يوم صفين.

٦٣- خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممّن أبلى بصفين.

٦٤- خرشة بن مالك بن جرير الأودي.

٦٥- رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي.

٦٦- ربيعة بن قيس العدواني.

٦٧- ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي.

٦٨- يزيد بن عبد الخولاني شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية، فلما قُتل عمّار تحوّل إلى عسكر عليّ عليه السلام أخذاً

بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عمّار تقتله الفئة الباغية».

٦٩- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي.

٧٠- زيد بن جارية الأنصاري.

٧١- زيد بن حيلة - بالمهملة والياء و يقال: بالمعجمة والموحدة-.

٧٢- زياد بن حنظلة التميمي.

٧٣- سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري، استشهد يوم صفين.

٧٤- سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.

ص: ٤٩٩

٧٥- سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد.

٧٦- سليمان بن سرد بن أبي الجون أبو مطرف الخزاعي، كان أميراً على رجالة الميمنة يوم صفين.

٧٧- سهيل بن عمرو الأنصاري، قتل بصفين مع عليّ عليه السلام.

٧٨- شيب بن ربيعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس.

٧٩- شبيب بن عبد الله بن شكل المذحجي.

٨٠- شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدم الحارثي.

٨١- شيبان بن محرث.

٨٢- صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي.

٨٣- صعصعة بن صوحان العبدى.

٨٤- صفر بن عمرو بن محصن، قتل بصفين.

٨٥- صيفى بن ربيع بن أوس.

٨٦- عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربى الجسرى، المستشهد بصفين.

٨٧- عائذ بن عمرو الأنصارى.

٨٨- عامر بن واثلة بن عبد الله أبو الطفيل الليثى.

٨٩- عبد الله الأسلمى، ممن استشهد بصفين و أثنى عليه مولانا أمير المؤمنين كما مرّ (ص ٣٦٤).

٩٠- عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، قُتل بصفين.

٩١- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، كان على الميسرة يوم صفين.

٩٢- عبد الله بن خراش أبو يعلى الأنصارى.

٩٣- عبد الله بن خليفة البولانى الطائى.

٩٤- عبد الله بن ذباب بن الحارث المذحجى.

٩٥- عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائى.

ص: ٥٠٠

٩٦- عبد الله بن كعب المرادى، قُتل يوم صفين، و كان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين.

٩٧- عبد الله بن يزيد الخطمى الأنصارى الأوسى.

٩٨- عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعى، من شهداء يوم صفين.

٩٩- عبد الرحمن بن حسل الجمحى، قتل بصفين.

- ١٠٠- عبید بن خالد السلمی.
- ١٠١- عبید الله بن سهیل الأنصاری.
- ١٠٢- عبید بن عازب أخو البراء بن عازب.
- ١٠٣- عبید بن عمرو السلمانی أبو عمرو صاحب ابن مسعود.
- ١٠٤- عبد خیر بن یزید بن محمد الهمدانی، من كبار أصحاب الإمام علیه السلام.
- ١٠٥- عدی بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائی.
- ١٠٦- عروة بن زید الخیل الطائی.
- ١٠٧- عروة بن مالک الأسلمی، قتل بصفین و أثنی علیه الإمام علیه السلام كما مرّ (ص ٣٦٤).
- ١٠٨- عقبه بن عامر السلمی.
- ١٠٩- العلاء بن عمرو الأنصاری.
- ١١٠- علیم بن سلمة الفهمی.
- ١١١- عمرو بن بلال، كان من المهاجرین.
- ١١٢- عمیر بن حارثة اللیثی.
- ١١٣- عمیر بن قرّة السلمی.
- ١١٤- عمّار بن أبی سلامة بن عبد الله بن عمران.
- ١١٥- عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدی.
- ١١٦- الفاکه بن سعد بن جبیر الأنصاری الأوسی الخطمی، قُتل بصفین.
- ١١٧- قیس بن أبی قیس الأنصاری.
- ١١٨- قیس بن المكشوح أبو شدّاد المرادی، من شهداء صفین.

- ١١٩- قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي.
- ١٢٠- كرامة بن ثابت الأنصاري.
- ١٢١- كعب بن عمر أبو زعنة.
- ١٢٢- كميل بن زياد النخعي، يقال: أدرك من الحياة النبوية ثمانى عشرة سنة و كان شريفاً مطاعاً ثقة. الإصابة (٣/ ٣١٨).
- ١٢٣- مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر.
- ١٢٤- مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري.
- ١٢٥- محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء صفين.
- ١٢٦- محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، يقال: قُتل بصفين.
- ١٢٧- مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي، كان على راية الأزد بصفين.
- ١٢٨- معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي.
- ١٢٩- المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي.
- ١٣٠- منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك، ممن استشهد بصفين كما مرّ في شعر مولانا أمير المؤمنين (ص ٣٦٤).
- ١٣١- المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي، استشهد بصفين.
- ١٣٢- نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة.
- ١٣٣- النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقى.
- ١٣٤- هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، كان صاحب الراية و استشهد بصفين.
- ١٣٥- هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي، كان من أمراء عليّ عليه السلام.
- ١٣٦- وداعة بن أبي زيد الأنصاري.



١٣٧- يزيد بن الحويرث الأنصارى.

١٣٨- يزيد بن طعمة بن جارية بن لوزان الأنصارى الخطمى.

ص: ٥٠٢

١٣٩- يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحرث التميمى الحنظلى، يقال: إنه قُتل بصفين.

١٤٠- يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدى.

١٤١- أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى ثم الأبرهى، قتل مع على عليه السلام بصفين.

١٤٢- أبو ليلى الأنصارى والد عبد الرحمن.

١٤٣- أبو جحيفة السوائى.

١٤٤- أبو عثمان الأنصارى.

١٤٥- أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصارى.

و الإمام أمير المؤمنين قد أتمّ الحجّة يوم الجمل على طلحة بما أسلفناه فى الجزء الأوّل (ص ١٨٦، ١٨٧)، و على الزبير بما مرّ فى (٣ / ١٩١)، و ما قاتلها إلاً بعد إقامة الحجّة عليهما، و دحض أعدارهما المفتعلة، فما وجدتهما مخبتين إلى الحقّ مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و كان موقفهما موقف المستهزئ اللاعب بالدين الحنيف. جاء رجل إلى طلحة و الزبير و هما فى المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله فى مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً؟ فقام طلحة و لم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، و لكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجتنا نشارككم فيها «١».

و لمّا بايع أهل البصرة الزبير و طلحة، قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى علىّ فإمّا بيّته و إمّا صبحته لعلّى أقتله قبل أن يصل إلينا، فلم يجبه أحد. فقال: إنّ هذه لهى الفتنة التى كنّا نحدّث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنةً و تقاتل فيها؟ قال: ويحك إنّنا نبصر و لا نبصر، ما كان أمر قطّ إلا علمت موضع قدمى فيه غير هذا الأمر

---

(١). تاريخ الطبرى: ٥ / ١٨٣ [٤ / ٤٧٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

ص: ٥٠٣

فإنّى لا أدرى أم مقبل أنا فيه أم مدبر «١»!

و قد تحقّق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطّاب «٢» و صدّق الخبر الخبر، قال عبد الله بن عمر: جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر: ائذن لي أن أخرج فأقاتل في سبيل الله. قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فانطلق الزبير و هو يتدّمّر، فقال عمر: من يعذرني من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ لو لا أنّي أمسك بقم هذا الشعب لأهلك أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم «٣».

اللهمّ ما كان ذنب حكيم بن جبلة و سبعين أبرياء آخرين من عبد القيس قتلهم طلحة و الزبير قبل وقوع الواقعة بعد ما نادى مناديهما بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممّن غزا المدينة فليأت بهم، فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب فقتلوا. قال: حكيم بن جبلة: لقد أصبحتم و إنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عزّ و جلّ؟ بما تستحلّون سفك الدماء؟ قال ابن الزبير: بدم عثمان بن عفّان رضی الله عنه، قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ أما تخافون مقت الله؟ فقال له عبد الله ابن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام و لا نخلى سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليّ، فقتل حكيم بن جبلة و سبعون رجلاً من عبد القيس «٤».

فعلى الرجلين و أمهما دم سنّة آلاف أو يزيدون قتلى تلك الحرب الدامية، (و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) «٥»، (و من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) «٦». و لنعم ما قال فتى بنى سعد يوم ذاك:

(١). تاريخ الطبري: ٥ / ١٨٣ [٤ / ٤٧٥ - ٤٧٦ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

(٢). إشارة إلى قول عبد الله بن عمر في صدر الرواية: قد كان يخاف منه الذي كان. أي خروجه.

(٣). تاريخ بغداد: ٧ / ٤٥٣ [رقم ٤٠٢٤]. (المؤلف)

(٤). تاريخ الطبري: ٥ / ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣ [٤ / ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

(٥). النساء: ٩٣.

(٦). المائدة: ٣٢.

هذا لعمر كُ قلة الإنصافِ

فهوت تشقُّ البيد بالإيجافِ

صنتم حلاتكم و قدتم أمكم

أمرت بجرّ ذيولها في بيتها

غرضاً يقاتل دونها أبنائها

بالتبلى والخطى والأسيافِ

هُتكت بطلحة و الزبير ستورها

هذا المخبر عنهم والكافي «١»

و لم يكن حول الجمل إلّا حُثالة من ذنابى الناس أهل الشره و التره- من ضبّة و الأزد- الذين كانوا يلتقطون بعر الجمل و يفتونها و يشمونها و يقولون: بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك. يأتى حديثه فى مستقبل الأجزاء إن شاء الله. كما لم يكن فى جيش معاوية إلّا ساقّة الناس و رعاعهم الذين

وصفهم مولانا أمير المؤمنين بقوله يوم ذاك: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب، انفروا بنا إلى ما قال الله و رسوله إنّنا نقول: صدق الله و رسوله. و يقولون: كذب الله و رسوله» «٢».

و قال سيّدنا قيس بن سعد فى كلام له: هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً «٣»؟

و فى كلام لسيّدنا عمّار بن ياسر: إنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين، و إنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب «٤».

و فى مقال لسيّدنا مالك الأشتر: أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و مع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فما

---

(١). تاريخ الطبرى: ٥ / ١٧٦ [٤ / ٤٦٥ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

(٢). أخرجه البزار بإسنادين كما فى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى: ٧ / ٢٣٩. (المؤلف)

(٣). استدرجه: خدعه و أدناه. (المؤلف)

(٤). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٣٦٣ [ص ٣٢١]، شرح ابن أبى الحديد: ١ / ٥٠٦ [٥ / ٢٥٧ خطبة ٦٥]. (المؤلف)

ص: ٥٠٥

يشكّ فى قتال هؤلاء إلّا ميّت القلب «١».

و لم تكن الغايات فى حرب معاوية تخفى على أىّ أحد حتى على النساء فى خدورهنّ، فهى كما قالت أمّ الخير بنت الحريش: إنّها إحنّ بدرية، و أحقاد جاهليّة، و ضغائن أهدية، و ثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بنى عبد شمس، قاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون «٢».

و كيف يكون هذا الطلب مشروعاً و الذين وتروا عثمان هم الصحابة العدول كلهم حتى أن طلحة كان أشد الناس عليه، و حسب مروان أنه أخذ منه ثاره برمية منه جرّعتة المنية. و قد تشبّط معاوية عن نصرته حتى قتلوه؟

و إن كانت النهضة بثارات عثمان غير مشروعة يمجتها الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم - كما هو المتسالم عليه عند وجوه السلف - فكيف يُدراً بها العذاب عمّن قام بها؟

و لو صدقت الأحلام لوجب أن يكون أصحاب الجمل مكلوئين عن كل سوء، لكن عوضاً عن ذلك وافاهم العذاب من شتى النواحي و قُتلوا تقتيلاً، و قطع الله أيدي الذين أخذوا بزمام الجمل حتى وردوا الهلكة صاغرين.

و أمّا معاوية فسل عنه ليلة الهرير و يومه، فقد قُتل فيهما سبعون ألف قتيل (٤٥) ألفاً من أهل الشام و (٢٥) ألفاً من أهل العراق «٣». و هل استمرّ على الطلب بالتار لَمّا تمهد له عرش الملك؟ أو أنه اقتنع بالحصول على سلطة غاشمة و ملك عضوض؟

---

(١). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٢٦٨ [ص ٢٣٨]، شرح ابن أبي الحديد: ١ / ٤٨٤ [٥ / ١٩١ الأصل ٦٥]. (المؤلف)

(٢). بلاغات النساء: ص ٣٦ [ص ٥٧]، العقد الفريد: ١ / ١٣٢ [١ / ٢٢٤] نهاية الأرب: ٧ / ٢٤١، صبح الأعشى: ١ / ٢٤٨ [١ / ٢٩٧]. (المؤلف)

(٣). كتاب صفين لابن مزاحم: ص ٥٤٣ [ص ٤٧٥] تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٧٤، ٣١٢ [٧ / ٣٠٤] حوات سنة ٣٦ هـ و ٣٤٦ حوات سنة ٣٧ هـ، فتح الباري: ١٣ / ٧٣ [١٣ / ٨٤]. (المؤلف)

ص: ٥٠٦

نعم؛ حصر هو تعقيبه بالأبرياء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقتلهم أينما تفقههم تحت كل حجر و شجر، و أمّا ثار عثمان فلم ينبس عنه بعد بنت شفة فضلاً عن أن يثار له و لم يُرم بالحجارة، فدونك تاريخ معاوية، فاقراً و احكم.

٤٦- أخرج الخطيب في تاريخه (١٢ / ٣٦٤)، من طريق أحمد بن محمد بن المغلس الحماني، عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب، عن عبد الكريم بن روح البزاز، عن أبيه روح بن عنبسة بن سعيد بن أبي عياش الأموي مولاهم البصرى، عن أبيه عنبسة «١»، عن جدّته - لأبيها - أمّ عياش و كانت أمة لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ما زوجت عثمان أم كلثوم إلّا بوحى من السماء.

قال الأمينى: لا تعجب من إخراج الخطيب هذا الحديث المرّمع و سكوته عن علله، فإنّه أسير صبايته إلى هوى آل أمية، و قد أعمته عن آراء رجال الجرح و التعديل فى أحمد بن محمد، و أنسته ما ذكره هو فى ترجمة الرجل، قال ابن عدى «٢»: ما رأيت فى الكذابين أقلّ حياء منه. و قال ابن قانع: ليس بثقة. و قال ابن أبي الفوارس: كان يضع الحديث. و قال ابن حبان «٣»: راودنى أصحابنا على أن أذهب إليه فأسمع منه، فأخذت جزءاً لأنتخب فيه فرأيتته حدّث عن يحيى .. إلخ. و عن هناد. إلخ.

فعلت أنه يضع الحديث. وقال الدارقطني «٤»: كان يضع الحديث. وقال الحاكم: روى عن القعنبى و مسدد و ابن أبى أويس و بشر بن الوليد أحاديث وضعها، و قد وضع أيضاً المتون مع كذبه فى لقى هؤلاء. و قال الخطيب نفسه: حدث عن أبى نعيم و غيره بأحاديث أكثرها باطلة هو وضعها. و حكى عن بشر بن الحارث و يحيى بن معين و على بن معين و على بن المدينى أخباراً جمعها بعد أن وضعها فى مناقب

---

(١). فى النسخة: عن أبيه عن عنبسة، و الصحيح ما ذكرناه. (المؤلف)

(٢). الكامل فى ضعفاء الرجال: ١ / ١٩٩ رقم ٤٤.

(٣). كتاب المجروحين: ١ / ١٥٣.

(٤). الضعفاء و المتروكون: ص ١٢٣ رقم ٥٩.

ص: ٥٠٧

أبى حنيفة. و قال الدارقطني أيضاً: مناقب أبى حنيفة موضوعة كلها وضعها أحمد بن المغلس الحماني قرأته غير مرة. إلى كلمات آخرين «١».

و فى الإسناد: عبد الكريم بن روح أبو سعيد البصرى، قال أبو حاتم «٢»: مجهول. و قال عمرو بن رافع: دخلت عليه و لم أسمع منه و يقال: إنه متروك الحديث. و قال ابن حبان «٣»: يخطئ و يخالف. و ضعفه ابن أبى عاصم و الدارقطني «٤». أضف إليه فى الجهالة أباه و جدّه و جدّته. راجع ميزان الاعتدال «٥» للذهبي و الخلاصة لابن الجزرى.

و أخرجه ابن عدى «٦» من طريق عمير بن عمران الحنفى و عدّه من بواطيله و أقرّه الذهبي «٧» و ابن حجر، و قال ابن عدى: و الضعف على روايته بين، و قال العقيلي «٨»: فى حديثه و هم و غلط.

لسان الميزان «٩» (٤ / ٣٨٠).

نعم؛ أنا لا أشكّ فى أن كلّ ما فعله النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أو لهج به إنّما هو عن وحى منزل من السماء فإنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى، غير أن المصلحة فى الإيحاء تختلف باختلاف الموارد، فليس كلّ صلة منه صلى الله عليه و آله و سلم أو برّ تدلّ على فضيلة فى الموصول أو المبرور فإنّها قد تكون لإتمام الحجّة عليه، كما أنّها فى المقام لإيقاف الملاء

---

(١). راجع المصادر المذكورة فى الجزء الخامس: ص ٢١٦. (المؤلف)

(٢). الجرح و التعديل: ٦ / ٦١ رقم ٣٢٥.

(٣). التفات: ٨ / ٤٢٣.

(٤). تهذيب التهذيب: ٦ / ٣٧٢ [٦ / ٣٣٢]. (المؤلف)

(٥). ميزان الاعتدال: ٢ / ٦٤٤ رقم ٥١٦١.

(٦). الكامل في ضعفاء الرجال: ٥ / ٧٠ رقم ١٢٤٩.

(٧). ميزان الاعتدال: ٣ / ٢٩٦ رقم ٦٤٨٩.

(٨). الضعفاء الكبير: ٣ / ٣١٨ رقم ١٣٣٦.

(٩). لسان الميزان: ٤ / ٤٣٩ رقم ٦٣٤٥.

ص: ٥٠٨

الدينى على أن العداء المحترم فى صدور العبشميين على بنى هاشم لا يزيحه أى عطف و صلة، فإنه لا برّ أوصل من المصاهرة و لا سيّما ببضعة النبوة، لكن هل قدر ذلك زوج أم كلثوم؟ أو أنه اقترب ليلة وفاتها «١» و لم يكثرث للانقطاع عن شرف النبوة، حتى أهانه رسول العظمة بملا من الأشهاد، و حرّم عليه الدخول فى قبرها و هو فى الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها؟

و لعلّ كل صهر أو مواصلة وقع بين بنى هاشم و الأمويين كان من هذا الباب، حاول الهاشميون و فى مقدّمهم مشرفهم صلى الله عليه و آله و سلم تخفيض نائرة الإحن و تصفية القلوب من الضغائن، لكن هل حصلوا على الغاية المتوخّاة؟ أو انكفأوا على حدّ قول القائل:

لقد نفختُ فى جذى مشبوبةٍ      و قد ضربتُ فى حديد باردٍ

و لولا هذه المصاهرة و أمثالها لطالت الألسنة على الهاشميين لسبق المهاجرة و القطيعة بين الفريقين، و حملوا كلّ ما وقع بينهما على تلکم السوايق، لكن الفئة الصالحة رواد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشبه بضرائب هذه المواصلات، و عرفوا الناس أن العقارب لسب من ذاتها، فلا يُجدى معها أى لين و زلفة.

و لعلك هاهنا تجد الميزة بين الصهرين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، و صاحب سيّدتنا أم كلثوم، و تعلم سيرة الإمام مع الصديقة الطاهرة حتى قضت نحبها و هي عنه راضية، كما أنّه فارقها و هو عنها راضٍ، و غادر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الدنيا و هو راضٍ عنهما.

و انظر إلى آخر يوميهما؛ هذا يقترف ليلة وفاة أم كلثوم ما لا يرضى الله و رسوله و لا يهّمه فراقها و لا يشغله الهمّ بالمصيبة و انقطاع صهره من النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن المقارقة، و ذلك يندب الصديقة الطاهرة و يطيل بكاءه عليها و هو يقول:

«السلام عليك

(١). مرّ حديثه في الجزء الثامن: ص ٢٣١ - ٢٣٤. (المؤلف)

ص: ٥٠٩

يا رسول الله عنّي و عن ابنتك النازلة في جوارك و السريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى، و رقّ عنها تجلدى، إلّا أنّ لى فى التأسى بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعزّ، فلقد وسّدتك فى ملحودة قبرك، و فاضت بين نحري و صدرى نفسك، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، فقد استرجعت الوديعة، و أخذت الرهينة، أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسهد، إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم، و ستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم يطلّ العهد، و لم يخلق منك الذكر، و السلام عليكما، سلام مودّع لا قال و لا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملامة «٢»، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين». ثمّ تمثّل عند قبرها فقال:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة  
و كلّ الذى دون الممات قليل  
و إنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ «٣»  
دليلٌ على أن لا يدوم خليلٌ «٤»

٤٧- أخرج الأزدي عن عبد الواحد بن عثمان بن دينار الموصلى، عن المعافى ابن عمران الثورى، عن ابن أبى نجيج، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعثمان: أنت من أصهارى و أنصارى، و عهد عهده إلى ربّى أنّك معى فى الجنة.

قال الذهبى فى الميزان «٥» فى ترجمة عبد الواحد (٢/ ١٥٨): خبر باطل ذكره الأزدي.

٤٨- أخرج الطبرانى، قال: حدّثنا بكر بن سهل قال: حدّثنا محمد بن عبد الله

(٢). كذا في المصدر، و في نهج البلاغة ص ٣٢٠ خطبة ٢٠٢: ملالة، و هو الأنسب بالسياق.

(٣). و في لفظ: و إن افتقادی فاطماً بعد أحمد. (المؤلف)

(٤). راجع أعلام النساء: ٣ / ١٢٢٢ [٤ / ١٣١]. (المؤلف)

(٥). ميزان الاعتدال: ٢ / ٦٧٥ رقم ٥٢٩٦.

ص: ٥١٠

ابن سليمان الخراساني، عن عبد الله بن يحيى الإسكندراني، حدّثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: لما طعن عمر و أمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت: يا أبت إن الناس يقولون: إن هؤلاء القوم الذين جعلتهم في الشورى ليسوا برضى. فقال: أسندوني. فأسندوه فقال: عسى أن تقولوا في عثمان! سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يموت عثمان يصلّى عليه ملائكة السماء. قلت: لعثمان خاصّة أو للناس عامّة؟ قال: بل لعثمان خاصّة. الحديث بطوله لكل واحد من الستة أصحاب الشورى منقبة «١».

قال الذهبي في الميزان «٢»: حديث موضوع. و قال ابن حجر في اللسان: الوضع عليه ظاهر.

قال الأميني: بكر بن سهل الدميّاطي، ضعّفه النسائي، كما ذكره الذهبي، و في لسان الميزان: و من وضعه قوله: بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثمانى ختمات. ثمّ قال: فاسمع إلى هذا و تعجّب. و قال مسلمة بن قاسم: تكلم الناس فيه و وضعوه من أجل الحديث الذى حدّث به عن سعيد بن كثير «٣». و في الإسناد محمد بن عبد الله مجهول لا يُعرف.

٤٩- أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (١١ / ١٦٩)، من طريق عيسى بن محمد بن منصور الإسكافي، عن شعيب بن حرب المدائني، عن محمد الهمداني، قال حدّثنا شيخ في هذا المسجد - يعنى مسجد الكوفة - عن النعمان بن بشير، قال: كنّا عند عليّ بن أبي طالب فذكروا عثمان، فقال عليّ: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ)

(١). لسان الميزان: ٥ / ٢٢٦ [٥ / ٢٥٦ رقم ٧٥٨٣]. (المؤلف)

(٢). ميزان الاعتدال: ٣ / ٦٠٥ رقم ٧٧٩٢.

(٣). ميزان الاعتدال: ٣ / ٨٤ [١ / ٣٤٥ رقم ١٢٨٤]. لسان الميزان: ٢ / ٥٢ و ٥ / ٢٢٦ [٢ / ٦٣ رقم ١٧١٨ و ٥ / ٢٥٦ رقم ٧٥٨٣]. (المؤلف)

ص: ٥١١



أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) «١» هم عثمان وأصحاب عثمان، وأنا من أصحاب عثمان.

قال الأُمِينِي: لنا أن نسائل الخطيب عن عيسى بن محمد بن منصور الإسكافي من هو؟ وما محلّه من الإعراب؟ و هو الذي ترجمه هو و لا يعرف منه إلّا اسمه، و نسائله عن محمد الهمداني و عن شيخه الذي لم يسمّه هو و لا غيره كأنه لم يكن و لم يولد، و عن النعمان بن بشير، من هو؟ و ما خطره؟ و ما قيمة روايته؟ و هو الخارج على إمامه يوم صفين و محاربه في صفّ الطغام الطغاة، و هو الذي عرفه قيس بن سعد الأنصاري يوم ذاك بقوله له: و أنت و اللّٰه الغاشّ الضالّ المضلّ، و هو القائل لقيس: لو كنتم إذ خذلتهم عثمان عليّاً لكانت واحدة بواحدة، و لكنكم خذلتهم حقّاً و نصرتم باطلاً.

و هلّا عليّ هذا هو الذي سأله عثمان أيّام حوصر أن يخرج إلى ينبع حتى لا يغتمّ به و لا يغتمّ به عليّ؟ و هلّا هو ذلك

القائل: «و اللّٰه الذي لا إله إلّا هو ما قتلته، و لا مالأت على قتله و لا ساءني؟»

و القائل: «ما أحببت قتله و لا كرهته، و لا أمرت به و لا نهيت عنه، و لا سرّني و لا ساءني؟»

و القائل لأصحابه يوم صفين: «انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فوالذي فلق الحبّة و برأ النسمة إنّهُ ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص أوزارهم شيئاً؟»

و هلّا هو الكاتب إلى أهل مصر

بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصِي في أرضه، و ذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البرّ و الفاجر».

و هلّا هو ذلك الذي لم يشهد لعثمان أنّه قُتل مظلوماً؟ كما مرّ حديثه «٢».

---

(١). الأنبياء: ١٠١.

(٢). تجد هذه الأحاديث في هذا الجزء: ٦٩-٧٧. (المؤلف)

ص: ٥١٢

و هلّا هو ذلك الخطيب

القائل في خطبته الششقيّة: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه بين نثيله و معتلفه ..»

إلى آخر ما مرّ في (٧ / ٨١).

و ما شأن أصحاب عثمان و فيهم مثل عليّ - أخذاً بهذه الرواية - لا يوجد له منهم ناصر؟ و لا يُسمع من أحدهم في أمره ركز؟ و لا ينبس أي منهم في الدفاع عنه بينت شفة؟ و الرجل قُتل بين ظهرانيهم جهراً، و أُلقيت جثته في المزبلة ثلاثة أيام تجرى عليه العواصف، ثم دُفن بأثوابه في مقابر اليهود، ينادى عليه بذل الاستخفاف، و قد أخذت الحجارة مجهّزیه، و طمّوا جثمانه خائفين مترقبين، (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ) «١»، (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادِبُونَ) «٢».

٥٠- إنَّ عثمان بن عفّان رأى درع عليّ رضي الله عنه يُباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان: هذا درع عليّ فارس الإسلام لا يُباع أبداً، فدفع لغلّام عليّ أربعمائة درهم و أقسم أن لا يخبره بذلك و ردّ الدرع معه، فلمّا أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كلّ كيس أربعمائة درهم مكتوب على كلّ درهم: هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفّان. فأخبر جبريل النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بذلك، فقال: هنيئاً لك يا عثمان.

قال الأميني: ذكر الحلبي في سيرته «٣» (٢ / ٢٢٨)، عن فتاوى جلال الدين السيوطي أنّه سُئل عن صحّة هذه الرواية، فأجاب بأنّها لم تصحّ. فقال: أي، و هي تصدّق بأنّ ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع. انتهى. و مرّ في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ص (٣٢٢). قول ابن درويش الحوت: إنّ كذب شنيع.

---

(١). الأنعام: ١٤٤.

(٢). التوبة: ٤٢.

(٣). السيرة الحلبيّة: ٢ / ٢٠٦، الحاوي للفتاوى: ٢ / ١٨٤.

ص: ٥١٣

ختام المناقب

قال الجرداني في مصباح الظلام «١» (٢ / ٢٩):

فائدة: من كتب هذه الأسماء و غسل بها وجهه فإنّه لا يعمى، و من كتبها و شربها على الريق لا ينسى، و من كتبها و شربها لا يعجز عن النساء، و هم: عثمان بن عفّان، معاذ بن جبل، عبد الرحمن بن عوف، زيد بن ثابت، أبيّ بن كعب، طلحة بن عبد الرحمن، تميم الداري رضي الله عنهم.

قال الأميني: فليمتحن من لا يخاف عن العمى و النسيان و العنن. أضف إلى هذه الأساطير أو المخازي ما مرّ في الجزء الخامس من المناقب الموضوعة لعثمان خاصّة (ص ٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٩).

منتهى القول

إلى هنا نهنى القول عن فضائل عثمان التى اختلقتها وثابة الشره و مهملجة المطامع و الشهوات فى العصور الأموية طمعاً فى رضائخ أولئك المقعین على أنقاض عرش الخلافة، و أكثر هؤلاء شاميون أو بصريون جُبلوا بحبّ العشميين و مناوأة سروات المجد من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، فليس وضع تلكم الروايات عنهم ببعيد، و لعلّ هناك من ضرائب ما ذكرناه أشياء لكن سبيلها سبيل هذه الطامات فى الأسانيد و المتون و منشأ الكلّ هو المغالاة فى الفضائل من غير تفهّم و لا روية.

و لعلّ القوم فى عذر ممّا هم عليه من عدم الأخذ بآراء الحفاظ و أئمة الفنّ الواردة فى باب الجرح و التعديل، و عدم إجرائها فى رجال تلكم المسانيد سلسلة

---

(١). مصباح الظلام: ٢ / ٧١ ح ٣٤٢.

ص: ٥١٤

البلايا و الطامات التى اتخذوها حجة فى الفضائل، و علّوا عليها الدعوة إلى أناس و التخذيل عن آخرين، و لا مندوحة لأولئك من رواية مرّمعات الحديث، و الأخذ بالموضوع المختلق، لأنّهم إن جنحوا فى باب الفضائل إلى الصحيح الثابت فى التاريخ و الحديث فحسب، و اقتصروا على ما صحّ منها، و صفحوا عن الباطل المزيف، و تركوا كلّ تلكم التلفيقات المخزية، لتبقى تلكم الصحائف السوداء بيضاء خالية فارغة عن كلّ مآثرة و فضيلة، و هذا عزيز عليهم جداً لا يحبّده الحبّ الدفين، و لا تسوّغه العصبية، (وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) «١»، (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا) «٢»، (وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) «٣» (وَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ) «٤»، (انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) «٥».

---

(١). الأنفال: ٤٨.

(٢). الفرقان: ٤.

(٣). غافر: ٥.

(٤). المجادلة: ١٨.

(٥). المائدة: ٧٥.

ص: ٥١٥

المغالاة فى فضائل الخلفاء الثلاثة

أبى بكر، عمر، عثمان

لقد أوقفناك على شىء من الغلوّ الفاحش فى كلّ فرد من هؤلاء، و عرفناك أنّ كلّ ما لفقه القوم و رمقه من الفضائل إنّما هى من مرمّعات الحديث لا يساعدها المعروف من نفسياتهم و ملكاتهم، و لا يتفق معها ما سجّل لهم التاريخ من أفعال و تروك، و هلمّ الآن إلى لون آخر ممّا تمتّته يد الافتعال يشملهم كلّهم، و لا نكتثر من ذلك إلّا لما جاء بصورة الرواية دون الأقوال و الكلمات، فإنّ رمى القول على عواهنه ممّا لا نهاية له، و ما حدث إليه الأهواء و الشهوات لا تقف على حدّ، فنمرّ بما جاء به أمثال أبناء حزم و تيميّة و الجوزى و الجوزيّة و كثير و حجر و من لفّ لفهم من السلف و الخلف كراماً، فإنّ يسع لنا التبسّط تجاه مزعمة نظراء التفتازانى و أمثاله، قال فى شرح المقاصد «١» (٢ / ٢٧٩): احتجّ أصحابنا على عدم وجوب العصمة بالإجماع على إمامة أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم مع الإجماع على أنّهم لم تجب عصمتهم، و إن كانوا معصومين، بمعنى أنّهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصى مع التمكنّ منها.

و قال أبو التناء شمس الدين محمود الأصبهانى المتكلّم الشهير فى مطالع الأنظار (ص ٤٧٠): و لا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيلية و الاثنى عشرية لنا: إمامة أبى بكر و الأئمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة لا أقول إنّ غير معصوم. انتهى. و أقرّ عصمة عثمان الحافظ نور محمد الأفغانى فى كتابه تاريخ مزار شريف (ص ٤).

(١). شرح المقاصد: ٥ / ٢٤٩.

ص: ٥١٦

و نحن وضعنا أمامك صحائف من كتب أعمال هؤلاء المعصومين التى قضوا «١» أكثرها على العادات الجاهليّة، و أوقفناك على أنّ ما طابق منها عهد الإسلام ممّا لا يمكن أن يكون صاحبه عادلاً فضلاً عن أن يُعدّ معصوماً، و هاهنا لا نحاول أكثر من لفت نظر القارئ إلى تلكم الصحائف من غير توسّع نكرّره، ففيما سبق فى الجزء السادس و السابع و الثامن من الطامّات و الجنایات و الأحداث و الشنّاع و الفظائع و ممّا لا تقرّره طقوس الإسلام و يشدّ عن سنن الكتاب و السنّة غنى و كفاية. و أمّا ما استنتجه التفتازانى من الإجماعين فمن أفحش أغلاطه:

أمّا أوّلًا: فلمنع الإجماع فى كلّ من الثلاثة؛ فإنّ خلافة أبى بكر إنّما تمّت بعد وصمات سودّت صحيفة تاريخه، و أبقت على الأمّة عاراً إلى منصرم الدنيا، لا تُنسى قطّ بمرّ الجديدين و كرّ الملّوين، إنّما تمّت بيعة رجل أو رجلين أو خمسة، و من هنا حسبوا أنّ الخلافة تنعقد برجل أو رجلين أو خمسة «٢» مع تقاعد جمع كثير عنها من عمد الصحابة و أعيانهم، كما فصلناه فى الجزء السابع (ص ٩٣) ثمّ لم يجمعهم مع القوم إلّا الترعيد و الترعيب و محاشد الرجال و بروق الصوارم و كان من حشدهم اللهم رجال من الجنّ رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج.

و أمّا خلافة عمر فكانت بالنصّ من أبى بكر مع إنكار الصحابة عليه و تقدّم إياه بذلك، و كم أناس كانوا يشاركون طلحة فى قوله لأبى بكر: ما تقول لرّبك و قد وليت علينا فظّاً غليظاً «٣».

و أمّا عثمان فنصبته الشورى على هنات بين رجال الشورى، و عقد له

(١). أى: ارتكبوا.

(٢). راجع ما مرّ فى الجزء السابع: ص ١٤١-١٤٣. (المؤلف)

(٣). مرّت كلمته فى: ٧ / ١٥٢. و راجع الرياض النضرة: ١ / ١٨١ [١ / ٢٢٤]، كنز العمال: ٦ / ٣٢٤ [٥ / ٦٧٨ ح ١٤١٧٨ و ١٤١٧٩]. (المؤلف)

ص: ٥١٧

عبد الرحمن بن عوف و لم يشترطوا كما قال الإيجى «١» إجماع من فى المدينة فضلاً عن إجماع الأمة. نعم؛ عقد عبد الرحمن البيعة لصاحبه و سيفه مسلول على رأس الإمام على بن أبى طالب قائلاً له: بايع و إلّا ضربت عنقك. و لحقه أصحاب الشورى قائلين: بايع و إلّا جاهدناك. أنساب البلاذرى «٢» (٥ / ٢٢).

و التمثّل بحصول الإجماع بعد ذلك تدريجاً لا يُجديهم نفعاً، فإنّ الخلافة قد ثبتت عندهم بالبيعة الأولى فجاء متمّم الإجماع بعد ذلك على أساس موطّد.

و أمّا ثانياً: فإنّ من الممكن على فرض التنازل مع التفتازانى أن يكون إجماعهم على خلافة الثلاثة لكونهم معصومين كما ينصّ به هو، و أمّا الإجماع المنقول عنهم بعدم وجوب العصمة فمما لا طريق إلى تحصيله من آراء الصحابة، فمتى سبر التفتازانى نظريّات السلف و هم معدودون بمئات الألوف فعلم من نفسيّاتهم أنّهم لا يرون وجوب العصمة فى خلفائهم و هم رهائن أطباق الثرى؟ و من ذا الذى كان يسعه أن يعلمها فينهيها إلى التفتازانى و هلّمّ جرّاً إلى دور الصحابة؟ و متى كانوا يتعاطون المسائل الكلاميّة و يتفاوضون عليها فيحفى هذا خبر ذاك ثمّ ينقله إلى ثالث إلى أن يتسلسل النقل فيشيع؟ و السابر لصحائف دور الخلافة الأولى منذ يوم السقيفة إلى يوم الشورى لا يجد لأمر العصمة فى مننديّات القوم ذكراً و لا يسمع منه ركزاً، و إنّما اتّخذوا أمر الخلافة كملوكيّة يتسنّى لهم بها الحصول على أمن البلاد و حفظ الثغور و قطع السارق و الاقتصاص من القاتل و ما إلى هذه من لداتها كما فصلّنا القول فيه تفصيلاً (٧ / ١٣٦) و على ذلك جرى العلماء و المتكلّمون، فليس لهم فى الشروط النفسانيّة من العلم و التقوى و القداسة أخذ و لا ردّ إلّا كلمات سلبية حول اشتراطها، و متى كانت الخلافة عند السلف إمرة دينيّة حتى يبحثوا عن حدودها؟ و لم تكن إلّا سياسة وقتيّة مدبرة بليل.

(١). مرّت كلمته فى الجزء السابع: ص ١٤١. (المؤلف)

(٢). أنساب الأشراف: ٦ / ١٢٨.

و أمّا ثالثاً: فإنّنا لا نحتجّ بالإجماع إلّا بعد ثبوت حجّيته، فإذا ثبتت فإنّها لا تختصّ بمورد دون آخر فيجب أن يكون حجّة في الخلافتين معاً من أبي بكر و عثمان، ذلك على نصبه، وهذا على استباحة قتله، و النقض بخروج ثلاثة أو أربعة من ساقّة الأمويين أو ممّن يمت بهم و يحمل بين جنبيه نزعته في الإجماع على عثمان مقابلّ بخروج أمة صالحة عن الإجماع الأوّل من أعيان الصحابة و في طليعتهم سيّد العترة و إمام الأئمة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام و الإمامان الحسنان و الصديقة الطاهرة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، إلى غيرهم من بنى هاشم و العمد و الدعائم من المهاجرين و الأنصار، و وفاقهم الأخير مشفوعاً بالترهيب لا يُعدّ وفاقاً و لا يكون متمماً للإجماع، فإنّهم كانوا مستمرين على آرائهم و إن ألجأتهم الظروف و حذار وقوع الفرقة إن شهروا سيفاً و باشروا نضالاً إلى المغاضاة عن حقّهم الواضح و المماشاة مع القوم كيفما حلّوا و ربطوا، فهذا

مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد منصرم أيّام الثلاثة في رحبة الكوفة:

«أما و الله لقد تمّمصها ابن أبي قحافة، و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عنّي السيل و لا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوباً، و طويت عنها كشحاً، و طففت أرتى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت و في العين قذى، و في الحلق شجى، أرى تراثي نهياً، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده. ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

و يوم حيان أخى جابر

شئان ما يؤمى على كورها

فيا عجباً! بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، و يخشن مسّها، و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشق لها خرم، و إن أسلس

لها تقحّم، فمُنّي الناس لعمر الله - بخبط و شماس، و تلونّ و اعتراض، فصبرت على طول المدّة، و شدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله و للشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنّي أسففت إذا سقّوا و طرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثبيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث قتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته» «١».

تُعرب هذه الخطبة الشريفة عن رأيه عليه السلام في الخلافة، و كلّ جملة منها تشهد على عدم العصمة المزعومة، أو تمثّل أو تلك المعصومين للملأ بعجرهم و بجرهم، أضف إليها

قوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية: «ذكرت إبطائي عن الخلفاء، و حسدى إياهم، و البغى عليهم، فأما البغى فمعاذ الله أن يكون، و أما الكراهة لهم فو الله ما أعتذر للناس من ذلك، و ذكرت بغيبى على عثمان و قطعى رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت و عمل به الناس ما قد بلغك» «٢».

و قوله عليه السلام من خطبة له لما أراد المسير إلى البصرة: «إن الله لما قبض نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ استأثرت علينا قريش بالأمر، و دفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفك دمائهم، و الناس حديثو عهد بالإسلام، و الدين يُمخض مخض الوطب يفسده أدنى و هن، و يعكسه أقلّ خلق، فولى الأمر قوم لم يألوا فى أمرهم اجتهاداً، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء، و الله ولىّ تمحيص سيئاتهم و العفو عن هفواتهم» «٣».

(١). راجع الجزء السابع: ص ٨١ - ٨٥. (المؤلف)

(٢). العقد الفريد: ٢ / ٢٨٦ [٤ / ١٣٨]. (المؤلف)

(٣). شرح ابن أبي الحديد: ١ / ١٠٢ [١ / ٣٠٨ الخطبة ٢٢]. (المؤلف)

ص: ٥٢٠

و قوله عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قبض و ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منى، فبايع الناس أبا بكر، فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّ أبا بكر هلك و ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منى، فبايع الناس عمر بن الخطّاب، فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّ عمر هلك و ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منى، فجعلنى من ستّة أسهم، فبايع الناس عثمان» «١».

و قوله عليه السلام يوم قال أبو بكر لقتنذ و هو مولى له: اذهب فادع لى عليّاً. فذهب إلى علىّ، فقال: «ما حاجتك؟» فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علىّ: «لسريع ما كذبتم على رسول الله». فرجع فأبلغ الرسالة، ثمّ قال أبو بكر: عدّ إليه فقل له: أمير المؤمنين «٢» يدعوك لتبايع. فجاءه قننذ فأدّى ما أمر به، فرفع علىّ صوته فقال: «سبحان الله لقد ادعى ما ليس له». الحديث. الإمامة و السياسة «٣» (١ / ١٣).

إلى كلمات أخرى توقف الباحث على جليّة الحال.

فأين العصمة المزعومة؟ ثمّ أين الإجماع المدعى عليه؟ و أنّى كان الإجماع على الخلافة؟ و متى تحقّق؟ و إنّ تمّ الإجماع فيجب أن يحتجّ به فى الخلافتين و صاحبيهما، و إنّ أبطلناه ففيهما معاً.

و نحن لو اندفعنا إلى تنفيذ أمثال هذه السفاسف المنبعثة عن الغلوّ في الفضائل لضاق بنا المجال عن السير في مواضيع الكتاب على أنّها غير مُبتنية على أسس رصينة تستحقّ أخذاً بها أو ردّاً عليها، و إنّما ذكرنا هذه الأسطورة فحسب لنعطيك شيئاً من نماذج تلکم الأقاويل المسطّرة بلا أىّ تعقل و تدبّر، فدونک شيئاً ممّا عزوه إلى الروايات من فضائل الثلاثة:

---

(١). تاريخ الطبری: ٥ / ١٧١ [٤ / ٤٥٨ حوادث سنة ٣٦ هـ]. (المؤلف)

(٢). فى المصدر: خليفة رسول الله.

(٣). الإمامة و السياسة: ١ / ١٩ - ٢٠.

ص: ٥٢١

١- أخرج الإمام الفقيه المحدث الثقة «١» أبو الحسين محمد بن أحمد الملقب الشافعى المتوفى (٣٧٧) فى كتابه التنبيه و الردّ على أهل الأهواء و البدع «٢» (ص ٢٣)، قال: قال محمد بن عكاشة رحمه الله: أخبرنى معاوية بن حمّاد الكرمانى، عن الزهرى، قال: من اغتسل ليلة الجمعة و صلى ركعتين يقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ألف مرّة رأى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى منامه.

قال محمد بن عكاشة: فدمت عليه كلّ ليلة جمعة أصلى الركعتين أقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ألف مرّة طمعاً أن أرى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى منامى فأعرض عليه هذه الأصول، فأنتت على ليلة باردة فاغتسلت و صليت ركعتين ثم أخذت مضجعى فأصابنى حلم، فقممت ثانية فاغتسلت و صليت ركعتين، و فرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط و وجهى إلى القبلة إذ دخل على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و وجهه كالقمر ليلة البدر و عنقه كإبريق فضة فيه قضبان الذهب على النعت و الصفة، و عليه بردتان من هذه [البرد] «٣» اليمانية قد اتّزر بواحدة و ارتدى بأخرى، فجاء و استوفز على رجله اليمنى و أقام اليسرى فأردت أن أقول: حياك الله فبادرنى و قال: حياك الله. و كنت أحبّ أن أرى رباعيته المكسورة فتبسّم فنظرت إلى رباعيته، فقلت: يا رسول الله إنّ الفقهاء و العلماء قد اختلفوا علىّ و عندى أصول من السنة أعرضها عليك. فقال: نعم. فقلت:

الرضا بقضاء الله، و التسليم لأمر الله، و الصبر على حكم الله، و الأخذ بما أمر الله، و النهى عمّا نهى الله عنه، و الإخلاص بالعمل لله، و الإيمان بالقدر خيره و شره من الله، و ترك المراء و الجدال و الخصومات فى الدين، و المسح على الخفين، و الجهاد مع

---

(١). كذا وصفوه و أنت تعرف صدق وصفه من حديثه. (المؤلف)

(٢). التنبيه و الردّ على أهل الأهواء و البدع: ص ١٥ - ١٧.



أهل القبلة، و الصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، و الإيمان يزيد و ينقص، قول و عمل، و القرآن كلام الله، و الصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من جور و عدل، و لا يُخرج على الأمراء بالسيف و إن جاروا، و لا ينزل أحد من أهل التوحيد جنةً و لا نار، و لا يكفر أحد من أهل التوحيد بذنب و إن عملوا الكبائر، و الكف عن أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم - فلما أتيت: و الكف عن أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم بكى حتى علا صوته - و أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ. قال محمد بن عكاشة: فقلت في نفسي في عليّ: ابن عمّه و ختنه. فتبسّم عليه السلام كأنه قد علم ما في نفسي.

قال محمد: فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الأصول، كل ذلك أقف عند عثمان و عليّ فيقول لي عليه السلام: ثم عثمان ثم عليّ. ثم عثمان ثم عليّ: ثلاث مرّات. قال: و كنت أعرض عليه هذه الأصول و عيناه تهملان بالدموع قال: فوجدت حلاوة في قلبي و فمي فمكثت ثمانية أيام لا آكل طعاماً و لا أشرب شراباً حتى ضعفت عن صلاة الفريضة، فلما أكلت ذهب تلك الحلاوة و اللذة، و الله شاهد عليّ و كفى بالله شهيداً.

و قال أمير المؤمنين المتوكّل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه: يا أحمد إنني أريد أن أجعلك بيني و بين الله حجة، فأظهرني عليّ السنة و الجماعة و ما كتبتك عن أصحابك عمّا كتبوه عن التابعين ممّا كتبوه عن أصحاب رسول الله فحدّثه بهذا الحديث.

قال الأميني: نحن نجد الباحث في غنيّ عن البحث عن هذه الأسطورة و ما فيها من مضحكات التكلّي، و نجلّ أحمد عن أن يتّخذها حجةً بينه و بين الله فيلقنّها خليفة و قته، و نرّبي به عن تصديق مثل محمد بن عكاشة الذي جاء فيه قول ابن عساكر «١» بعد روايته هذه الرؤيا: قال سعيد بن عمرو البردعيّ: قلت لأبي زرعة: محمد بن

---

(١). مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٦٢.

عكاشة الكرمانى، فحرّك رأسه فقال: رأيتك و كتبت عنه و كان كذاباً. قلت: كتبت عنه الرؤيا التي كان يحكيها؟ قال: نعم كتبت عنه فزعم أنّه عرض على شبابة: الإيمان قول و عمل، يزيد و ينقص فيه، أى به، و أنّه عرض على أبي نعيم: عليّ ثم عثمان، فقال به، و هو كذوب و لا يحسن أنّه يكتب «١» أيضاً، يعنى أنّ شبابة لا يقول بذلك و كذا أبو نعيم، قلت: أين رأيتك؟ قال: قدم هنا مع محمد بن رافع و كان رفيقه، كنت أرى له سمتاً، و لقيني محمد بن رافع فكره أن يقول فيه شيئاً، و قال لي: لا يخفى عليك أمره إذا فاتحته، فقلت: إن رأيت أن تفيدنى شيئاً، قال: نعم. ثم كاد يصعق و اضطرب بطنه، فهالني ذلك، ثم أقبل

على فقال: إنَّ أوَّل ما أملى علىَّ أن كذب على الله و على رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و على على و على ابن عباس... إلخ «٢».

و ذكره الحاكم فى الضعفاء فقال: منهم جماعة وضعوا كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبى عصمة و محمد بن عكاشة الكرمانى ثم نقل عن سهل بن السرى الحافظ أنه كان يقول: وضع أحمد الجويبارى و محمد بن تميم و محمد بن عكاشة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أكثر من عشرة آلاف حديث. راجع ما أسلفناه فى سلسلة الكذابين (٥/٢٦١)، و لسان الميزان «٣» (٥/٢٨٦ - ٢٨٩).

فرجل هذا حاله و تلك صفته و ذلك حديثه ليس بالمستطاع تصديقه على دعاويه المجرّدة فى المبادئ و المعتقدات، و العجب كلّ العجب من الفقيه الثقة الذى يعتمد على مثلها من خزائية، قاتل الله الحبّ المعمرى و المصمّ هو الذى حدا القوم إلى تفتين بسطاء الأمة بمثل هذه الخزعبلات، و الله يعلم إنهم لكاذبون.

٢- أخرج البلاذرى فى الأنساب «٤» (٥/٥) عن خلف البزار، عن أبى شهاب

---

(١). فى المختصر: و لا يحسن أن يكذب أيضاً.

(٢). لسان الميزان: ٥/٢٨٧ [٥/٣٢٤ رقم ٧٧٦٨]. (المؤلف)

(٣). لسان الميزان: ٥/٣٢٤ - ٣٢٧ رقم ٧٧٦٨.

(٤). أنساب الأشراف: ١٠٥/٦.

ص: ٥٢٤

الحناط «١»، عن خالد الحذاء البصرى، عن أبى قلابة البصرى، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أرحمكم أبو بكر، و أشدكم فى الدين عمر، و أقرؤكم أبى، و أصدقكم حياءً عثمان، و أعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و أفضلكم زيد بن ثابت، و إن لكل أمة أميناً و أمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح.

و أخرج ابن عساکر فى تاريخه «٢» (٢/٣٢٥) محذوف الإسناد بلفظ: أرحم أمتى أبو بكر، و أشدهم فى دين الله عمر، و أصدقهم حياءً عثمان، و أفضهم زيد، و أقرؤهم أبى بن كعب... إلخ.

و رواه «٣» فى (٦/١٩٩) من طريق أبى سعيد الخدرى، و عقبه: قال العقيلي: أسانيد هذه الأحاديث غير محفوظة و المتون معروفة.

قال الأميني: ألا تعجب من أسطورة جاء بها خلف البزار الثقة الأمين العابد الفاضل السكّير؟ قال أبو جعفر النفيلى: كان من أصحاب السنّة لو لا بليّة كانت فيه: شرب النبيذ.

و ذكر خلف عند أحمد - إمام الحنابلة - فقيل: يا أبا عبد الله إنه يشرب. فقال: قد انتهى إلينا علم هذا عنه، و لكن هو و الله عندنا الثقة الأمين شرب أو لم يشرب «٤».

و الرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزار، و الذين أخذوها منه و رووها عنه إنما أقدمتهم فيها سكرة الهوى لا نشوة السلافة.

(١). عبد ربّه بن نافع الكنانى، ثقة ليس بالقوى بهمّ فى حديثه و يخطئ. (المؤلف)

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٣٢٧ / ٧ رقم ٥٥٨، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٩٩ / ٤.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ٤١٣ / ٢١ رقم ٢٥٩٩، و فى مختصر تاريخ دمشق: ٤١ / ١٠، الضعفاء الكبير: ١٥٩ / ٢ رقم ٦٦٤.

(٤). إقرأ و احكم. (المؤلف)

ص: ٥٢٥

و لتقدّيس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي «١» بما رواه عن محمد بن أحمد بن رزق، عن محمد بن الحسن بن زياد النقّاش، قال: سمعت إدريس بن عبد الكريم الحدّاد يقول: كان خلف بن هشام يشرب من الشراب على التّأويل، فكان ابن اخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) «٢» فقال يا خال! إذا ميّز الله الخبيث من الطّيب أين يكون الشراب؟ قال: فنكّس رأسه طويلاً ثم قال: مع الخبيث. قال: فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث؟ قال: يا بنى امض إلى المنزل فاصب كلّ شيء فيه، و تركه، فأعقبه الله الصوم، فكان يصوم الدهر إلى أن مات.

حبّذا هذا التنزيه لو صدقت الأحلام، و هو و إن كان معقولاً أحسن من رأى الإمام أحمد من أنّه الثقة الأمين شرب أو لم يشرب. فإنّه رأى تافه لا تساعده البرهنة و لا يوافقه الشرع و العقل و المنطق، و الله يقول: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) «٣» غير أنّ من المأسوف عليه جداً بطلان إسناده لمكان محمد بن الحسن النقّاش، فإنّه كذّب طلحة بن محمد، و وهّاه الدارقطنى، و دلّسه أبو بكر، و قال البرقانى: كلّ حديثه منكر، و ذكر عنده تفسيره فقال: ليس فيه حديث صحيح. و كلّ هذا ذكره الخطيب نفسه فيما ذا يُنزّه الرجل؟ و أنّى يتأتّى له أمله.

و إنّى أشكر من انتهى إليه وضع هذه الأكذوبة على أنّه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام الذى هو أربى من كلّهم فى جميع الصفات المذكورة؛ فإنّه يُرفع عن أن يُذكر فى عداده أىّ أحد، كما أنّ فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة.

و هاهنا لا تناقش متن الرواية فى الأوصاف التى حابت القوم بها، فلعلّ فيها ما

(١). تاريخ بغداد: ٨ / ٣٢٥ رقم ٤٤١٧.

(٢). الأنفال: ٣٧.

(٣). الحجرات: ٦.

ص: ٥٢٦

هو مدعوم بالبرهنة، فيشهد على كون أبى بكر أرحم الأمة إحقاقه الفجاءة، و غصّه الطرف عن وقبعة خالد بن الوليد فى بنى حنيقة و خرايته مع مالك بن نويرة و زوجته «١»، و عدم اكترائه لأمر الصديقة فاطمة فى دعواها، و كانت له مندوحة عن مجابقتها باسترضاء المسلمين و استنزال كلّ منهم عن حصّته من فدك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة و الرواية المكذوبة فى انقطاع إرث النبوة خلافاً لآيات الموارث المطلقة و إرث الأنبياء خاصة، على أنّ فاطمة سلام الله عليها و ابن عمّها ما كانا يجهلان بما تفرّد بنقله أبو بكر و صافقته على قوله سماسرته من الساسة لأمر دبر بليل، و أمير المؤمنين عليه السلام أفضى الأمة و باب مدينة علم النبى، و الصديقة فاطمة بضعته و ما كان يشحّ صلى الله عليه و آله و سلم عليها من إفاضة العلم و لا سيّما علم الأحكام و على الأخصّ ما يتعلّق بها، و هو صلى الله عليه و آله و سلم يعلم أنّها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلبين على فدك و أنّها ستُمنع عنها و يحتدم بينها و بينهم الشجار، و يستتبع ذلك انشقاقاً بين الأمة إلى يوم القيامة، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوة، و من جانحة إلى من منعها عن حقّها، فكان من الواجب أن يسبق صلى الله عليه و آله و سلم إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبى بكر.

ألم تكن لأبى بكر مندوحة تصحّ إقطاع فاطمة فدكاً و ردّها إليها حتى لا يفتح باب السوأة على الأمة كما ردّها عمر إلى وريثة النبى الأقدس، و أقطعها عثمان مروان، و أقطعها معاوية مروان و عمرو بن عثمان و يزيد بن معاوية على الأثلاث، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعدهم من التصرف كتصرف الملّاك فى أملاكهم «٢»؟

سل عن صفة أبى بكر هذه فاطمة و هى صديقة يوم خرجت عن خدرها و هى تبكى و تنادى بأعلى صوتها:

«يا أبت يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب و ابن أبى قحافة!!» «٣».

(١). راجع الجزء السابع: ص ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨ - ١٦٨. (المؤلف)

(٢). راجع: ٧ / ١٩٤ - ١٩٥. (المؤلف)

(٣). راجع: ٧ / ٧٧. (المؤلف)

ص: ٥٢٧

و سلها عنها يوم لانت خمارها على رأسها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت فى لمة من حفدتها و نساء قومها تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبى بكر و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنتة أجهش لها القوم بالبكاء، و ارتج المجلس «١».

و سلها عنها يوم قالت لأبى بكر:

«و الله لأدعون عليك بعد كل صلاة أصليها».

و سلها عنها يوم ماتت و هى واجدة على أبى بكر، و هى التى طهرها الجليل بأية التطهير،

و صح عن أبيها قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني، يؤذيني ما آذاها، و يغضبني ما أغضبها» «٢».

و قوله: «فاطمة قلبى و روحى التى بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني» «٣».

و قوله: «إن الله يغضب لغضب فاطمة و يرضى لرضاها» «٤».

و سل عنها أمير المؤمنين و هو الصديق الأكبر يوم قاده كما يُقاد الجمل المخشوش إلى بيعة عم شومها الإسلام، و زرعت فى قلوب أهلها الآثام، و عنفت سلمانها، و طردت مقدادها، و نفت جنديها، و فتقت بطن عمّارها، و حرقت القرآن، و بدلت الأحكام، و غيرت المقام، و أباحت الخمس للطلاق، و سلطت أولاد اللعناء على الفروج و الدماء، و خلطت الحلال بالحرام، و استخفت بالإيمان و الإسلام، و هدمت الكعبة، و أغارت على دار الهجرة يوم الحرّة، و أبرزت بنات المهاجرين و الأنصار للنكاح و السوأة، و ألستهنّ ثوب العار و الفضيحة، و رخصت لأهل الشبهة

---

(١). راجع: ٧ / ١٩٢. (المؤلف)

(٢). راجع: ٧ / ٢٣١ - ٢٣٥. (المؤلف)

(٣). راجع: ٧ / ٢٣٥. (المؤلف)

(٤). راجع: ٧ / ٢٣٥. (المؤلف)

فى قتل أهل بيت الصفوة و إبادة نسله، و استئصال شأفته، و سبى حرمه، و قتل أنصاره، و كسر منبره، و إخفاء دينه، و قطع ذكره. إنا لله و إنا إليه راجعون.

و سل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر أخيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يبكى و

يقول: «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونى» «١».

إلى غير هذه من دلائل كون أبى بكر أرحم الأمة.

و أمّا كون عمر أشدهم فى الدين فمن جليّة الواضحات أنّ الشدّة فى الدين ليست هى الفظاظة و الغلظة فحسب، و إنّما هى التهالك فى التمسك بعروتى الكتاب و السنّة و العمل بهما و الأخذ و القيام بما جاء فيهما من الحدود، و ما أكثر ما خالفهما الرجل و نبذهما وراء ظهره و اتّخذ برأيه الشاذّ عنهما! و دع عنك ما جهله منهما. و ما قيمة شدّة بلا علم؟ و ما مقدار شدّة مع التنكّب عن أساسيات الدين، مع الخروج عن طقوس الإسلام، مع التمسك بالأهواء و الشهوات؟ راجع نوادر الأثر فى علم عمر من الجزء السادس (ص ٨٣ - ٣٣٣) فإنّك تجد هنالك شواهد قويّة على إثبات هذه الصفة فاقراها و تبصّر.

و أمّا كون عثمان أصدقهم حياءً فيكفى دلالة عليه الجزء الثامن و التاسع من هذا الكتاب، و كلّ صحيفة منهما آية من آيات صفته تلك، مضافاً إلى ما سردناه فى هذه الجزء (ص ٢٧٤ - ٢٩٢) من البحث الخاصّ فى حياته.

و أمّا الثلاثة الباقون؛ فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم، ففيه تضييع للوقت و شغل عمّا هو أهمّ من ذلك، و من سير كتابنا هذا عرف أعلم الأمة و أفرضاها و أمينها و علم أنّه غيرهم، فلا يدنس ساحة الأمة بأمثال المذكورين، و لا يُخاف عليه ممّا كان يخاف النبىّ الأقدس صلى الله عليه و آله و سلم على أمته كما

جاء عنه: «أخاف على أمتى من

---

(١). راجع الجزء السابع: ص ٧٨. (المؤلف)

بعدى ضلالة الأهواء، و اتّباع الشهوات، و الغفلة بعد المعرفة».

٣- فى كتاب المناقب من صحيح البخارى «٣» (٥ / ٢٤٩)، عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبى: أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، و خشيت أن يقول: ثم عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

و فى لفظ الخطيب فى تاريخه (١٣ / ٤٣٢): قال قلت: يا أبت! من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: يا بُنىّ أو ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال: أبو بكر. قال: قلت: ثم من؟ قال: يا بُنىّ أو ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال: ثم عمر. قال: ثم بدرته فقلت: يا أبت ثم أنت الثالث. قال: فقال لى: يا بُنىّ أبوك رجل من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم.

قال الأمينى: ليست هذه أول سقطه من سقطات البخارى، و من عرف معتقد أمير المؤمنين على عليه السلام فى الذين تقدموه و ما استمر عليه دأبه من التصريح بذلك المعتقد تارة و التلويح إليه أخرى لا يشك فى أن ما عُرِى إليه بهتان عظيم.

و ليس ابن الحنفية ذلك الذى لا يعرف أباه و لا نظريته فى القوم بعد اللتيا و التى، حتى يسأله عن أولئك الرجال ثم يخاف عن أن يقول فى المرة الثالثة عثمان و هو يعرفه بعُجره و بُجره لا محالة، و يعلم أنه هو أحد الثلاثين من بنى أبى العاص الذين صحّ فيهم

قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا، و عباده خولا، و دينه دخلا» «٤».

(٢). أسد الغابة: ١ / ١٢٧ رقم ٢٠٥.

(٣). صحيح البخارى: ٣ / ١٣٤٢ ح ٣٤٦٨.

(٤). راجع ما مرّ فى الجزء الثامن: ص ٢٥٠، ٢٥١، ٣٠٥. (المؤلف)

ص: ٥٣٠

لما ذا كتم أمير المؤمنين عليه السلام عن ابن الحنفية رأيه هذا يوم مقتل عثمان لما أراد الإمام عليه السلام أن يأتى الرجل و ينصره فأخذ ابن الحنفية بضبعيه أو بكفيه أو بحقوقه يمنعه من ذلك «١»؟

حاشا ابن الحنفية من الجهل بما جاء فى أبيه الطاهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: إنه خير البرية، و إنه خير البشر، و إنه خير من أتركه بعدى، و إنه خير الناس، و إنه خير الرجال، و إنه أحد الخيرتين «٢». و محمد بن الحنفية هو الذى كان ينشد شاعره كثير عزة بين يديه قوله:

يا ابن على سر و من مثل على «٣»

أنت ابن خير الناس من بعد النبى

وَأَنِّي تَصَحَّ نَسْبَةُ هَذِهِ الْمَزْعَمَةِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ

قَدْ جَاءَ عَنْهُ مِنْ عِدَّةٍ طَرُقَ أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَسْنَدُهُ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «أَيُّ عَلِيٍّ؟ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى اللَّهُ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) «٤»؟ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ».

وَرَدَّ عَنْ جَابِرٍ: إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانُوا إِذَا أَقْبَلَ عَلِيٌّ قَالُوا: قَدْ جَاءَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

رَاجِعْ مَا أَسْلَفْنَاهُ فِي (٢/ ٥٢). أَخْرَجَهُ مِضَافاً إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ مِنَ الْمَوَاقِفِ مِنْ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، قَالَ السِّيُوطِيُّ فِي لَأَلِيهِ (١/ ١٢): التَّزَمَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنْ يَخْرُجَ فِي تَفْسِيرِهِ أَصْحَحَ مَا وَرَدَ وَ لَمْ يَخْرُجْ حَدِيثاً مُوَضَّعاً الْبَتَّةَ. انْتَهَى.

وَلَوْ كَانَ يَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَيْرُ النَّاسِ فَلَمَّا ذَا تَقَاعَدَ عَنْ بَيْعَتِهِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيتِ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ؟ وَكَانَ لَهُ وَجْهٌ عِنْدَ النَّاسِ أَيَّامَ حَيَاتِهَا كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ «٥»

---

(١). الأَنْسَابُ: ٥/ ٩٤ [٦/ ٢١٦]. (المؤلف)

(٢). رَاجِعْ مَا مَضَى فِي الْجُزْءِ الثَّانِي: ص ٥٧، ٣/ ٢٢، ٢٤. (المؤلف)

(٣). طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ: ٥/ ٧٩ [٥/ ١٠٧]. (المؤلف)

(٤). الْبَيْئَةُ: ٧.

(٥). صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: ٤/ ١٥٤٩ ح ٣٩٩٨.

ص: ٥٣١

نَفْسِهِ، وَصَافَقَهُ عَلِيٌّ ذَلِكَ بَنُو هَاشِمٍ وَ مِنْ وَاقِفِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ وَجْهِ الْأُمَّةِ وَ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُ مَنْزِلَةَ الصَّدِيقِ هَذِهِ؟ وَ مَا بَالُ عَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَحْمِلُ الصَّدِيقَةَ الطَّاهِرَةَ عَلَى دَابَّةٍ لَيْلًا فِي مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ تَسْأَلُهُمُ النَّصْرَةَ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ؟ «١» وَ لَمَّا ذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَقَالِ الدَّعَاةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَيْضاً يَوْمَ السَّقِيفَةِ وَ بَعْدَهُ مَا يَوْمِي إِلَى أَنَّهُ خَيْرُ الْبَشَرِ؟ بَلْ كَانَ رَطَبُ أَلْسِنَتِهِمْ: إِنَّهُ السَّبَاقُ الْمَسْنُونُ وَ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ «٢» مَشْفُوعاً كُلَّ ذَلِكَ بِالْإِرْهَابِ وَ التَّرْعِيدِ (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) «٣».

هَبْ أَنْ الصَّحَابَةَ يَوْمَ ذَاكَ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مَنْزِلَةَ الرَّجُلِ، فَهَلَّا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَمْرَهُمْ بِاتِّبَاعِ خَيْرِ النَّاسِ وَ فِيهِمْ مَنْ كَانَ أَطْوَعَ لَهُ مِنَ الظِّلِّ لَذِيهِ، فَقَمَّ بِذَلِكَ جُذُومَ الْفِتْنَةِ، وَ اسْتَأْصَلَ جُذُورَهَا، وَ كَسَحَ الْخِلَافَ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَتْرَكْهَا فِتْنَةً



عمياء تحتدم عليها الإحن، و تتعاقب المحن؟ حاشا مولانا أمير المؤمنين من كلّ هذه، لكنّه لم يعرف ما عُرِي إليه من حديث خير الناس و لا اعترف بمفاده طرفة عين، بل كان صلوات الله عليه يرفع عقيرته بما يضادّ هذه المزعمة في صهوات المنابر بين الملاء الدينيّ، و قد مرّ شطر من تلکم الکلم في هذا الجزء.

نحن هاهنا لسنا في مقام إثبات أنّ عليّاً خير البشر بعد صنوه الطاهر صلّى الله عليهما و آلهما. كلّا ثم كلّا.

و لسنا في صراط بيان المفاضلة بينه سلام الله عليه و بين خلفاء الانتخاب الدستوري، حاشا ثم حاشا.

و إنّما يروقنا جدّاً أنّ نمركز لهذا الإنسان الكامل في الملاء الدينيّ مكانة فرد من

---

(١). الإمامة و السياسة: ١٢ / ١ [١٩ / ١]. (المؤلف)

(٢). راجع الجزء السابع: ص ٩١. (المؤلف)

(٣). المؤمنون: ٦٨.

ص: ٥٣٢

آحاد المسلمين، و نجعلها كلمة سواء بيننا و بين القوم، و نتصافق على هذا فحسب. اللهمّ غفرانك و إليك المصير.

يا حبّذا بعد ما صدّق القوم ما عُرِي إليه صلوات الله عليه من قول: ما أنا إلّا رجل من المسلمين، أو قوله لابنه: يا بنيّ أبوك رجل من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم، كانوا يعدّونه رجلاً منهم و أجروا عليه أحكام من آمن بالله و أسلم، و كان له ما لهم و عليه ما عليهم. بل ليتهم كانوا أتبعوا رأى عثمان فيه و يرون مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين بلسان النبيّ الأقدس أفضل منه. و ليتهم ساووا بينه و بين سفلة الأعراب، و الطبقة الواطئة الساقطة من الصحابة، لكن: أنّي؟ ثمّ أنّي؟

قل لي برّيك أيّ مسلم شريف أو وضع لعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر، و لم ينس ابن أنثى بنت شفة في الدفاع عنه؟

قل لي برّيك أيّ مسلم سائد أو سوقة غير سيّد العترة سنّ سبّه في الجمعة و الجماعة في الحواضر الإسلاميّة جمعاء، و تختتم بلعنه أندية الوعظ و الخطابة، و من نهى عن ذلك يُنفى عن عقر داره؟ قال الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو: أتيت من حوران إلى دمشق لأخذ عطائي، فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج، فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيببة القاصّ، يقصّ على الناس، فرغّب فرغبنا، و خوّف فبكينا، فلما انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب عليه السلام، فالتفتت إلى من على يميني، فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: علىّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله و زوج ابنته، و أوّل الناس إسلاماً، و أبو الحسن و الحسين. إلى آخر ما في تاريخ ابن عساکر «١» (٣ / ٤٠٧) و فيه أنّ الجنيد استنكر الأمر و لطم وجه الرجل، فشكى إلى هشام بن عبد الملك فنفي الجنيد إلى السند، فلم يزل بها إلى أن مات.

(١). تاريخ مدينة دمشق: ١١ / ٢٩٠ - ٢٩١ رقم ١٠٨٥، و في مختصر تاريخ دمشق: ٦ / ١١٧.

ص: ٥٣٣

قل لى برىك اى عزيز تحت ظل النبوة غير عزيزنا المفدى، اضهده «١» نير المذلة، و أصبح ضهدة لكل أحد، جرعته يد الإحن كاسات المحن، حتى سئم من حياته، و صبر و فى العين قذى، و فى الحلق شجى، يرى تراثه نهبا؟

قل لى برىك اى صحابى غير على عليه السلام لا يستقيم الأمر لأمة محمد إلا بسبه؟ يقال لمروان: ما لكم تسبون على المنابر؟ فيقول بملء فمه: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك «٢».

قل لى برىك اى موحد إسلامى فى الملا الدينى يُتبرأ منه فى بيعة خليفة المسلمين بيع الله و رسوله سوى على عليه السلام؟ و قد اشترط معاوية البراءة منه عليه السلام فى بيعته «٣».

قل لى برىك اى إنسان ثقل اسمه على الناس غير على صلوات الله عليه؟ هذه عائشة لم تسمه و لا تقدر على أن تذكره بخير، و لا تطيب له نفساً «٤»، و كان معاوية أو عبد الملك بن مروان أو هما معاً يأمران ابن عباس أن يغير اسم ولده على و كنيته «٥»، و كان على بن الجهم السلمى يلعن أباه لأنه سماه علياً «٦».

قل لى برىك اى رجل أسلم وجهه لله و هو محسن غير أول المسلمين يرى لاعنوه و شاتموه و معاندوه و قاتلوه و خاذلوه متأولين مجتهدين لا يستحقون مقتاً و لا أخذاً و لا هواناً و لا عقاباً؟

(١). يقال: ضهده و أضهده، أى: ظلّمه و قهره.

(٢). الصواعق لابن حجر: ص ٣٣ [ص ٥٥]. (المؤلف)

(٣). البيان و التبيين للجاحظ: ٢ / ٨٥ [٢ / ٧٢]. (المؤلف)

(٤). مرّ الحديث بإسناد صحيح فى هذا الجزء: ص ٣٢٤ - ٣٢٥. (المؤلف)

(٥). تاريخ الطبرى: ٨ / ٢٣٠ [٧ / ١١١ حوادث سنة ١١٨ هـ]، حلية الأولياء: ٣ / ٢٠٧ [رقم ٢٤٣]، الكامل للميرد: ٢ / ١٥٧ [١ / ٤٩٧]

[٣ / ٢٧٤]، تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٥٨ [٧ / ٣١٢]، شذرات الذهب: ١ / ١٤٨ [٢ / ٧١]. (المؤلف)

(٦). لسان الميزان: ٣ / ٢١٠ [٤ / ٢٤٢ رقم ٥٧٦٦]. (المؤلف)

قل لى برىك اى ابن اثنى من ابناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استحق شيعته و محبوه و أهله و ذووه فى المجتمع السب و اللعن و القتل و السبى و الإزراء و الضرب و النكال و السوأة و الحبس فى ظلم المطامير و قعر السجون، و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت؟

الهزيمة كل الهزيمة دفاع ابن حجر عن مثل حكم بن أبى العاص طريد النبى و لعينه، و عن الوقعة فيه بما تحق منه و علم من الفاحشة، و ذبه عنه لمكان كونه صحابيا «١».

الهزيمة كل الهزيمة ذب ابن حزم عن عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين و عدم تجويزه لعنه و تبريره عمله بأنه مجتهد مخطئ «٢».

الهزيمة كل الهزيمة نصره القاضى حسين الشافعى عمران بن حطان مادح ابن ملجم قاتل الإمام الطاهر بقوله:

يا ضربة من تقى ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حيناً فأحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا

يحكم بعدم جواز لعنه زعماً بكونه صحابياً «٣» ذاهلاً عن أن ابن حطان لم يكن صحابياً، وإنما هو من رءوس الخوارج الملعونين بلسان النبى الأقدس، ولد الرجل بعده صلى الله عليه و آله و سلم بمدّة.

الهزيمة كل الهزيمة تبرير ساحة معاوية الربا و الخمر من دنس طاماته و موبقاته و جناياته الكبيرة على الإسلام و المسلمين و قتله آلفاً من صلحاء أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم بكلمة واحدة موجزة، بأنه كان مجتهداً متأولاً مخطئاً «٤».

(١). راجع ما مضى فى الجزء الثامن: ص ٢٥١. (المؤلف)

(٢). راجع ما أسلفناه فى الجزء الأول: ص ٣٢٣. (المؤلف)

(٣). الإصابة: ١٧٩ / ٣ [رقم ٦٨٧٥]. (المؤلف)

(٤). الفصل لابن حزم: ٨٩ / ٤، تاريخ ابن كثير: ٧ / ٢٧٩ [٧ / ٣١٠ حوادث سنة ٣٧ هـ]. (المؤلف)

الهزيمة كل الهزيمة الاعتذار عما اقترفه يزيد الخمرور و الفجور، و تنزيه ساحته من أرجاسه المكفرة، و النهى عن لعنه و ذكره بالسوء بأنه مسلم لم يثبت كفره و أنه إمام مجتهد «١».

إلى مناصرات و مدافعات عن أمثال هؤلاء بشروى تلکم الکلم الفارغة، و أما سيدنا المفدى حبيب الله و حبيب رسوله فلسنا مغالين إن قلنا: إن الأمة كانت مصرّة على مقتنه، مجتمعة على قطيعة رحمه و إقصاء ولده إلّا القليل ممّن و فى لرعاية الحقّ فيه، فليت القوم أخذوا من بخاريهم و خطيبهم هذه الكلمة المعزوة إلى أمير المؤمنين: ما أنا إلّا رجل من المسلمين - و إن كانت مختلفة - و أجروا عليه حكمها. لكن. لكن....

ثم كيف تُعزى إليه سلام الله عليه هذه المفاضلة و

قد جاء عن النبىّ الأقدس قوله لفاطمة الصديقة: «زوّجتك خير أمتى، أعلمهم علماً، و أفضلهم حلماً، و أولهم سلماً؟»  
مرّفى (٣/ ٩٥).

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «علىّ خير من أتركه بعدى».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «خير رجالكم علىّ بن أبى طالب، و خير نساءكم فاطمة بنت محمد».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «علىّ خير البشر فمن أبى فقد كفر».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من لم يقل علىّ خير الناس فقد كفر».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم لفاطمة سلام الله عليها: «إنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ اطّلع الثانية فاختر بعلك».

و قوله لها: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك و الآخر زوجك» «٢».

---

(١). تاريخ ابن كثير: ٢٢٣ / ٨، ١٣ / ٩ [٨ / ٢٤٥ حوادث سنة ٦٣ هـ، ١٣ / ١٣ حوادث سنة ٥٩٠ هـ]. (المؤلف)

(٢). راجع ما مرّفى: ٢٠ - ٢٣. (المؤلف)

و ليت شعرى كيف تصحّ عنه هذه المفاضلة و قد اتّخذ رسول الله له نفساً كما جاء فى الذكر الحكيم، و طهره الجليل بآية التطهير، و قرن بين ولايته و ولاية رسوله و بين ولاية علىّ فى نصّ الكتاب الكريم، و أنزله صلى الله عليه و آله و سلم من

نفسه منزلة هارون من موسى، و لم يستثن لنفسه إلّا النبوة، و اتخذهُ صلى الله عليه و آله و سلم أختاً لنفسه يوم المؤاخاة المُبتنية على أساس المشاكلة فى الملكات و النفسيات؟ فكيف تتم هذه كلّها و فى الأمة من هو أولى منه؟

و لست أدري كيف كان على أمير المؤمنين أحبّ الخلق إلى الله و إلى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و فى الأمة من هو خير منه؟

و قد صحّ عنه صلى الله عليه و آله و سلم قوله فى حديث الطير المشوى الآتى ذكره إن شاء الله: «اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك ليأكل معى». فأتاه علىّ عليه السلام.

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم لعائشة: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إلىّ و أكرمهم علىّ فاعرفى له حقّه و أكرمى مثواه».

و قوله: «أحبّ الناس إلىّ من الرجال علىّ».

و قوله: «علىّ أحبّهم إلىّ و أحبّهم إلى الله».

و لا تنس هاهنا قول عائشة: و الله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من علىّ. و لا قول بريدة و أبى: أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من النساء فاطمة و من الرجال علىّ «١».

ثمّ ما بال الصديقة فاطمة تموت و هى واجدة علىّ أبى بكر و عمر و هما خير البشر؟ ما بالها و نداؤها بعد فى آذان الأمة المرحومة و هى باكية لاذت بقبر أبيها و

تقول: «يا أبت يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب و ابن أبى قحافة؟»؟

ما بالها و قولها للخيرين:

«إنّى أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتمانى و ما أرضيتمانى، و لئن لقيت النبىّ لأشكونكما إليه؟»

و حديث أنينها بعد دائر سائر بين حملة التاريخ.

---

(١). راجع ما مرّ فى: ٣ / ٢١ - ٢٣. (المؤلف)

ما بالها و هى توصى بأن تدفن ليلاً و لا يُصلّى عليها أبو بكر، و لا يحضر الخيران تجهيزها و تشييعها؟ و هذا النبأ العظيم بعد يدور فى أنديّة الرجال «١».

نعم، السرّ في ذلك كلّهُ أنّ الصديقة كابن عمّها أمير المؤمنين لا تعرف شيئاً من قول الزور، و لعلّ الواقف على الجزء السادس و السابع من هذا الكتاب يُطلّ على كون الرجلين خير البشر بأقرب من هذا.

و نحن على يقين من أنّ الباحث النابه الحرّ بعد الوقوف على ما في غضون الأجزاء الخمسة الأخيرة من العشرة الأولى من أجزاء كتابنا هذا لا يبقى له قطّ ريب في أنّ رواة هذه الأساطير المختلفة و القائلين بمغزاها و المخبتين إليها صمّاً و عمياناً هم الغلاة في الفضائل حقّاً: (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا) «٢» (وَ إِنَّا فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) «٣» (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) «٤» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) «٥» (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) «٦».

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

انتهى الجزء التاسع

من كتاب الغدير و يتلوه العاشر إن شاء الله

يبدأ فيه ببقية مناقب الخلفاء الثلاثة

---

(١). راجع ما مرّ في: ٧ / ٢٢٧. (المؤلف)

(٢). الفرقان: ٤.

(٣). البقرة: ١٤٦.

(٤). البقرة: ٥٩.

(٥). الزمر: ٣٢.

(٦). الزخرف: ٨٩.